المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

(٠٣٢)

كلية الدعوة وأصول الدين

قسم الدعوة والثقافة الإسلامية

شبهات المستشرقين حول قصص القرآن الكريم والرد عليها

دراسة وصفية تحليلية نقدية

رسالة علمية مقدمة لنيل درجة العالمية العالية (الدكتوراه)

إعداد الطالب/

ناجي بن مُحَمَّد بن مسفر وقدان

إشراف

أ. د/فؤاد بن عبده الحاج البعداني

العام الجامعي ١٤٣٦ – ١٤٣٧هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ آل عمران ١٠٢ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ النساء ١ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ الأحزاب ٧٠-٧١.

أما بعد: فإن أحسن الحديث كلام الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ،وشر الأمور محدثاتها ،وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار.[1]

إن القرآن الكريم، هو كتاب الله العظيم، ورسالته الإصلاحية التي تدعو إلى الصلاح والاصلاح للبشرية ،وهو خطاب الله الذي يستهدف الإنسان ككائن بشري في كل زمان ومكان، فكل كلمة ، وكل جملة وكل قصة في القرآن الكريم لها وقع عظيم في نفس وقلب السامع والتالي والمتفكر، وذلك بسبب عظمة الهدف، وعظمة المخاطِب في القرآن الكريم ، وهو الله سبحانه وتعالى وتجلت صفاته وعظمته.

إن القصص في كتاب الله عز وجل يكون ظاهرة واضحة جلية، فهو أحسن القصص وأجله وأرفعه، وهذا مما تميز به القرآن الكريم في الدقة المتناهية في العرض والسرد، وسوق القصص في صورة تكاملية متناسبة ومترابطة ، لا يمكن لأي مخلوق في السموات ولا في

---

[1] هذه خطبة الحاجة التي كان النبي ﷺ يعلمها أصحابه ، ليجعلوها بين يدي كلامهم ، رواها أبو داود ٢/٥٩١ ، كتاب النكاح ، باب: في خطبة الحاجة برقم ٢١١٨ واللفظ له ، والترمذي ٣/٤١٣ ، كتاب النكاح ، باب :ما جاء في خطبة النكاح برقم ١١٠٥ ،وأحمد ٥/٣١٥ ، وصححها الألباني في كتابه خطبة الحاجة ص ٩.

الأرض أن يأتي بمثله ، ويتجلى ذلك في عرض صور وأخبار الأقوام والأنبياء ، ونقل الأحداث كما لو كانت بين أيدينا اليوم ، ظاهرة تستحق أن تحظى بالامتياز والعظمة ، وبحث وتقص ، وتحتاج الى وقفة ودراسة وتمعن في الدور الرائد الذي تقوم به في العملية الدعوية التغييرية، فالقصص القرآني له مدلوله المميز والحقيقي ، وهو ما تم تسجيله من أحداث ، ووقائع ، وتاريخ ، وبشكل وثائقي فريد ، ومنقطع النظير.

ولقد انصب جل اهتمام كثير من المستشرقين في دراساتهم للإسلام وعلومه ، دراسة القرآن الكريم وكل ما يتعلق به من قصص وغيره ، لا بقصد الاهتداء ومعرفة الحق واتباعه ، بل من أجل الطعن فيه والتشكيك في مصداقيته، وكان ميدانهم الأكثر ، ومجالهم الرحب لبث سمومهم هو ميدان التفسير والقصص ، الذي كتبوا فيه كتاباتهم النقدية، وتركزت تلك الدراسات على الطعن في كتب ومناهج التفسير بالمأثور من كتب أهل السنة مقابل تمجيد الاتجاهات المنحرفة في التفسير كتفسير الفرق المنتسبة للإسلام زاعمين اكتشاف مناهج جديدة في تفسير القرآن الكريم لم يصل إليها علماء السلف من قبلهم وسار على نهجهم عدد من مدعي العلم والفكر من المسلمين ممن نادوا بقراءة جديدة للقرآن الكريم وتأويلات حديثة لكتاب الله تتوافق – على حد زعمهم – مع مقتضيات العصر ومسايرة المناهج الحديثة للعلوم الإنسانية والاجتماعية.

وقد تجاوز المستشرقون الحد في طعنهم في كتاب الله تعالى، ونقدهم لمنهج سلف الأمة في تفسير كتاب الله عز وجل وقصصه، وهذا الذي سيتضح بحول الله ومنته ، من خلال هذه الرسالة، مستمدا من الله تعالى العون والتوفيق ، في المساهمة العلمية في الدفاع عن كتاب الله عز وجل ، وكشف لمزالق المستشرقين وانحرافات من تبعهم من أبناء المسلمين.

موضوع الدراسة:

تتناول هذه الدراسة ، موضوع شبهات المستشرقين حول قصص القرآن الكريم ، والرد عليها ، دراسة وصفية تحليلية نقدية ، ، فالقرآن الكريم تربية علمية وعملية، ودروس تطبيقية، وأخبار تصديقية، ومضامين دعوية ، واختبار لأعماق النفوس البشرية، وتثبيت لأهل الإيمان، وزعزعة لأولياء الشيطان. فللقرآن الكريم دور عظيم في إظهار صدق النبي ﷺ في دعوته بما أخبر به عن أحوال الماضين عبر القرون والأجيال .كما أن لأخباره وقصصه وحقائقه ، دور

كبير في إيضاح الأسس والطرائق في الدعوة إلى الله عز وجل ، و له تأثير عجيب في النفوس البشرية في تحولها إلى الخير كما قال تعالى﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ يوسف ١١١. وقوله عز وجل ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ فصلت ٤٢.

أهمية الدراسة:

تتجلى أهمية هذه الدراسة في:

أولا: أن الدعوة إلى الله ، من أجل الأعمال وأرفعها قدرا ومكانة.

ثانيا: ارتباط القرآن بحياة الأمة وعقيدتها ودينها وأمنها وتراثها المجيد ، من قديم وحديث.

ثالثا: الحاجة الماسة إلى كشف الافتراءات التي يدعيها المستشرقون ضد القرآن ، وإفراده ببحث مستقل في ذلك.

رابعا: إثراء الميدان الدعوي بكيفية مواجهة هذا المد الاستشراقي ، وإبطال شبهاته ، ودحر افتراءاته بالوسائل الدعوية الصحيحة .

خامسا: إثبات أن هذا القرآن كتاب معجز ، قد أعجز بفصاحته وقصصه أهل اللسان من العرب ، فمهما فعل المستشرقون من الحيل والشبهات ، فلن يستطيعوا إليه سبيلا.

أسباب الدراسة:

تظافرت عدد من الأسباب دفعتني لاختيار هذا الموضوع وتناوله بالبحث والدراسة ، ومن هذه الأسباب:

أولا: بيان حقيقة الاستشراق وأهدافه ودوافعه.

ثانيا: بيان أهمية الدفاع عن كتاب الله وسنة رسولهﷺ ، لارتباطهما بحياة الأمة وعقيدتها ودينها وأمنها وتراثها المجيد ، من قديم وحديث.

ثالثا: تزويد الدعاة إلى الله بهذا النوع الفعال من أنواع وطرق الدعوة إلى الله ، ليكون ذلك زادا لهم في مسيرتهم الدعوية.

رابعا: تفنيد الشبهات وكشف الافتراءات التي يدعيها المستشرقون ضد القرآن وقصصه ، والرد عليها.

خامسا: أن هذا الموضوع ذو صلة وثيقة بكتاب الله وسنة رسولهﷺ.

سادسا:الدفاع عن القرآن بالحجة والدليل والبرهان.

سابعا: التوصل إلى نتائج جديدة تخدم القرآن الكريم وتثبت بطلان شبهات المستشرقين.

ثامنا: الدعوة إلى الله برد هذه الشبهات وتبيان الحقائق.

تاسعا: بيان أهمية العمل والتعاون الدعوي لنصرة كتاب الله بالتصدي لكل الحملات التي تحاك من حوله.

أهداف الدراسة:

تضمنت هذه الدراسة جملة من الأهداف التي ترمي إلى تحقيق الدراسة الشاملة لموضوع الرسالة، وما تضمنته من استكمال لجوانب الموضوع بدراسة هادفة ، وفوائد دعوية ، الدراسة الوصفية التحليلية والنقدية ، بهدف ربط هذه الأهداف بفصول الدراسة ومباحثها ، وفيما يلي بيان لبعض هذه الأهداف:

١- التعرف على المعالم الدعوية ، المتعلقة بموضوع الدعوة من خلال بسط الشبهات ، والرد عليها.

٢- إبطال مزاعم المستشرقين وشبهاتهم ، بإثبات إعجاز وصدق القرآن الكريم .

٣- التعرف على الطرائق العلمية الصحيحة ، في مواجهة الاستشراق وأهله .

٤- بيان الأساليب والوسائل الدعوية التي تعين الداعية إلى الله على مواجهة المد الاستشراقي.

٥- إيراد شبهات المستشرقين حول القرآن الكريم وقصصه ، والرد عليها وفق منهج أهل السنة والجماعة.

٦-التعرف على الظروف والأسباب التي ساعدت على انتشار وتوغل المد الاستشراقي تجاه الأمة الإسلامية وعقيدتها ، ودينها.

٧- بيان أن الحجج والدلائل والبراهين النقلية والعقلية والكونية ، هي السبيل لإبطال الافتراءات والمزاعم التي يبثها أعداء الإسلام ، لتشويه الإسلام والقرآن والسنة .

٨- إثبات قدرة الله وإرادته وقيوميته ، وحفظه لكتابه ، رغم جهود المستشرقين الدؤوبة للصد عنه.

تساؤلات الدراسة:

هناك عدة تساؤلات يثيرها موضوع الدراسة ، يحاول الباحث الإجابة عليها ، وأهم هذه التساؤلات ما يلي :

١- ما شبهات المستشرقين حول القرآن الكريم عامة، وحول قصصه على وجه الخصوص.

٢- ما الظروف والأسباب حول بروز ظاهرة الاستشراق والمستشرقين؟

٣- ما الوسائل والأساليب التي استخدمها أعداء الإسلام من المستشرقين لنشر شبهاتهم وأباطيلهم عن الإسلام والمسلمين؟

٤- ما دوافع المستشرقين لما تبنوه من آراء حول قصص القرآن الكريم ؟

٥- ما أهم جوانب القصور والنقص عند المسلمين عامة ، وعند الدعاة خاصة ، في مواجهة موجة الاستشراق والمستشرقين؟

٦- هل ما أثاره أعداء الإسلام من المستشرقين من الشبهات حول القرآن الكريم وقصصه صحيحة أم أنها محض افتراء وكذب؟

٧- ما الأدلة التي اعتمدوا عليها في آرائهم تلك؟ وما قيمتها العلمية؟

الدراسات السابقة:

يقرر الباحث أنه على حد علمه واطلاعه ، ومن خلال البحث والتقصي لم يجد أي رسالة علمية أو بحث علمي أكاديمي مستقل في الجامعات السعودية، ومراكز البحث العلمي، والجهات المعنية بالبحوث والدراسات الإسلامية، يعطي موضوع شبهات المستشرقين حول قصص القرآن الكريم ، والرد عليها ، دراسة وصفية تحليلية نقدية ، حقه من الدراسة والتحقيق. وكل ما هنالك هو كتابات ورسائل ومقالات ومشاركات ومنشورات عامة متفرقة في الشبهات حول القرآن الكريم من جهة الوحي وترتيب الصور والقراءات والرد عليها ، دون

التعرض لما يحمله عنوان رسالتي هذه على وجه الخصوص برسالة علمية بحثية مستقلة.

حدود الدراسة:

إن موضوع الاستشراق موضوع واسع الأفق متشعب المحاور، ولذلك كان لزاما تحديد المجال الذي سيجري فيه البحث بإذن الله تعالى ، ويتلخص في النقاط التالية:

أولا: ستقتصر الدراسة على شبهات المستشرقين حول قصص القرآن الكريم والرد عليها، ردا علميا كافيا، وعلى كل ما تستلزمه الدراسة من تعريفات وتفريعات في الاستشراق والمستشرقين ، مع بيان الكيفية العلمية الصحيحة ومنهج أهل السنة والجماعة في الرد على الشبهات والافتراءات.

ثانيا: ستهتم الدراسة بالشبهات التي تدور حول قصص القرآن الكريم تحديدا والرد عليها.

ثالثا: تتناول الدراسة شبهات المستشرقين حول قصص القرآن الكريم من خلال المستشرقين القدامى والمعاصرين.

تقسيم خطة الدراسة:

قمت بتقسيم بحثي ودراستي هذه إلى مقدمة وتمهيد و أربعة فصول ، وخاتمة ، وفهارس.

المقدمة : وتشتمل على:

١- موضوع الدراسة.

٢- أهمية الدراسة.

٣-أهداف الدراسة.

٤-أسباب الدراسة.

٥- تساؤلات الدراسة.

٦- الدراسات السابقة.

٧- خطة الدراسة.

٨- منهج الدراسة.

التمهيد: التعريف بمفردات عنوان الرسالة وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الشبهة في اللغة والاصطلاح .

المبحث الثاني: الاستشراق مفهومه وتاريخه ودوافعه وأهدافه ووسائله ، ومجالاته، وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم الاستشراق في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثاني: تاريخ الاستشراق.

المطلب الثالث: دوافع الاستشراق.

المطلب الرابع: أهداف الاستشراق.

المطلب الخامس: الفرق بين الدوافع والاهداف.

المطلب السادس: وسائل الاستشراق.

المطلب السابع: مجالات الاستشراق.

المبحث الثالث: مفهوم القصص في اللغة والاصطلاح .

المبحث الرابع: أنواع القصص ومنزلتها في الدعوة إلى الله.

المبحث الخامس: التعريف بأبرز المستشرقين الذين كتبوا عن قصص القرآن الكريم.

الفصل الأول : مَنَاهِج المسْتَشرِقين ومَصَادِرُهم في الكِتَابةِ عن قَصَصِ القُرآنِ الكَرِيم، وفيه تمهيد ومبحثان:

التمهيد: نبذة عن المنهج الاستشراقي.

المبحث الأول: مناهج المستشرقين في دراساتهم وكتاباتهم عن قصص القرآن الكريم ، وفيه تسعة مطالب:

المطلب الأول: منهج التشكيك فيما هو قطعي في كتابات المستشرقين عن قصص القرآن الكريم.

المطلب الثاني: المنهج المادي في كتابات المستشرقين عن قصص القرآن الكريم.

المطلب الثالث: المنهج الاجتماعي في كتابات المستشرقين عن قصص القرآن الكريم.

المطلب الرابع: المنهج الانتقائي في استعمال المصادر في كتابات المستشرقين عن قصص القرآن الكريم.

المطلب الخامس: منهج الأثر والتأثر في دراسات وكتابات المستشرقين عن قصص القرآن الكريم.

المطلب السادس: المنهج الافتراضي في دراسات وكتابات المستشرقين عن قصص القرآن الكريم.

المطلب السابع: المنهج الإسقاطي في دراسات وكتابات المستشرقين عن قصص القرآن الكريم.

المطلب الثامن: المنهج التأويلي لآيات القصص في القرآن الكريم.

المطلب التاسع: منهج النفي لآيات القصص في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: مصادر المستشرقين في كتاباتهم عن قصص القرآن الكريم وموقفهم منها، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مصادر المستشرقين في كتاباتهم عن قصص القرآن الكريم.

المطلب الثاني: موقف المستشرقين من مصادرهم في الكتابة عن قصص القرآن الكريم.

الفصل الثاني: المنْهَجُ العِلْمي الصَّحِيح في الدَّعْوةِ إلى اللهِ، في الرَّدِ عَلى الشُبُهَاتِ والافْتِراءاتِ، وفيه تمهيد وخمسة مباحث:

التمهيد: وفيه توطئة وتعريف ببعض مفردات العنوان.

المبحث الأول: مشروعية المنهج العلمي الصحيح في الدعوة إلى الله، في الرد على الشبهات والافتراءات وحكمه.

المبحث الثاني: أهمية المنهج العلمي الصحيح في الدعوة إلى الله، في الرد على الشبهات والافتراءات.

المبحث الثالث: أنواع المنهج العلمي الصحيح في الدعوة إلى الله، في الرد على الشبهات والافتراءات.

المبحث الرابع: ضوابط المنهج العلمي الصحيح في الدعوة إلى الله، في الرد على الشبهات والافتراءات.

الفصل الثالث: شُبُهَاتِ المسْتَشْرِقِينَ حَولَ قَصَصِ القُرآنِ الكَرِيم والرَّد عَليْها، وفِيه تَمْهِيد و ثَلاَثٌ وعُشْرُونَ شُبْهَة.

الشبهة **الأولى**: "زعمهم تشابه القرآن واليهودية في القصص مثل قصة ابني آدم وقصة إبراهيم" (إجناتس جولد تسيهر).

أولا: عرض الشبهة وتوثيقها.

ثانيا: الرد عليها ردا إجماليا.

ثالثا: الرد عليها ردا تفصيليا.

الشبهة الثانية: دعوى إفادة القرآن من العهد القديم بقوله" أفاد القرآن من العهد القديم وكان ذلك في أكثر الأحيان عن طريق قصص الأنبياء" (إجناتس جولد تسيهر).

أولا: عرض الشبهة وتوثيقها.

ثانيا: الرد عليها ردا إجماليا.

ثالثا: الرد عليها ردا تفصيليا.

الشبهة الثالثة: " قولهم أن الوسط الوثني مصدر من مصادر محتوى القرآن الكريم من القصص وغيره"(تسدال).

أولا: عرض الشبهة وتوثيقها.

ثانيا: الرد عليها ردا إجماليا.

ثالثا: الرد عليها ردا تفصيليا.

الشبهة الرابعة: " قولهم أن من المحتمل أن تكونَ قصة نوح مع ابنه قد أوحاها إلى مُحَمَّد ما ورد في التوراة عن سُكْر نوح وتعرِّيه ورؤية ابنِه عورتَه، ثم لَعْنه لولدِه وذريته بعد ما أفاق وعلم بما وقَع"(مونتيه).

أولا: عرض الشبهة وتوثيقها.

ثانيا: الرد عليها ردا إجماليا.

ثالثا: الرد عليها ردا تفصيليا.

الشبهة الخامسة: " زعمهم أن في قصة أخْذَ موسى بلحيةِ هارونَ ورأسِه هو تحيةٌ على الطريقةِ التي كانت شائعة في آسيا الشرقيةِ في الزمنِ القديمِ، رمزًا على المودَّة والإخاءِ، ثم يُحِيل إلى نص ورد في الأصحاح العشرين من سفْرِ" صمويل الثاني"، فقال" يوءاب لعماسا :"أسالِمٌ أنت يا أخي؟ وأمسكت يدُ يوءاباليمنى بلحيةِ عماسا ليقبِّله"(مونتيه).

أولا: عرض الشبهة وتوثيقها.

ثانيا: الرد عليها ردا إجماليا.

ثالثا: الرد عليها ردا تفصيليا.

الشبهة السادسة: " قولهم أن قصة شعيب في سورة هود ينبغي منطقيا أن تتلو قصة صالح –

عليهما السلام- وهو ما يُفِيد أن قصةَ إبراهيمَ ولوطٍ -عليهما السلام- ليس مكانُهَا هناك بين القصتين المذكورتين، لأن الآية التي تذكر سلسلة الأمم التي أَهلَكها الله قبلَ شعيب - والتي يذكرُهم بها شعيبٌ عسى أن يتَّعِظوا ويطرحوا عنادَهم وكفرَهم - ليس فيها أدنى ذكرٍ لقصةِ إبراهيم، إذ لا تشير إلا إلى نوح وهود وصالح، وهذا يدل على أن الآياتِ التي تحكي قصة إبراهيمَ ولوط لم تكن في الأصل جزءا من هذه السورة"(مونتيه).

أولا: عرض الشبهة وتوثيقها.

ثانيا: الرد عليها ردا إجماليا.

ثالثا: الرد عليها ردا تفصيليا.

الشبهة السابعة: " زعمهم إن تأثير هذه القصص على وعي سامعي القرآن مختلف بحسب طريقة التلقي، أي إما تتلقى عن طريق الوعي الأسطوري (الدوغمائي (الأصولي المنغلق)، أو عن طريق الوعي التاريخي" (مُحَمَّد أركون).

أولا: عرض الشبهة وتوثيقها.

ثانيا: الرد عليها ردا إجماليا.

ثالثا: الرد عليها ردا تفصيليا.

الشبهة الثامنة: " قولهم إن سورة الكهف تشكل مثلا ساطعا على ظاهرة التداخلية النصرانية الواسعة الموجودة أو الشغالة في الخطاب القرآني، فهناك ثلاث قصص هي: أهل الكهف، وأسطورة غلغاميش (يقصد به الخضر) ورواية الإسكندر الأكبر (ويقصد به ذي القرنين) وجميعها تحيلنا إلى المخيال الثقافي المشترك والأقدم لمنطقة الشرق الأوسط القديم"(مُحَمَّد أركون).

أولا: عرض الشبهة وتوثيقها.

ثانيا: الرد عليها ردا إجماليا.

ثالثا: الرد عليها ردا تفصيليا.

الشبهة التاسعة: " زعمهم النبي كان يُبَشّر بدين مستمد من اليهودية والنصرانية، ومن ثمَّ كان يردد قصص الأنبياء المذكورين في التوراة والإنجيل، لينذر قومه بما حدث لمكذِّبي الرسل قبله، وليثبِّت أتباعه القليلين من حوله " (فنسنك).

أولا: عرض الشبهة وتوثيقها.

ثانيا: الرد عليها ردا إجماليا.

ثالثا: الرد عليها ردا تفصيليا.

الشبهة العاشرة: " قولهم أن في قصة إبراهيم عليه السلام، حسب القرآن وأقوال المفسرين، ألقى نمروذ بإبراهيم فى النار ، وليس من المعقول أن يكون نمروذ حياً فى زمن إبراهيم عليه السلام"(دائرة المعارف الإسلامية).

أولا: عرض الشبهة وتوثيقها.

ثانيا: الرد عليها ردا إجماليا.

ثالثا: الرد عليها ردا تفصيليا.

الشبهة الحادية عشرة: " زعمهم عجز الفكر الإسلامي عن فهم الأسرار التي من أجلها كان التكرار في قصص القرآن يرجع إلى اعتماد المذهب التاريخي في فهمه ولو أنه أقام هذا الفهم علي أساس فني أو أدبي لما وقف موقف الحيرة ولما عد القصص القرآني من المتشابه"(مُحَمَّد خلف الله).

أولا: عرض الشبهة وتوثيقها.

ثانيا: الرد عليها ردا إجماليا.

ثالثا: الرد عليها ردا تفصيليا.

الشبهة الثانية عشرة: " قولهم وهذه القصصُ التي نقرؤها في مصحفِ عثمان بوصفِها سلسلةً متصلةً تقريبًا، إنما تفصلُها في الواقع مسافاتٌ زمنيةٌ طويلةٌ أو قصيرةٌ إن محمدًا – باختصار – يَخْضَع هنا للقانونِ الذي يسري على كلِّ خطيبٍ شعبي؛ فإنه لكي يقنعَ سامعيه ولكي يغلغلَ دروسَ الماضي في عقولِهم، كان لا بدَّ أن يلجأً إلى التكرار"(ريجي بلاشير).

الشبهة الثالثة عشرة: "إتهام القصص القرآني بالتشوش والاضطراب"(موسوعة بيان الإسلام).

أولا: عرض الشبهة وتوثيقها.

ثانيا: الرد عليها ردا إجماليا.

ثالثا: الرد عليها ردا تفصيليا.

الشبهة الرابعة عشرة: " دعوى أن القصص القرآني قصص فني غير واقعي"(موسوعة بيان الإسلام).

أولا: عرض الشبهة وتوثيقها.

ثانيا: الرد عليها ردا إجماليا.

ثالثا: الرد عليها ردا تفصيليا.

الشبهة الخامسة عشرة: "ادعاء أن الآيات التي تحكي قصة مجيء إبراهيم عليه السلام إلى مكة مفتعلة-أي افتعلها النبيﷺ -"(موسوعة بيان الإسلام).

أولا: عرض الشبهة وتوثيقها.

ثانيا: الرد عليها ردا إجماليا.

ثالثا: الرد عليها ردا تفصيليا.

الشبهة السادسة عشرة: " دعوى خطأ القرآن في قصة موسى والخضر"(موسوعة بيان الإسلام).

أولا: عرض الشبهة وتوثيقها.

ثانيا: الرد عليها ردا إجماليا.

ثالثا: الرد عليها ردا تفصيليا.

الشبهة السابعة عشرة: " دعوى اشتمال القرآن على قصة الغرانيق"(موسوعة بيان الإسلام).

أولا: عرض الشبهة وتوثيقها.

ثانيا: الرد عليها ردا إجماليا.

ثالثا: الرد عليها ردا تفصيليا.

الشبهة الثامنة عشرة: " يدعي بعض المشككين أن رواية القرآن الكريم لقصة سيدنا يوسف – عليه السلام – تتضمن أحداثا أسطورية لم ترد في التوراة، وأن صورة يوسف في التوراة تفضل صورته في القرآن، ويتساءلون كيف يدعي مُحَمَّد أن ربه قص عليه أحسن القصص، والقرآن يقول: {وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب}(دائرتي المعارف الإسلامية والبريطانية).

أولا: عرض الشبهة وتوثيقها.

ثانيا: الرد عليها ردا إجماليا.

ثالثا: الرد عليها ردا تفصيليا.

الشبهة التاسعة عشرة: " زعمهم أن هذه الآيات اشتملت على أن النملة والهدهد تكلما بكلام لا يصدر ذلك الكلام إلا من العقلاء ، وذلك يجر إلي السفسطة ، فإنا لو جوزنا ذلك لما أمنا في النملة التي نشاهدها في زماننا هذا أن تكون أعلم بالهندسة من إقليدس وبالنحو من سيبويه ، وكذلك القول في القملة والصئبان ، ويجوز أن يكون فيهم الأنبياء والتكاليف والمعجزات ، ومعلوم أن من جوز ذلك كان إلى الجنون أقرب ، وأن سليمان عليه السلام كان بالشام ، فكيف طار الهدهد في تلك اللحظة اللطيفة من الشام إلى اليمن ، ثم رجع إليه، و كيف خفي على سليمان عليه السلام حال مثل تلك المملكة العظيمة مع ما يقال إن الجن والإنس كانوا في طاعة سليمان ، وأنه عليه السلام كان ملك الدنيا بالكلية ، وكان تحت راية بلقيس حال طيران الهدهد إلا مسيرة ثلاثة أيام ، ثم من أين حصل للهدهد معرفة الله تعالى ووجوب السجود له وإنكار سجودهم للشمس وإضافة إلي الشيطان وتزيينه "(الموسوعة الشاملة).

أولا: عرض الشبهة وتوثيقها.

ثانيا: الرد عليها ردا إجماليا.

ثالثا: الرد عليها ردا تفصيليا.

الشبهة العشرون: " يزعم المستشرقون أن شخصيّة ذي القرنين المذكورة في القرآن هي في الحقيقة شخصية الاسكندر الأكبر ، الاسم إسكندر نفسه لم يرد في القرآن ، و ذو القرنين كان شخصية معروفة جدا في آداب القاطنين الأول في جزيرة العرب في القرون الوسطى ، وهو مذكور في القرآن الكتاب المقدّس للإسلام، و يعتبر ذو القرنين عند بعض المسلمين نبيا، "(الموسوعة الحرة).

أولا: عرض الشبهة وتوثيقها.

ثانيا: الرد عليها ردا إجماليا.

ثالثا: الرد عليها ردا تفصيليا.

الشبهة الحادية والعشرون: " قولهم أن القصص القرآني أساطير لا حقيقة لها"(مُحَّد خلف الله).

أولا: عرض الشبهة وتوثيقها.

ثانيا: الرد عليها ردا إجماليا.

ثالثا: الرد عليها ردا تفصيليا.

الشبهة الثانية والعشرون: " يزعم أن سياق القصص في القرآن الكريم لم يُقصَد به التدوين التاريخي، وإنما هي أمثال مضروبة يراد منها العظة والعبرة، ويزعم أنه كما يضرب القرآن المثل برجلين أو بجنتين من غير تحديد، وكما يُجرِي حواراً بين أهل الجنة وأصحاب النار والقيامةُ لم تقم بعد، فكذلك الشأن في قصص الأنبياء التي يذكرها، إنها للذكر أي للموعظة والعبرة"(المستشرق مُحَّد عابد الجابري).

أولا: عرض الشبهة وتوثيقها.

ثانيا: الرد عليها ردا إجماليا.

ثالثا: الرد عليها ردا تفصيليا.

الشبهة الثالثة والعشرون: دعواهم في قصة وحادثة الإفك ، يقول المستشرق بودلي BODLEY "كان مُحَّد يأخذ دائماً معه زوجة أو زوجتين إذا ما قام برحلة، أو خرج في غارة، وكن يرحلن في هودج، فوقه مظلة مشدودة على إطار من الأغصان، وكان الهودج يشد إلى سنام البعير، فكان النازل فيه يختفي عن الأنظار جملة، فكان من المحال معرفة ما إذا كان في الهودج أحد أو كان فارغاً، ما لم ترفع المظلة.........الخ" BODLEY مستشرق إنجليزي من خلال كتابه (الرسول حياة مُحَّد).

أولا: عرض الشبهة وتوثيقها.

ثانيا: الرد عليها ردا إجماليا.

ثالثا: الرد عليها ردا تفصيليا.

الخاتمة:

وفيها أهم النتائج التي توصل إليها البحث ، ثم أهم التوصيات التي يوصي بها.

منهج الدراسة:

سأتبع في هذه الدراسة (بإذن الله تعالى) المنهج الوصفي(الذي يهتم بمعالجة الظواهر والقضايا في البحوث، والتحليلي هو الذي يهتم بتفكيك الكل إلى الجزء، وأما المنهج النقدي فهو الذي يهتم بالنقد وبيان الصحيح من السقيم، والرد على السقيم[1]، وأتبع في منهج الدراسة أيضا الخطوات المنهجية التالية:

١- عزو الآيات بذكر سورها ، و أرقامها ، وكتابتها بالرسم العثماني.

٢- عزو الأحاديث النبوية إلى مصادرها من كتب السنة ، فما كان في الصحيحين فإني أكتفي بعزوه إليهما ، وإن لم يكن كذلك فإني أعزوه إلى من رواه مع ذكر كلام اهل العلم في بيان درجته.

٣- توثيق النقول والنصوص من مصادرها الأصلية.

٤- استخدام المنهج الوصفي التحليلي النقدي عند عرض المفاهيم والشبهات من خلال قصص القرآن الكريم.

٥- تحرير بعض المسائل وشرحها وإيضاح مكنونها باستخدام المنهج التحليلي وترجيح الراجح منها.

٦- إتباع منهج التأصيل في المسائل والنقول العارضة.

٧-الترجمة الموجزة للأعلام غير المشهورين.

٨-التعريف الموجز بالأماكن والبلدان وكل ما يحتاج إلى تعريف.

٩- الالتزام بعلامات الترقيم والنواحي الفنية الأخرى للبحث.

١٠- تذييل الصفحات بالحواشي والفهارس الفنية.

الفهارس:

١- فهرس الآيات القرآنية.

٢- فهرس الأحاديث النبوية.

٣-فهرس الأعلام.

٤) فهرس المصطلحات.

٥- فهرس المراجع والمصادر.

---

[1] أنظر مناهج البحث العلمي، د. عبدالرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٧٧ م.

٦- فهرس المحتويات.

شكر وتقدير

أحمد الله ﷻ على عظيم منه ، وجزيل كرمه ، و موفور عطائه ، وجميل كرمه ، على ما من به علي من نعم لا تحصى ، وآلاء لا تدرك ، وعلى ذروتها نعمة الإسلام والإيمان ، وتيسير العلم والتعلم. كما أحمده ﷻ على ما من به علي من كتابة هذه الرسالة العلمية ، ويسر لي ما حوته من العلم والخير راجيا من الله العلي القدير أن أكون قد وفيت بالمطلوب ، وبلغت بها الهدف المنشود إنه ولي ذلك والقادر عليه وأثني بخالص الشكر والعرفان ، ووافر الثناء والامتنان ، إلى والدي الكريمين راجيا من الله الكريم المنان لهما بوافر المغفرة والرضوان. وأردف بالشكر والتقدير للقائمين على الجامعة الإسلامية ، التي تشرفت بالنهل من معينها ، وأخص بالشكر الوفير القائمين على كلية الدعوة وأصول الدين وإلى كافة الأساتذة النبلاء والمشايخ الفضلاء الذين تتلمذت على أيديهم ، ونهلت من علمهم ، وغمروني بالتوجيه والمؤازرة والعلم النافع.

وأخص بالشكر الجزيل فضيلة الأستاذ الدكتور فؤاد بن عبده الحاج البعداني المشرف على رسالتي على بذل وقته وعلمه ، وتشجيعه المتواصل لي ، حيث وجدت من فضيلته كل عون وتفهم ورحابة صدر ، مع طيب نفس ، وحسن خلق ، وقد كان لملاحظاته القيمة ، وتوجيهاته الرشيدة ، ونصائحه السديدة ، في هذه الرسالة جميل أثر في إتمامها ، فجزاه الله عني خير الجزاء وجعل ذلك في موازين حسناته. وأردف بالشكر للشيخين الفاضلين والأستاذين الكريمين ممن أنيط بهم مناقشة رسالتي على تفضلهما بقبول مناقشتها ، وتجشمهما العناء في قرائتها ، وتقويم ما فيها من خلل وزلل ، وإثرائها بتوجيهاتهما السديدة ، وملاحظاتهما القيمة،كما أشكر كل من وقف معي ، وأعانني بكتاب أو موضوع أو نصيحة أو تشجيع ومؤازرة ، في سبيل إتمام هذا البحث.

وأخيرا أسأل الله تعالى أن ينفعني بما خطه قلمي في هذه الرسالة ، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم ، وأن يعفو عما حصل فيها من خلل أو زلل ، إنه سميع قريب مجيب ، وصلى الله على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم.

التمهيد

التعريف بمفردات عنوان الرسالة وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الشبهة في اللغة والاصطلاح .

أولا: الشبهة في اللغة:

قال ابن منظور: المشتبهات من الأمور : المشكلات والشبهة الالتباس .[1]

والاشتباه : الالتباس ، واشتبهت الأمور وتشابهت : التبست فلم تتميز ولم تظهر.[2]

وقال ابن فارس: الشين والباء والهاء أصل واحد يدل على تشابه الشيء وتشاكله لونا ووصفا. يقال شبه وشبه وشبيه.

والمشبهات من الأمور: المشكلات.

واشتبه الأمران، إذا أَشكلا. ومما شذ عن ذلك الشبهان.[3]

وقال الفيروزآبادي: والشبه، بالضم: الالْتِباس، والمِثْل.

وشُبه عليه الأَمْر تَشْبيها: لُبِّسَ عليه.

وفي القرْآن الكريم المحْكم والمتشابهُ، والشبهُ والشبَهانُ، والجمع: أشْباهٌ.[4]

ثانيا: الشبهة في الاصطلاح: هي ما يشبه الشيء الثابت وليس بثابت في نفس الأمر.[5]

وقال الجرجاني الشبهة هي: ما لم يتيقن كونه حراما أو حلالا.[6]

والفرق بين الاشتباه والالتباس : الالتباس هو الإشكال ، والفرق بينه وبين الاشتباه أن

---

[1] لسان العرب، لابن منظور، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٧م، مادة شبه .

[2] المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، تأليف أحمد بن مُحَمَّد الفيومي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٤م ، ص ١١٥.

[3] مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسن، تحقيق عبد السلام مُحَمَّد هارون، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، مادة شبه.

[4] القاموس المحيط، الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت،١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، مادة شبه.

[5] ينظر رد المحتار على الدر المختار، مُحَمَّد أمين بن عمر بن عابدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م،١٥٠/٣.

[6] التعريفات ، علي بن مُحَمَّد بن علي الجرجاني، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي ، بيروت، ١٤٠٥هـ، ص ٦٨ .

الاشتباه معه دليل يرجح أحد الاحتمالين ، والالتباس لا دليل معه.[1]

يقول ابن القيم رحمه الله:" والشبهة وارد يرد على القلب يحول بينه وبين انكشاف الحق له فمتى باشر القلب حقيقة العلم لم تؤثر تلك الشبهة فيه بل يقوى علمه ويقينه بردها ومعرفة بطلانها ومتى لم يباشر حقيقة العلم بالحق قلبه قدحت فيه الشك بأول وهلة فان تداركها والا تتابعت على قلبه امثالها حتى يصير شاكا مرتابا." [2]

ويمكن القول فيما سبق أن الشبهة شك يرد على القلب لا يعلم معه ولا يتبين له الصواب ، ويلتبس عليه الأمر ولذلك أمر النبي عليه الصلاة والسلام أمته باتقاء الشبهات فإن في ذلك براءة للدين والعرض، فعن النعمان بن بشيرﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺيقول " إن الحلال بين وإن الحرام بين ، وبينهما أمور مشتبهات ، لا يعلمهن كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام ، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه ، ألا وإن لكل ملك حمى ، ألا وإن حمى الله محارمه ، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب"[3] .

---

[1] ينظر حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، تحقيق مُحَمَّد شعيب السنوسي، المكتبة العصرية، بيروت،٢٠٠٣م، ٨٢/١ والموسوعة الكويتية، وزارة الأوقاف الكويتية، مكتبة دار العروبة،الجهراء،٢٠٠٨م، ٢٩٠/٤.

[2] مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة لابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية ، بيروت،١٤١٦-١٩٩٦م، ١٤٠/١.

[3] متفق عليه، صحيح البخاري، مُحَمَّد بن اسماعيل البخاري، تحقيق مُحَمَّد زهير ناصر، دار طوق النجاة، بيروت، ١٤٢٢هـ، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه ٩٠/١ الحديث ٥٠ ومسلم، مسلم بن الحجاج القشيري ، تحقيق مُحَمَّد عبدالباقي، دار إحياء التراث، بيروت ، ١٣٧٤هـ – ١٩٥٥م،كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات ٥٠/٥ الحديث ٤١٧٨.

المبحث الثاني

الاستشراق مفهومه ، وتاريخه، ودوافعه، وأهدافه، ووسائله، ومجالاته

وفيه سبعة مطالب.

المطلب الأول: مفهوم الاستشراق والمستشرق في اللغة والاصطلاح.

أولا: الاستشراق في اللغة: استشرق من الفعل "شرق" يقال : شرقت الشمس أي طلعت، واسم الموضع المشرق، والشرق : المشرق، والجمع إشراق. والتشريق الأخذ في ناحية المشرق، يقال : شتان بين مشرق ومغرب، وشرقوا أي ذهبوا إلى الشرق أو أتوا الشرق، وكل ما طلع من المشرق فهو شرق.[١]

واستشرق : أي طلب دراسة ما يتعلق بالشرق، فالألف والسين والتاء في أي فعل تدل على الطلب كاستغفر أي طلب المغفرة.[٢]

ثانيا: الاستشراق في الاصطلاح: هو علم الشرق أو علم العالم الشرقي وهو تعبير أطلقه الغربيون على الدراسات المتعلقة بالشرقيين شعوبهم، وتاريخهم، وأديانهم، ولغاتهم، وأوضاعهم الاجتماعية، وبلادهم، وأرضهم، وحضارتهم، وكل ما يتعلق بهم، وهذا معنى عام للاستشراق.[٣]

وهناك تعريف آخر للإستشراق اصطلاحا وهو : دراسة الإسلام والشعوب الإسلامية لخدمة أغراض التبشير والتنصير من جهة، وخدمة أغراض الاستعمار الغربي لبلدان المسلمين من جهة أخرى، ولإعداد الدراسات اللازمة لمحاربة الإسلام وتحطيم الأمة الإسلامية.[٤]

ثانيا: مفهوم المستشرقين .

تقدم في تعريف كلمة استشراق عن المستشرق ما يغني عن إعادته هنا، وأما تعريف من الناحية الاصطلاحية فقد مضت أكثر التعريفات على أن:

---

[١] قاموس المحيط مادة شرق.

[٢] مختار الصحاح، مُحَمَّد بن أبي بكر الرازي، مكتبة لبنان، بيروت، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، ص ٣٣٦، مادة شرق.

[٣] المرجع السابق ص ٣٣٦.

[٤] أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها لـ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ،دار القلم،دمشق،٢٠٠١م ص٥٠وللمزيد ينظر الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري لـ محمود زقزوق، دار المعارف، القاهرة ١٤٠٤هـ ص ٢٤ .

المستشرقون: هم الذين يقومون بهذه الدارسات الاستشراقية من غير الشرقيين، ويقدمون الدراسات اللازمة للمبشرين، بغية تحقيق أهداف التبشير، وللدوائر الاستعمارية بغية تحقيق أهداف الاستعمار .[١]

---

[١] يُنظر المستشرقون والتاريخ الإسلامي د. على الخربوطلى، الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة،١٩٨٨م ص ٢٦ و رؤية إسلامية للاستشراق د. أحمد غراب، المنتدى الإسلامي، لندن ١٤١١هـ ص ٧.

المطلب الثاني

تاريخ الاستشراق

من الصعوبة بمكان تحديد وقت معين لبداية نشأة الاستشراق ، فأغلب الكتاب والباحثين قد خاضوا في تحديد تاريخ نشأته، فيرى البعض أن الاستشراق:

أولا: ظهر مع ظهور الإسلام وأول لقاء بين الرسولﷺ ونصارى نجران، أو قبل ذلك عندما بعث الرسول عليه الصلاة والسلام رسله إلى الملوك والأمراء خارج الجزيرة العربية أو حتى في اللقاء الذي تم بين المسلمين والنجاشي في الحبشة ويبرر هؤلاء رأيهم بانفتاح النصارى على الإسلام والتعرف عليه كدين جديد بدأ بالظهور وأن الرسائل التي أرسلها النبيﷺ إلى الملوك والأمراء وكذلك لقاء المسلمين والنجاشي كان له أثر في حب الاطلاع على ماهية ومكنون هذا الدين الجديد.

ثانيا: وهناك رأي بأن غزوة مؤتة التي كانت أول احتكاك عسكري تعد من البدايات للاستشراق ، فالاحتكاك العسكري يولد شيئا من المفاهيم لدى غير المسلمين عن هذا الدين وأهله.

ثالثا: ويرى آخرون أن أول اهتمام بالإسلام والرد عليه بدأ مع يوحنا الدمشقي[1] وكتابه الذي حاول فيه أن يوضح للنصارى كيف يجادلون المسلمين، لأن الجدال يولد الشكوك وخصوصا عند من قل نصيبه من العلم.

رابعا: ويرى آخرون أن الحروب الصليبية هي بداية الاحتكاك الفعلي بين المسلمين والنصارى

---

[1] يوحنا الدمشقي أو القديس يوحنا الدمشقي ، Iohannes Damascenus، والملقب بدفاق الذهب نظرًا لفصاحة لسانه، ولد باسم يوحنا منصور بن سرجون عام ٦٧٦ في دمشق خلال حكم الدولة الأموية، من عائلة مسيحية نافذة إذ كان والده يعمل وزيرًا في بلاط الخلافة الأموية وكذلك كان يعمل جده كرئيس لديوان الجباية المالية فيها، وقد شغل يوحنا الدمشقي نفسه هذه الوظيفة فترة من الزمن، ومن ثم دخل إلى دير القديس سابا قرب القدس في فلسطين بعد بداية خلافة هشام بن عبد الملك، وقد جمعته صداقة معه ومع عدد من الخلفاء قبله، وتميز بمؤلفاته اللاهوتية الفلسفية العديدة ودفاعه الشديد عن العقائد المسيحية، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، فيليب حتي، ترجمة كمال اليازجي، دار الثقافة، بيروت ١٩٨٣، ص١١٧ .

وذلك من أواخر القرن الحادي عشر حتى الثلث الأخير من القرن الثالث عشر ١٢٩١-١٠٩٦م، الأمر الذي دفع النصارى إلى محاولة التعرف على المسلمين، ويرون أن انتصارات المسلمين لها علاقة مباشرة بما يملون من العقيدة والدين فيحاولون التعرف على ماهية هذه العلاقة.

خامسا: ومن الآراء أيضا في بداية الاستشراق أنه بدأ بقرار من مجمع فيينا الكنسي[١] الذي دعا إلى إنشاء كراسي لدراسة اللغات العربية والعبرية والسريانية في عدد من المدن الأوروبية مثل باريس وأكسفورد وغيرهما ، وذلك لتكون اللغة سبيل موصل إلى معرفة الإسلام ومن ثم بث الشكوك حوله.

سادسا: وثمة رأي له عدد من المؤيدين أن احتكاك النصارى بالمسلمين في الأندلس هو الانطلاقة الحقيقية وذلك لمعرفة النصارى بالمسلمين والاهتمام بالعلوم الإسلامية ويميل إلى هذا الرأي بعض رواد البحث في الاستشراق من المسلمين.[٢]

قلت ولاشك أن هذه البدايات لا تعد البداية الحقيقية للاستشراق الذي أصبح ينتج ألوف الكتب سنويا ومئات الدوريات ويعقد المؤتمرات، وإنما تعد هذه جميعا كما يقول د. علي النملة "من قبيل الإرهاص لها وما أتى بعدها يعد من قبيل تعميق الفكرة، والتوسع فيها وشد الانتباه إليها"[٣] ويقول أحمد سمايلوفيتش "البداية الحقيقية للاستشراق الذي يوجد في العالم الغربي اليوم ولا سيما بعد أن بنت أوروبا نهضتها الصناعية والعلمية وأصبح فيها العديد من الجامعات ومراكز البحوث وأنفقت ولا تزال تنفق بسخاء على هذه البحوث قد انطلقت منذ القرن السادس عشر حيث بدأت الطباعة العربية فيه بنشاط فتحركت الدوائر العلمية وأخذت تصدر

---

[١] مجمع فيينا ١٣١١ – ١٣١٢، هو المجمع المكسوني الخامس عشر في الكنيسة الكاثوليكية، دعا إلى عقده البابا كلمنت الخامس ملك فرنسا فيليب الرابع، وأقرّ إلغاء رهبنة فرسان الهيكل، أدان المجمع أيضًا، آراء لاهوتية حول الكمال وطبع المسيح مثل البيغاردئيين والبيغين، وتطرف الفرنسيسكانيين في نذر الفقر، الموسوعة العربية المسيحية www.christusrex.org

[٢] يُنظر الاستشراق في الأدبيات العربية، علي النملة، مركز الملك فيصل للبحوث الدراسات الإسلامية، الرياض، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م ص ٢٣-٣١ والمستشرقون ومصادر التشريع الإسلامي د.عجيل النشمي، جامعة الكويت، الكويت، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، ص ٧-٩.

[٣] الاستشراق في الأدبيات العربية، ص ٣٠.

كتابا بعد الآخر وأن تأسيس الجمعيات العلمية مثل الجمعية الأسيوية البنغالية ، والجمعية الاستشراقية الأمريكية ، والجمعية الملكية الآسيوية البريطانية ، وغيرها بمنزلة الانطلاقة الكبرى للاستشراق حيث تجمعت فيها العناصر العلمية والإدارية والمالية فأسهمت جميعها إسهاما فعالا في البحث والاكتشاف والتعرف على عالم الشرق وحضارته فضلا عما كان لها من أهداف استغلالية واستعمارية ، ثم ازداد النشاط الاستشراقي بعد تأسيس كراس للغة العربية في عدد من الجامعات الأوروبية مثل كرسي أكسفورد عام ١٦٣٨م وكامبريدج عام ١٦٣٢م، وكان من المشروعات الاستشراقية المهمة إنشاء مدرسة اللغات الشرقية الحية في فرنسا برئاسة المستشرق الفرنسي سلفستر دي ساسي التي كانت تعد قبلة المستشرقين الأوروبيين وساهمت في صبغ الاستشراق بالصبغة الفرنسية مدة من الزمن ونشأت الجمعيات الاسشتراقية وأيضا بداية منظمة المؤتمرات العالمية للمستشرقين عام ١٨٧٣م في عقد مؤتمراتها السنوية"[١].

ونلاحظ أن الكثير من المهتمين بالبحث في الدراسات الاستشراقية قد أوجدوا علاقة بين نشأة الاستشراق وبداية ظهوره وما منيت به أوروبا من الهزائم في حروبها الصليبية على يد القائد صلاح الدين الأيوبي، ذلك أن الحملات الصليبية لم تحقق للغرب طموحاته، ولم تسعفه بالسيطرة على الشعوب العربية واستخلاص بيت المقدس من أيدي المسلمين، وقد ظهرت خفايا وأسرار هذه الحملات الصليبية المتكررة على العالم الإسلامي بأنها في حقيقتها حروب دينية وعقدية وقد رفعت الصليب شعارا لهذه الحروب لتعلن للعالم الأوربي أنها حرب دينية مقدسة من ناحية أسبابها ودوافعها، ومن ناحية غايتها وأهدافها، ولما لم تجد هذه الحروب نفعا ولم تحقق الهدف الذي قامت من أجله فلا بد من البحث عن بديل آخر، ولا بد من التفكير عن وسيلة أخرى –ربما كانت طويلة الأجل– تحقق لهم هدفهم من السيطرة على شعوب المنطقة وإخضاع العالم الإسلامي لنفوذهم الثقافي والحضاري ثم السياسي والاقتصادي، وكان الاستشراق هو ذلك البديل المتاح في حينها، ليحقق أحلام الغرب وأهدافه.[٢]

وإذا كان الاستشراق هو السبب الكبير والوسيلة الفعالة في تحقيق الهدف والغاية وهي

---

[١] فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر لـ أحمد سمايلوفيتش ،دار الفكر العربي، القاهرة ،١٩٩٨م ص ٧٧–٨١ و المستشرقون لـ نجيب العقيقي، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٤م ، ١/١٤٠ و من قضايا الفكر الإسلامي في مواجهة التغريب واستلاب الهوية، مُحَمَّد السيد الجليند، المكتبة الأزهرية،القاهرة،٢٠٠٨م ص ٢–٣.

[٢] يُنظر الاستشراق والتبشير، د. مُحَمَّد السيد الجليند، دار قباء للنشر والتوزيع،القاهرة،١٩٩٩م،ص ١١–١٢.

السيطرة الكاملة على العالم الإسلامي ، فإن ذلك لا يمنع أن يتجاوز الاستشراق هذا الهدف في مسيرته التاريخية إلى أهداف أخرى علمية أو حضارية أو ثقافية، لكن الذي يلفت الانتباه أكثر هو أن الهدف الأسمى للاستشراق لم يغب عن ذهن المستشرقين لحظة واحدة، بل كان هو المحور والأساس الذي دارت حوله معظم دراسات المستشرقين التي قاموا بها حول الشرق وعلومه، وقد تختلف درجة وضوح هذا الهدف ووسيلة التعبير عنه من شخص إلى آخر ومن جيل إلى جيل من المستشرقين، إلا أن ذلك لم يكن سببه غياب الهدف عن ذهن هذا المستشرق أو ذاك، وإنما كان سببه يرجع إلى حظ المستشرق نفسه من الثقافة العربية ودرجة إتقانه لها، وذكائه في أسلوب التعبير عن غايته وهدفه تصريحا أو تلميحا.

ونلاحظ أنه عندما أخفقت الحروب الصليبية والمواجهات العسكري في تحقيق أهداف الغرب من السيطرة على العالم الإسلامي، تغير أسلوب المواجهة إلى نمط آخر أكثر فعالية، فاحتلت الكلمة والحوار واستخدام المنهج العلمي المكانة الأولى في دراسة نفسية الشرق لمعرفة الأسلوب الأمثل للمواجهة، وكان ذلك بديلا عن المواجهة بالسلاح والقوة العسكرية. ولقد فرض هذا الأسلوب الجديد في المواجهة العكوف على دراسة أحوال الشرق، لغته ودينه، حضارته وتاريخه، فلسفته وعلومه، عقيدته وأصولها، وأن توضع المناهج الدراسية المناسبة لاستكشاف عوامل هذه القوة الصلبة التي تكسرت عليها تلك الحملات الصليبية المتكررة، ومحاولة فهمها وتحليلها تحليلا نفسيا لمواجهتها بأسلوب يختلف تماما عن المواجهة العسكرية. ولما كان القائمون على أمر الحروب الصليبية والمحركون لها هم رجال الكنيسة وسدنتها، فإن ذلك جعل رجال الكنيسة في طليعة المهتمين بأمر الشرق ودراسة أحواله، ومن هنا فإن طليعة المستشرقين كانوا في معظمهم من القساوسة ورجال الدين المسيحي.[١]

ويتضح لنا جليا مما سبق أن نشأة الاستشراق وبداية ظهوره لم يترجح فيها تاريخ مؤكد ، يؤكد لنا البداية الحقيقية لهذا النشاط الغربي تجاه العالم الشرقي ، وإنما هي آراء واجتهادات حسب ما وصل إليه المؤرخون ، وبما وقفوا عليه من الأخبار والنقولات ، ولهذا كان من المهم هنا الوقوف على الأهداف والغايات التي يسعى إليها المستشرقون وهي السيطرة على العالم الإسلامي والعمل على طمس هويته وتشكيكه في عقيدته ودينه ، وبسط الهيمنة للحضارة

[١] ينظر المستشرقون لـ نجيب العقيقي ١/١١٠.

الغربية في شتى العلوم والمعارف ، وهذا هو الذي يكون جديرا بالأهمية وبالبحث والدراسة لفضه تلك الأهداف والغايات وكشف نوايا أصحابها وما يطمحون إلى الوصول إليه.

المطلب الثالث

دوافع الاستشراق

يرمي المستشرقون من خلال غزوهم الفكري الاستشراقي إلى غايات ومقاصد متنوعة ، وكلها تصب نهايةً في قالب ومقصد واحد وهو القضاء على مقومات هذا الدين وحضارته الخالدة ، وعلى محو هويته وهوية معتنقيه ، والتشكيك في كل ما يتصل بالعقيدة والسيرة، وخلق هوة سحيقة تفصل بين ماضي الأمة وتراثها العريق وبين الحاضر الذي أهملوه ، محاولين الفصل بين الماضي والحاضر حتى لا يتسنى للأمة الربط بين ماضيها المجيد وحاضرها الزاهر، وسأحاول هنا التفصيل في جملة من الدوافع التي يسعى المستشرقون إلى تحقيقها من وراء فكرهم الاستشراقي:

أولا: الدافع الديني: إذا سلمنا بالقول إن الاستشراق بدأ بتشجيع من الكنيسة ورجال الدين فإن الاهتمام الديني يعد أول دوافع الاستشراق وأهمها على الإطلاق، فعندما رأى النصارى وبخاصة رجال الدين فيهم أن الإسلام اكتسح المناطق التي كانت للنصرانية وأقبل كثير من النصارى على الدين الإسلامي ليس لسماحته فحسب ولكن لأنه بعيد عن التعقيدات وطلاسم النصرانية ، ولأنه نظام كامل للحياة ، كما أن رجال الدين النصارى خافوا على مكانتهم الاجتماعية والسياسية في العالم النصراني، فكان لابد أن يقفوا في وجه الإسلام حيث إنه ليس في الإسلام طبقة رجال دين أو أصحاب رتب كهنوتية يتمايزون عن البشر ، ويرون أنفسهم طبقة فوق البشر كما في النصرانية ، فغاية الهدف الديني هي معرفة الإسلام لمحاربته وتشويهه وإبعاد النصارى عنه، وقد اتخذ النصارى المعرفة بالإسلام وسيلة لحملات التنصير التي انطلقت إلى البلاد الإسلامية، وكان هدفها الأول تنفير النصارى من الإسلام، ولذلك فإن الكتابات النصرانية المبكرة كانت من النوع المتعصب والحاقد جدا حتى إن بعض الباحثين الغربيين في العصر الحاضر كتب نقدا عنيفا لاستشراق العصور (الأوروبية) الوسطى من أمثال نورمان دانيال[1] في كتابه (الإسلام والغرب) ، فقد كتب أن أسباب حقد النصارى وسوء فهمهم للإسلام مازال بعضه يؤثر في موقف الأوروبيين من الإسلام بالرغم من التحسن العظيم

---

[1] نورمان دانيال فيلسوف سياسي أمريكي، وفيلسوف في العلوم بجامعة هارفرد، وقبلها كان خبيرا في علم الأخلاقيات الطبية في كلية الطب جامعة توفتس في بوستن، ينظر موقع الموسوعة الحرة ويكيبيديا.

في الفهم والذي أشاد به بعض المسلمين.[1]

ومما دأب عليه المستشرقون في استهداف دين الإسلام وأهله ما يلي:

١) التشكيك بصحة رسالة النبيﷺ ومصدرها الإلهي، فجمهورهم ينكر أن يكون الرسول نبيا موحى إليه من عند الله عز وجل ويتخبطون في تفسير مظاهر الوحي التي كان يراها أصحاب النبيﷺ أحياناً، وبخاصة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، وذلك لقربها دائما من النبيﷺ وملازمتها له ، فمن المسشترقين من يرجع ذلك إلى "صرع" كان ينتاب النبيﷺ حينا بعد حين ومنهم من يرجعه إلى تخيلات كانت تملأ ذهن النبي عليه الصلاة والسلام، ومنهم من يفسرها بمرض نفسي [2]، ، وهكذا، كأن الله لم يرسل نبيا قبله حتى يصعب عليهم تفسير ظاهرة الوحي، ولما كانوا كلهم ما بين يهود ومسيحيين يعترفون بأنبياء التوراة، وهم كانوا أقل شأنا من مُحَمَّدﷺ في التاريخ والتأثير والمبادئ التي نادى بها، كان إنكارهم لنبوته تعنتا مبعثه التعصب الديني الذي يملأ نفوس أكثرهم كرهبان وقسس ومبشرين.

ويتبع ذلك إنكارهم أن يكون القرآن كتابا منزلا عليه من عند الله عز وجل، وحين يفحمهم ما ورد فيه من حقائق تاريخية عن الأمم الماضية مما يستحيل صدوره عن أمي مثل مُحَمَّدﷺ ، يزعمون ما زعمه المشركون الجاهليون في عهد الرسول من أنه استمد هذه المعلومات من أناس كانوا يخبرونه بها، ويتخبطون في ذلك تخبطا عجيبا، وحين يفحمهم ما جاء في القرآن من حقائق علمية لم تعرف وتكتشف إلا في هذا العصر، يرجعون ذلك إلى ذكاء النبيﷺ ، فيقعون في تخبط أشد غرابة من سابقه.

ويتبع إنكارهم لنبوة الرسول عليه الصلاة والسلام وسماوية القرآن، إنكارهم أن يكون الإسلام دينا من عند الله وإنما هو ملفق من الديانتين اليهودية والمسيحية، وليس لهم في ذلك مستند يؤيده البحث العلمي، وإنما هي ادعاءات تستند على بعض نقاط الإلتقاء بين الإسلام والدينين السابقين.

---

[1] ينظر المسار الفكري للاستشراق لـ آصف حسين ترجمة مازن مطبقاني ، مجلة جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود الإسلامية ، العدد السابع ربيع الثاني ١٤١٣، ص ٥٦٦-٥٩٢ و صورة الإسلام في أوروبا في العصور الوسطى لـ ريتشارد سوذرن، ترجمة وتقديم رضوان السيد، معهد الإنماء العربي، بيروت ١٩٨٤م.

[2] الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم ص ٢٠-٢١.

ويلاحظ أن المستشرقين اليهود – أمثال جولد تسيهر[1] وشاخت[2] – هم أشد حرصا على ادعاء استمداد الإسلام من اليهودية وتأثيرها فيه، أما المستشرقون المسيحيون فيجرون وراءهم في هذه الدعوى[3]، إذ ليس في المسيحية تشريع يستطيعون أن يزعموا تأثر الإسلام به وأخذه منه، وإنما فيه مبادئ أخلاقية زعموا أنها أثرت في الإسلام، ودخلت عليه منها، كأن المفروض في الديانات الإلهية أن تتعارض مبادؤها الأخلاقية، وكأن الذي أوحى بدين هو غير الذي أوحى بدين آخر، فتعالى الله عما يقولون علوا كبيرا.[4]

٢) التشكيك في صحة الحديث النبوي الذي اعتمده علماؤنا المحققون، يقول الشيخ مصطفى السباعي "ويتذرع هؤلاء بما دخل على الحديث النبوي من وضع ودس، متجاهلين تلك الجهود التي بذلها علماؤنا لتنقية الحديث الصحيح من غيره، مستندين إلى قواعد بالغة الدقة في التثبت والتحري، مما لم يعهد عندهم في ديانتهم عشر معشاره في التأكد من صحة الكتب المقدسة عندهم، والذي حملهم على ركوب متن الشطط في دعواهم هذه، ما رأوه في الحديث النبوي الذي اعتمده علماؤنا من ثروة فكرية وتشريعية مدهشة، وهم لا يعتقدون بنبوة الرسول، فادعوا أن هذا لا يعقل أن يصدر كله عن مُحَمَّد الأمي بل هو عمل المسلمين خلال القرون الثلاثة الأولى، فالعقدة النفسية عندهم هي عدم تصديقهم بنبوة الرسول، ومنها ينبعث كل تخبطاتهم وأوهامهم"[5].

---

[1] إجناتس جولدتسيهر 1266 - 1340 هـ / ١٨٥٠ – ١٩٢١ م ، مستشرق يهودي مجري، يعتبر على نطاق واسع بين مؤسسي الدراسات الإسلامية الحديثة في أوروبا، تلقى تعليمه في جامعة بودابست، برلين، ، أصبح جامعيا في بودابست في عام ١٨٧٢م، بدأ رحلة عبر سوريا وفلسطين ومصر، واستغل الفرصة لحضور محاضرات المشايخ المسلمين في مسجد الازهر في مدينة القاهرة، أول مستشرق قام بمحاولة واسعة شاملة للتشكيك في الحديث النبوي والقرآن الكريم، أنظر الأعلام للزركلي ٨٤/١.

[2] جوزيف شاخت باحث ألماني في الدراسات العربية والإسلامية له مؤلفات عدة أبرزها "أصول الفقه المحمدي" الذي يتناول فيه نشوء الحديث والسنة، أثار شاخت حفيظة العلماء المسلمين لأنه يشكك في صحة الأحاديث النبوية ويرى أنها وضعت أو "لفقت" خلال الفترة الممتدة بين نهاية القرن الثاني وبداية القرن الثالث هجري، الموسوعة الحرة ويكيبيديا الثلاثاء ١٤٣٣/١١/٩هـ الساعة التاسعة مساء و موسوعة المستشرقين ص ٣٦٦–٣٦٨.

[3] الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم، مصطفى السباعي، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٦٨م، ص ٢١.

[4] ينظر رؤية إسلامية للاستشراق، أحمد غراب، دار رسالة البيان، الرياض، ١٩٠٠م، ص٤٨ و رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، محمود شاكر، دار المدني، جدة ١٤٠٧هـ–١٩٨٧م ص ١٠٨.

[5] السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي لـ مصطفى السباعي، المكتب الإسلامي،بيروت،٢٠٠٠م ص ٢١١–٢١٩.

٣) تشكيك المستشرقين بهذا الموروث الفقهي العظيم، الذي لم تحظ بمثله أمة من الأمم السابقة، ولذلك عندما ضاقت بهم الحيل ولم يجدوا سبيلا للطعن فيه ، لجأوا إلى الافتراء والقول بأنه مستمد من الفقه الروماني، أي أن أصله من الغربيين أنفسهم ، وقد بين العلماء من السلف والخلف بطلان هذه الأراجيف والأقاويل التي لا تمت للحقيقة بصلة، ولقد أثبت المنصفون منهم حقيقة الفقه الإسلامي ، وأنه فقه مستقل بذاته ، وليس مستمدا من أي حضارة رومانية أو غيرها ، وهذا والحمد لله دليل على مصداقية ما جاء به النبي عليه الصلاة والسلام ، وأنه وحي من الله تعالى إليه ، وأن ما جاء به هو الحق من الله تبارك وتعالى.[١]

ثانيا: الدافع اللغوي.

قسم المستشرقون هذا الدافع إلى قسمين :

القسم الأول: قسم اهتم بالدراسات اللغوية للغة العربية بشكل خاص ومركز.

القسم الثاني: اهتم بدراسة اللغة العربية بشكل عام.

فأما القسم الأول فكانت دوافعهم التي تتعلق باهتمامهم بالدراسات اللغوية العربية ما يلي:

أولا : كون الدرس اللغوي عند العرب حلقة متوسطة بين النظام اليوناني في الغرب ، والنظام الهندي في الشرق ، يؤدي البحث عنها وكشفها إلى بيان العلاقة بين هذه المدارس المختلفة .

ثانيا: أهمية النحو العربي في تعلم اللغة، بالإضافة إلى القيمة الكبيرة للدراسات اللغوية العربية ، لأنها جزء مهم في منظومة العلوم الإسلامية " وقد عدها "فايس" على درجة كبيرة من الأهمية لمن أراد أن يقوّم الحضارة الإسلامية ، بل ذهب هذا المستشرق إلى أبعد من ذلك ، فنوه بأهميتها التي تتجاوز دورها الكبير في تاريخ الدرس اللغوي بعامة ، إلى مكانتها في دراسة تاريخ الفكر الإنساني على الإطلاق[٢].

وأما القسم الذي اهتم بدراسة اللغة العربية بشكل عام فقد قسموا الدوافع إلى:

أ) دوافع حضارية: وهي التي يراد بها القضاء على حضارة الإسلام ، وذلك لن يكون إلا بالقضاء على الدين الذي هو مصدر قوتها وعزتها وحصنها ودعامة حضارتها ، ومن

---

[١] ينظر رحلة الفكر الإسلامي من التأثر إلى التأزم لـ السيد مُحَّد الشاهد، دار المنتخب العرب،بيروت،١٤١٤هـ١٩٩٤م ،ص ١٨١و السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ص ٢١١-٢١٩.

[٢] ينظر المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدراسات اللغوية،د. إسماعيل عمايرة ،دار حزين، عمّان ، ١٩٩٢م،ص ١٣.

مستلزمات ذلك دراسة لغة أهلها لتكون مفتاحا لفهمه والدخول إليه حضاريا والقضاء عليه ثقافيا بالتشكيك تارة وبالتكذيب والطعن تارة أخرى ، ولذا كثرت المراكز والمعاهد التي عنيت بجمع المخطوطات وأمهات الكتب وعقد الدراسات والبحوث في كل جانب من جوانب الحضارة الإسلامية وأحوال أهلها ، وفي مقدمة ذلك الدراسات المستفيضة في الجوانب اللغوية المختلفة.

ب) دوافع اقتصادية وسياسية: وأما الأهداف الاقتصادية والسياسية ، ففي ذلك يقول وليام بدويل[١] (١٥٦١ ـ ١٦٣٢) في سياق ترغيبه في تعلم العربية : " إنها هي لغة الدين الوحيدة وأهم لغة للسياسة والعمل من الجزائر السعيدة إلى بلاد الصين "[٢] ومما يذكر في هذا المجال أن الشركات التجارية الكبيرة كان لها دور في دعم المشروعات الاستشراقية ، ومن أمثلة ذلك تأسيس شركة الهند الشرقية البريطانية ليدرس موظفوها لغات البلاد التي يتعاملون معها ، وكانت العربية من بين هذه اللغات ، وفي عام ١٢٦٥ م كُتبت باللغة العربية المعاهدة التجارية التي أبرمت بين تونس وبيزا ، ومنذ الحملة الصليبية الرابعة انفردت إيطاليا في أعمالها عن بقية الصليبيين واهتمت بتحسين علاقاتها التجارية مع الشرق الإسلامي ، فكانت البندقية همزة الوصل بين الشرق والغرب ، وتكلم أهلها العربية حتى سقوط القسطنطينية في قبضة مُحَّد الثاني ١٤٣٥ م ، وفي سنة ١٧٩٧ م تألفت حملة نابليون إلى مصر ، وفيها بعثته العلمية التي كان قوامها المستشرقين والمترجمين الشاميين ومتخصصون في كل فن من فنون الثقافة في ذلك العصر ، ليمكن اعتصار خيرات البلاد والسيطرة على كل شيء فيها .[٣] وقد وظفت الدراسات اللغوية لخدمة غرض بسط الهيمنة والاحتلال وتمجيد الاستعمار وإجلاله ، وكان المستشرق الفرنسي آرنست رينان ١٨٩٢م من أبرز من عُنوا بتأصيل هذه الفكرة ، فقد انتهى من دراساته في مجال فقه اللغة المقارن إلى أن اللغات قسمان : آرية وسامية ، ولكل منهما

---

[١] هو وليام بدول William Bedwell (1516-1632) م، عمل راعياً لكنيسة إيلبيرج، وجمع إلى عمله الكنسي دراساته وبحوثه في اللغة العربية، ظهر له كتابات امتلأت بالحقد على الإسلام، وهما حول الرسول ﷺ، alastair Hamilton.william Bedwell.Arabist.leiden 1985.p.69.

[٢] المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدراسات اللغوية ص ٢٢.

[٣] ينظر الإستشراق وجه للاستعمار الفكري ، د. عبد المتعال مُحَّد الجبري،مكتبة وهبة،القاهرة١٤١٦هـ–١٩٩٥م ، ص ٧٦ – ٧٧ .

خصائصها التي تميزها وتميز الناطقين بها ، ومما قاله في هذا أن الجنس السامي أقل شأنا من الجنس الآري لأن عقليته تتسم بالبساطة التي هي أقرب إلى الضحالة والسذاجة في اللغة والصنعة والفن والمدنية ، أما الجنس الآري فتتميز عقليته بأنها تميل إلى التعدد والانسجام والتركيب وقدرتها على وضع الفلسفات والمناهج والشعر الراقي ، ومعنى ذلك أن مثل هذه الدراسات تقدم الأساس الفلسفي لدعوى تفوق الأوربيين على شعوب الشرق ، وتقدم المسوغ في الوقت نفسه لاحتلالها بل لمطالبتها بتقدير هذا الجميل الذي تقدمه الدول المستعمرة لها [1].

ج) دوافع تنصيرية : وأما التنصير فهو ذو علاقة وثيقة بالاستشراق ، بل إنهما توأمان يصعب التفريق بينهما كثيرا وبخاصة في بداية نشأتهما بل هو الهدف المنشود من تلك الحملات المسعورة ، فقد كان علماء الكنيسة المسيحية هم أول من اعتنى بدراسة اللغة العربية وتعلمها ، فأول مؤسس لكرسي الاستشراق في جامعة أكسفورد هو رئيس الأساقفة واسمه "لود" ، كان ذلك في سنة ١٦٣٦م ، وكان من أهداف أول جالس على كرسي اللغة العربية في كمبردج في السنة نفسها أن يعد مشروعا لتفنيد القرآن ، كما كان من أهداف هذا الكرسي أيضا تمجيد الله بتوسيع حدود الكنيسة ، والدعوة إلى الديانة المسيحية بين هؤلاء الذين يعيشون في الظلمات .ويقول جيوم بوستل ١٥٨١ م أول من شغل كرسي اللغة العربية في الكوليج دي فرانس في باريس عن اللغة العربية " إنها تفيد بوصفها لغة عالمية في التعامل مع المغاربة والمصريين والفرس والأتراك والتتار والهنود ، وتحتوي على أدب ثري ، ومن يجيدها يستطيع أن يطعن كل أعداء العقيدة النصرانية بسيف الكتاب المقدس "[2] ويقول يوهان فوك " نشأت وفي نفسي رغبة ملحة في أن أجوب العالم سواء كطبيب بحري ، أو مترجم ، أو مبشر وكانت الترجمة الأولى للقرآن الكريم ١١٤٣ م إلى اللاتينية ، بتوجيه من بيتروس فينيرابيليس رئيس دير كلوني في إسبانيا "[3] . كما أن الكاردينال فريدريك دي مدسيس وهو من الأسرة المالكة في

---

[1] ينظر نظرات في حركة الاستشراق،عبدالحميد عبدالمنعم مذكور،دار الثقافة،القاهرة،١٩٩٠م ص ٥٤-٥٥.

[2] المرجع السابق ص ٣٩.

[3] المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدراسات اللغوية ص ٢٥ – ٢٦.

إيطاليا أنشأ سنة ١٥٣٦ م مطبعة في فلورنسا وطبع فيها ثمانية عشر ألف نسخة من الإنجيل باللغة العربية ، ونشر في مطبعته كذلك كتاب قواعد العربية.[١]

ويتبين مما سبق أن هؤلاء المستشرقين ومن خلال حرصهم الشديد على دراسة اللغة العربية وترجمتهم الإنجيل إليها وترجمة القرآن للاتينية، لم يكن دافعهم علميا ، بل كان الدافع هو الرد على الإسلام وإثارة الشبهات والخلافات حوله في الأمور الدينية ومن ثم تنصير المسلمين وإخراجهم من دينهم أو على الأقل إبقاءهم بلا دين أو إبقاءهم متذبذبين بين الإسلام وغيره من الأديان .

د) دوافع علمية وثقافية: الدوافع العلمية والثقافية هي محط اهتمام الاستشراق والمستشرقين من خلال اهتمامهم باللغة العربية ، وذلك لأن المسلمين ظلوا متقدمين وأساتذة العالم من القرن التاسع الميلادي إلى القرن الرابع عشر ، فقد كان من يرغب من الغربيين في العلم أو الفن أو الأدب أو الفلسفة يتجه إلى الشرق غير واثقا بما تقدمه الجامعات الغربية من العلوم ، فهذا أديلار الباثي [٢] الذي درس في الأندلس وسوريا في الربع الأول من القرن الثاني عشر وترجم إلى اللاتينية كثيرا من كتب الفلك والرياضة عن العربية ، وذاك فولتير[٣] يقول إنه لم يبدأ كتابة القصة إلا بعد أن قرأ ألف ليلة وليلة أربع عشرة مرة.[٤]

ومن أبرز أهداف الاستشراق نشر الثقافة الغربية انطلاقا من النظرة الاستعلائية التي ينظر بها إلى الشعوب الأخرى ، ومن مظاهر ذلك نشر اللغات الأوروبية ومحاربة اللغة العربية، وصبغ البلاد العربية والإسلامية بالطابع الثقافي الغربي، وقد نشط الاستشراق في هذا المجال أيما نشاط، فأسس المعاهد العلمية والتنصيرية في أنحاء العالم الإسلامي وسعى إلى نشر ثقافته وفكره من خلال هؤلاء التلاميذ، وقد فكر نابليون في ذلك حينما طلب من خليفته على مصر أن يبعث إليه بخمسمائة من المشايخ ورؤساء القبائل ليعيشوا فترة من الزمن في فرنسا

---

[١] الاستشراق وجه للاستعمار الفكري ص ٨١ .

[٢] أديلار الباثي (١٠٧٠ – ١١٥٠ م)، هو فيلسوف انكليزي كتب باللاتينية، كان من أوائل مترجمي المؤلفات العربية وناشري الثقافة العربية الإسلامية في أوربة الغربية، معجم الفلاسفة، طرابيشي جورج، دار الطليعة، بيروت، ٢٠٠٦م، ص ٤٨.

[٣] Holmes, Richard (2000). Sidetracks: explorations of a romantic biographer. HarperCollins.pp.345-366.

[٤] ينظر المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدراسات اللغوية ص ٣٢ –٣٤.

يشاهدون في أثنائها عظمة الأمة (الفرنسية) ويعتادون على تقاليدنا ولغتنا، ولما يعودون إلى مصر، يكون لنا منهم حزب يضم إليه غيرهم، ولم يتم لنابليون ذلك ولكن لما جاء مُحَمَّد علي أرسل بعثة من أبناء مصر النابهين ، يكونون أشد استجابة على اعتياد لغة فرنسا وتقاليدها فإذا عادوا إلى مصر كانوا حزبا لفرنسا وعلى مر الأيام يكبرون ويتولون المناصب صغيرها وكبيرها، ويكون أثرهم أشد تأثيرا في بناء جماهير كثيرة تبث الأفكار التي يتلقونها في صميم شعب دار الإسلام في مصر.[١]

ثالثا: الدافع الاقتصادي التجاري.

عندما بدأت أوروبا نهضتها العلمية والصناعية والحضارية وكانت في حاجة إلى المواد الأولية الخام لتغذية مصانعها ، كما أنهم أصبحوا بحاجة إلى أسواق تجارية لتصريف بضائعهم كان لا بد لهم أن يتعرفوا إلى البلاد التي تمتلك الثروات الطبيعية ويمكن أن تكون أسواقاً مفتوحة لمنتجاتهم . فكان الشرق الإسلامي والدول الأفريقية والآسيوية هي هذه البلاد فنشطوا في استكشافاتهم الجغرافية ودراساتهم الاجتماعية واللغوية والثقافية وغيرها .

ولم يتوقف الدافع الاقتصادي عند بدايات الاستشراق فإن هذا الدافع ما زال أحد أهم الدوافع لاستمرار الدراسات الاستشراقية ، فمصانعهم ما تزال تنتج أكثر من حاجة أسواقهم المحلية كما أنهم ما زالوا بحاجة إلى المواد الخام المتوفرة في العالم الإسلامي، ولذلك فإن بعض أشهر البنوك الغربية(لويد وبنك سويسرا) تصدر تقارير شهرية هي في ظاهرها تقارير اقتصادية ولكنها في حقيقتها دراسات استشراقية متكاملة حيث يقدم التقرير دراسة عن الأحوال الدينية والاجتماعية والسياسية والثقافية للبلاد العربية الإسلامية ليتعرف أرباب الاقتصاد والسياسة على الكيفية التي يتعاملون بها مع العالم الإسلامي .[٢]

رابعا: الدافع السياسي الاستعماري.

من الأمور التي لا يختلف عليها اثنان ، أن الإستشراق قام بخدمة كبيرة في سبر السبل وتمهيد الطرق للدافع السياسي والاستعماري للمد الغربي إلى بلاد الشرق ، وخصوصا الشرق

[١] ينظر المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدراسات اللغوية ص ١٤١.

[٢] ينظر التبشير والاستعمار في البلاد العربية، مصطفى خالدي وعمر فروخ، المكتبة العصرية، بيروت ١٩٨٢م، ص ١٦٨-٦٩و فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر ، ص ٤٦.

الإسلامي ، فقد سار المستشرقون في ركاب الاستعمار وهم كما أطلق عليهم الأستاذ محمود شاكر رحمه الله حملة هموم الشمال المسيحي فقدموا معلومات موسعة ومفصلة عن الدول التي رغبت الدول الغربية في استعمارها والاستيلاء على ثرواتها وخيراتها، وقد اختلط الأمر في وقت من الأوقات بين المستعمر والمستشرق فقد كان كثير من الموظفين الاستعماريين على دراية بالشرق لغة وتاريخا وسياسة واقتصادا . وقد ألف المستشرق البريطاني جون قوردور لوريمر[١] J.G.Lorimer كتابا من أربعة عشر مجلدا بعنوان: (دليل الخليج الجغرافي والتاريخي) وكان الموظف الاستعماري لا يحصل على الوظيفة في الإدارة الاستعمارية ما لم يكن على دراية بالمنطقة التي سيعمل بها .[٢]

ولا زال الارتباط بين الدراسات العربية الإسلامية وبين الحكومات الغربية قائما حتى يومنا هذا بالرغم من أنه قد يوجد عدد محدد جدا من الباحثين الغربيين دفعهم حب العلم لدراسة الشرق أو العالم الإسلامي ، يقول الدكتور أحمد غراب" ومن الأدلة على هذا الارتباط أن تأسيس مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن قد أسست بناء على اقتراح من أحد النواب في البرلمان البريطاني وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية رأت الحكومة البريطانية أن نفوذها في العالم الإسلامي بدأ ينحسر فكان لا بد من الاهتمام بالدراسات العربية الإسلامية فكلفت الحكومة البريطانية لجنة حكومية برئاسة الإيرل سكاربورو لدراسة أوضاع الدراسات العربية الإسلامية في الجامعات البريطانية ووضعت اللجنة تقريرها حول هذه الدراسات وقدمت فيه مقترحاتها لتطوير هذه الدراسات واستمرارها.[٣]

---

[١] جون غوردون لوريمر John Gordon Lorimer ، ١٨٧٠-١٩١٤، موظف بريطاني في حكومة بريطانيا في الهند زمن الأستعمار ، يعد لوريمر أبرز المؤرخين والجغرافيين الذين وصفوا منطقة الجزيرة العربية في بداية القرن العشرين ، و الدليل الذي أعده " دليل الخليج " هو في أصله تقارير أعدها للحكومة البريطانية في الهند، و كان هو واحداً من = موظفيها، و كان الهدف من إعداد الدليل هو توفير مرجع لموظفي المستعمر في تعاملهم مع وجهاء و أعيان و أفراد الإمارات العربية على سواحل الخليج والقبائل العربية في الجزيرة العربية على وجه الخصوص، و الدليل هو في شكل موسوعة من أجزاء متعددة تتناول الحياة الاجتماعية و الاقتصادية للسكان ووصفاً للمنطقة و قبائلها و إماراتها و مشيخاتها وإحصائيات متنوعة، ينظر أركان البادية ، د. إبراهيم عبدالكريم كريديه ، مكتبة نوفل ، بيروت ، لبنان، ٢٠٠٥م، ص ٢١٢ — ٢١٣و الموسوعة الحرة ويكيبيديا.

[٢] ينظر رؤية إسلامية للاستشراق ص ٤٨.

[٣] ينظر رؤية إسلامية للاستشراق ص ٤٨-٤٩.

ومن الملاحظ على هذه الدوافع وغيرها كثير ، أنها في المقام الأول قامت بناء على ما قام به المستشرقون من خدمة كبيرة من جمع للمعلومات ودراسة للبيئات المختلفة للشرق بشكل عام ، والشرق الإسلامي على وجه الخصوص وما يقوم عليه من أديان وعادات وتقاليد وغير ذلك مما كان له الأثر الفعال في النفوذ والإستشراء في جسد الأمة وكيانها ، وتنفيذ المآرب والأهداف الغربية من الإستعمار والسيطرة والتنصير والتغريب وصرف الأمة عن دينها وتشكيكها في هدي ربها وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام ، وفشى التنصير والإنفتاح على الحضارة الغربية ومعطياتها في كثير من البلدان الإسلامية وكان الأبناء والشباب هم المستهدفون في المقام الأول ، عبر المغريات والبعثات ومن خلال الوسائل الإعلامية المتنوعة والمؤثرة بشكل مباشر في عقول الشباب والأبناء ، فتغربوا عن دينهم وعاداتهم وشخصياتهم المستقلة التي منحها لهم دين الإسلام وهم في ديارهم .

المطلب الرابع

أهداف الاستشراق

خاض الباحثون وأمعنوا النظر كثيرا حول أهداف الاستشراق والمستشرقين، وبذلوا جهدا كبيرا في تحديد ماهية هذه الأهداف، بل وثارت بينهم جدليات وتصورات ذاتية، نتج عنها مؤثرات نفسية سيطرة على قواهم العقلية، مما حدا بهم إلى الوقوع تحت التأثيرات الدينية والعرقية والتاريخية، فمن وقع تحت هذه الضغوط نظر إلى الاستشراق على أنه هدف ينبع عن حقد ديني، وكراهية عنصرية، ونزعة تاريخية مقيتة، ومن وقع تحت تأثيرات التقدم التقني المادي ولم يتأثر بالشعور الديني والقومي، نظر إلى الاستشراق على أنه مجرد هدف علمي موضوعي ومنهجي فحسب، وأمثال هؤلاء وهؤلاء كثير على الساحة العلمية.

ومن هنا يتبين لنا أن حركة الاستشراق لها أهداف متعددة ذكرها الباحثون في كتبهم وعبر مقالاتهم المختلفة، ويمكن لنا إجمال هذه الأهداف في هدفين أساسيين وهما:

أولا: الهدف البنائي.

ويتمثل هذا الهدف البنائي في اتجاه وإقبال الكثير من المستشرقين على جمع كل ما يجدوه من التراث الإسلامي على اختلاف مشاربه، جمعا ودراسة وتحقيقا بل ونشرا أيضا، وتعدى الأمر في ذلك إلى ترجمة هذا التراث ، وتلك العلوم للإفادة منها في تطوير قواهم العلمية والتقنية، وعلى سبيل المثال لا الحصر، تلك البعثات العلمية التي أرسلت إلى الأندلس للنهل من تلك العلوم والمعارف العربية والإسلامية، مما كان له الدور الكبير في تأسيس الحركة الاستشراقية، التي قامت عليها معالم النهضة الأوروبية الحديثة. ولم يكن جل اهتمام الحركة الاستشراقية بالجوانب المادية فحسب، بل تعدى الأمر وانصب على دراسة العقيدة التي نهضت على أساسها هذه الحضارة العظيمة للعرب والمسلمين، ولذلك انبرى عدد كبير وتخصص في دراسة الموروث الديني لدى المسلمين المتمثل في القرآن الكريم، والسنة النبوية، والفقه الإسلامي وغير ذلك من المجالات.

وعند استقراء التاريخ لهؤلاء المستشرقون ، نجد أن الفوائد التي جمعوها من التراث الإسلامي لم تتجاوز الحد المعرفي، ولم يكن لها أثر في المجال العلمي التطبيقي في حياة أولئك. بمعنى أوضح أنهم أخذوا ما يخدم حضارتهم وتقدمهم العلمي فحسب.

ثانيا: الهدف الهدمي.

ويتركز العمل في هذا الهدف على قطع كل علاقة بين إنسان الحضارة العربية والإسلامية وبين حضارته ودينه وثقافته وعقيدته، والسعي الحثيث إلى طمس معالم هذه الحضارة وهذا التراث المجيد، وذلك من أجل أن تخلو الساحة أمام الحضارة الغربية لمد نفوذها وإحكام سيطرتها على الحضارات والثقافات الأخرى، وعلى وجه الخصوص حضارة الإسلام وأهله، ولذلك سعت الدراسات الغربية غير العلمية وتعمدت تشويه التراث الإسلامي، وتنفير المجتمعات من مبادئه، والتغيير والتبديل والحذف والكذب وتزوير الحقائق، حسب ما تقتضيه مصالحهم ومطامعهم الخاصة.

إن مما ساعد المستشرقين الغربيين في ذلك كله، هو مساعدة الدول الاستعمارية في تدمير العالم الإسلامي وحضارته وتراثه الخالد ، ويأتي ذلك إما بالتمهيد لحركة الاستعمار العالمي أو تجذيرها وتوطينها، ولقد كان للمستشرقين دور كبير وفعال في مساعدة الدول الغربية الاستعمارية في احتلال العالم الإسلامي، وهذا ما اعترفت به الدول الكبرى الاستعمارية. ولم تقتصر مهمة المستشرقين على التمهيد للدول الاستعمارية في الاستيلاء على الدول الاسلامية فحسب، بل تعدى ذلك إلى أمر أخطر وهو التمهيد لحملات التنصير التي نشطت ونجحت في كثير من الأمان في تنصير الناس وإخراجهم من دينهم، فالاستشراق والمستشرقون لايزالون الأداة المثلى، والطريق الكبرى لحركات التنصير في كل مكان، منه تستمد معارفها وعلومها، وتستعين به على تقويم مهماتها.

وخلاصة القول فيما سبق، أن ما ذُكر من أهداف سابقة، تكون هي الأهداف الرئيسية لحركة الاستشراق والمستشرقين، التي يرمي الأعداء من ورائها إحكام القبضة على العالم الإسلامي بدوله وأقاليمه، وعلى مدخراته ومكتسباته، ومع ذلك كله وما يواجه من موجة استعمارية، ونفوذ تنصيري، يبقى الإسلام صامدا في قلوب أهله، ويبقى المسلمون معتزون بدينهم فخورون بتراثهم المجيد وتبقى كلمتهم واحدة وكتابهم واحد وإن تباعدت الأقطار، وتناءت الديار ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ يوسف٢١.[1]

[1] ينظر الاستشراق أهدافه ووسائله، محمّد فتح الله الزيادي، دار قتيبة، الرياض، ٢٠٠٢م، ص ٣٢-٣٤.

المطلب الخامس

الفرق بين الدوافع والأهداف

لكي يتسنى لنا معرفة الفرق بين الدوافع والأهداف، لا بد لنا من تعريف كل واحد منهما على حدة ، التعريف اللغوي وكذلك الاصطلاحي، ومن ثم يتبين لنا الفرق بينهما، مع أن الكثير لم يفرقوا بينهما، وجعلوا معناهما متشابها، أي كل واحد منهما يفسر الآخر، ومنهم من يرى التفريق، ولعلنا من خلال التعريف نخلص إلى نتيجة حتمية ينتفي معها الخلاف في الأمر.

أولا: الدوافع في اللغة.

قال ابن منظور: الدَّفْع: الإزالة بقوّة، دَفَعَه يَدْفَعُه دَفْعاً ودَفاعاً ودافَعَه ودَفَّعَه فانْدَفَع وتَدَفَّع وتَدافَع، وتدافَعُوا الشيءَ: دَفَعَه كلّ واحد منهم عن صاحبه، وتدافَع القومُ أَي دفَع بعضُهم بعضاً، ورجل دَفّاع ومِدْفَع: شديد الدَّفْع، ورُكْن مِدْفَعٌ: قويّ، ودفَع فلان إلى فلان شيئاً ودَفع عنه الشرّ على المثل، ومن كلامهم: ادْفَعِ الشرّ ولو إِصْبعاً، حكاه سيبويه، ودافَع عنه بمعنى دفَع، تقول منه: دفَع الله عنك المكْروه دَفْعاً، ودافع اللهُ عنك السُّوء دِفاعاً.[1]

وقال الجوهري: دَفَعْتُ إلى فلان شيئاً، ودَفَعْتُ الرجل فانْدَفَعَ، وانْدَفَعَ الفرس، أي أسرع في سيره، وانْدَفَعوا في الحديث، والمدافَعَةُ: المماطلةُ.[2]

وقال ابن فارس: الدال والفاء والعين أصلٌ واحد مشهور، يدلُّ على تنحيَة الشيء، يقال دَفَعْتُ الشّيءَ أدفعُه دفْعا، ودافع الله عنه السُّوءَ دِفاعا، والمدفَّع الفقير، لأن هذا يدافِعُه عند سؤالِهِ إلى ذلك.[3]

ثانيا: الدوافع في الاصطلاح.

يختلف التعريف لمصطلح الدوافع من كاتب لآخر، وذلك من كثرة ما كتب عنها، وتباينت هذه التعاريف ، وصار هناك عدد من التعاريف ما بين موجز ومسهب ، وإن كانوا يتفقون فيما بينهم على المضمون، إلا أن تعبيراتهم تتباين من واحد لآخر.

ونورد هنا جملة من هذه التعاريف حتى ينجلي لنا الأمر وتتضح الرؤيا:

---

[1] لسان العرب لابن منظور مادة دفع.

[2] الصحاح في اللغة للجوهري مادة دفع.

[3] مقاييس اللغة لابن فارس مادة دفع.

١) يقول أحدهم "الدافع أو الحافز هو أي عمل داخلي في الكائن يدفعه إلى عمل معين، والاستمرار في هذا العمل مدة معينة من الزمن حتى يشبع هذا الدافع".[١]

٢) ويرى أحد الباحثين أن "الدوافع هي كل ما يحرك السلوك ويدفعه".[٢]

٣) ويقول آخر "أن الدوافع قوة أو عامل أو استعداد أو حالة داخلية دائمة أو مؤقتة تثير السلوك الظاهر أو الباطن في ظروف معينة وتواصله حتى ينتهي إلى غاية أو غايات معينة وبعبارة أخرى "فالدافع قوة محركة موجهة في آن واحد".[٣]

٤) ويعرفها العيسوي بأنها: "حالة داخلية أو استعداد داخلي، فطري أو مكتسب شعوري أو لا شعوري، عضوي أو اجتماعي أو نفسي، يثير السلوك ذهنياً كان أو حركياً وتوصله ويسهم في توجيهه إلى غاية شعورية أو لا شعورية".[٤]

ويتبين مما سبق أن الدوافع هي كل ما يحرك السلوك ويدفعه للوصول إلى غايات وأهداف معينة.

ثالثا: الأهداف في اللغة.

قال ابن فارس: الهاء والدال والفاء : أُصَيْلٌ يدلُّ على انتصابٍ وارتفاع، والهَدَف كلُّ شيء عظيمٍ مرتفع، ولذلك سمِّي الرَّجُل الشَّخيص الجافي هَدَفاً قال :

إذا الهَدَفُ المِعزالُ صَوَّبَ رأسَه *** وأعجبهُ ضَفْوٌ من الثَّلَّةِ الخُطْلِ

والهَدَف ، الغرض ، ورَكَب مستَهْدِف ، عَرِيض ، قال النَّابغة : وامرأة مُهْدِفَة : لَحِيمة.[٥]

وقال الجوهري: الهَدَفُ : كل شيء مرتفعٍ، من بناء أو كثيب رملٍ أو جبلٍ، ومنه سمِّي الغرض هَدَفاً، وبه شبِّه الرجلُ العظيم، وأَهْدَفَ على التلِّ : أشرفَ، وامرأةٌ مُهْدِفَةٌ، أي لَحِيمَةٌ.

وأَهْدَفَ إليه، أي لجأ، وأَهْدَفَ لك الشيءُ واسْتَهْدَفَ، أي انتصب، ويقال : رَكَبٌ مُسْتَهْدِفٌ، أي عريضٌ، والهِدْفَةُ القِطعة من الناس والبيوت.[٦]

---

[١] علم النفس التربوي، أحمد زكي صالح، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٨م، ص٧٩٨.

[٢] أسس العلوم السلوكية والنفسية، علي أحمد علي، مكتبة عين شمس، مصر، ١٩٧٣م، ص٤٨.

[٣] أصول علم النفس، أحمد عزت راجح، المكتب المصري الحديث، الاسكندرية، ١٩٨٥م، ص٧٠.

[٤] معالم علم النفس، عبدالرحمن محمد عيسوي، دار المطبوعات الجامعية، القاهرة، ١٩٧٢م، ص١٢٣.

[٥] مقاييس اللغة لابن فارس مادة هدف.

[٦] الصحاح في اللغة للجوهري مادة هدف.

رابعا: الأهداف في الاصطلاح.

الهدف في الاصطلاح حدد بأنه: "ما انعقد العزم على إحداثه في المتعلم، من تحول في مستوى المعارف والمهارات والمواقف، بشرط أن يقع التثبت من حصول ذلك التحول إثر فترة من التكوين تحدد مسبقًا".[1]

ومما سبق من التعريفات اللغوية والاصطلاحية، يتبين لنا أن الأهداف هي الغايات التي يسعى الإنسان جاهدا إلى تحقيقها ، أو بمعنى أوضح هي الأشياء التي من الممكن تحقيقها في المدى القريب.

والخلاصة مما سبق كله من تعريفات الدوافع والأهداف، يتضح لنا جليا التقارب بين الجانبين في التعريف، والفرق يسير بينهما، وهو أن الدوافع هي المحركات والمحفزات نحو الفعل الموجود داخل الإنسان بمعنى، يكون لدى المرء نية داخلية تدفعه بقوة نحو ما يريد من الهدف، بينما الأهداف هي ما يصبوا الإنسان إلى تحقيقها، فالأهداف شيء مؤقت ينتهي بمجرد تحقيقه، ومعظم الناس لديهم أهداف، متغيرة ومتجددة فما إن تتحقق لهم أهداف، تتجدد أهداف أخرى يتم السعي لتحقيقها وهكذا والله تعالى أعلم.

---

[1] القيم الإسلامية التربوية والمجتمع المعاصر، عبدالمجيد بن مسعود، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، قطر، ١٤١٩هـ، ص ٣٤.

المطلب السادس

وسائل الاستشراق

سعى المستشرقون ولا زالوا إلى تحقيق أهدافهم من خلال العديد من الوسائل والأساليب، الشائعة في مجتمعاتهم وإن كان مجال عملهم في الاستشراق سيتطلب في بعض الأحيان استخدام وسائل وأساليب تناسب مجال عملهم وتناسب أهدافهم ودوافعهم، تقول د. فاطمة أبو النجا عن وسائل المستشرقين وأساليبهم "لم يترك المستشرقون مجالا من مجالات الأنشطة المعرفية والتوجيهية العليا إلاً تخصصوا فيها، ومنها التعليم الجامعي، وإنشاء المؤسسات العالمية لتوجيه التعليم والتثقيف، وعقد المؤتمرات والندوات ولقاءات التحاور، وإصدار المجلات ونشر المقالات وجمع المخطوطات العربية، والتحقيق والنشر وتأليف الكتب ودس السموم الفكرية فيها بصورة خفية ومتدرجة، وإنشاء الموسوعات العلمية الإسلامية، والعناية العظمى لإفساد المرأة المسلمة وتزيين الكتابة باللغة العامية "[1].

وفيما يلي نستعرض هذه الوسائل والأساليب، لنرى مدى ما أسهمت في تنفيذ مآرب المستشرقين في بلاد العرب والمسلمين، مخلفة وراءها التدمير لعقائد كثير من المسلمين ، والتشكيك في كل ما يمت للإسلام بصلة ، وتشويه صورة الإسلام على المستويين العالمي والإقليمي ، وذلك لصد الناس عنه، إضافة إلى نهب وسلب خيرات البلاد العربية والإسلامية، ومن هذه الوسائل:

أولا: التعليم الجامعي والبحث العلمي.

بدأت أقسام التعليم الجامعي ومراكز البحوث العلمية، تستقبل الطلاب من جميع أنحاء العالم بعد استقرار الاستشراق كفرع معرفي له أقسامه العلمية ومراكزه البحثية ، فالأوروبيون الذين يدرسون هذه المجالات يتخصصون فيها لأهداف تخصهم فقد جاء في تقرير سكاربورغScarbrough وتقرير هايتر Hayter البريطانيين[2] الجهات التي تحتاج هذه

---

[1] نور الإسلام وأباطيل الاستشراق، د. فاطمة هدى أبو النجا، دار الإيمان للطباعة والنشر والتوزيع، طرابلس، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م، ص ١٦٠.

[2] تقريران قام بإعدادهما كلا من إيرل سكاربورو و وليام هايتر للحكومة البريطانية عام ١٩٤٧م، عن الدراسات الشرقية والسلافية والأوروبية الشرقية والأفريقية ، وقد أُتُخِذ حيالهما عدد من التوصيات والقرارات، وللمزيد ينظر الاستشراق المعاصر في منظور الإسلام، د. مازن مطبقاني، الرياض، دار إشبيليا ،١٤٢٠هـ –٢٠٠١م ، ص ٥٨ وما بعدها.

التخصصات ابتداء من وزارة المستعمرات(حين كانت موجودة) ووزارة الخارجية والاستخبارات والتجارة والاقتصاد والإذاعة البريطانية وغيرها من الجهات، أما الطلاب العرب والمسلمون فقد جاءوا في بعثات دراسية إما على حساب دولهم أو على حسابهم الخاص أو بمنح من الجامعات الغربية التي استهوتهم لأسباب منها السمعة العلمية العالية التي تتمتع بها هذه الجامعات في دول العالم الثالث(حتى وإن كان بعضها متواضع المستوى) وثانياً لرغبة الجامعات الغربية الإفادة من هؤلاء الطلاب في مجال البحث العلمي، بالإضافة إلى الهدف الاستشراقي القديم من التأثير في طبقة من أبناء الأمة المسلمة من المتوقع أن تتسم منابر التوجيه وقيادة الرأي في بلادها، وقد يكون أحد هذه الأسباب المرونة التي تتمتع بها هذه الجامعات في مجال الدراسات العليا وبعدها عن التعقيدات والمشكلات والقيود التي يواجهها الطلاب في الجامعات العربية والإسلامية.

ولذلك أصبحت هذه الأقسام العلمية تعد بالآلاف في أنحاء أوروبا وأمريكا، ولما تخلص الأوروبيون والأمريكيون من مصطلح الاستشراق أصبحت أقسام الدراسات الشرق أوسطية أقسام دراسات المناطق هي التي يدرس فيها هؤلاء الطلاب، ولكن هذه الأقسام لم تعد كافية لدراسة كل ما يخص العالم الإسلامي والعربي فأضيف إليها الدراسة في أقسام الجامعة الأخرى مثل : علم الاجتماع، وعلم الإنسان، وعلم النفس، وقسم الاقتصاد والعلوم السياسية ومختلف العلوم التي يتم التنسيق بينها جميعاً من خلال معهد الشرق الأوسط كما في جامعة كولمبيا في نيويورك أو مركز دراسات الشرق الأوسط كما في جامعة كاليفورنيا بمدينة بيركلي.

وتعمل هذه الأقسام من خلال المواد الدراسية في تكوين عقلية الطالب وفهمه وإدراكه للقضايا التي تخص الإسلام والمسلمين، حيث إن طريقة التدريس والمراجع المقررة وتوجهات الأساتذة لها دور كبير في الدراسة الجامعية أو الدراسات العليا(وبخاصة في أمريكا حيث إن طالب الماجستير أو الدكتوراه يكلف بدراسة عدد محدد من الساعات).[1]

ومما لا شك فيه تأثر الطالب بأستاذه، سواء في الفكر او الأخلاق أو السلوك، وهذا ما حصل لكثير من أبناء العرب والمسلمين ، ولذلك نجد التركيز في التراجم الإسلامية السؤال عن الشيوخ، ومهما كانت قوة العقيدة والإيمان لدى معظم الطلاب العرب والمسلمين، فإن

---

[1] ينظر الاستشراق المعاصر في منظور الإسلام، ص ٥٨ وما بعدها.

بعضهم يتأثر بشيوخه من المستشرقين وبخاصة أن بعض هؤلاء قد بلغوا درجة عالية من العلم والخبرة ومعرفة نفسية الطلاب العرب والمسلمين، وحتى يكون التأثير قويا، فقد سعى الفكر الاستشراقي إلى أن يتولى بعض الأساتذة في الجامعات الغربية وهم من القساوسة والرهبان وبعضهم من اليهود ، تدريس الطلاب والتأثير فيهم بأسلوب غير مباشر، ولو أن يُدخلوا أدنى درجة من الشك في قلوب هؤلاء الطلاب.

وبالإضافة إلى أقسام دراسات الشرق الأوسط والدراسات الإسلامية في الجامعات الغربية (أوروبا وأمريكا) فإن الغرب حرص على فتح جامعات أوروبية وأمريكية في البلاد العربية و الإسلامية ومن أبرز هذه الجامعات الجامعة الأمريكية التي أصبح لها العديد من الفروع في القاهرة وفي بيروت وفي دبي وفي الشارقة وفي إسطنبول وغيرها، وقد قامت الجامعات الفرنسية بافتتاح معاهد لها في عدد من الدول العربية كما أن لهولندا معهدا في مصر وكذلك تقوم الحكومة الألمانية بافتتاح جامعة في مصر بعد أن كانت نواة هذه الجامعة قد أسست منذ سنوات، وقد ذكر خبر نشر في إحدى الصحف أن حجر الأساس لأول جامعة ألمانية سيوضع بتمويل من عدة جهات منها السفارة الألمانية في القاهرة (يعني الخارجية الألمانية) وجامعتين ألمانيتين بالتعاون مع الغرفة التجارية العربية الألمانية للتجارة والصناعة.[١]

والحقيقة أن الجامعات والتعليم العالي وسيلة هامة جدا من وسائل الاستشراق، ونحن لا نتحدث عن الاستشراق في تخصصات معينة كالطب والهندسة والفيزياء والكيمياء والرياضيات، وإن كان يحدث فيها تأثير من براثن الاستشراق، ولكن الحديث ينصب على أقسام الدراسات الإسلامية والعربية والتاريخ والجغرافيا وعلم النفس وعلم الاجتماع والتربية وغيرها من الدراسات الأدبية والنظرية على وجه الخصوص، فالبعثات التي كانت قبل قرنين من الزمان، كان لها الأثر الفعال في تأثر المبتعثين بالمجتمع الغربي في عاداته وطباعه، وخصوصا في الاحتكاك بالأساتذة والمربين في أخلاقهم وسلوكهم وطباعهم، منتقلا ذلك بشكل فوري إلى البحوث التي يكلفون بها في الدراسات العليا، ومن المسلم به جدلا ، أن الأمة والمجتمعات العربية والإسلامية، لا تبعث من أبنائها في الغالب إلا النبهاء والأذكياء، وعلى وجه الخصوص من حصلوا على تلك البعثات بجد واجتهاد وجدارة.

---

[١] ينظر صحيفة الشرق الأوسط، العدد ٨٣٤٠، ١١رجب ١٤٢٢هـ٢٨ سبتمبر ٢٠٠١م.

فمن التأثر حين يختار الطالب موضوع بحثه سواء كان سيئا أم موجها لوجهة معينة، فسيجد نفسه عندها أسيرا لذلك الموضوع حتى نهاية حياته العلمية وقل أن يتخلص من هذا الأسر، فيسهم الأستاذ المشرف في اختيار الموضوع وتوجيه الطالب للاهتمام بقضايا بعينها، ومن الأمثلة توجيه الطالب لاختيار كتاب الأغاني مثلاً ليكون مصدراً لدراسة التاريخ الإسلامي أو المجتمع الإسلامي، وهو أمر خطير فكيف يكون كتاب مجون وخلاعة مصدر لدراسة تاريخ أمة هي أعظم الأمم على وجه الأرض.

ومن الطرائق التي يستخدمها الأساتذة في توجيه طلابهم للبحث فيها، تلك الموضوعات التي يريد الغربيون معرفة تفاصيلها الدقيقة وهم لا يستطيعون بحال الوصول إليها ، فيكلفون طلابهم الذين يريدون الحصول على الدرجات العليا، كما أن مثل هذه الدراسة تتيح لهم الفرصة للعودة إلى بلادهم في رحلات علمية لجمع المادة العلمية وتقديم الاستمارات والاستبيانات وغيرها من وسائل جمع المادة العلمية التي يصعب على الأستاذ أو الجهات الخارجية الوصول إليها، وهذا بحد ذاته يعطي المستشرقون ما لا يستطيعون الحصول عليه مسبقا.

ومن الأمور المسلم بها والتي لا يختلف عليها اثنان، أن المستهدف الأول من الحركة الفكرية الاستشراقية هم أبناء الأمة الإسلامية وشبابها الذين هم عمادها وقوامها، وأساس بنيانها، ممن دفعت بهم بلادهم للدراسة في المؤسسات الغربية، وهم الذين كانوا ولا يزالون أكثر الناس عرضة لحملات الفكر الاستشراقي المعادي للإسلام، يقول د. مُحَمَّد فتح الله الزيادي" وطلابنا الذين هم بحاجة إلى المؤسسات العلمية الغربية، لا يستطيعون مواجهة أساتذتهم من المستشرقين فيما يوردونه من تحريفات وأغلاط تاريخية ومنهجية، لأن ذلك يجر عليهم سخطا تكون نتيجته الحرمان من مواصلة التعليم أحيانا".[1]

ثانيا: الكتب والمجلات والنشرات.

نشر الكتب والمجلات وكذا النشرات التي تتعرض للإسلام والمسلمين من جميع الجوانب العقدية والتشريعية والتاريخية ومن خلال السِيَر، وكذلك الأحوال الاجتماعية للأمة الإسلامية، من أهم المهمات لدى معاشر المستشرقين، على مختلف الأزمان وتعاقب العصور.

ففي المجال العقيدي كتبئ المستشرق اليهودي المجري أجناتس جولد سيهر بعنوان دراسات

---

[1] الاستشراق أهدافه ووسائله ص ٤٨.

إسلامية كما ألف في مذاهب التفسير الإسلامية، ونشر المستشرق دنكان بلاك ماكدونالد[١] كتاباً بعنوان تطور العقيدة الإسلامية وقد انطلى على بعض المسلمين أنه كتاب علمي فقُرر تدريسه في أقسام الدراسات الإسلامية، وألف كولسون في التشريع الإسلامي ، وصدر لهم مؤلفات كثيرة في مجال التاريخ الإسلامي حتى عد بعضهم كتاب كارل بروكلمان[٢] تاريخ الشعوب الإسلامية من المراجع الأساسية في دراسة التاريخ الإسلامي، وهناك على سبيل المثال لا الحصر كتاب برنارد لويس تاريخ العرب عدّه بعض الأساتذة المتأثرين بالاستشراق من أهم الكتب في بابه، وقد تميزت كتابات المستشرقين في العصور الوسطى أو بدايات الاستشراق بالتعصب والحقد الشديد والكراهية للإسلام وإظهار هذه العواطف والاتجاهات بصراحة متناهية حتى ظهر منهم من كتب منتقداً هذا الأسلوب ومن هؤلاء ما كتبه نورمان دانيال في كتابه (الإسلام والغرب) وما كتبه ريشتارد سوذرن في كتابه (صورة الإسلام والمسلمين في كتابات العصور الوسطى).

وظهرت في القرن العشرين كتابات عن الإسلام تظاهرت بأنها تجاوزت التعصب والحقد القديم ومنها ما كتبه توماس آرنولد في كتابه (الدعوة إلى الإسلام) وقد يكون هذا الكتاب قدم بعض العبارات والجمل المادحة للإسلام والمسلمين ولكنه في حقيقته بعيد عن الموضوعية والمنهج العلمي[٣] كما ظهرت كتابات مونتجمري وات حول الرسول ﷺ (مُحَّد في مكة) و(مُحَّد في المدينة) و(مُحَّد رجل الدولة والسياسة) وغيرها من الكتب.[٤]

---

[١] دانكن بلاك ماكدونلد Duncan Black MacDonald 1863- 1943 هو مستشرق أميركي، ولد في جلاسجو وكان شديد التدين بالنصرانية، له عدة مؤلفات أهمها «تطور علم الكلام والفقه والنظرية الدستورية في الإسلام»، نيويورك، ١٩٠٣م، يعتبر، إلى جانب هرمان تسوتنبرج، في طليعة من عني بكتاب «ألف ليلة وليلة»، فجمع منه نسخاً لا توجد عند غيره، موسوعة المستشرقين، د. عبد الرحمن بديوي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٣م، ص ٥٣٨.

[٢] كارل بروكلمان (بالألمانية Carl Brockelmann).١٨٦٨ – ١٩٥٦، أكبر باحث عرفته الجامعات الاوروبية في النصف الأول من القرن العشرين في مجالات الدراسات السامية وتاريخ التراث العربي، موسوعة المستشرقين ص ٩٨-١٠٤.

[٣] توجد رسالة ماجستير انتقدت هذا الكتاب في كلية الدعوة بالمدينة المنورة.

[٤] ينظر دراسة نقدية لكتاب الدعوة إلى الإسلام تأليف توماس ولكر آرنولد، لـ محمود حمزة عزوني، رسالة ماجستير من قسم الدعوة بالمعهد العالي للدعوة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٤٠٤-١٤٠٥هـ .

أما أبرز الجهات الاستشراقية التي تنشر الكتب فأود في البداية أن أشير إلى أن الجامعات الغربية لها دور نشر خاصة بها ، ولعل من أشهر دور النشر هذه على سبيل المثال جامعة أكسفورد التي تطبع مئات الكتب كل عام حول العالم الإسلامي وقضاياه المختلفة، كما أن الجامعات الأوروبية والأمريكية لها دور نشر نشطة، تقوم بجهد يوازي إن لم يتفوق على نشاط دور النشر التجارية البحتة(قارن بينها وبين دور النشر في الجامعات العربية والإسلامية- دور نشر للمجاملة وللتوزيع المحدود ولا تطبع دار النشر الجامعية أكثر من عشرة عناوين سنوياً)،

ففي موقع دار جامعة أكسفورد للنشر مئات الكتب التي تهتم بالإسلام والعالم الإسلامي ومنها هذه الكتب، على سبيل المثال لا الحصر:

١- موسوعة أكسفورد للعالم الإسلامي الحديث ، وتتكون من أربعة مجلدات تتألف من ١٨٤٠ صفحة وتهتم بموضوعات لم تكن لتهتم بها الكتب حول الإسلام ومن هذه الموضوعات: الإرهاب والتطرف وحقوق الإنسان ومكانة المرأة في العالم الإسلامي وفي الإسلام. وتزعم الموسوعة لنفسها أنها متخصصة وتقدم معلومات دقيقة وموثقة حول القضايا التي تتناولها .

٢- الكتب حول الإسلام والعالم العربي والشرق الأوسط من خلال شركة أمازون لتوزيع الكتب فيكفي أن تضع كلمة الإسلام أو العرب أو الشرق الأوسط لتمدك الشركة بسيل من الكتب وقد فتحت عنوان" إسلام" فوجدت ما يقارب من ثمانية آلاف وثمانمائة وإحدى عشر كتابا.

٣- المجلات والدوريات فتعد بالمئات من مختلف أنحاء أوروبا وأمريكا فلا يكاد قسم من أقسام دراسات الشرق الأوسط الكبيرة في الجامعات الغربية إلاّ وله مجلة أو دورية كما أن الجمعيات الاستشراقية لها أيضاً إصداراتها من الدوريات والمجلات ونذكر على سبيل المثال الجامعات الآتية التي لها دوريات مشهورة، ومنها:

١) دورية مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن

٢) دورية جسور تصدر عن مركز دراسات الشرق الأوسط بجامعة كاليفورنيا بمدينة لوس أنجلوس.

٣) مجلة العالم الإسلامي (بالألمانية) من ألمانيا

٤) مجلة العالم الإسلامي من معهد هارتفورد اللاهوتي بالولايات المتحدة الأمريكية.

٥) مجلة العلاقات النصرانية الإسلامية عن معهد العلاقات النصرانية الإسلامية بجامعة

بيرمنجهام ببريطانيا.

وهناك الكثير غيرها التي يبلغ تعدادها بالمئات في شتى مجالات المعرفة.[1]

ثالثا: الندوات والمؤتمرات والمحاضرات والدورات العلمية.

وليس غريب ما يفعله المستشرقون تجاه الإسلام والمسلمين، فمنذ بدأوا بالبحث والدراسة في التراث والتاريخ العربي والإسلامي، كانوا على اتصال بعضهم ببعض عن طريق المراسلات والرحلات، ففي وقت من الأوقات قيل إن باريس كانت كعبة الاستشراق، إذ كان المستشرق سيلفيستر دو ساسي[2] يترأس معهد اللغات الشرقية الحية في باريس –١٧٩٥م وما بعدها–، وكان الحال كذلك مع العواصم الأخرى حين يذيع صيت أحد المستشرقين فيسعون إليه للتلقي عنه أو يسعون إلى استضافته أستاذا زائرا، ولكن كان لا بد من طريقة أخرى يتوصلون إلى التبادل العلمي والثقافي فكانت الندوات المحلية والإقليمية ثم الدولية وسيلة من وسائل الصلة بين المستشرقين، وكانت مؤتمرات المستشرقين في غالبيتها عبارة عن لقاء مجموعة من الباحثين والعلماء لتقديم بحوث وأوراق عمل ونقاشات ومناسبات اجتماعية على هامش المؤتمرات ؟ولم تكن في يوم من الأيام للتسلية والوجاهة والحصول على الامتيازات المادية من انتدابات وبدلات وغيرها كما يحدث في دول العالم النامي، فهي بالتالي وسيلة عمل وتخطيط ودراسة؟

ولذلك وبمبادرة فرنسية، منذ أكثر من قرن وربع بدأ الأوروبيون في عقد مؤتمر دولي كل عدة سنوات ، للبحث في مجال الدراسات الاستشراقية التي تضم الهند والصين وجنوب شرق آسيا وكذلك تركيا ودول وسط آسيا (الجمهوريات التي كانت تتبع الاتحاد السوفيتي سابقاً) وشمال أفريقيا، ولكن الدراسات الإسلامية كانت وما تزال المحور الأساس لهذه المؤتمرات، وقد عقد المؤتمر الأول عام ١٨٧٣م في باريس وبلغت حتى الآن ستاً وثلاثين مؤتمراً ، وكان المؤتمر قبل الأخير قد عقد في بودابست بالمجر في يوليو ١٩٩٧م، وقد قُدم فيه ما يزيد على ألف بحث، وقد أصبحت المؤتمرات والندوات من الكثرة بحيث يصعب على الباحث أن يحصرها أو

---

[1] ينظر المستشرقون ص ٣٣٧-٣٣٨.

[2] هو أنطوان إيزاك سِلفستر دي ساسي ، ١١٧٢ – ١٢٥٣ هـ – ١٧٥٨ – ١٨٣٨ م ، مستشرق فرنسي، لقّبه البدوي بـ (شيخ المستشرقين الفرنسيين)، درس اليونانية واللاتينية ثم العربية والعبرية. كما أتقن عدة لغات أوروبية، الأعلام ، خير الدين بن محمود بن مُحَمَّد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي ، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٢ م، ٢/٢٦و موسوعة المستشرقين، د. عبد الرحمن بديوي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٣م، ص ٣٣٤.

يتناولها جميعاً بالبحث والدراسة ولذلك سوف تقتصر هذه الدراسة على نماذج من هذه المؤتمرات والندوات التي أتيح لي الاطلاع على بعض المعلومات عنها، بحيث نقدم معلومات عن الموضوعات التي يتناولها المؤتمر أو الندوة ، وكذلك معلومات عن المشاركين وأهمية توجهات المشاركين في هذه المؤتمرات ونتائج وتوصيات المؤتمرات.[١]

إن من يطلع على المواقع الالكترونية(الانترنت) ، يجد مدى ما وصلت إليه المحاضرات العامة والدورات المكثفة التي لا يُحصى لها عدد ولا سعة، فهي أكثر من أن تحصى، فمراكز البحوث وأقسام دراسات الشرق الأوسط قبل ظهور الانترنت، كانت تملك نشاطا قويا في نشر النشرات التي تتزاحم عليها الأقلام والأيدي الاستشراقية، وعلى سبيل المثال(قبل الإنترنت كانت جامعة هارفرد تنشر نشرة نصف شهرية تزدحم فيها النشاطات الاستشراقية[٢]) .ولذلك كان لهذه المؤتمرات وتلك النشاطات دور كبير في جمع شتات الاستشراق والمستشرقين، وتوحيد جهودهم وتنظيمها، وبذلك كانت المؤتمرات أداة قوية في دفع عجلة العمل الاستشراقي، وخصوصا بعد رحيل الرعيل الأول من المستشرقين.

رابعا: التقارير السياسية والأحاديث الإذاعية والتلفزيونية والمقالات الصحفية.

طلبت الحكومات الغربية من الباحثين المتخصصين في دراسات الشرق الأوسط، تقديم نتائج بحوثهم ودراساتهم واستشاراتهم في اتخاذ القرارات السياسية، وهو ما يعرف في الفكر السياسي بالتقارب بين العلماء والساسة، ولذلك كان المستشرقون لا يبرحون مجالس وزارات الخارجية الغربية ومجالس النواب فيها واللجان المتخصصة ، حيث يقدمون عصارة فكرهم لمصلحة بلادهم وأمتهم.

ولا يفوتنا هنا دور الإعلام وإدراكه لأهمية استضافة أساتذة الجامعات المتخصصين في العالم العربي والإسلامي فأتاح لهم المجال لتقديم آرائهم في القضايا السياسية المعاصرة ولا تكاد تخلو نشرة أخبار من استضافة أحد هؤلاء للحديث في مجال تخصصه. ولم تكتف وسائل الإعلام بهذا الأمر فقد طلبت إليهم أن يجيبوا عن أسئلة الجمهور أو استضافتهم في برامج حوارية طويلة ، ومن وسائل الإعلام التي تهتم بهذا الجانب، الإذاعات الموجهة مثل إذاعة لندن

---

[١] وللمزيد ينظر الاستشراق المعاصر، ص ١٧٢وما بعدها.

[٢] ينظر المرجع السابق ، ص ١٧٣.

وصوت أمريكا وإذاعة مونت كارلو وغيرها.[1]

خامسا: المجامع العلمية.

ليس خفيا أن من ضمن ما يقوم به المستشرقون من أعمال ومحاولات حثيثة، دخولهم المجامع العلمية العربية، وخصوصا المجامع اللغوية، حيث تمكنوا عبرها من الاتصال المباشر بالعلماء والمفكرين من العرب والمسلمين، وتمكنوا أيضا من تمرير ونشر وتسريب الفكر الاستشراقي إلى هذه المؤسسات العلمية، ولعل ضلوعهم في اللغة العربية التي أحيانا تفوقوا بها على العرب أنفسهم، هي العون القوي الذي مكنهم من التغلغل إلى هذا الجسد العلمي الكبير، ونفث السموم الفكرية إلى الفكر العربي والإسلامي.

إن مشاركة المستشرقين في المجامع العلمية العربية لم يكن مقبولا أو مرضيا ، فلقد كانت هناك نقاشات وحوارات حادة تصل أحيانا إلى عدم القبول بالمستشرق، بل وإخراجه من المجامع ورفض مشاركته، ولربما يدلنا ذلك على يقظة القائمين على تلك المجامع بمطامع المستشرقين ونواياهم الخبيثة تجاه العرب والمسلمين، ونذكر من أولئك المستشرقين على سبيل المثال لا الحصر، المستشرق هاملتون جب[2] ن العضو المؤسس في مجمع القاهرة و د.طمسون[3] رئيس المجمع اللبناني العلمي، وهؤلاء نماذج وغيرهم كثير من المستشرقين الذين انتشروا في المجامع العلمية العربية والاسلامية والشرقية عامة.

[1] للتوسع ينظر موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة، علي بن نايف الشحود، دار الفكر، بيروت ، ١٤٢٨هـ، ٦٩/٢٥.

[2] هو هامِلْتُون ألكسندر روسكن جب (ت. ١٣٩١ هـ – ١٩٧١ م) مستشرق بريطاني يعرف اختصارا بـ " H. A. R. Gibb". ولد في مدينة الإسكندرية، من كتبه (إلى أين يسير الإسلام) (لندن ١٩٣٢ م)، و(اتجاهات حديثة في الإسلام) (شيكاجو ١٩٤٧ م) و (المجتمع الإسلامي و الغرب) بالاشتراك مع هارولد بوون ، موسوعة المستشرقين ص١٧٤.

[3] هو د.طمسون، مستشرق أمريكي ترأس المجمع اللبناني العلمي عام ١٨٤٧م، الاستشراق أهدافه ووسائله ص ٥٧.

المطلب السابع

مجالات الاستشراق

تتمتع كلمة الاستشراق بمعنيين، المعنى العام للاستشراق ، والمعنى الخاص :

فالمعنى العام يُراد به البحث في تراث الشرق عامة.

والمعنى الخاص يراد به البحث في تراث الإسلام بشكل خاص.

وفي العادة ،ومن خلال تعاريف الاستشراق ، يقصد به الدراسات الغربية الموجهة للشرق عامة أو للإسلامي بشكل خاص، وبلا شك، فإن الاستشراق ظاهرة ارتبطت بالعلاقات التاريخية الحضارية بين الشرق والغرب منذ كان الصدام بينهما إثر الفتوحات الإسلامية، فحينما انتشر الإسلام بشكل سريع أحس العالم المسيحي بالخطر، وحين فشلت الحروب الصليبية، ازداد الخوف من التيار الإسلامي، فبدأ التفكير في وقف ذلك التيار، والشروع في محاولات تشويه الإسلام والتشكيك فيه بتقديم صورة كريهة عنه، والبدء في عمليات التنصير، ومن هنا ارتبط الاستشراق في بداية تكوينه بالكنيسة ، وبالتحركات الصليبية بشكل عام، واعتبر المستشرقون الأوائل عملهم نوعا من الكفاح ضد العروبة والإسلام، وأصبح المراد بالاستشراق محاربة الإسلام، ولذلك يؤكد المستشرق الألماني رودي باريت Rudi Paret[1] ١٩٠١ –١٩٨٢م أن الهدف الرئيس من جهود المستشرقين في القرن الثاني عشر الميلادي وفي القرون التالية هو التنصير، وعرَّفه بأنه إقناع المسلمين بلغتهم ببطلان الإسلام، واجتذابهم إلى النصرانية.[2]

ومع حلول العصور الحديثة ، انتقلت الحركة الاستشراقية إلى مرحلة أعلى وهي الارتباط بالأمور السياسية والاقتصادية الاستعمارية ، وهكذا امتدت ظاهرة الاستشراق وأخذت أبعادا وخلفيات كبيرة، في المعاهد والجامعات الغربية، وهي وإن تأثرت بالدراسات اللاهوتية في

---

[1] رودي بارت، مستشرق ألماني درس في جامعة توبنجن اللغات السامية والتركية والفارسية في الفترة من ١٩٢٠م حتى ١٩٢٤م وتخرج على يد المستشرق الألماني ليتمان.امضى سنتين في القاهرة (١٩٢٥-١٩٢٦)، كان اهتمامه في البداية بالأدب الشعبي ولكنه تحول إلى الاهتمام باللغة العربية والدراسات الإسلامية وبخاصة القرآن الكريم، موسوعة المستشرقين ص ٦٢.

[2] ينظر الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية ، المستشرقون الألمان منذ نولدكه ، رودي بارت ١٩٠١ – ١٩٨٢م ، ترجمة مصطفى ماهر ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة ، ١٩٦٧م ، ص ١١ .

مراحلها الأولى، فإن ضغوط الكنيسة بدأت تتقلص وتحل محلها الإديولوجيات الحديثة ، وبدأت الدراسات الاستشراقية تتأثر بالمعارف التقنية المستحدثة ، ومن هنا عرف الاستشراق تحولات ومنجزات في حقول المعرفة عامة، وفي حقول المعارف الإسلامية خاصة، و أثبتت الظاهرة الاستشراقية فاعليتها وحضورها المعرفي في أكثر البلدان الأوربية، وأصبح الاستشراق مادة علمية ممثلة بكرسي علمي استشراقي في كل جامعة. ولذلك أصبح للاستشراق مجالات متعددة نحو الشرق الإسلامي، وخصوصا فيما يتعلق بالدراسات الإسلامية، ومن هذه المجالات ما يلي:

أولا: القرآن الكريم.

القرآن محط أنظار المستشرقين عموما، لأنه مصدر القوة في حياة المسلمين، وهو منبع الرؤية في حضارة الإسلام، فهو الموجه لحركة الحياة عند المسلمين، ولمناحي التفكير لديهم، وهو الأصل الأول في معرفة حقيقة الإسلام، وهو الذي يُحدد علاقة الإسلام بالديانات السابقة، إذ هيمن على الكتب السابقة، واستصفى مقاصدها في رسالات السماء إلى أهل الأرض، وكما كان موقف كفار قريش من القرآن الكريم، واعتبروه تارة شعرا ، وتارة سحراً وكهانة وأساطير الأولين ، وكما رموا صاحب الرسالة عليه الصلاة والسلام بالافتراء والكذب وبالجنون ، وبحثوا له عن مصدر في الأرض، كانت جهود الاستشراق لا تخرج عن هذه التوجهات والتوجيهات التي استفاد منها كثير من العلمانيين في عالمنا العربي طيلة القرن العشرين، وما يزال بعضهم تشكل لديه منطلقات فكرية و" منهجية " . وباختصار ظل مشركو مكة والمستشرقون، ومن تتبعهم من أهل الإلحاد يعتبرون القرآن من تأليف النبيﷺ ،والملاحظ أن العداء التاريخي للإسلام ظل مترسبا في العقول ، وأن نيرانه ظلت متقدة إلى اليوم ، وسعت جهود الاستشراق في معالجتها لموضوع القرآن أن تطمس مقولة الوحي فيه ، وأن تُثبت بشريته ليتسنى لها أن تُطفئ نوره بين سكان المعمور، ولم يتحقق شيء من ذلك.

ولقد اعتنت المدرسة الألمانية بدراسة وترجمة القرآن لأمرين هامين :

أولهما: أن البحوث الألمانية تحتل دور القيادة في التخصص في الدراسات الإسلامية في البلاد الغربية ، إذ حققت جهودهم تأثيرا واسعا في جل البحوث اللاحقة في الدراسات الاستشراقية ، وعلى امتداد تاريخ الاستشراق المعاصر .

ثانيهما: أصبحت تلك البحوث مرجعا وعمدة في كل ما يتعلق بشؤون القرآن، توثيقا وتأريخا

ومعرفة بعلومه .[1]

ولقد برزت بعض القيادات الاستشراقية الألمانية التي بذلت وقتا وجهدا كبيرا لدراسة القرآن الكريم وترجمة معانيه إلى اللغة الألمانية، وأصبح لهذه القيادات الاستشراقية شهرة كبيرة لا في الأوساط الألمانية فحسب بل في العالم كله، وعلى وجه الخصوص في أوربا، ومن هؤلاء المشاهير، المستشرق تيودور نولدكة[2] (١٨٣٦ – ١٩٣١)، الذي تناول أصل القرآن وتركيب سوره ، وهو في سن العشرين، وكان له أطروحة بعنوان " تاريخ النص القرآني " قدمها سنة ١٨٥٨م، حيث تناول فيها " أصل القرآن وترتيب سوره " ، ولما أعلنت أكاديمية باريس عن جائزة ، لبحث يكتب في موضوع القرآن ، رحل في طلب المزيد من المصادر لرسالته ، وتوسع فيها ، ثم أرسل مساهمته بعنوان " تاريخ القرآن " إلى مسابقة تلك الأكاديمية (مجمع الكتابات والآداب في باريس) ، فنال الجائزة سنة١٨٥٨م ، وبعد أن أعاد نولدكة النظر في تلك الرسالة ، ترجمها إلى الألمانية ، ونشرها بعنوان : " تاريخ النص القرآني " سنة ١٩٦٠م . وقد كان له تأثير عجيب في فكر بعض المستشرقين الذين كان بعضهم تلاميذا له ساهموا كثيرا في إخراج بعض مجلدات كتابه" تاريخ النص القرآن " ، الذي كان عبارة عن عرض تاريخي مفصل لكل ما يتصل بالقرآن منذ نزول الوحي حتى آخر طبعة ظهرت في القرن التاسع عشر ،حيث خصص الجزء الأول للسور المكية والمدنية ، وتطبيقاً للمنهج التاريخي تابع نولدكه تقسيمه للسور زمنيا إلى ثلاث فترات مكية وفترة مدنية (وهو تقسيم لقي استحسان كثير من الباحثين) ، كما حدَّد في هذا الجزء مميزات السور المكية والمدنية ،من حيث الأسلوب والمضمون ، أما الجزء الثالث فقد خصصه لمعالجة تاريخ القرآن ، وبذلك أعاد نولدكه ترتيب القرآن زمنيا على الطريقة التي يريدها وينتهجها ، فأصبح الترتيب الذي انتهجه نولدكه يشغل أذهان المستشرقين

---

[1] للتوسع ينظر المستشرقون ، نجيب العقيقي ، ١٢٤/١ و الموسوعة الميسرة ، إشراف مُحَّد شفيق غربال ، مؤسسة فركلين للطباعة والنشر، القاهرة ، ١٩٦٥م ، مادة قرآن.

[2] هو أحد أقطاب الاستشراق الألماني، ولد في هاربورغ سنة ١٨٣٦ في أسرة شغل أفرادُها مناصب علمية وإدارية، وحصيلة جهوده في مجال دراسة النص القرآني، أصبحت عمدةً ومنطلقاً للدراسات القرآنية في أوربا، وأصبحت تنبني عليها أخطر النتائج في مجالات الدراسات الإسلامية، فقد كان أكبر متخصص في علوم القرآن في أوربا كلها، يُنظر موسوعة المستشرقين ، د. أحمد بدوي ، ص ٤١٧ – ٤١٨ .

جميعاً ، ويُعلقون عليه أخطر النتائج في عالم الدراسات القرآنية.[1]

ويتضح مما سبق أن البحث في تاريخ القرآن هو بحث في توثيق النص القرآني ، ملابسات نزوله ، جمعه وتدوينه ، قراءاته ، والغاية ربطه بمناخه العام ، لإثبات بشريته، ويعتبر هذا الكتاب أخطر كتاب أنتجه الغرب في تاريخه مع تعامله مع النص القرآني ، ويكفي هذا الكتاب شهرة ومكانه أنه أصبح عمدة في فرع تخصص " القرآن " ، وأنه أصبح ملاذا للمستشرقين ممن يريدون نقد القرآن أو التشكيك فيه ، وعلى من يريد الاشتغال علميا بالقرآن على أي نحو من الأنحاء، وذكر د. ميشال جحا أنه أصبح راسخ القدم في العلوم القرآنية ، وأنه وضع أسس البحث العلمي للدراسات القرآنية التي جاءت من بعده، وكتاب نولدكه يعتبره أبو عبد الله الزنجاني في كتابه " تاريخ القرآن " من أهم ما ألفه الإفرنج في تاريخ القرآن ، إذ بحث فيه صاحبه بتضلع عميق ، وحاول أن يكون موضوعيا بقدر الإمكان ، وقد تناول البحث حقيقة الوحي والنبوة وما بينهما من علاقة ، وحاول ربط السيرة النبوية بتاريخ السور المكية والمدنية ، كما تناول حكمة نزول القرآن وأسباب نزول الآيات وغيرها من الموضوعات.[2]

ولم يكتف نولدكه بدراسة القرآن الكريم فحسب، بل اضطلع إلى دراسة اللغة العربية والشعر و السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، وله في كلٍ مساهمات كبيرة بما يخدم مصلحته لفهم القرآن والنقض فيه وإثبات بشريته وأنه ليس وحيا منزل من الله تعالى.

ومن يقرأ لنولدكه حول توثيق النص القرآني ، يلاحظ أن موقفه لا يخلو من تناقض واضطراب ، فهو قد لمح إلى وجود التحريف في القرآن في كتابه " تاريخ النص القرآني " ؛ وذلك حين كتب فصلا بعنوان : " الوحي الذي نزل على مُحَّد ولم يُحفَظ في القرآن " ، ثم نجده يًصرح بالتحريف في مادة " قرآن " بدائرة المعارف الإسلامية ، حين يقول : " إنه مما لا شك فيه أن هناك فقرات في القرآن ضاعت " ، وفي مادة " قرآن " في دائرة المعارف البريطانية يُقرر مسألة التحريف في القرآن فيقول : " إن القرآن غير كامل الأجزاء " ، وتناقض نولدكه يبدو في موقفه من المستشرق الألماني " فلّرس "[3] الذي زعم أن القرآن مؤلف بلهجة قريش ، وأنه

[1] ينظر مباحث في علوم القرآن، د. صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٧م،ص ١٧٧و المستشرقون والدراسات القرآنية، د. مُحَّد حسين الصغير، دار المؤرخ العربي، بيروت، ١٩٠٠م، ص ٨٨.

[2] ينظر الدراسات العربية الإسلامية في أوربا، ميشال جحا، معهد الإنماء العربي، بيروت، ١٩٨٢م، ص١٩٨.

[3] كارل فلّرسKarl Vollers 1273 - 1327 هـ ، ١٨٥٧ – ١٩٠٩ م هو مستشرق ألماني، تولى إدارة المكتبة

عُدِّل حسب أصول اللغة الفصحى في عصر ازدهار الحضارة العربية ، فانبرى إليه نولدكه يرد عليه موضحا أن كلامه عارٍ من الصحة والتحقيق العلميين، ويبدو أن نولدكه أسهم بشكل قوي في ترسيخ مسألة التحريف في الفكر الاستشراقي ، فقد فتح الطريق أمام تحريف القرآن الكريم.

ويجد الباحث أصداء تلك الدعوى في أعمال المستشرقين ، ومن خلالها انتقلت إلى أذهان كثير من الأوربيين . ويتضح فيما كتبه المستشرق "بول "[1] في دائرة المعارف الإسلامية الألمانية (مادة " تحريف) . وقد اعتبر " بول " التحريف تغييرا مباشرا لصيغة مكتوبة ، وأن الأمر الذي حدا بالمسلمين إلى الاشتغال بهذه الفكرة هو ما جاء بالقرآن من آيات اتهم فيها مُحَمَّد ﷺ اليهود بتغيير ما أنزل إليهم من كتب ، وبخاصة التوراة . ولكن عرضه للوقائع والشرائع التي جاءت في التوراة انطوى على إدراك خاطئ أثار عليه النقد والسخرية من جانب اليهود ، فكان في نظرهم مبطلا.[2]

ومما يَغمِزُ به نولدكه دقة النص القرآني ، ادعاؤه الغريب أن أوائل السور دخيلة على هذا النص ، ففي الطبعة الأولى في كتابه[3]" تاريخ القرآن " بالاشتراك مع شافلي ، تظهر- لأول مرة فكرة في تاريخ الدراسات القرآنية - فكرة لا ترى في أوائل السور إلا حروفا أولى أو أخيرة مأخوذة من أسماء بعض الصحابة الذين كانت عندهم نُسَخ من سور قرآنية معينة . فالسين من سعد بن أبي وقاص ، والميم من المغيرة ، والنون من عثمان بن عفان ، والهاء من أبي هريرة ، وهكذا . فهي- عنده — إشارات لمن كانوا يملكون تلك الصحف ، وقد تُركت في مواضعها سهواً ، وبمضي الزمان أُلحقت بالقرآن ، ويبدو أن نولدكه شعر بخطأ فكرته فرجع عنها ، وأن شافلي أهملها وأغفل ذكرها فيما بعد في الطبعة الثانية ، لكن المستشرقين " بُهُل " و"

=الخديوية لمدة، ودرَس في جامعة جينا jena،كتب عدة كتب عن العربية بالألمانية، منها (العربية العاميّة عند قدماء العرب) و(المخطوطات الشرقية التي بمكتبة ليبسيك)، أنظر الأعلام للزركلي ٢١٢/٥.

[1] بولْ كرَاوْس (١٩٠٤ – ١٩٤٤ م)، هو مستعرب يهودي، درس اللغات الشرقية بجامعتي براك وبرلين، له (رسالة في تاريخ الأفكار العلمية في الإسلام) ثلاثة أجزاء ، و(رسالة في فهرست كتب مُحَمَّد بن زكريا الرازي لأبي الريحان البيروني)،مات منتحراً، موسوعة المستشرقين ص٤٦٤.

[2] ينظر المستشرقون والدراسات القرآنية ص٣٠ وأنظر دائرة المعارف الإسلامية ، نخبة من العلماء، مركز الشارقة للإبداع الفكري، الشارقة ١٩٩٨م، مادة تحريف .

هرسفيلد" قد تحمَّسا لها من جديد وتبَنَّيَها مُتغافليْن عن مدى بُعدها عن المنطق السليم.[1]

وفي الجانب القصصي للقرآن الكريم نجد نولدكه يدس السم في العسل، فيُبدي إعجابَه بالإعجاز البياني للقرآن ، ونجده دقيقا وعميقا ، يأخذك الإعجاب بموضوعيته ومنهجيته ، واطلاعه الواسع ، ثم سرعان ما يتغيَّر، فيسعى إلى التدليس والتجريح، والقارئ له في غمرة الإعجاب، وتتبدى للقارئ بضاعته في تذوق أساليب القرآن، ومن هنا يطفوا الدخن والسم الاستشراقي الدفين في خلجاته على السطح، وتتكشف المنهجية والموضوعية، التي سرعان ما تتهاوى وتتساقط أمام الحقد والعداوة للإسلام وأهله، ينقل الأستاذ أنيس المقدسي[2] " قول نولدكه أن في قصص القرآن انقطاعا وبترا يفسدان ترتيب الأخبار وتسلسلها، ويعرضها إلى الغموض، وهو موقف نابع من تشبع وجدانه بأسلوب القصة في التوراة، ونابع من جهله بخصوصيات القصة القرآنية، وتناغم أسلوب الوحي مع مقاصد السماء والأرض"[3]، وقد قام أنيس المقدسي بمراجعة أقوال نولدكه وانتقادها ومن ثم قام بالرد عليها، قائلا" ولا يجوز مقابلة هذا الأسلوب بأسلوب القصة في التوراة لاختلاف الغرض فيهما، ففي التوراة عدا أسفار الأنبياء والأمثال والأناشيد الروحية، حوادث تاريخية منظمة تجري الأخبار مجراها الواضح العادي، أما القرآن فإنه يشير إلى الحوادث التاريخية بوثبات ومجملات روحية خطابية لا يقصد بها تسلسل الخبر، بل يقصد بها إلى التذكير والتهويل، ولذلك ترد مرارا بحسب ما يقتضيه الكلام، وكثيرا ما ترد على سبيل الإشارة والتلميح، والنسق الخطابي يقتضي التكرار كما هو معروف ".[4]

ولم يكتف المستشرق نولدكه بما سبق من النقد والتجريح لقصص الكتاب العزيز ،بل تمادى به الأمر لأن ينتقد اضطراب الأسلوب القصصي في القرآن، متمثلا ذلك الانتقاد في تكرير بعض الألفاظ والعبارات تكريرا لا مسوغ له في رأيه، وأشار إلى كثرة انتقال القرآن في خطاباته من صيغة إلى أخرى، ومن حال إلى حال، فمن غيبة إلى خطاب، ومن ظاهر إلى

---

[1] ينظر نظرات استشراقية في الإسلام ، محمد غلاب ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، ١٩٦٧م، ص ٤٢ .

[2] أنيس الخوري المقدسي، كاتب وشاعر وباحث لبناني، مارس التدريس في جامعة بيروت الاميركية، حقق ديوان ابن الساعاتي، من مؤلفاته (تطور الاساليب النثرية في الأدب العربي ، و أمراء الشعر في العصر العباسي ،والاتجاهات الادبية في العالم العربي الحديث، الأعلام للزركلي ٢٩/٢.

[3] تطور الاساليب النثرية في الأدب العربي، أنيس المقدسي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٧٤م، ص ٦١.

[4] المرجع السابق، ص ٦١.

مضمر، وبالعكس، واعتبر ذلك مجالا للتجريح، والحق أن للرجل ثغرات تبعد صاحبها عن التمعن والتدقيق وروح الإنصاف وتجعله متطرفا ومرده في هذا ، إلى عدم تمرسه بضروب البلاغة العربية، ولعل في آرائه مزيجا بين الهراء والدس الذي لا يحمد عليه اسم مثله، ومتى كان العالم جانبيا في التفكير، أو هامشيا في التعليق، أو سطحيا في الاستنتاج، أخذت عليه هذه المآخذ الفجة .[1]

ويتضح لنا مما سبق، ما بذله المستشرقون ، وعلى رأسهم المستشرق الألماني نولدكه، حول مجال القرآن الكريم، أنه على الرغم مما بذلوه من الجهود المضنية لنقد كتاب الله العزيز والتشيك فيه وفيما جاء به من التشريع العظيم والطعن في كونه كلام الله تعالى الموحى به إلى رسوله عليه الصلاة والسلام، إلا أن هذه الجهود الاستشراقية تضاءلت واضمحلت وتهاوت أمام إعجاز وبلاغة القرآن الكريم ، فقد أضاع المستشرقون المفاتيح البيانية للدخول إلى رحاب القرآن العظيم يوم قالوا ببشريته ، مما أنساهم قدس الوحي وربانيته ، فراحوا يبحثون في سيرة الرسول الكريم لعلهم يعثرون عن مصدر للقرآن .

إن الجهود الاستشراقية، وعلى رأسها مدرسة نولدكه،لم تخرج عن الأطر المعرفية للاستشراق ، فهي بدورها أنكرت سماوية القرآن ونبوة الرسولﷺ، فما هو الجديد عند نولدكه أو غيره من المستشرقين ؟ قيل هو المنهج الذي صار قدوة للمعجبين الذي جعلوه ملكا علميا مشاعا بينهم ، بل هو المنهج الذي يقود ويذكر بما قاله مشركو قريش منذ قرون حين نزوله من الله تبارك وتعالى . ولذلك كانت شهادة د. ميشال جحا من أن نولدكه " حاول في كل ما كتب أن يكون مثال العالم المتجرد العقلاني ، فلم يتجن في أبحاثه على الإسلام ، ولم يحاول أن يدَّعيَ معرفة أشياء لم يكن يعرفها ، ولهذا جاءت آراؤه واضحة جلية وخاضعة لصفة التجرد بعيدة عن الهوى والتضليل ، شهادة منقوضة وبعيدة عن الحقيقة، إذ أن نولدكه وغيره من المستشرقين قد جانبهم الإنصاف في دراساتهم للتراث الإسلامي وعلى ذروته كتاب الله عز وجل، إذ لم يكن هدفهم سوى الهدم والنقض والإقصاء لدين الله وكل ما يتصل به من العلوم والمعارف، .

والذي ينبغي على أمة الإسلام ألا تنخدع ببريق المنهج الاستشراقي ، إن أهداف معاشر

---

[1] ينظر المستشرقون والدراسات القرآنية " ص٣١.

المستشرقين، هي نسف النص من أساسه وإشاعة الشك في توثيقه ، وبالتالي تشكيك شعوب الأرض – ومن بينهم المسلمون – بحقيقة الوحي، وهي حقيقة تعذَّر على العالم الغربي أن يُقر بها فحاول أن ينسف علاقة القرآن بالسماء ، لأن الفكر الغربي مشدود إلى المادة ، وكتاب " تاريخ النص القرآني " على ما يدعيه له بعضهم من دقة وموضوعية ومنهجية ، فإنه من تلك الجهود التي طمست حقيقة الوحي في الذهنية الغربية ، فلم يستطع أن يتمثل حقيقة الوحي الالهي فظل مشدودا إلى الأرض يبحث عن مصدر للقرآن فيها، وقد أشاعت كتبه ومقالاته داخل دوائر المعارف أوهما تشكك غير المسلمين وبعض المسلمين في حقيقة الوحي .

وخطورة المدرسة الألمانية في مجال الدراسات القرآنية أن نتائجها تسربت إلى دوائر المعارف بلغات العالم ، وأسهمت في طمس حقيقة الإسلام في قلوب كثير من الخلائق ، في العالم الغربي خاصة ، وتحاملت على الوحي لنفي ألوهيته وإشاعة بشريته .

وحقيقة الوحي حُجبت عن عقول المستشرقين نتيجة عوامل أهمها :

١) تعصب ديني أعمى كثيراً من العقول ، وكان ذلك من نتائجه نزعة لاهوتية حاقدة على الإسلام والشرق .

٢) النزعة الاستعلائية ترى حضارة العرب بركة صغيرة بلغها شيء من الماء من نهر اليونان العظيم الخالد .

٣) شيوع عقلانية شدت أنظار المستشرقين إلى العوامل المادية، الإيمان بالماديات فقط .

٤) علمانية تتعقلن في دهريتها ،وتستبعد الألوهية ، وتعتبر منتهاها في دنياها .

٥) إمبريالية تريد أن تُعربد بأموال غيرها ، وأن تفرض غرورها على المستضعفين في الأرض .

يقول الإمام الغزالي : " إن الاستشراق كهانة جديدة تلبس مسوح العلم والرهبانية في البحث ، وهي أبعد ما تكون عن بيئة العلم والتجرد ، وجمهرة المستشرقين مستأجرون لإهانة الإسلام وتشويه محاسنه والافتراء عليه ".[1]

ثانيا: السنة النبوية.

يعلم المستشرقون يقينا مدى أهمية السنة النبوية في دين الله عز وجل، بل وأهميتها البالغة في نفوس أمة الإسلام، فهي المصدر الثاني للتشريع، وهي المفسرة لكتاب الله عز وجل، كما أنهم

[1] دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين ، مُحَّد الغزالي ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة ، ١٩٦٥م ، ص١٩ – ٢٠ .

يعلمون أن النيل منها والتشكيك في مصداقيتها هو تشكيك في القرآن الكريم ، ولذلك عمدوا إلى دراستها بهدف النقض فيها والتشكيك في مصدرها، والقدح في رواياتها بل وفي رواتها وأسانيدها، يقول المبشر الأمريكي (جب)[١] : "إن الإسلام مبنى على الأحاديث أكثر مما هو مبنى على القرآن الكريم، ولكننا إذا حذفنا الأحاديث الكاذبة لم يبق من الإسلام شيء، وصار شبه صبيرة طومسون، وطومسون هذا رجل أمريكي، جاء إلى لبنان فقدمت له صبيرة[٢] فحاول أن ينقيها من البذر، فلما نقى منها كل بذرها لم يبق في يده منها شيء".[٣]

والمستشرقون يسيرون في محاربة السنة، والتشكيك في صحتها على درب المستشرق "جولد تسيهر" في موقفه من السنة ويرددون شبهاته واعتبروا أنفسهم مدينين له فيما كتبه من شبهات حول السنة الشريفة ، يقول عنه كاتب مادة (الحديث) في دائرة المعارف الإسلامية ، "إن العلم مدين دينا كبيرا لما كتبه (جولد تسيهر) في موضوع الحديث، وقد كان تأثير "جولد تسيهر" على مسار الدراسات الإسلامية الاستشراقية أعظم مما كان لأي من معاصريه من المستشرقين فقد حدد تحديداً حاسماً اتجاه وتطور البحث في هذه الدراسات".[٤]

ومن هنا كان الرد على هذا الخبيث ردا على عصابة المستشرقين إجمالا فيما أثاروه من شبهات وطعون حول السنة النبوية المطهرة .

ولما عجز أعداء الإسلام من المستشرقين والمبشرين في الماضي والحاضر، في التحريف والعبث بالقرآن الكريم، غيرو مسارهم إلى السنة النبوية واتخذوا للوصول إلى غايتهم الدنيئة أساليب متعددة، فأخذوا بالطعون والتجريح ونفخوا فيها، وزادوا ما شاء لهم هواهم أن يزيدوا، وقد وجهوا شبهاتهم حول مفهوم السنة وتدوينها، وجهالاتهم حول السند والمتن، ولذلك كان لزاما على الغيورين على شريعة اللهن وخصوصا فيما يتصل بالكتاب والسنة، مواجهة هذا المد الاستشراقي الخبيث والمملوء بالسموم والآفات الفكرية، مواجهة جادة، وِفق أصول التحديث

---

[١] سبقت الترجمة له ص ٥١.

[٢] قيل الصبيرة مايوضع عليه الطعام من الخبز الرقيق، ينظر قاموس المعاني مادة صبير.

[٣] التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، ص ٩٨.

[٤] دائرة المعارف الإسلامية ص٢٣١، وانظر : الاستشراق للدكتور محمود حمدي زقزوق ص١٢٢، ١٢٣.

رواية ودراية، لرد هذه الشبهات، وبيان تهافت تلك المفتريات، ومواجه هذه الأباطيل بعوامل البناء، لدحض معاول الهدم والفناء.

إن هؤلاء المستشرقين الذين يبثون الشكوك حول السنة الشريفة ورواياتها وأسانيدها، يتذرعون- أحياناً- بما دخل على الحديث من وضع ودس، متجاهلين تلك الجهود التي بذلها علماؤنا لتنقية الحديث الصحيح من غيره، مستندين إلى قواعد بالغة الدقة في التثبت والتحري، مما لم يعهد عشر معشاره في التأكد من صحة الكتب المقدسة عندهم، وهذا ملاحظ ومشاهد في مؤلفات وصحاح السنة المطهرة، والذي حملهم على البغي والتجني على تراث رسول الله ﷺ هو ما رأوه في الحديث النبوي الذي اعتمده علماؤنا من ثروة فكرية وتشريعية مدهشة، وهم لا يعتقدون بنبوَّة خاتم النبيّين عليه الصلاة والسلام، فادعوا أن هذا لا يعقل أن يصدر كله عن النبي الأمي، بل هو عمل المسلمين خلال القرون الثلاثة الأولى، فالعقدة النفسية عندهم هي عدم تصديقهم بنبوة مُحَمَّد ﷺ ومنها تنبعث كل تخبطاتهم ومفترياتهم وجهالاتهم.

ولقد أثار المستشرقون الكثير من الشبهات حول مفهوم السنة والحديث، وليس هذا مقام البسط لها وذلك لمجافاتها لمسار البحث، وإنما تكفي الإشارة إلى بيان تعديهم وجنايتهم على سنة رسول الله ﷺ ، ولم يكتف المستشرقون عند حد شبهاتهم حول المفهوم والتدوين، وإنما تعدوا ذلك إلى الطعون في السنة، وتنوعت أساليبهم في ذلك حول السند والمتن ، مما يستدعي الدعاة إلى الله ممن يملكون أدوات الرد ، إلى بيان جهالاتهم والرد على شبهاتهم حول أكاذيبهم على سنة رسول الله ﷺ.[1]

ثالثا: اللغة العربية وآدابها

لم يقف حد اهتمامات المستشرقين عند القرآن الكريم والسنة النبوية، بل تعدى ذلك إلى اللغة العربية وآدابها، التي هي لغة القرآن العظيم ومرتكز السنة الشريفة، وذلك لأن اللغة العربية هي المدخل الحيوي لهم للنقض والتشكيك والتجريح والتزييف في القرآن والسنة والسيرة بل وفي التاريخ الإسلامي، والتاريخ الاستشراقي مليء بالأمثلة الحية والشاهدة على ذلك، ومنها على

---

[1] وللتوسع يُنظر المستشرقون والسنة، د. سعد المرصفي، مكتبة المنار الإسلامية، ومؤسسة الريَّان، بيروت،١٩٩٤م.

سبيل الاستلال لا الحصر ذلك المستشرق "هاملتون جب"، وكذلك المستشرق "ماسينيون"[1]، والمستشرق "سلفستر دي ساسي"[2]، الذي أسس "مدرسة اللغات الشرقية الحية" في باريس، وكانت "قبلة" المستشرقين في ذلك الزمن، ومن خلال اهتمام المستشرقين باللغة العربية وآدابها نادى بعضهم بالاهتمام باللهجات المحلية، وما يسمى بالفلكلور حتى إنهم أقنعوا كثيرا من الطلاب العرب والمسلمين بإعداد رسائل الماجستير والدكتوراه حول اللهجات المحلية والفلكلور، ودعا بعض المستشرقين أيضا إلى العامية، ووضع قواعد خاصة بها، بحجة صعوبة اللغة الفصحى، أو أنها قديمة، أو كلاسيكية غير صالحة في الوقت الحاضر، بل إن بعض المستشرقين نادوا بكتابة اللغة العربية بالأحرف اللاتينية.

إن الاهتمام بالأدب العربي الحديث قد ازداد على مرِ السنين، فهناك أكثر من دورية تصدر في الولايات المتحدة الأمريكية وفي أوروبا، تتخصص في الأدب العربي أو الدراسات العربية، فعلى سبيل المثال (المجلة الدورية للدراسات العربية Arab Studies Quarterly، ومجلة المختار في دراسات الشرق الأوسط Digest of Middle East Studies التي بدأتْ في الصدور منذ ست سنوات، ومجلة آداب الشرق الأوسط (أدبيات) (Middle East Literature(Literary Articles)، التي تتعاون في إصدارها جامعة "أكسفورد" البريطانية، وجامعة "داكوتا" الشمالية بالولايات المتحدة الأمريكية، والتي بدأت في الصدور منذ عام ١٩٩٦م، ومن القضايا التي اهتم بها الاستشراق استخدامُ اللغة الفصحى في الإبداع الأدبي، سواء كانت قصة، أم رواية، أم مسرحية، وقد جعلوا هذه القضية من القضايا التي أولوها اهتماما كبيرا، وقد ناقش "أحمد سمايلوفيتش" هذه القضية في كتابه، (فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي الحديث)، وأكد أنها من أخطر الهجمات التي تعرضت لها اللغة العربية، ونقل عن "عثمان أمين" قوله: "إن حملات التغريب شنها النفوذ الغربي وأعوانه في آسيا وإفريقيا، مصوبا هجماته إلى التراث العربي الإسلامي بوجه عام، وإلى اللغة العربية بوجه خاص".[3]

---

[1] لويس ماسينيون Louis Massignon ١٨٨٣م-١٩٦٢م من أكبر مستشرقي فرنسا وأشهرهم،وقد شغل عدة مناصب مهمة كمستشار وزارة المستعمرات الفرنسية في شئون شمال أفريقيا، وكذلك الراعي الروحي للجمعيات التبشيرية الفرنسية في مصر، ينظر الموسوعة الحرة ويكيبيديا.

[2] سبقت ترجمته ص ٤٩.

[3] فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، ص٦٦٨.

ومن هنا يتبين لنا مدى ما تعرضت له اللغة العربية من قبل الحملة الاستشراقية الشرسة، للقضاء على أصالتها وعلاقتها الوطيدة بالقرآن الكريم والسنة الشريفة، ومن ثم إحياء العامية في حياة الناس ونشرها في ميادين العلم، وذلك للقضاء على الفصحى، ومما يؤكد ذلك توجيه الطلاب العرب والمسلمين إلى كتابة وتأليف رسائل الماجستير والدكتوراه في العامية واللهجات المحلية، ومن هنا يتسنى للمستشرقين التشويش على الناس والتشكيك في محتوى الكتاب والسنة، ولعل توجه كثير من المسلمين اليوم إلى استخدام العامية في التعليم والمراسلات والشعر والكلام المباشر برهان واضح على التخلي عن اللغة العربية واستخدامها في الحياة العامة.

رابعا: الفقه الإسلامي.

الفقه الإسلامي كغيره من المجالات الاستشراقية التي نفث المستشرقون سمومهم في كل ما يتصل بدين الإسلام وتراثه الخالد، فأعملوا دراساتهم في الفقه الإسلامي من ناحية أحكام الشريعة الإسلامية ومصادرها، وتطور الدراسات الفقهية عند المسلمين، لعلمهم أن دراسة الفقه الإسلامي تعطيهم الفرصة لفهم أعمق للمجتمعات الإسلامية قديما وحديثا، وفي دراستهم للفقه الإسلامي، يسلطون الضوء على فهم الأحكام الإسلامية في العبادات والمعاملات في التشريعات الاجتماعية، وفي الفكر السياسي وغيرها من جوانب الدين، وقد حاولوا جهدهم من خلال هذه الدراسات التأثير في حياة الأمة الإسلامية، بالزعم بعدم أصالة الفقه الإسلامي، وأنه مأخوذ من التشريعات الرومانية، والفارسية، والهندية، وغيرها، ثم زعموا باطلا تطور التشريعات الإسلامية، ليصلوا من ذلك إلى أن يستمر المسلمون في تطوير وتحديث وتجديد هذه التشريعات تمهيدا للأخذ من التشريعات والأنظمة والقوانين الأوروبية الحديثة.

ولعل من أبرز من كتب في هذا المجال من الفقه الإسلامي من المستشرقين المستشرق، "جوزيف شاخت"[١] ١٩٠٢ – ١٩٧٠، ومن المعروف أن (جوزيف شاخت) حاول أن يأتِي بنظرية جديدة حول أسس الفقه الإسلامي، ونشر لبيانِها عدة كتب ومقالات بالإنجليزية، والفرنسية، والألمانية، ووضع كتاب (المدخل إلى الفقه الإسلامي) لهذا الغرض، وإن كان كتابُه: (أصول الشريعة المحمدية) يعد من أشهر مؤلفاته على الإطلاق، كما عبَّر عنه المستشرق

---

[١] سبقت ترجمته ص ٣٠.

"جب" بأنه (سيصبح أساسا في المستقبل لكل دراسة عن حضارة الإسلام وشريعته، على الأقل في العالم الغربي)، وقد أثرت نظريات (شاخت) تأثيرا بالغًا على جميع المستشرقين تقريبًا، مثل، (أندرسون)، و(روبسون)، و(فيتزجرالد)، و(كولسون)، و(بوزورث)، كما أن لهذه النظريات تأثيرا عميقا على من تثقفوا بالثقافات الغربية من المسلمين.

يقول د. مُحَّد مصطفى الأعظمي " إن كتاب شاخت يحاول أن يقلع جذور الشريعة الإسلامية، ويقضي على تاريخ التشريع الإسلامي قضاء تاما، فهو يزعم أنه "في الجزء الأكبر من القرن الأول لم يكن للفقه الإسلامي – في معناه الاصطلاحي – وجود كما كان في عهد النبي، والقانون – أي الشريعة – من حيث هي هكذا كانت تقع خارج عن نطاق الدين، وما لم يكن هناك اعتراض ديني أو معنوي روحي على تعامل خاص في السلوك، فقد كانت مسألة القانون تمثل عملية لامبالاة بالنسبة للمسلمين، حيث صرَّح "شاخت" بأنه (من الصعوبة اعتبار حديث ما من الأحاديث الفقهية صحيحا بالنسبة إلى النبي).[1]

ولقد حظيت مقولة شاخت تلك بصدى واسعا لدى الكثير من المتغربين في بلاد المسلمين، وأسست أفكار ومقولات يرددونها عبر ما يجدون من وسائل الإعلام المسموعة والمقروءة والمرئية، فتعرضت السنة الشريفة والفقه الإسلامي إلى اتهامات ظالمة، وهجوم سافر ، وكأن الفقه لا علاقة له بالكتاب والسنة، وقد قام د. عماد الدين خليل[2] من خلال بحثه المقارن –المستشرقون والسيرة النبوية، بحث مقارن في منهج المستشرق البريطاني المعاصر "مونتجمري وات"[3]، حيث بدأ بعدة ملاحظات أساسية، اعتبرها بمثابة المدخل المنهجي لمناقشة المستشرق "وات"، وهي تمثل منطلقات موضوعية لتقويم الدراسات في حقل السيرة الشريفة، إذ يؤكد "أن الدين، والغيب، والروح، لهي عصب السيرة وسداها ولحمتها، وليس

---

[1] يُنظر مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية، مُحَّد مصطفى الأعظمي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٥٨م ، ٦١/١-١١٠.

[2] عماد الدين خليل (ولد ١٣٥٨ هـ – ١٩٣٩ م) هو مؤرخ ومفكر، من أهل الموصل، ولد عماد الدين خليل الطالب في الموصل سنة ١٣٥٨ هـ – ١٩٣٩ م (وقيل سنة ١٩٤١ م)، أنظر الموسوعة الحرة ويكيبيدياwikipedia.org الدخول الساعة الواحدة ليلا من يوم السبت ١٤٣٤/٩/١٤هـ، و عماد الدين زنكي،د. عماد الدين خليل، مؤسسة الرسالة، بيروت ، ١٩٧٢ م، ص ١٠.

[3] هو وليام مونتغمري واط –١٤ مارس ١٩٠٩ – ٢٤ أكتوبر ٢٠٠٦– كان مستشرقا بريطانيا عمل أستاذا للغة العربية و الدراسات الإسلامية والتاريخ الإسلامي بجامعة إدنبرة في أدنبرة، إسكتلندا، ومن أشهر كتبه كتاب مُحَّد في مكة ١٩٥٣ وكتاب مُحَّد في المدينة ١٩٥٦، في جامعة إدنبرة كان زميله في الدراسة المؤرخ المغربي مُحَّد بن عبود، المرجع السابق.

بمقدور الحس أو العقل أن يُدلِي بكلمته فيها إلا بمقدار، وتبقى المساحات الأكثر عمقا وامتدادا بعيدة عن حدود عمل الحواس، وتحليلات العقل والمنطق، إننا – ونحن نناقش هذا المستشرق أو ذاك في حقل السيرة النبوية – يجب أن ننتبه إلى هاتين النقطتين، مهما كان المستشرق ملتزما بقواعد البحث التاريخي وأصوله، إنه من خلال رؤيته الخارجية وتغربه يمارس نوعا من التكسير والتجريح في كيان السيرة ونسيجها، فيصدم الحس الديني، ويرتطم بالبداهات الثابتة، وهو من خلال منظوره العقلي الوضعي يسعى إلى فصل الروح عن جسد السيرة، ويعاملها كما لو كانت حقلا ماديا للتجارب والاستنتاجات، وإثبات القدرة على الجدل، وكانت النتيجة أبحاثا تحمل اسم السيرة، وتتحدث عن حياة الرسولﷺ وتحلل حقائق الرسالة، ولكنها – يقينا – تحمل وجها وملامح وقسمات مستمدة من عجينة أخرى غير مادة السيرة، وروح أخرى غير روح النبوة، ومواصفات أخرى غير مواصفات الرسالة، إنها تسعى لأن تخضع حقائق السيرة لمقاييس عصر تنسخ كل ما هو جميل، وتزيف كل ما هو أصيل، وتَمِيل بالقيم المشعَّة إلى أن تفقد إشعاعها، وترتَمي في الظلمة، أو تؤول إلى البشاعة، إن الغربيين لم يستطيعوا أن يقدموا أعمالاً علمية بمعنى الكلمة لواقعة السيرة، ولا قدروا حتى على الاقتراب من حافة الفهم؛ بسبب إنهم كان يعوزهم التعامل الأكثر علمية مع احترام المصدر الغيبي، واعتماد الموقف الموضوعي بغير حكم مسبق الذي يتجاوز كل الإسقاطات، التي من شأنها أن تعرقل عملية الفهم، والجذور العميقة هي المنهج الخاطئ الذي تقوم عليه أبحاث هؤلاء المستشرقين؛ فالمستشرق بين أن يكون علمانيا ماديا لا يؤمن بالغيب، وبين أن يكون يهوديا أو نصرانيا لا يؤمن بصدق الرسالة التي أعقبت النصرانية، لذا فإنه – من الناحية المبدئية – يجب على المثقف المسلم رفض القبول النهائي لنتائج بحوث المستشرقين في حقل السيرة، لأنها مهما تكن على درجة من الحيادية والنزاهة، فإنها لا بد أن تسقط في الخطأين، "القصور عن الفهم، وتدمير الثقة بأسس هذا الدين".[١]

قلت ومجالات الاستشراق والمستشرقين تجاه التراث الإسلامي كثيرة، وطعنهم وتشكيكهم في جوانب الدين أكثر من أن تحصى، ولعلي أتيت من المجالات المهم ، دون التعرض لبقيتها، وذلك للاختصار وعدم الإطالة، ولعل ما ذكرت سبيلا لما وراءه لمن أراد

---

[١] المستشرقون والسيرة النبوية، د. عماد الدين خليل، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت، ١٤٢٦ هـ ١/١١.

التوسع في هذا الجانب، وإلا فالمستشرقون لم يتركوا بابا أو مجالا للصد عن هذا الدين وتشويه معالمه السامية، بل وتشويه سمعة وصورة كل من ينتسب إليه، وخصوصا من يهتمون بالدعوة إلى الله، ولكن مع كل هذه الهجمة الشرسة من أعداء الدين من المستشرقين وغيرهم، يأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون، وينصر دينه ولو عن طريق فاجر، ولذلك فهناك ثلة من المستشرقين المنصفين للإسلام وأهله، من خلال كتبهم وكتاباتهم، إذ أظهروا حقيقة دين الإسلام وسماحته، فكانت آرائهم شوكة في نحور أعداء الدين والملة من بني جلدتهم.

المبحث الثالث

مفهوم القصص في اللغة والاصطلاح

أولا: القصص في اللغة:

قال الجوهري: قَصَّ أثرَه، أي تتبَّعه. قال الله تعالى: "فارْتَدَّ على آثارِهما قَصَصاً. اقْتَصَّ أثرَه، وتَقَصَّصَ أثرَه، والقِصَّةُ الأمرُ والحديث، وقد اقْتَصَصْتُ الحديث: رويته على وجهه، وقد قَصَّ عليه الخبرَ قَصَصاً، والقِصَصُ، بكسر القاف: جمع القِصَّةِ التي تُكْتَبُ.[1]

وقال ابن منظور: والقِصّة: الخبر، وهو القصص. وقصّ عليّ خبره يقُصُّه قصًّا وقصَصاً: أورده، والقَصصُ: الخبر المقصوص، بالفتح، وُضع موضعَ المصدر حتى صار أغلب عليه، والقِصَص بكسر القاف: جمع القِصّة التي تكتب، والقِصة: الأمر والحديث، والقاصّ: الذي يأتي بالقصّة على وجهها كأنّه يتتبّع معانيها وألفاظها، فالقِصّة: التي تكتب، والجملة من الكلام، والحديث، والأمر، والخبر، والشأن، وأصل القصص عند العرب تتبّع الأثر، فالعالم بالآثار يسير وراء من يريد معرفة خبره، وتتبّع أثره، حتى ينتهي إلى موضعه الّذي حلّ فيه.[2]

وفي القاموس المحيط: قَصَّ أثَرَه قَصّاً وقَصيصاً: تَتَبَّعَه، وقص الخَبَرَ: أعْلَمَهُ،{فارْتَدَّا على آثارِهما قَصَصًا}، أي: رَجَعا من الطَّرِيقِ الذي سَلَكاهُ يَقُصَّانِ الأَثَرَ، و{نحنُ نَقُصُّ عليك أحْسَنَ القَصَصِ} نُبَيِّنُ لك أحْسَنَ البَيانِ.[3]

قال ابن فارس: القاف والصاد أصلٌ صحيح يدلُّ على تتبُّع الشَّيء. من ذلك قولهم: اقتصَصْتُ الأثَر، إذا تتبَّعتَه، ومن ذلك اشتقاقُ القِصاص في الجِراح، وذلك أنَّه يُفعَل بهِ مثلُ فِعلهِ بالأوّل، فكأنَّه اقتصَّ أثره، ومن الباب القِصَّة والقَصَص، كلُّ ذلك يُتَتَبَّع فيذكر.[4]

وقال ابن سيدة: والقصة الخبر ، وهو القصص.[5]

ثانيا: تعريف القصص في الاصطلاح:

---

[1] الصحاح في اللغة للجوهري مادة قصص.

[2] لسان العرب لابن منظور، مادة قصص.

[3] القاموس المحيط ، مادة قصص.

[4] مقاييس اللغة لابن فارس مادة، قصص.

[5] المحكم والمحيط الأعظم،إبن سيدة، تحقيق عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ،بيروت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، مادة قصص،٦٥/٦،وابن سيدة هو: علي بن إسماعيل (وقيل علي بن أحمد)، أبو الحسن، المعروف بابن سيدة ٤٥٨-٣٩٨هـ، إمام اللغة وآدابها، أنظر، وفيات الأعيان، لابن خلكان، ٣٣٠/٣-٣٣١ و الأعلام للزركلي ١٦٤٨٠/٤.

قال الحرالي[1]: القصص: تتبّع الوقائع بالإخبار عنها شيئاً بعد شيء في ترتيبها في معنى قصّ الأثر، وهو اتباعُهُ حتى ينتهي إلى محلّ ذي الأثر.[2]

وقال الدكتور عمر سليمان الأشقر[3] في تعريف القصة بأنها: "فنّ حكاية الحوادث والأعمال بأسلوب لغوي ينتهي إلى غرض مقصود".[4]

ومن خلال ما سبق يتبين لنا أن القصص في الاصطلاح تدل على أخبار سالفة طويلة يخبر عنها، بتتبع وقائعها مرتبة.

---

[1] الحَرَالي أبو الحسن علي بن أحمد بن حسن التجيبِي الأَندلسي، مفسر، من علماء المغرب. أطال الغبريني في الثناء عليه وإيراد أخباره، وقال: ما من علم إلاَّ له فيه تصنيف. أصله من (حرَالَّة) من أعمال (مُرْسِيَة). ولد ونشأ في مراكش وأخذ العربية عن أبي الحسن بن خروف، وأبي الحجاج ابن نمرٍ، وحجَّ، ولَقِيَ العلماءَ، وجالَ فِي البلاد، وتغربَ، فرحل إلى المشرق وتصوف [ولهج بِالعقلِيات ومال إلى النظريات وعلمِ الكلام]، ثم استوطن بجاية. وعاد إلى المشرق، فأخرج من مصر وسكن حماة وتوفي فيها، أنظر تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ٣٣٦/٤٦.

[2] تراث أبي الحسن الحرالي المراكشي في التفسير، علي بن أحمد بن الحسن الحرالي، تحقيق مُحَمَّدي بن عبدالسلام الخياطي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ، ١٩٩٧م، ص٥٩٤.

[3] أحد علماء الدين السنة شغل سابقا منصب أستاذ في كلية الشريعة في الجامعة الأردنية في عمان الأردن، ولد عام ١٩٤٠م بـ قرية برقة التابعة لمحافظة نابلس بفلسطين وهو من بيت علم، أنظر الموسوعة الحرة ويكيبيديا http://ar.wikipedia.org/wikiالدخول الثلاثاء ١٤٣٥/٦/٢٢ الساعة الخامسة مساء.

[4] صحيح القصص النبوي، عمر سليمان الأشقر، دار النفائس للنشر والتوزيع،الأردن،١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م، ص ١٢.

المبحث الرابع

أنواع القصص وأهميته في الدعوة إلى الله

أولا: أنواع القصص في القرآن الكريم.

أ) قصص الأنبياء، وقصص الأنبياء في دعوتهم لأقوامهم كثيرة، والمعجزات التي أيدهم بها الله في تلك القصص عظيمة، ومن خلال هذا القصص تتضح مواقف المعاندين والمكابرين منهم ومن دعوتهم، وكذلك يتبين طرائق ومراحل الدعوة وتطورها وجزاء المؤمنين وعقاب المكذبين، ومن بين هذه القصص على سبيل الإجمال لا الحصر ، وضرب للأمثال ، نذكر قصة نوح وإبراهيم، وموسى ومُحَمَّد عليهم الصلاة والسلام.

١) قصة نوح عليه السلام مع قومه ،حيث ذكر ابن كثير –رحمه الله– أن نوح عليه السلام هو نوح بن لامك بن متوشلخ بن خنوخ ، وهو إدريس بن يرد بن مهلائيل بن قينن بن أنوش بن شيث بن آدم أبي البشر عليه السلام، وكان مولده بعد وفاة آدم بمائة سنة وست وعشرين سنة ، وعلى تاريخ أهل الكتاب المتقدم يكون بين مولد نوح وموت آدم مائة وست وأربعون سنة ، وكان بينهما عشرة قرون[١] ، وقد أورد ذلك ابن حبان في صحيحه عن أبي أمامة ﷺ أن رجلا قال : يا رسول الله أنبي كان آدم ؟ قال : (نعم ، مكلم . قال : فكم كان بينه وبين نوح ؟ قال : (عشرة قرون).[٢]

وكان السبب في مبعث نوح عليه السلام ،هو أنه لما عُبدت الأصنام والطواغيت ، وشرع الناس في الضلالة ، والكفر بعثه الله رحمة للعباد فكان أول رسول بعث إلى أهل الأرض .

وقد ذكر الله قصته وما كان من قومه ، وما أنزل بمن كفر به من العذاب بالطوفان ، وكيف أنجاه وأصحاب السفينة في غير ما موضع من كتابه العزيز ، كما قال عز وجل ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ

---

[١] يُنظر البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي،تحقيق علي شيري، دار إحياء التراث العربي،١٤٠٨هـ–١٩٨٨م، ١١٣/١–١١٤.

[٢] صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، مُحَمَّد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، تحقيق : شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة ، بيروت، ١٤١٤هـ– ١٩٩٣م،باب بدء الخلق ٦٩/١٤ الحديث رقم٦١٩٠وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ١٦٧/٦.

يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمۡ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبۡتُمۡ أَن جَآءَكُمۡ ذِكۡرٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنكُمۡ لِيُنذِرَكُمۡ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ الأعراف ٥٩ - ٦٤ ، وقال سبحانه وتعالى ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَمَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ خَلَٰٓئِفَ وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُنذَرِينَ ﴾ يونس ٧١ - ٧٣ ،وقال عز وجل ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَصۡحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلۡنَٰهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ العنكبوت ١٤ - ١٥ ، إلى غير ذلك من الآيات التي تحدثت عن قصته عليه السلام مع قومه.

وقد تحدثت السنة الشريفة أيضا عن قصته عليه السلام مع من خالفه ، ففي حديث ابن جريج ، عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما ، عند تفسير قوله تعالى ﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ﴾ نوح ٢٣ قال : (هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح ، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابا وسموها بأسمائهم ، ففعلوا ، فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسخ العلم عبدت . قال ابن عباس : وصارت هذه الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد).[١] وقد ثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: أن أم سلمة وأم حبيبة ذكرتا

---

[١] رواه البخاري، كتاب التفسير، باب ودا ولا سواعا ولا يغوث،٢٢٥/١٥،الحديث ٤٥٣٩.

للرسولﷺ تلك الكنيسة التي رأينها بأرض الحبشة يقال لها مارية ، فذكرتا من حسنها وتصاوير فيها قال : أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا ، ثم صوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله عز وجل .[1]

وخلاصة القول أن الفساد لما انتشر في الأرض ، وعم البلاء بعباد الأصنام فيها بعث الله عبده ورسوله نوحا عليه السلام يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، وينهى عن عبادة ما سواه ، فكان أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض ، كما ثبت في حديث الشفاعة عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال : (فيأتون آدم فيقولون : يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأمر الملائكة فسجدوا لك ، وأسكنك الجنة ، ألا تشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى ما نحن فيه وما بلغنا ، فيقول : ربي قد غضب غضبا شديدا لم يغضب قبله مثله ، ولا يغضب بعده مثله ، ونهاني عن الشجرة فعصيت ، نفسي نفسي ، اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى نوح . فيأتون نوحا فيقولون : يا نوح ، أنت أول الرسل إلى أهل الأرض ، وسماك الله عبدا شكورا ، ألا ترى إلى ما نحن فيه ، ألا ترى إلى ما بلغنا ، ألا تشفع لنا إلى ربك عز وجل فيقول : ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ، ولا يغضب بعده مثله . نفسي نفسي)[2] .

٢) قصة إبراهيم عليه السلام مع أبيه وقومه، وهو إبراهيم بن آزر (وقيل بن تارخ ، وقيل بن تارح) والأصوب هو ظاهر الآية وصريحها أنه (آزر) بن ناحور بن ساروغ بن راغو بن فالغ بن عابر بن شالح بن ارفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام. وقد ارتحل إبراهيم عليه السلام مع زوجته سارة قاصدين أرض الكنعانيين، وهي بلاد بيت المقدس، فأقاموا بحران وهي أرض الكلدانيين في ذلك الزمان، وكذلك أرض الجزيرة والشام أيضا. وكانوا يعبدون الكواكب السبعة. والذين عمروا مدينة دمشق كانوا على هذا الدين، يستقبلون القطب الشمالي ويعبدون الكواكب السبعة بأنواع من الأفعال والأقوال، ولذلك كان على كل باب من أبواب دمشق السبعة القديمة هيكل لكوكب منها، ويعملون لها أعياد وقرابين. وهكذا كان أهل حران يعبدون الكواكب والأصنام وكل من كان على منهجهم من الكافرين، سوى إبراهيم الخليل وامرأته وابن أخيه لوط عليهم السلام. ولذلك كان إبراهيم الخليل عليه السلام هو الذي أزال

---

[1] رواه البخاري، كتاب الجنايز، باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية،٢٠١/٢.

[2] رواه البخاري، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى(إنا أرسلنا نوحا إلى قومه)، ١٢٣/١١،الحديث ٣٠٩٢ .

الله به تلك الشرور وأبطل به ذاك الضلال، فإن الله سبحانه وتعالى آتاه رشده في صغره، وابتعثه رسولا، واتخذه خليلا في كبره، كما قال عز وجل ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴾ الأنبياء ٥١ ،أي كان أهلا لذلك، وكقوله تعالى ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾ ﴾ العنكبوت ١٦ - ١٨. وكان أول دعوته لأبيه، وكان أبوه ممن يعبد الأصنام، لأنه أحق الناس بإخلاص النصيحة له كما قال تعالى ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ ﴾ مريم ٤١ - ٤٨ ، فذكر سبحانه ما كان بينه وبين أبيه من المحاورة والمجادلة، وكيف دعا أباه إلى الحق بألطف عبارة وأحسن إشارة، بين له بطلان ما هو عليه من عبادة الأوثان التي لا تسمع دعاء عابدها ولا تبصر مكانه فكيف تغني عنه شيئا، أو تفعل به خيرا من رزق أو نصر؟ ثم قال له منبها ومذكرا بما أعطاه الله من الهدى والعلم النافع وإن كان أصغر سنا من أبيه ﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴾ مريم ٤٣

أي مستقيما واضحا، سهلا حنيفا، يفضي بك إلى الخير في دنياك وأخراك، فلما عرض هذا الرشد عليه وأهدى هذه النصيحة إليه، لم يقبلها منه، ولا أخذها عنه، بل تهدده وتوعده كما

قال تعالى ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴾ مريم ٤٦ أي واقطعني وأطل هجراني، فعندها وقف إبراهيم عليه السلام ، ذلك الابن البار وقال﴿ سَلَـٰمٌ عَلَيْكَ ﴾ أي لا يصلك مني مكروه ولا ينالك مني أذى، بل أنت سالم من ناحيتي، وزاده خيرا فقال،﴿ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴾ قال ابن عباس وغيره: "أي لطيفا، يعني في أن هداني لعبادته والإخلاص له" .[1] وقد استغفر له إبراهيم عليه السلام كما وعده في أدعيته، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه كما قال عز وجل ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴾ التوبة ١١٤ ، وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: "يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة وغبرة، فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك لا تعصني؟ فيقول له أبوه: فاليوم لا أعصيك، فيقول إبراهيم: يا رب إنك وعدتني أن لا تخزيني يوم يبعثون فأي خزي أخزى من أبي الأبعد؟ فيقول الله: إني حرمت الجنة على الكافرين. ثم يقال يا إبراهيم انظر ما تحت رجليك؟ فينظر، فإذا هو بذبح متلطخ، فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار".[2]

وفي مقام المناظرة التي دارت بينه عليه السلام وبين قومه، التي أبطل فيها معتقداتهم الباطلة ، وأقام عليهم الحجج الدامغة ، وبين لهم أن هذه الأجرام المشاهدة من الكواكب النيرة، لا تصلح للألوهية، ولا أن تعبد مع الله عز وجل، لأنها مخلوقة ومصنوعة مدبرة مسخرة، تطلع تارة وتأفل أخرى، فتغيب عن هذا العالم، والرب تعالى لا يغيب عنه شيء ولا تخفى عليه خافية، بل هو الدائم الباقي بلا زوال، لا إله إلا هو ولا رب سواه.

فبين لهم أولا عدم صلاحية الكوكب لذلك ، ثم ترقى منها إلى القمر الذي هو أضوأ منها، وأبهى من حسنها، ثم ترقى إلى الشمس التي هي أشد الأجرام المشاهدة ضياء وسناء وبهاء، فبين أنها مسخرة مسيرة مقدرة مربوبة ،كما قال عز وجل﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ

[1] البداية والنهاية لابن كثير ١/١٣٢-١٦٣.

[2] رواه البخاري، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى(واتخذ الله إبراهيم خليلا)، ١٣٨/١١،الحديث ٣١٠١.

مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًاۖ
قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأٓفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ
فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ
بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي
وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ
﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن
يَشَآءَ رَبِّي شَيْـًٔاۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًاۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ
أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ
سُلْطَٰنًاۚ فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟
إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ
عَلَىٰ قَوْمِهِۦۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ ﴾ الأنعام ٧٤ – ٨٣ . وبهذا
ألجمهم بقوة حجته ، وأبطل ما هم عليه من عبادة الأصنام والأوثان ، وأظهر الله به الحق ،
ونجاه بفضله من كيدهم وبطشهم وضلالهم ، ولقصصه عليه السلام مع قومه ، ودعوته لهم إلى
الحق مواطن كثيرة من القرآن الكريم ، كما في قوله تعالى

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ
ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ
أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل
رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ
لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ
إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا
فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾

قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلۡتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يَضُرُّكُمۡ ﴿٦٦﴾ أُفّٖ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾ الأنبياء ٥١ – ٧٠ فكانت العاقبة للحق واهله ، والخسران عاقبة الكفر وأهله ، ونجاه الله من بطشهم وكيدهم ، وجعل النار بردا وسلاما عليه.[١]

٣) قصة موسى عليه السلام مع قومه ، وهو موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم[٢] ، وقد ذكره الله تعالى في مواضع كثيرة متفرقة من القرآن الكريم، نذكر منها ما يدل على قصته على وجه الاختصار ، كما في قوله تعالى ﴿ طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتۡلُواْ عَلَيۡكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرۡعَوۡنَ بِٱلۡحَقِّ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنُرِيَ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنۡهُم مَّا كَانُواْ يَحۡذَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ القصص ١ – ٦ ، يذكر تعالى ملخص القصة ثم يبسطها بعد هذا فذكر أنه يتلو على نبيه خبر موسى وفرعون بالحق، أي بالصدق الذي كأن سامعه مشاهد للأمر معاين له، ﴿ إِنَّ

---

[١] ينظر تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي، المكتبة العصرية بيروت،١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م، ١٧٢/٣-١٧٥.

[٢] الكامل في التاريخ، لـ عز الدين أبو الحسن علي المعروف بابن الأثير، دار الكتاب العربي،بيروت،١٤١٧هـ-١٩٩٧م، ١٥٠/١.

فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ القصص ٤ ، أي تجبر وعتا وطغى وبغى وآثر الحياة الدنيا، وأعرض عن طاعة الرب الأعلى، وجعل أهلها شيعا، أي قسم رعيته إلى أقسام وفرق وأنواع، يستضعف طائفة منهم، وهم شعب بني إسرائيل، الذين هم من سلالة نبي الله يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الله، وكانوا إذ ذاك خيار أهل الأرض. وقد سلط عليهم هذا الملك الظالم الغاشم الكافر الفاجر يستعبدهم ويستخدمهم في أخس الصنائع والحرف وأرداها وأدناها ومع هذا ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ القصص ٤ ، وكان الحامل له على هذا الصنيع القبيح أن بني إسرائيل كانوا يتدارسون فيما بينهم ما يأثرونه عن إبراهيم عليه السلام من أنه سيخرج من ذريته غلام يكون هلاك ملك مصر على يديه وذلك – والله أعلم – حين كان جرى على سارة امرأة الخليل من ملك مصر من إرادته إياها على السوء وعصمة الله لها، وكانت هذه البشارة مشهورة في بني إسرائيل فتحدث بها القبط فيما بينهم ووصلت إلى فرعون فذكرها له بعض أمرائه وأساورته وهم يسمرون عنده فأمر عند ذلك بقتل أبناء بني إسرائيل حذرا من وجود هذا الغلام ولن يغني حذر من قدر، ولهذا قال الله تعالى ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ القصص ٥ وهم بنو إسرائيل ، أي الذين يؤول ملك مصر وبلادها إليهم ﴿ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴾ القصص ٦ أي سنجعل الضعيف قويا والمقهور قادرا والذليل عزيزا، وقد جرى هذا كله لبني إسرائيل كما قال تعالى ﴿ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴾ الأعراف ١٣٧ .

والمقصود مما سبق من قصة موسى وفرعون ، أن فرعون احترز كل الاحتراز أن لا يوجد موسى

على وجه الأرض، والقضاء عليه بأي حال ، حتى جعل رجالا وقوابل يدورون على الحبالى ويعلمون ميقات وضعهن، فلا تلد امرأة ذكرا إلا ذبحه أولئك الذباحون من ساعته، ولكن الله بفضله وقوته خيب مساعي فرعون وجنده ، وقطع آمالهم ، وأمضى الحق ، ونصر أهله ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ التوبة ٣٢.[١]

٤) قصة نبينا مُحَّد ﷺ مع قومه ، و هو سيدنا مُحَّد بن عبدالله بن عبد المطلب ابن هاشم ابن عبد مناف ابن قصيّ ابن كلاب ابن مُرّة ابن كعب ابن لؤي ابن غالب ابن فهر ابن مالك ابن النَّضْر ابن كنانة ابن خزيمة ابن مُدرِكة ابن إلياس ابن مُضَر ابن نِزار ابن مَعَدّ ابن عدنان.

المرحلة الأولى: من جهاد الدعوة إلي الله ، ثلاث سنوات من الدعوة السرية، حيث قام ﷺ بعد نزول قول الله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴿٧﴾ ﴾ المدثر ١ - ٧ بالدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، وحيث إن قومه كانوا جفاة لا دين لهم إلا عبادة الأصنام والأوثان، ولا حجة لهم إلا أنهم ألفوا آباءهم على ذلك، ولا أخلاق لهم إلا الأخذ بالعزة والأنفة، ولا سبيل لهم في حل المشاكل إلا السيف، وكانوا مع ذلك متصدرين للزعامة الدينية في جزيرة العرب، ومحتلين مركزها الرئيس، ضامنين حفظ كيانها، فقد كان من الحكمة تلقاء ذلك أن تكون الدعوة في بدء أمرها سرية، لئلا يفاجئ أهل مكة بما يهيجهم ، وهكذا مرت ثلاثة أعوام، والدعوة لم تزل مقصورة على الأفراد، ولم يجهر بهاﷺ في المجامع والنوادي، إلا أنها عرفت لدى قريش، وفشا ذكر الإسلام بمكة، وتحدث به الناس، وقد تنكر له بعضهم أحيانًا، واعتدوا على بعض المؤمنين، إلا أنهم لم يهتموا به كثيرا حيث لم يتعرض رسول اللهﷺ لدينهم، ولم يتكلم في آلهتهم .

ثم تلى ذلك المرحلة الثانية من الدعوة ،وهي مرحلة الجهر بها،

بعد ما تكونت جماعة من المؤمنين تقوم على الأخوة والتعاون، وتتحمل عبء تبليغ الرسالة وتمكينها من مقامها نزل الوحى يكلف رسول اللهﷺ بإعلان الدعوة، ومجابهة الباطل بالحسنى وذلك بقوله تعالى ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ الشعراء ٢١٤ ، وقد ورد في سياق ذكرت

---

[١] ينظر قصص الأنبياء، للامام أبى الفداء إسماعيل بن كثير، تحقيق مصطفى عبد الواحد، دار الكتب الحديثة،القاهرة،١٣٨٨هـ-١٩٦٩م،٣/٢.

فيه أولًا قصة موسى عليه السلام، من بداية نبوته إلى هجرته مع بني إسرائيل، وقصة نجاتهم من فرعون وقومه، وإغراق آل فرعون معه، وقد اشتملت هذه القصة على جميع المراحل التي مر بها موسى عليه السلام، خلال دعوة فرعون وقومه إلى الله ،وكأن هذا التفصيل تشابه مع أمر الرسولﷺ بجهر الدعوة إلى الله، ليكون أمامه وأمام أصحابه مثال لما سيلقونه من التكذيب والاضطهاد حينما يجهرون بالدعوة، وليكونوا على بصيرة من أمرهم منذ البداية .

وبعد تأكد النبي ﷺ من تعهد أبي طالب بحمايته وهو يبلغ عن ربه، صعد النبي ﷺ ذات يوم على الصفا، فعلا أعلاها حجرًا، ثم جعل ينادى بطون قريش، ويدعوهم قبائل تلو الأخرى ، " يا بني فهر، يا بني عدى، يا بني فلان، يا بني فلان، يا بني عبد مناف، يا بني عبد المطلب" ، فلما سمعوا قالوا : من هذا الذي يهتف ؟ قالوا : مُحَّد . فأسرع الناس إليه، حتى إن الرجل إذا لم يستطع أن يخرج إليه أرسل رسولًا لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش ، فلما اجتمعوا قال : " أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلًا بالوادي بسَفْح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم أكنتم مُصَدِّقِيَّ ؟ " ، قالوا : نعم، ما جربنا عليك كذبًا، ما جربنا عليك إلا صدقًا ،
قال : " إني نذير لكم بين يدى عذاب شديد، إنما مثلى ومثلكم كمثل رجل رأي العَدُوّ فانطلق يَرْبَأ[١] أهله " ، ثم دعاهم إلى الحق، وأنذرهم من عذاب الله، فخص وعم فقال :" يا معشر قريش، اشتروا أنفسكم من الله، أنقذوا أنفسكم من النار، فإني لا أملك لكم من الله ضرا ولا نفعا، ولا أغنى عنكم من الله شيئًا ، يا بني كعب بن لؤي، أنقذوا أنفسكم من النار، فإني لا أملك لكم ضرا ولا نفعا ، يا بني مرة بن كعب، أنقذوا أنفسكم من النار ، يا معشر بني قصى، أنقذوا أنفسكم من النار، فإني لا أملك لكم ضرا ولا نفعا ، يا معشر بني عبد مناف، أنقذوا أنفسكم من النار، فإني لا أملك لكم من الله ضرا ولا نفعا، ولا أغنى عنكم من الله شيئًا ، يا بني عبد شمس، أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بني هاشم، أنقذوا أنفسكم من النار ، يا معشر بني عبد المطلب، أنقذوا أنفسكم من النار، فإني لا أملك لكم ضرًا ولا نفعًا، ولا أغنى عنكم من الله شيئًا، سلوني من مالي ما شئتم ، لا أملك لكم من الله شيئًا ،
يا عباس بن عبد المطلب، لا أغنى عنك من الله شيئًا ، يا صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله، لا أغنى عنك من الله شيئًا ، يا فاطمة بنت مُحَّد رسول الله، سليني ما شئت من مالي، أنقذى نفسك من النار، فإني لا أملك لك ضرا ولا نفعا، ولا أغنى عنك من الله شيئًا ،غير

---

[١] أي يتطلع وينظر لهم من مكان مشرف مرتفع لئلا يدهمهم العدو، أنظر لسان العرب لابن منظور مادة ربأ.

أن لكم رحمًا سأبلها ببلاَلها[1] ".

ولما تم هذا الإنذار انفض الناس وتفرقوا، ولا يذكر عنهم أي ردة فعل، سوى أن أبا لهب واجه النبي ﷺ بالسوء، وقال : "تبا لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا ؟" فنزل قول ﴿ تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ﴾ المسد ١ كانت هذه الصيحة العالية هي غاية البلاغ، فقد أوضح الرسولﷺ لأقرب الناس إليه أن التصديق بهذه الرسالة هو حياة الصلات بينه وبينهم، وأن عصبة القرابة التي يقوم عليها العرب ذابت في حرارة هذا الإنذار الآتي من عند الله عز وجل .

ولم يزل هذا الصوت يرتج دويه في أرجاء مكة حتى نزل قوله تعالى ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ الحجر ٩٤ ، فقام رسول اللهﷺ يجهر بالدعوة إلى الإسلام في مجامع المشركين ونواديهم، يتلو عليهم كتاب الله، ويقول لهم ما قالته الرسل لأقوامهم ﴿ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴾ الأعراف ٥٩ ،وبدء يعبد الله تعالى أمام أعينهم، فكان يصلى بفناء الكعبة نهارًا جهارًا وعلى رءوس الأشهاد .

وقد نالت دعوته مزيدًا من القبول، ودخل الناس في دين الله واحدًا بعد واحد ، وحصل بينهم وبين من لم يسلم من أهل بيتهم تباغض وتباعد وعناد واشمأزت قريش من كل ذلك، وساءهم ما كانوا يبصرون .وهذا اختصار شديد لقصته عليه الصلاة والسلام مع قومه ، وذلك حتى لا يخرج البحث عن مساره.[2]

ب) قصص تتعلق بحوادث غابرة، ومن ذلك أشخاص لم تثبت نبوتهم ،كقصة الذين أخرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت. وطالوت وجالوت، وأهل الكهف وغيرهم ، ولعلنا نقتصر في الحديث على وجه الاختصار عن هؤلاء درءًا للإطالة ، وتحقيقا للمطلوب.

١) قصة الذين أخرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت، يقول الحافظ ابن كثير– رحمه الله– حول قول الله تعالى ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَهُمۡ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ

---

[1] أي أصلها بِصِلَتِها حسب حقها، أنظر الصحاح في اللغة للجوهري مادة بلل.

[2] ينظر الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري، المكتبة العصرية،بيروت،١٤١٩هـ-١٩٩٩م، ١/٦٠.

﴿ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ البقرة ٢٤٣ " إن كالب بن يوفنا لما قبضه الله إليه بعد يوشع ، خلف في بني إسرائيل حزقيل بن بوذى ، وهو ابن العجوز ، وهو الذي دعا للقوم الذين ذكرهم الله في كتابه ، فيما بلغنا ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ﴾ فروا من الوباء ، فنزلوا بصعيد من الأرض ، ﴿ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ ۚ ﴾ فماتوا جميعا ، فحظروا عليهم حظيرة دون السباع ، فمضت عليهم دهور طويلة ، فمر بهم حزقيل ، عليه السلام ، فوقف عليهم متفكرا ، فقيل له : أتحب أن يبعثهم الله وأنت تنظر؟ فقال : نعم . فأمر أن يدعو تلك العظام أن تكتسي لحما ، وأن يتصل العصب بعضه ببعض . فناداهم عن أمر الله له بذلك ، فقام القوم ، أجمعون ، وكبروا تكبيرة رجل واحد .[1]

وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي-رحمه الله- " يقص تعالى علينا قصة الذين خرجوا من ديارهم على كثرتهم واتفاق مقاصدهم، بأن الذي أخرجهم منها حذر الموت من وباء أو غيره، يقصدون بهذا الخروج السلامة من الموت، ولكن لا يغني حذر عن قدر،﴿ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ ﴾ إما بدعوة نبي أو بغير ذلك، رحمة بهم ولطفا وحلما، وبيانا لآياته لخلقه بإحياء الموتى، ولهذا قال ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ أي: عظيم ﴿ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ فلا تزيدهم النعمة شكرا، بل ربما استعانوا بنعم الله على معاصيه، وقليل منهم الشكور الذي يعرف النعمة ويقر بها ويصرفها في طاعة المنعم".[2]

ج) قصص تتعلق بحوادث وقعت زمن رسول الله ﷺ كغزوة بدر وأحد في سورة آل عمران، وغزوة حنين وتبوك في سورة الثوبة ، ولعله من المناسب هنا الحديث عن واقعة بدر على وجه الاختصار ، كشاهد حي على هذا النوع من القصص المبارك ، وهي من أعظم المشاهد ، حيث كان النبي ﷺ في المدينة فجاءه خبر أن عيرا لقريش عظيمة فيها أموال لهم

---

[1] ينظر البداية والنهاية ٢/٢٨٠-٢٨١.

[2] تيسير الكريم المنان في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، مؤسسة الرسالة،بيروت،١٤٢١هـ-٢٠٠٠م،ص ١٠٦-١٠٧.

كثيرة مقبلة من الشام إلى مكة معها ثلاثون أو أربعون رجلا رئيسهم أبو سفيان بن حرب وفيهم عمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل الزهري فندب رسول الله ﷺ المسلمين إلى تلك العير وأمر من كان ظهره حاضرا بالخروج ولم يحتفل ﷺ في الحشد لأنه أراد العير ولم يعلم أنه يلقى حربا فوصل الخبر أبا سفيان أن رسول الله ﷺ قد خرج في طلبهم فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري فبعثه إلى مكة مستصرخا لهم إلى نصر عيرهم فنهض إلى مكة وهتف بها واستنفر، فخرج أكثر أهل مكة في ذلك النفير ولم يتخلف من أشرافهم إلا أقلهم وكان فيمن تخلف من أشرافهم أبو لهب وخرج رسول الله ﷺ من المدينة لثمان خلون من رمضان واستعمل على المدينة عبدالله بن أم مكتوم العامري ليصلي بالمسلمين ثم رد أبا لبابة من الروحاء واستعمله على المدينة ودفع اللواء إلى مصعب بن عمير ودفع الراية الواحدة إلى علي والثانية إلى رجل من الأنصار وكانتا سوداوين وكانت راية الأنصار يومئذ مع سعد بن معاذ وكان مع أصحاب رسول الله ﷺ يومئذ سبعون بعيرا يتعقبونها فكان رسول الله ﷺ وعلي ومرثد بن أبي مرثد يعتقبون بعيرا وكان حمزة وزيد بن حارثة وأبو كبشة وأنسة موالي رسول الله ﷺ يعتقبون بعيرا وكان أبو بكر وعمر وعبدالرحمن بن عوف يعتقبون بعيرا وجعل رسول الله ﷺ على الساقة قيس بن أبي صعصعة من بني النجار وسلك رسول الله ﷺ طريق العقيق إلى ذي الحليفة إلى ذات الجيش إلى فج الروحاء إلى مضيق الصفراء فلما قرب من الصفراء بعث رسول الله ﷺ بسبس بن عمرو الجهني حليف بني ساعدة وعدي بن أبي الزغباء الجهني حليف بني النجار إلى بدر يتجسسان أخبار أبي سفيان وعيره واستخبر النبي عليه الصلاة والسلام عن جبلي الصفراء هل لهما اسم يعرفان به فأخبر عنهما وعن سكانهما بأسماء كرهها بنو النار وبنو حراق بطنان من غفار فتركهما على يساره وأخذ على يمينه فلما خرج من ذلك الوادي وأتاه الخبر بخروج نفير قريش لنصر العير ، أخبر أصحابه بذلك واستشارهم فيما يعملون فتكلم كثير من المهاجرين فاستمر رسول الله ﷺ في مشورته ، وهو يريد ما تقول الأنصار فبدر سعد بن معاذ وقال يا رسول الله والله لو استعرضت بنا هذا البحر لخضناه معك فسر بنا يا رسول الله على بركة الله حيث شئت فسر رسول الله ﷺ قوله وقال سيروا وأبشروا فإن الله عز وجل قد وعدني إحدى الطائفتين وسار رسول الله ﷺ حتى نزل قريبا من بدر ، وسأل عن قريش قيل له هم وراء هذا الكثيب، فسأل كم ينحرون كل يوم من الإبل قيل له عشرا من الإبل يوما وتسعا يوما فقال رسول الله ﷺ القوم ما بين التسعمائة إلى الألف وكان بسبس بن عمرو وعدي بن أبي الزغباء اللذان بعثهما رسول الله

ﷺ مستخبرين قد وصلا إلى ماء بدر فأناخا بقرب الماء ثم استقيا في شنهما ومجدي بن عمرو بقربهما لم يفطنا به فسمع بسبس وعدي جاريتين من جواري الحي وإحداهما تقول للأخرى أعطيني ديني فقالت الأخرى إنما تأتي العير غدا أو بعد غد فأعمل لهم ثم أقضيك فصدقهما مجدي وكان عينا لأبي سفيان ورجع بسبس وعدي إلى النبي ﷺ فأخبراه بما سمعا ولما قرب أبو سفيان من بدر تقدم وحده حتى أتى ماء بدر فقال لمجدي هل أحسست أحدا فقال لا، إلا راكبين أناخا إلى هذا التل واستقيا الماء ونهضا فأتى أبو سفيان مناخهما فأخذ من أبعار بعيريهما ففته فإذا فيه النوى فقال هذه والله علائف يثرب فرجع سريعا حذرا فصرف العير عن طريقها وأخذ طريق الساحل فنجا وأوحى إلى قريش يخبرهم بأنه قد نجا هو والعير فارجعوا فأبى أبو جهل وقال والله لا نرجع حتى نرى ماء بدر ونقيم عليه ثلاثا فتهابنا العرب أبدا ، فسبق رسول الله ﷺ قريشا إلى ماء بدر ومنع قريشا من السبق إليه ، وأنزل الله عليهم عظيم ولم يصب منه المسلمين إلا ما شد لهم وهد الوادي وأعانهم على السير فنزل رسول الله ﷺ على أدنى ماء من مياه بدر إلى المدينة فأشار عليه الحباب بن المنذر بن عمرو بن الجموح بغير ذلك وقال لرسول الله أرأيت هذا المنزل أمنزل أنزلكه الله فليس لنا أن نتقدمه أو نتأخر عنه أم هو الرأي والحرب والمكيدة فقال عليه الصلاة والسلام بل هو الرأي والحرب والمكيدة فقال يا رسول الله إن هذا ليس لك بمنزل فانهض بنا حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله ونغور ما وراءه من القليب ثم نبني عليه حوضا فنملأه ماء فنشرب ولا يشربون فاستحسن رسول الله ﷺ ذلك من رأيه وفعله وبني لرسول الله ﷺ عريش يكون فيه ومشى عليه الصلاة والسلام على مواضع الوقعة يعرض على أصحابه مصارع رءوس وصناديد الكفر من قريش مصرعا يقول هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان فما عدا واحد منهم مصرعه ذلك الذي حدده رسول الله ﷺ فلما نزلت قريش فيما يليهم بعثوا عمير بن وهب الجمحي فحزر لهم أصحاب رسول الله ﷺ وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا منهم فارسان المقداد والزبير ، وبدأت الحرب فخرج عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة يطلبون البراز فخرج إليهم عوف ومعوذ ابنا عفراء وعبدالله بن رواحة الأنصاري فقالوا لستم لنا بأكفاء وأبوا إلا قومهم فخرج إليهم حمزة بن عبدالمطلب وعبيدة بن الحارث وعلي ابن أبي طالب فقتل الله عتبة وشيبة والوليد وسلم حمزة وعبيدة وعلي إلا أن عبيدة ضربه عتبة فقطع رجله وارتث منها فمات بالصفراء وعدل رسول الله ﷺ الصفوف ورجع إلى العريش ومعه أبو بكر وسائر أصحابه بارزون للقتال إلا سعد ابن معاذ في قوم من الأنصار فإنهم كانوا

وقوفا على باب العريش يحمون رسول الله ﷺ وكان أول قتيل قتل من المسلمين مهجع مولى عمر بن الخطاب أصابه سهم فقتله وسمع عمير بن الحمام رسول الله ﷺ يحث على القتال ويرغب في الجهاد ويشوق إلى الجنة وفي يده تمرات يأكلهن فقال بخ بخ أما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء ثم رمى بالتمرات وقاتل حتى قتل، المسلمين النصر وهزم المشركين وانقطع يومئذ سيف عكاشة بن محصن فأعطاه رسول الله ﷺ جذلا من حطب وقال له دونك هذا فصار في يده سيفا لم يكد الناس يرون مثله أبيض كالملح فلم يزل عنده يقاتل به حتى قتل في الردة رضي الله عنه وكانت وقعة بدر يوم الجمعة لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان ثم أمر رسول الله ﷺ بقتلى المشركين فسحبوا إلى القليب ورموا فيه وضم عليهم التراب ثم وقف عليهم فناداهم هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقا فقيل له يا رسول الله تنادي أقواما أمواتا قد جيفوا فقال ما أنتم بأسمع منهم ولكن لا يجيبون.[١]

ثانيا: منزلة القصص من الدعوة إلى الله.

القصة وسيلة سهلة الفهم ، كما أنها تحظى بالقبول من العامة والخاصة على السواء، ومن ثم فقد لازمت الإنسان منذ وجوده ، فالإنسان بفطرته مولع بالقصص وميال بطبعه إليه ،وقد حفل كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام ، وأخبار الصالحين من الصحابة والتابعين بالكثير من الأحداث ذات الطابع القصصي الجميل، التي تشد الناس نحو مبادئ الدين ، وتعاليمه السامية ، متعاونة في هذا مع وسائل الدعوة الأخرى في إيجاد الفرد الصالح والمجتمع السليم ، بل إن القصص المستمد من الوحيين لا تكتفي النفوس بقراءته مرة واحدة، بل إنها تشتاق إلى تكرار قراءته، ، وفي كل مرة تجد فيه من العبر والعظات والقربة من الله ما لم تجده في مرات سابقة، وربما تأثرت في مواقع منه لم تتأثر به في مواقع سابقة.

والقصص الرباني أسلوب دعوي يختصر الكثير من المسافات التي ربما لا تقطعها الكلمات والمواعظ، حيث تندمج الأفكار الإيجابية ضمن سياق القصة، فيتلقاها المتلقي بيسر وسهولة ، وتستقر في خاطره أيما استقرار، وسرعان ما تترك آثارها على سلوكه

---

[١] رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر، ٤٦٢/١، الحديث ١٣٠٤، والدرر في اختصار المغازي والسير أبو عمر يوسف بن عبد الله بن مُحَمَّد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، شوقي ضيف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، مصر، ١٣٨٦هـ – ١٩٦٦م، ٩٨/١-١٣٢.

وتصرفاته .[1]

إن الواقعية والمعقولية في إيراد القصص مطلب أساسي ، وواقع دعوي ، يتحتم على الداعية إلى الله أن يتحرى الصدق في ما ينقله من قصص وأخبار وحوادث، لعامة الناس ، فالصدق والواقعية طريقان سريعان للتقبل والعمل ، ليس على الأمد القريب فحسب، بل حتى البعيد أيضا ، وهذا هو واقع كتاب الله عز وجل ، إذ أن كل قصصه حقيقية لامرية فيها ، كما قال تعالى ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ آل عمران ٦٢ ،وقد ما يقوله الداعية إلى الله من قصص حق وواقعي من الكتاب والسنة ، ولكن إذا رأى أن فيه غرائب قد يفتتن بها عامة الناس ، أو لا تدركها عقولهم ومداركهم العلمية فليمسك عنها ، ولذلك كان سلف الأمة يفرون من غرائب الأخبار ، يقول أيوب السختياني-رحمه الله-" إِنَّمَا نَفِرُّ أَوْ نَفْرَقُ مِنْ تِلْكَ الْغَرَائِبِ"[2] ، بل كانوا يقرنونها بالمناكير من الأحاديث ، ومن ذلك قول الترمذي- رحمه الله- : " زِيَادُ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ كَثِيرُ الْغَرَائِبِ وَالْمَنَاكِيرِ ".[3] ولذلك كان للقصص فوائد دعوية ، وآثار توعوية ،وأهداف إيمانية، توضح الأسس والركائز في الدعوة إلى الله ، وبيان لأصول التشريع التي بعث بها كل نبي إلى قومه ، ومن هذه الفوائد والآثار ما يلي:

أولا: تثبيت قلب رسول الله ﷺ وقلوب الأمة الإسلامية على دين الله وتقوية ثقة المؤمنين بنصرة الحق كما قال ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ هود ١٢٠ ،ففي أخبار المرسلين وتكذيب أقوامهم تسلية وتصبير لقلب النبيﷺ وللمؤمنين والدعاة من بعده على ما يلقاه من أذى المشركين وتكذيبهم ، كما قال تعالى ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى

---

[1] يُنظر مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، ص ٣١٦-٣٢٢.

[2] صحيح مسلم، باب الكشف عن معايب رواة الحديث ١/١٧ الحديث ٧٦.

[3] الجامع الصحيح سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، دار إحياء التراث العربي ،بيروت،١٩٩٦م، باب الوليمة، ٣/٤٠٣الحديث١٠٩٧.

ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ الأنعام ٣٣ - ٣٤ .

ثانيا: إثبات صدق النبي ﷺ في رسالته ، لأن دعوة الأنبياء واحدة ومنهجهم واحد ، ولذلك فإن النبي ﷺ كما قال تعالى عنه ﴿ قُلۡ مَا كُنتُ بِدۡعٗا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴾ الأحقاف ٩ وكقوله تعالى ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ النحل ٤٣. وهو عليه الصلاة والسلام، ينبئ بأخبار الأمم السابقة والقرون الساحقة مما لا يعلمه أحد من كتاب العرب فضلا عن أميٍّ مثلِهِ ،وهذا ما أشار إليه ربنا تبارك وتعالى، حيث قال ﴿ تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۖ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ هود ٤٩.

ثالثا: أخذ العظة والعبرة من خلال النظر في سنة الله النافذة في هذا الكون ، فالعاقبة دائما للمتقين ، والبوار والخزي دائماً على الظالمين ، وما أكثر الآيات التي تأمرنا بالسير في الأرض للنظر والاعتبار من عواقب وآثار الماضين ، وفي هذا يقول عز وجل ﴿ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ يوسف ١١١ ، ومعنى العبرة: هو التأمل والاتعاظ والاعتبار بأن نقيسَ أنفسنا على السابقين ممن قصَّ الله علينا نبأهم بالحق ، فنعلمَ أنَّ سنة الله ماضية فينا كما خلت في الذين من قبلنا ، إن خيراً فخير.. وإن شراً فشر.

رابعا: تصحيح العقائد الفاسدة وتثبيت العقائد الصحيحة التي مرتكزها الإيمان بالله وحده، والإيمان بالبعث بعد الموت، وهذا ظاهر من خلال دعوات الرسل والأنبياء جميعاً لأقوامهم.

خامسا: تقويم الخلق والسلوك الفردي والجماعي ، وتحقيق خلافة الإنسان في الأرض، وهذا ظاهر من خلال معالجة كل نبي لصفة معينة في قومه عدا الكفر كان يسعى لإصلاحها ، فالقصص يصوِر مثلا شناعة ما كان عليه قوم لوط، وأهل مدين، والطغاة والمفسدون من ظلم وجور ومنع للفقراء، وتصوِر أيضا شناعة الحسد الذي حمل أحد ابني آدم على قتل أخيه، وشناعة طبائع اليهود، وفي جانب آخر تصور ما كان عليه الأنبياء والصالحون من

صبر وعدل وعطاء ، وكيف حقق سيدنا سليمان عليه السلام وغيره الخلافة في الأرض على أساس من العدل والخلق والاستقامة.

سادسا: وثمة أهداف أخرى كثيرة لمن تأملها من أولي الألباب ، مثل التوكل على الله ، لاسيما بالنسبة للدعاة والمصلحين ، وانتهاج الأسوة الحسنة في الأنبياء، والتجمل بمكارم الأخلاق ، وتعلم آداب الحوار ، والجدال بالحسنى ، وأساليب الدعوة إلى الله تعالى ، وكيف يدخل الداعية إلى قلوب المدعوين ، ومعرفة طبائع الناس عامةً عند كفرهم وإيمانهم ، وطبائع أقوام بعينهم مثل بني إسرائيل ، وكيفية التعامل معها ، وتشخيص أمراض المنحرفين والمعاندين ، وكيفية معالجتها ، وغير ذلك .[١]

ومما سبق يتضح لنا فوائد وآثار القصص في الدعوة إلى الله، وأنه من الوسائل الأكثر فعالية في إيصال مضامين الدعوة إلى المدعوين ، وبلوغ الأهداف التي يطمع الداعية إلى الله في تحقيقها ، ولا سيما إذا كان القصص مستمد من الكتاب والسنة وحياة السلف والتابعين ، فإن له أبلغ الأثر في نفوس المستهدفين بالدعوة، وصدق الله تبارك وتعالى حين قال ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ يوسف ١١١ ، يقول الإمام الطبري- رحمه الله- "لقد كان في قصصهم عبرة لأهل العقول ، يعتبرون بها ، وموعظة يتعظون بها ، وهذا خبر عام عن جميع ذوي الألباب ، أن قصصهم لهم عبرة، وغير مخصوص بعض به دون بعض"[٢] .فالقصص له نتائج وآثار على الداعية والمدعو في السلوك والأخلاق والتعامل ، للثبات على الصراط المستقيم، وكذلك آثاره على مضمون الدعوة، حيث يقوم بإيصاله إلى أمة الدعوة لبلوغ أهدافه ومقاصده.

---

[١] ينظر الدعوة إلى الله أهميتها ووسائلها، فهد بن حمود العصيمي، دار ابن خزيمة،الرياض،٢٠١٢م،ص ١٥٨-١٦٠.

[٢] جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، دار السلام، القاهرة، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م، ٦/٤٦٦٧-٤٦٦٨.

المبحث الخامس

التعريف بأبرز المستشرقين الذين كتبوا عن قصص القرآن الكريم

في هذا المبحث أورد بعضا من أبرز المستشرقين، للتعريف بهم وبأحوالهم ومؤلفاتهم واتجاهاتهم، على وجه الاختصار درءاً للإطالة، وهم على النحو التالي:

١) ثيودور نولدكه (١٨٣٦-١٩٣٠م) Théodor noldeke ، يعد من كبار المستشرقين الألمان، ولد عام ١٨٣٦ في هامبورغ، أتقن العربية، العبرية، والسريانية. درس في غوتنغن وفيينا وبرلين وليدن، حصل على الدكتوراه عام ١٨٥٦م وهو في سن العشرين عن تاريخ القرآن، عين مدرسا للتاريخ الإسلامي في جامعة جوتنجن عام ١٨٦١، وأستاذ التوراة واللغات السامية في كييل عام ١٨٦٤، توفي عام ١٩٣٠م ، من تلامذته :كارل بروكلمان ، أبرز مؤلفاته (تاريخ القرآن) في ثلاثة أجزاء ، و (تاريخ الشعوب السامية) ، و (هل كان لمحمد معلمون نصارى؟) ، (وتراجم المسلمين) . كما عاون شبرنجر في كتابه (سيرة مُحَّد) ، و كتابه "تاريخ القرآن" ، من أقدم الكتب، ومن أهمها، وله تأثير كبير على مجمل الدراسات والأبحاث التي اهتمت بالقرآن الكريم قديما وحديثا بل تعدى تأثيره إلى القراءات العربية المعاصرة للقرآن الكريم، فأثره في الغرب والشرق حول القرآن بليغ جدا، كان تيودور نولدكه هو صاحب الفكرة وصاحب الاقتراح، فهو الذي وضع نواة هذا المشروع الذي أصدره عام ١٨٦٠م باللغة الألمانية، تناول فيه قضية جمع القرآن وتدوينه وروايته، وقضية ترتيب السور، وكان هو السبَّاق من المستشرقين إلى إعادة ترتيب القرآن بحسب النزول، وهي الشبهة التي توارثها المستشرقون فيما بينهم على مرِّ عصور التاريخ إلى اليوم.[١]

٢) ولد آرثر جيفري Arthur Jeffery في ملبورن بأستراليا في الثامن عشر من أكتوبر عام ١٨٩٢م ، وكانت الجزيرة الأسترالية حينها تابعة للتاج البريطاني ، وتخرج من جامعة ملبورن عام ١٩١٨م، وحصل على شهادة الماجستير عام ١٩٢٠م ، وبدأ مشواره العلمي كأستاذ في مدرسة الدراسات الاستشراقية في الجامعة الأمريكية بالقاهرة عام ١٩٢١م ، وكانت حديثة النشأة وفي طاقمها ثلة من نجوم الاستشراق التنصيري البروتستانتي مثل صمويل زويمر Samuel

---

[١] يُنظر المستشرقون والقرآن دراسة نقدية لمناهج المستشرقين ، عمر لطفي العالم ، مركز دراسات العالم الإسلامي، مالطا، ١٩٩١ م ص ٥٨، و موسوعة المستشرقين، ص ٥٩٥-٥٩٧.

Canon Temple Gairdner وكانون تمبل جاردنر Earl E. Elder وإيرل إلدر Zwemer وغيرهم ، وقد حصل جيفري على درجة الدكتوراه من جامعة أدنبره عام ١٩٢٩م ، أما من حيث مكانته العلمية فآرثر جيفري يعد من رجال الصف الأول في علم الاستشراق، ومن مؤلفاته مقدمة كتاب المصاحف التي نشرها عام ١٩٣٧م، وكتاب (المفردات الأجنبية في القرآن) الذي نشره عام ١٩٣٨م ، وفي هذا العام ١٩٣٨م غادر القاهرة ليتبوأ كرسي الأستاذية في قسم لغات الشرق الأوسط والأدنى في جامعة كلومبيا، وقد توفي عام ١٩٥٩م في نوفاسكوتشيا بكندا أثناء نزهة صيفية.[١]

٣) توماس أكويناس، القديس Thomas Aquinas، توما الأكويني ١٢٢٥- ١٢٧٤ م كان كاهن دومينيكاني و فيلسوف و لاهوتي إيطالي من الكنيسة الكاثوليكية يعتبر أعظم ممثل للفلسفة الاسكولائية، ومن أشهر تلاميذ البرت الكبير في باريس ، سعى خلفه كولون في سنة ١٢٤٨ و رجع إلى باريس و بقي أستاذاً في اللاهوت، عارض الفلسفة الرشدية اللاتينية و قضى آخر أيام حياته في نابولي، ويمتاز مذهب توماس الأكويني بالتفريق بين الفلسفة و اللاهوت حيث أنه كان يَعْتبر أن الفلسفة تعتمد على العقل وحده لكن اللاهوت يعول على الوحى من غير إنكار للعقل ، وبهذه الطريقة قَرب بين الفلسفة و الدين، وكان يثق في العقل الذي يقدر على أن يبرهن على وجود الاله و صفاته و يستطيع أن يصل للمعرفة اليقينية، وكذلك استعان بأفكار أرسطو و أفلاطون و ابن رشد لأنهم كانوا يعتمدون على العقل السليم، وله مؤلفات كثيرة تتناول الفلسفة و اللاهوت و فَسر معظم كتب أرسطو و شرح أجزاء من الكتاب المقدس و كتب أيضا فى التربية و القانون، حتى دلوقتى لا زالت فلسفته حية في التعليم الديني و عند طائفه من الفلاسفة المعاصرين مثل جيلسون و مارتيان.[٢]

٤) أبرهام جيجر ABRAHAM GEIGER، ١٨١٠ – ١٨٧٤، حَبْر يهودي ألماني تناول بالدراسة المتشابه بين القرآن وبين الكتب المقدسة عند اليهود، ولد في فرنكفورت على نهر الماين في سنة ١٨١٠م، وشرع في تعلم العلوم الدينية اليهودية على يد أخيه سولمون جيجر، ثم أخذ في تعلم اللغة العربية واللغة اليونانية أولاً في هيدلبرج سنة ١٩٢٩م، ثم في جامعة بون

[١] ينظر منهج كتابة التاريخ الإسلامي لماذا وكيف، جمال عبدالهادي ووفاء مُحَمَّد، دار الوفاء، المنصورة، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤ م، ص ٢٤٦.

[٢] ينظر الموسوعة الحرة ويكيبيدياhttp://ar.wikipedia.org ، الدخول الساعة الثانية عشرة ظهرا، يوم السبت ١٤٣٥/٨/١٦هـ.

Bonn، وفي سنة ١٨٣٢م صار حبراً في فيزبادن Wiesbaden، فأخذ في إدخال إصلاحات في الصلوات في كنيسة اليهود، وأصدر مجلة بعنوان (المجلة العلمية للاهوت اليهودي) (صدر منها ٦ مجلّدات من سنة ١٨٣٥م حتى سنة ١٨٤٧م)، وكان يكتب فيها عن كبار علماء اليهودية في تلك الأيام، وفي سنة ١٨٣٧ م ، دعا إلى عقد أول اجتماع للأحبار الإصلاحيين، في مدينة فيزبادن، وفي سنة ١٨٣٨م أختير (ديّاناً- أي قاضياً) ومساعدا للحبر اليهودي تكتين، في برسلاو، فلما مات تكتين، هذا في سنة ١٨٢٣ م صار جيجر حبراً في برسلاو، وفي هذه المدينة أسس مدرسة للدراسات الدينية وألف جماعة لدراسة اللغة العبرية، وفي سنة ١٨٥٤ م كان من أبرز المؤسسين (لمعهد اللاهوت اليهودي) في برسلاو،

وابتداء من سنة ١٨٦٣م، صار حبرا للجماعة الإصلاحية في الطائفة اليهودية في فرانكفورت، وابتداء من سنة ١٨٧٠م، صار حبراً لجماعة برلين، وفي سنة ١٨٧٢م، أنشئت (المدرسة العليا لعلوم اليهودية) في برلين، وصار جيجر مديرا لها حتى وفاته في سنة ١٨٧٤م، وكان جيجر من أنصار الدعوة إلى إدماج اليهود في التجمعات الأوروبية التي يعيشون فيها، ولذلك سعى إلى حذف كل ما يميز اليهود عن سائر الأمم، وهاجم النزعة الصهيونية، ومن أجل هذا حذف من كتاب الصلوات الذي أصدره سنة ١٨٥٤ م كل إشارة إلى العودة إلى صهيون (فلسطين) وعارض في تلاوة الصلوات باللغة العبرية، لأنه لا يعرفها من بين اليهود إلا نفر قليل جدا، ونقح الترجمة الألمانية التي كانت مستعملة في الصلوات، كيما تتفق مع نزعته في الإصلاح، بيد أنه لم يشأ التطرف في الإصلاح الديني اليهودي، إذ عارض الدعوة إلى إلغاء الختان، رغم أنه كان يعتقد أن الختان (عمل وحشي لسفك الدماء)، كما عارض تحويل السبت إلى الأحد، وإن كان قد سمح باستعمال بعض الآلات الموسيقية في الكنيس يوم السبت.

كان معظم إنتاج جيجر يدور حول موضوعات يهودية، وأهم كتبه هو(الكتاب الأصلي وترجمات الكتاب المقدس) سنة ١٨٥٧م ، لكن يعنينا من إنتاجه هنا كتابه: (ماذا أخذ مُحَمَّد من اليهودية؟) سنة ١٨٣٣م، ويعد هذا الكتاب أول كتاب في موضوعه كتبه الباحثون الأوروبيون المحدثون، ومن أبرز من كتبوا في هذا الاتجاه أيضا، جولدتسيهر ، هوشفلد ، هوروفتش ، اشپاير ، سيد رسكى وغيرهم، وقد أقر هؤلاء جميعهم بأن كتاب جيجر حافل بالأخطاء، وبالآراء المتحيزة غير القائمة على أسانيد وثيقة، وفيه نزعة مغالية إلى تلمس أشباه

ونظائر بين المشنأ وبين القرآن على أسس واهية وعبارات شكلية.[1]

٥) هنري ستوب : ولد هنري ستوب في انجلترا لرجل دين مسيحي بروتستانتي صاحب رأي ،فقد تمسك بعقيدة عدم وجوب تجديد العماد ومن ثم طرد من كنيسته وبلده . لقد أثارت افتراءات المستشرقين شعور الدكتور هنري ستوب ،وأحرجت ضميره ،فانتدب نفسه للدفاع عن مُحَمَّد وتبرئته من تشويهات وافتراءات القوم ، وكم كان هذا الرجل شجاعا إذ وقف ضد التيار الجارف في الغرب ، لقد امتلأت روحه وعقله وضميره بالحرج أمام ركام الزيف من الخرافات والأساطير التي نسجها المسيحيون الغربيون حول الإسلام ورسوله ،وتوطنت عقول العامة والخاصة منهم ، وتجذرت في مشاعرهم ووجدانهم حتى كادت أن تتميز كرهاً وخوفاً، فألف أول كتاب إنجليزي يدافع عن الرسولﷺ ورسالته ضد افتراءات المفترين ، ويعد الوثيقة التاريخية الفريدة والنادرة التي ألفها د. هنري ستوب، أحد علماء القرن ١٧ م تحت عنوان (دفاع عن الرسول والإسلام)، وهو أول كتاب باللغة الإنجليزية، ولعله أول كتاب غربي قام بهذه المهمة النبيلة التي تفضح مواقف كثير من النصارى الأوروبيين من الإسلام ورسوله والذي خرج عن السياق النمطي المألوف الذي انزلق فيه كبار المستشرقين ، أمثال: دانتي وشكسبير وفولتير وغيرهم، لكن صاحبنا كان يتمتع بعقل حر وتفكير مستقل تمثل في كراهيته للتقليد والجمود وتجافيه عن التعصب الأعمى والانغلاق على الذات، ما دفعه للاعتراف بالآخر وتقديره بأمانة وموضوعية كما هو في الواقع المتعين وليس كما تهوى الأنفس ويمليه الظن السيئ فإن الظن لا يغني عن الحق شيئاً، فقد ألف كتابه في القرن (١٧) م، أي في عصر الجهالة في موقف الغرب من الإسلام، ومما يؤسف له أن هذا الكتاب قد بقي ،لأمر ما ، مخطوطاً قرابة قرنين ونصف من الزمان ،إلى أن هيأ الله له نزيل لندن الهندي حافظ شيراني فقام على تحقيقه وتوثيقه ونشره في لندن سنة ١٩١١م، ثم أعادت تصويره مكتبة أكسفورد وكمبردج ونشرته دار Orientaliaفي لاهور سنة ١٩٧٥م.[2]

٦) دافيد صمويل مرجليوثDavid Samuel Margoliouth ، إنجليزى يهودى، من كبار المستشرقين، متعصب ضد الإسلام، عين أستاذ للعربية في جامعة أكسفورد له كتب عن الإسلام والمسلمين، لم يكن مخلصاً فيها للعلم مات سنة ١٩٤٠م من مؤلفاته : "التطورات

[1] يُنظر موسوعة المستشرقين، ص ٢٢٢-٢٢٣.

[2] يُنظر المستشرقون والقرآن دراسة نقدية لمناهج المستشرقين ، ص ٥٨.

المبكرة في الإسلام"، و"مُحَمَّد ومطلع الإسلام"، و"الجامعة الإسلامية" وغير ذلك له ترجمة في : الأعلام ٣٢٩/٢، والمستشرقون ٥١٨/٢، والاستشراق ص ٣٦، وآراء المستشرقين حول القرآن ٨٨/١ كان مستشرقا ولفترة قصيرة عمل قسا في كنيسة إنجلترا، و كان أستاذ لودي لتدريس اللغة العربية في جامعة أكسفورد من ١٨٨٩ إلى ١٩٣٧م.

تحول أبوه من اليهودية إلى الأنجليكانية ثم عمل كإرسالي للتبشير بين اليهود، وكان كذلك قريبا من خاله اليهودي المتحول إلى الأنكليكانية موزس ماركليوث، تعلم ماركليوث في كلية ونشستر، حيث عمل باحثا، وفي نيو كولدج، أكسفورد حيث تخرج بشهادتين ، وفاز بعدد غير مسبوق من الجوائز في الكلاسيكيات واللغات الشرقية.

بدأ حياته العلمية بدراسة اليونانية واللاتينية ثم اهتم بدراسة اللغات السامية فتعلم العربية ومن أشهر مؤلفاته ما كتبه في السيرة النبوية، وكتابه عن الإسلام، وكتابه عن العلاقات بين العرب واليهود. ولكن هذه الكتابات اتسمت بالتعصب والتحيز والبعد الشديد عن الموضوعية كما وصفها عبد الرحمن بدوي، ولكن يحسب له اهتمامه بالتراث العربي كنشره لكتاب معجم الأدباء لياقوت الحموي، ورسائل أبي العلاء المعري وغير ذلك من الأبحاث. قد اهداه أحمد شوقي قصيدة النيل، هو أحد الذين كتبوا دائرة المعارف الإسلامية. متهم بالتهويل وعدم التوثيق فيما يخص التاريخ الإسلامي ،كان عضوا في الجمعية الآسيوية الملكية من ١٩٠٥م فصاعداً، وأحد مديريها في عام ١٩٢٧م، وحصل على الميدالية الذهبية الممنوحة كل ثلاث سنوات في عام ١٩٢٨م، ثم أصبح رئيسها بين ١٩٣٤-١٩٣٧م ، انتخب عضوًا في المجمع العربي العلمي بدمشق، والمجمع اللغوي البريطاني والجمعية الشرقية الألمانية وغيرها.[1]

٧) فيليب حتيHitti . Ph ١٣٠٣ - ١٣٩٩هـ، مؤرخ العرب والحضارة الإسلامية اللبناني، ولد فيليب حتي في بلدة شملان التابعة لمحافظة جبل لبنان ودرس في مدرسة القرية، ثم أكمل في مدرسة سوق الغرب الأمريكية الثانوية والتحق بعدها بالجامعة الأمريكية في بيروت، وحصل منها على شهادة البكالوريوس في العلوم سنة (١٣٢٦ هـ/١٩٠٨ م)، التحق بجامعة كولومبيا في أمريكا، وحصل منها على درجة الدكتوراه سنة (١٣٣٣ هـ/١٩١٥ م) وتقديرا لنبوغه عينته الجامعة مدرسا في قسم الدراسات الشرقية، وظل يعمل بها أربع سنوات وعمل أستاذا زائرا في جامعة هارفرد، استدعي من قبل جامعة برينستون لتأسيس قسم لدراسات الشرق

[1] موسوعة المستشرقين، ص ٥٤٦.

الأدنى فأقام مركزا للدراسات العربية وأنشأ مكتبة عربية إسلامية في جامعة برنستون تعنى بجمع المخطوطات والوثائق العربية ونشرها، ضمت المكتبة ٥٥٠٠ مخطوطة عربية وعمل لها فهرسا باللغتين العربية والإنجليزية حتى يسهل الاستفادة منها، من أبرز مؤلفاته، تاريخ العرب، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، لبنان في التاريخ، صانعوا التاريخ العربي الحديث، كرم من حكومات مصر ولبنان وسورية، توفي عام ١٩٧٨م.[١]

٨) هنري لامنس اليسوعي H . Lammens ولد هنري لامنس عام ١٨٦٢م في بلجيكا واتخذ لبنان موطنًا ودرس في الكلية اليسوعية ببيروت، واشتغل بالتدريس فيها ١٨٨٦م وتخصص في تاريخ الشرق الأدنى وحضارة أهله، وأتقن اللغة العربية، وعين أستاذًا بمعهد دراسات الشرق الأدنى في الكلية اليسوعية ببيروت، وتوفي في مايو ١٩٣٧م، ويعد هنري لامنس من أشد المستشرقين تعصبًا على الفكر العربي الإسلامي وقد بالغ في التعصب على الإسلام حتى أعلن المنصفون شكهم في أمانته العلمية وقالوا: إنّه لا ينسى عواطفه فيما يكتب عن النبيﷺ والإسلام، وقد عرف بتهكمه على النصوص العربية كما وصف بإرهاقه للنصوص وتحميلها أكثر ممّا تحتمل، فإذا وجد في الإسلام موضعًا للفضل ذهب بنسبته إلى مصدر غير إسلامي، ووصف بالراهب المؤرخ وأخذ عن جولد سيهر ونولدكه وكيناني وولهوزن، وله كتاب عن حياة مُحَّد لم توافق دوائر الفاتيكان على نشره خشية أن يؤدي إلى احتجاج الأمم الإسلامية لما فيه من طعن وتهجم، وله كتاب (فاطمة وبنات مُحَّد) وكتابه (الثلاثة: أبو بكر وعمر وأبو عبيدة) . ومغزى الربط بينهم هو ادعاؤه بأنّهم تآمروا على الخلافة بعد وفاة النبيﷺ دون علي، يقول فاييت: "إنّ كتابه عن فاطمة وبنات مُحَّد يسوده التعصب والاتجاه العدائي"، وقد تحيز لامنس للأمويين في خلافهم مع العباسيين، ومصدر إعجابه هو اعتقاده أنّ دولتهم في تقديره لا دينية ولأنّهم أقاموا ملكهم بالشام، وتأثروا بمدنيته، يتهم لامنس في جميع مؤلفاته رواة السيرة بأنّهم مخترعون بالرغم من كونه يعتمد على رواياتهم لو وجد في أي رواية مدخلًا للطعن في الإسلام، ويذكر هذا المتعصب أنّ رقية ﵂ بنت النبيﷺ كانت جميلة وأنّ عثمان بن عفان﵁ إنّما دخل الإسلام ليتزوجها، وادعى أنّ أبا بكر وعمر وأبا عبيدة، اجتمعوا على احتكار الحكم بعد وفاة النبيﷺ وساعدهم على ذلك اثنتان من أزواج النبيﷺ هما عائشة

[١] الموسوعة الحرة ويكيبيدياhttp://ar.wikipedia.org ، الدخول الساعة التاسعة مساء، يوم السبت ١٦/٨/١٤٣٥هـ.

وحفصة، حيث مهدتا لهم السبيل في حال حياة النبيﷺ ، وقد رد عليه الأستاذ عبد الحميد العبادي فأفحمه، وممّن رد عليه فأجاد الأستاذ كرد علي، وقد سجل عليه تعصبه زملاء له من المستشرقين في مقدمتهم: بيكرودسو، وبومبين، وماسيه، وقال فاييت في نعي لامنس: "إنّه من الصعب أن نقبل كتاب فاطمة وبنات مُحَّد، في ثقة ودون تحفظ فإنّ التعصب والاتجاه العدواني يسودانه إلى حد كبير"[١]، وقد ذكر أنّ عالم قريش خالد بن يزيد تلميذ راهب ولم يقل كلمة واحدة في أثر هذا الراهب عليه، وادعى أنّ شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله- هو صاحب المذهب الارتجاعي وأنّ عقله مختل وأنّه لم يفتر عن محاربة أصحاب البدع ، وأنّه قضى حياته وهو يسوق أبناء أمته في سبيل التعصب، وادعى هذا الدجال أنّ الفقه الإسلامي قد تأثر بالفقه اليوناني، ووصف صلاح الدين الأيوبي بالطماع والحروب الصليبية بالبسالة، وصور ملوك الصليبيين على الغاية في النبل والعقل وأنّ ترك صلاح الدين لأسرى الصليبيين دون قتلهم كان عن جبن وخوف، واعتذر عن مذابح الصليبيين في بيت المقدس بأنّها مقتضيات الأخلاق الحربية في ذلك الوقت، ولا يعترف لامنس أنّه قامت للعدالة سوق في ديار الشام منذ فتحها المسلمون، وادعى أيضا أنّ رسول الله ﷺ كان رجلًا غير أمين قليل الشجاعة أكول ونؤوم . ذكر هذا في كتابه (هل كان مُحَّد صادقًا) . ووصفه بأنّه أسلم نفسه للتمتع بلذات العيش وأنّه مصروع، وادعى أنّ النبيﷺ لم يكن له ولد يسمى القاسم وأنّ فاطمة تزوجت في سن متقدمة ولم تكن حسنة الصورة، وفي مقال نشره سنة ١٩٣٠ بعنوان (نظرة في حاضر الإسلام) أبدى إعجابًا كبيرًا لما بلغه الأمر بأنّ التعليم الديني القرآني في تأخر بفعل الاستعمار، وأنّ تطور التعليم الرسمي يتحرر من الدين شيئًا فشيئًا حتى يصبح لا دينيا محضًا، وأنّ دعاة التطور قد مدوا أصابعهم داخل الجامع الأزهر والزيتونة، وأشار إلى أنّ ذلك سيؤدي إلى اضطراب الشبيبة الإسلامية في مبادئها وعقائدها، وأنّ ذلك سيؤدي إلى صدمة قوية يعانيها الإسلام، قال كرد علي[٢]: "إنّ لامنس ألف تاريخًا مختصرًا للشام لم يذكر فيه للإسلام ولا

---

[١] أعلام وأقزام في ميزان الإسلام، سيد حسين العفاني، مفهرس بالكامل، دار ماجد عسيري، ١٤٢٤هـ — ٢٠٠٤م، ٤٥٩/٢.

[٢] هو مُحَّد بن عبد الرزاق بن مُحَّد، كرد علي: رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق، ومؤسسه، وصاحب مجلة (المقتبس) والمؤلفات الكثيرة. وأحد كبار الكتاب. أصله من أكراد السليمانية (من أعمال الموصل) ومولده ووفاته في دمشق. تعلم في المدرسة (الرشدية) الاستعدادية، وتوفي والده، وهو في الثانية عشرة من عمره، فابتدأ حياته الاستقلالية صغيرا. وأقبل على المطالعة والدروس الخاصة، فأحسن التركية والفرنسية، وتذوق الفارسية. وحفظ أكثر شعر المتنبي ومقامات الحريري،

للعرب مُحَمَّدة من ثلاثة عشر قرنًا ونصف القرن، ووصف العربي بأنّه ليس شجاعًا وأنّه على استعداد للنهب، كما تمدح الصليبيين وهم بشهادة المؤرخين من أهل الخبث والفجور"، وفي تقدير الباحثين أنّ لامنس أضعف من شأن أكثر مؤرخي العرب أمثال الطبري والبلاذري، وابن سعد والأصفهاني وابن الأثير وابن خلدون وأبي الفداء وقد ذكر إميل درمنجم: "إنّ كتب لامنس قد شوهت محاسنها بما بدأ في تضاعيفها من كراهية الإسلام ورسوله وأنّه استعمل إلى التاريخ طرقًا بالغ فيها بالنقد"، وقال كرد علي أيضا: "إنّ لامنس نشر أخطاءه وأكاذيبه في دائرة المعارف الإسلامية، ومن عمله تحريف آيات القرآن، وحذف ما لا يروقه من كتب المسلمين وخلط الآيات القرآنية بأبيات الشعر، وجعل الأحاديث النبوية من كلام بعضهم، وإيراد الخرافات من كتب الوضاعين والقصاصين مدعيًا أنّها منقولة من كتب الثقات الأثبات".[1]

٩) هاملتون الكسندر روسكين جبHamilton Alexander Roskeen Gibb انجليزي من مواليد الاسكندريةِ ، وهو خليفة لمرجليوث في جامعة اكسفورد ، وهو أحدُ المستشرقينَ الذين يهاجمون الإسلام من طرف خفي ، وإن كان يظهر في الظاهر أنه منصفٍ ، وتتسم كتاباته بالعمقِ ، ولا يظهر الطعن فيها إلا لمن سبر غور كتبهِ ، وأحسن قراءة ما بينَ السطورِ ، من أكبر مستشرقي انجلترا المعاصرين كان عضواً بالمجمع اللغوي في مصر و أستاذ الدراسات الإسلامية والعربية في جامعة هارفرد الأمريكية، من كبار محرري وناشري (دائرة المعارف الإسلامية)، له كتابات كثيرة فيها عمق وخطورة وهذا هو سر خطورته، ومن كتبه:

١ – (طريق الإسلام) ألفه بالاشتراك مع آخرين وترجم من الإنجليزية إلى العربية .

٢ – (الاتجاهات الحديثة في الإسلام)، صدر في عام ١٩٤٧م وأعيد طبعه وترجم إلى العربية.

٣ – (المذهب المحمدي) صدر في عام ١٩٤٧م وأعيد طبعه.

٤ – (الإسلام والمجتمع الغربي) يصدر في أجزاء وقد اشترك معه آخرون في التأليف وله مقالات أخرى متفرقة.[2]

=ثم كانت مفردات المقامات، تضايقه حين يكتب. وتولى تحرير جريدة (الشام) الاسبوعية الحكومية، سنة ١٣١٥ – ١٣١٨ هـ وكان يلتزم بها السجع في مقالاته. الأعلام، خير الدين بن محمود بن مُحَمَّد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين، بيروت،٢٠٠٢م، ٢٠٢/٦.

[1] موسوعة المستشرقين، ص ٥٠٣–٥٠٥.

[2] موسوعة المستشرقين ص ١٧٤–١٧٥.

١٠) صموئيل مارينوس زويمر: S. M. Zweimer ،١٢ أبريل ١٨٦٧، ٢ أبريل ١٩٥٢ أمريكي الجنسية ، تخرج من كلية الأمل (Hope College)، بميشيغان، وفي عام ١٨٩٠، تخرج من المدرسة اللاهوتية في نيو برونزويك، نيوجيرسي، سافر على نطاق واسع في آسيا الصغرى، وانتخب زميلا للجمعية الجغرافية الملكية من لندن، وفي عام ١٩٢٩ عين أستاذ البعثات وأستاذ تاريخ الأديان في جامعة برنستون اللاهوتية ،وهو مستشرق مبشر أشتهر بعدائه الشديد للإسلام، من ابرز المستشرقين الأميركيين الذين خاضوا عملهم ميدانياً في منطقة الشرق الأوسط خصوصاً جنوب العراق ودول الخليج العربية، وقد اشتهر بدوره التبشيري وعدائه الشديد للإسلام. له مؤلفات عديدة عن الإسلام في العالم، وعن العلاقات بين المسيحية والإسلام، منها كتاب "يسوع في إحياء الغزالي" ومؤسس مجلة (العالم الإسلامي) الأمريكية التبشيرية مؤلف كتاب (الإسلام تحدٍ لعقيدة) صدر في سنة ١٩٠٨م، وناشر كتاب (الإسلام) وهو مجموعة مقالات قدمت للمؤتمر التبشيري الثاني في سنة ١٩١١م بلكنهؤ في الهند، وتقديرا لجهوده التبشيرية أنشأ الأمريكيون وقفا باسمه على دراسة اللاهوت وإعداد المبشرين.[١]

---

[١] الموسوعة الحرة ويكيبيدياhttp://ar.wikipedia.org ،الدخول الساعة السادسة والنصف مساء من يوم الأحد ١٤٣٥/٨/١٧.

الفصل الأول

مناهج المستشرقين ومصادرهم في الكتابة عن قصص القرآن الكريم

وفيه تمهيد ومبحثان:

التمهيد: نبذة عن المنهج الاستشراقي.

المبحث الأول: مناهج المستشرقين في دراساتهم وكتاباتهم عن قصص القرآن الكريم ، وفيه ثمانية مطالب:

المطلب الأول: منهج التشكيك فيما هو قطعي في كتابات المستشرقين عن قصص القرآن الكريم.

المطلب الثاني: المنهج المادي في كتابات المستشرقين عن قصص القرآن الكريم.

المطلب الثالث: المنهج الاجتماعي في كتابات المستشرقين عن قصص القرآن الكريم.

المطلب الرابع: المنهج الانتقائي في استعمال المصادر في كتابات المستشرقين عن قصص القرآن الكريم.

المطلب الخامس: منهج الأثر والتأثر.

المطلب السادس: المنهج الافتراضي.

المطلب السابع: المنهج الإسقاطي.

المطلب الثامن: المنهج التأويلي لآيات القصص في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: مصادر المستشرقين في كتاباتهم عن قصص القرآن الكريم وموقفهم منها، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مصادر المستشرقين في كتاباتهم عن قصص القرآن الكريم.

المطلب الثاني: موقف المستشرقين من مصادرهم في الكتابة عن قصص القرآن الكريم.

التمهيد

من المسلم به أن الاستشراق والفكر الاستشراقي، يملك منهجا أو بكلمة أدق بعدا منهجيا لابد من نقده أولا من قبل أهل العلم والفكر والدراية والغيرة على هذا الدين ، قبل التعرض لنقد الاستشراق والمستشرقين على حد سواء ، ذلك البعد المنهجي الذي مارس وما زال يمارس سلطة معرفية ومنهجية على الفكر العربي والإسلامي، فالفكر الإسلامي لم يعط أهمية للمنهج الاستشراقي إلا في السنوات الأخيرة، في ظل اشتداد التبعية الفكرية ، ويمكن القول بأن ما هو ثابت في الفكر الغربي عامة هو ذلك الجدل العميق بين العقل والمنهج ، فالعقل الغربي أساسه الثورة المنهجية، وتداخل العقل والمنهج يمثل قاعدة الحداثة الفكرية الغربية منذ ديكارت[1] صاحب مقال في المنهج إلى حدود فكر الاختلاف المبشر بمنهجية التفكيك.

ولقد داب المستشرقون في دراساتهم للتراث الإسلامي، إلى مجانبة الصواب فيما يمت للإسلام بصلة ، إذ أنهم يبنون نظرياتهم العلمية ، ومواقفهم الفكرية على خلفيات ذهنية، وافتراضات مسبقة، ومسلمات خاطئة، تفضي كلها إلى نتائج واستنتاجات فكرية خاطئة ومجانبة للحقائق، وذلك لأنها بنيت على ادعاءات وافتراءات متعمدة تجاه الإسلام وتراثه المجيد، كما أن النظرية الكلية للحكم على الأشياء، وفي التعامل مع القضايا، إذ يميلون في دراساتهم إلى التجزئة، أي يميلون إلى رأي معين قد يوافق ما يريدون ، ويغفلون بقية الآراء، كالميل إلى مذهب معين وترك بقية المذاهب، أو عدم الالتفات إلى المشهور والمتفق عليه من الآراء، والتركيز على ما ضعف منها، بل ويستشهدون بالاستشهادات المبتورة والمقطعة التي بها يصلون إلى مبتغاهم وغاياتهم، ومن ذلك استشهاد بعضهم بقول النبيﷺ " إنما حبب إلي من دنياكم

---

[1] رينيه ديكارت ٣١ مارس ١٥٩٦ – ١١ فبراير ٦٥٠)، فيلسوف، ورياضي، وفيزيائي فرنسي، يلقب بـ"أبو الفلسفة الحديثة"، وكثير من الأطروحات الفلسفية الغربية التي جاءت بعده، هي انعكاسات لأطروحاته، والتي ما زالت تدرس حتى اليوم، كما أن لديكارت تأثير واضح في علم الرياضيات، فقد اخترع نظاماً رياضياً سمي باسمه وهو (نظام الإحداثيات الديكارتية)، الذي شكل النواة الأولى لـ(الهندسة التحليلية)، فكان بذلك من الشخصيات الرئيسية في تاريخ الثورة العلمية، وديكارت هو الشخصية الرئيسية لمذهب العقلانية في القرن١٧ م، كما كان ضليعاً في علم الرياضيات، فضلاً عن الفلسفة، وأسهم إسهاماً كبيراً في هذه العلوم، المقال عن النهج، ديكارت، ترجمة محمود الخضيري، مراجعة وتقديم: د. مُحَمَّد مصطفى حلمي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، ١٩٨٥م، ص ٧٧-٨١.

النساء والطيب..." دون ذكر بقية الحديث" وجُعلت قرة عيني في الصلاة"[١]، وهذا الخبث وسوء الطوية ، وهذا القطع للحديث الشريف ، يريدون من ورائه تحقيق أمرين:

١) إظهار النبي عليه الصلاة والسلام على أنه متتبع للشهوات ، التي يحاول المستشرقون وصفه أما الناس بها، تشويها لسمعته، وصرفا للناس عنه.

٢) إهمال أمر الصلاة كركن من أركان الإسلام، وإبعاد الناس عنها، والتهوين من قدرها ومكانتها التي وضعها فيها النبيﷺ.

كما أن الملاحظ في المنهجية الاستشراقية، التبعية التوراتية من بعضهم لبعض، إذ يتوارثون الآراء كابرا عن كابر، دون الاستناد إلى مرجعية علمية صحيحة، ودون مراجعة أو تدقيق، خاصة فيما يتصل بالقرآن والسنة والسيرة وغيرها من الموروث الإسلامي.

ومن المنهجية الاستشراقية المناهضة للحقائق، عدم الدقة في استخدام المصطلحات التي تتصل بالإسلام ، فلقد سعت المنهجية المريضة لدى المستشرقين إلى تشويه الفكر الديني وتشويه الإسلام عبر ما يستخدم من المصطلحات ، كاصطلاح الإسلام مثلا حينما يطلقونه للتعبير عن المسلمين، وذلك للغاية الخبيثة وهي تقديم الإسلام من خلال سلوك وتصرفات بعض المسلمين، وهذا تصرف منهم للإساءة إلى الإسلام وتشويه معالمه السامية، وذلك بإخفاء حقائقه العظيمة، بهدف صرف الناس عنه والحد من انتشاره. ولا ننسى صيغة الشك والتشكيك في كل ماله صلة بدين الإسلام وخصوصا القرآن والسنة والفقه الإسلامي، بل كل ماله صلة بنبينا مُحَمَّدﷺ ، حيث يستخدمون مفردات تنبئ القارئ والسامع بالشك في حقيقة ما يقال ومن ذلك مفردات(من الممكن- ظن-يبدو-لعله) وغيرها مما يهز ثقة القارئ والمستمع في مضامين دين الإسلام، ومن الأمثلة على ذلك ما قاله كارل بروكلمان[٢] " أعلن مُحَمَّد ما ظن أنه سمعه كوحي من عند الله"[٣] ، وكم أحدثت كلمة(ظن) التي كثرت في كتب المستشرقين من أذى للإسلام والمسلمين، وكم تسببت من تشويه وصد عن دين الله.

---

[١] سنن النسائي، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، تحقيق عبدالفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية ، حلب ، ١٤٠٦ هـ- ١٩٨٦م، باب حب النساء، ٦١/٧، ومسند الإمام أحمد، أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، دار الكتب العلمية ، بيروت، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م، ١٢٨/٣، وصححه الألباني في السلسلة ١٥٧/٢.

[٢] ترجم له ص ٤٩.

[٣] تاريخ الشعوب الإسلامية، كارل بروكلمان، ترجمة وتحقيق نبيه فارس و منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٥م، ص٣٠.

والمتتبع والمتفكر في مناهج المستشرقين، يجد أنهم ينحون منحى التعميم في أحكامهم، وكذلك عندما يتحدثون عن القواعد العلمية أو المراجع والمصادر، أو يستشهدون بأدلة وشواهد ذكرها العلماء فيعمدون إلى القول بـ(ويذكر بعض العلماء أو وقد قال ذلك بعض الباحثين أو المفكرين دون أن يشار إلى نماذج منهم)، وهذه المنهجية مغايرة للصفة العلمية الصحيحة، بل ومجانبة للدقة واليقين، وتميل إلى المراوغة وتتويه القارئ والمستمع، بمعنى أنها منهجية تضاد البحث العلمي الصحيح، ومن هذه النماذج التي تجانب المنهجية العلمية المعروفة في قواعد البحث العلمي للاستدلال لا للحصر فلهاوزن[1] في كتابه [الدولة العربية وسقوطها] وغيره كثير ممن يتعمدون الجنوح عن قواعد البحث العلمي الصحيحة إذا كان الأمر يتصل بالإسلام وأهله.[2]

[1] يوليوس ڤلهاوزن Julius Wellhausen ١٧ مايو ١٨٤٤م- ٧ يناير ١٩١٨م باحث توراتي ومستشرق ألماني، وهو صاحب الفرضية الوثائقية، ولد في هاملن على ڤسر، وستفاليا، درس اللاهوت في جامعة گوتنگن على يد گيورگ هاينريش أوگست إڤالد، وبحلول عام ١٨٧٠م أصبح خبيراً في تاريخ التوراة، أنظر الموسوعة الحرة ويكيبيدياwikipedia.org الدخول الساعة الثانية عشرة ليلا من يوم الثلاثاء ١٤٣٥/٩/١٨هـ.

[2] للمزيد من التوسع ينظر الاستشراق أهدافه ووسائله ص١١٤.

المبحث الأول

مناهج المستشرقين في دراساتهم وكتاباتهم عن قصص القرآن الكريم ، وفيه ثمانية مطالب:

المطلب الأول: منهج التشكيك فيما هو قطعي في كتابات المستشرقين عن قصص القرآن الكريم.

المطلب الثاني: المنهج المادي في كتابات المستشرقين عن قصص القرآن الكريم.

المطلب الثالث: المنهج الاجتماعي في كتابات المستشرقين عن قصص القرآن الكريم.

المطلب الرابع: المنهج الانتقائي في استعمال المصادر في كتابات المستشرقين عن قصص القرآن الكريم.

المطلب الخامس: منهج الأثر والتأثر.

المطلب السادس: المنهج الافتراضي.

المطلب السابع: المنهج الإسقاطي.

المطلب الثامن: المنهج التأويلي لآيات القصص في القرآن الكريم.

المطلب الأول

منهج التشكيك فيما هو قطعي في كتابات المستشرقين عن قصص القرآن الكريم.

قال ابن منظور: الشَّكُّ: نقيض اليقين، وجمعه شُكُوك، وقد شَكَكْتُ في كذا وتَشَكَّكْتُ، وشَكَّ في الأَمر يَشُكُّ شَكّاً وشَكَّكَه فيه غيرهُ.[1]

والشك هو: تجويز أمرين لا مزية لأحدهما على الآخر.[2] وقال السمعاني: هو التردد بين طرفي نقيض.[3] وقال الرازي: هو أن يبقى الإنسان متوقفاً بين النفي والإثبات.[4]

والمقصود مما سبق أن الشك خلاف اليقين ، وقد سبق و أن ذكرت من خلال التمهيد ، أن منهج التشكيك هو أحد المناهج التي ينتهجها المستشرقون، بل هو العماد الذي يتكئ عليه الفكر الغربي، وأول من دعا إليه هو المستشرق والفيلسوف الغربي رينيه ديكارت[5] إذ يقول: "أنا أشك إذن أنا موجود"[6] والشك عند ديكارت هو خطوة التأمل الفلسفي الأولى والأساسية، وهو السبيل الأمثل للوصول إلى اليقين، وهو وسيلة للحصول على معرفة الحقيقة معرفة أكثر وضوحا، ويَنْصَب ذلك التشكيك أولا وأخيرا في كل ما يتصل بدين الإسلام بداية بالقرآن الكريم والسنة النبوية ونهاية بالتاريخ والسيرة، ومنهج التشكيك هذا متوارث بين أجيال المستشرقين فالجيل المعاصر يتبع أسلافه تبعية عمياء، إذ يسيرون في ركابهم ويطبقون مناهجهم وقواعدهم مجافين للقواعد العلمية الصحيحة والمتعارف عليها عند العلماء والباحثين ، ويبالغون كثيرا إلى حد التعدي في التشكيك في الآثار والروايات التاريخية التي تتصل بالقرآن الكريم وعلومه، وعلى وجه الخصوص فيما يتصل بالقصص القرآني. ويعتمدون في هذا المنهج على

---

[1] لسان العرب لابن منظور مادة شكك.

[2] الورقات في اصول الفقه، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني، تحقيق : د. عبد اللطيف محمد العبد، طبعة حيدر اباد، الهند، ١٩٩٨م، ص ٩.

[3] تفسير القرآن ، منصور بن محمد بن عبد الجبار التميمي المروزي الشافعي السلفي أبو المظفر السمعاني، تحقيق ياسر بن إبراهيم أبو تيميم وغنيم بن عباس أبو بلال، دار الوطن للنشر، الرياض، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م،٣ /١٠٧.

[4] التفسير الكبير، الإمام فخر الدين الرازي أبو عبد الله محمد بن عمر بن حسين القرشي الطبرستاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٥هـ -٢٠٠٤م ، ١٥/١٨.

[5] ترجم له ص ١٠٠.

[6] المنهج الفلسفي بين الغزالي وديكارت، محمود حمدي زقزوق، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٨م، ص ٥٩.

العملية الانتقائية التي تهدف إلى ما يسعون إليه، ويطمعون فيه من نتائج عكسية، كما أن عدم ثقتهم في صحة النص القرآني دفعهم إلى الشك في أمانة نقله وسلامة تبليغه، بل وفي الشك فيمن نقله إلينا عن الله وهو نبيناﷺ ،ويتعدى هذا الشك إلى جمع القرآن الكريم وترتيبه، فيقولون زورا وبهتانا أن النص القرآني الذي جاء به مُحَمَّدﷺ قد نالته تعديلات كثيرة بالزيادة والنقصان بعد تبليغه للناس خاصة بعدما دُون وكُتب[١] ، وكان لاختلاف المصاحف بأيدي الصحابة ﭫ أجمعين فرصة وميدانا لهؤلاء المستشرقون لينفثوا سمومهم وينشروا أباطيلهم، من أجل زلزلة العقيدة وفتح أبواب الشكوك والارتياب، فهؤلاء المستشرقون يعرفون أن الشك في نص يوجب الشك في آخر، ولذلك فهم يلحون في طلب روايات الاختلاف، وينقلونها في غير تحرز، ويؤيدونها غالبا، ولا يمتحنون أسانيدها، ولا يلتفتون إلى آراء علماء المسلمين فيها، ولنرى أحدهم وهو المستشرق الإنجليزي آرثر جفري Arthur Jeffery[٢] الذي جمع الاختلافات المنسوبة إلى المصاحف الفردية لبعض الصحابة أمثال:

ابن مسعود، وأبي بن كعب، وعلي بن أبي طالب، وابن عباس، وأبي موسى الأشعري، وحفصة، وأنس بن مالك، وزيد بن ثابت، وغيرهم.

ورغم التشكيك والتلبيس الذي ينشره المستشرقون ويحاولون إثباته من خلال دراساتهم وكتاباتهم ، إلا أن بعضهم يعترف جازما أن بعض الاختلافات لا يمكن أن تكون وذلك من الناحية اللغوية، والبعض الآخر يرى أنها مما استحدثه بعض اللغويين الذين نسبوها لهؤلاء الصحابة والتابعين، ولذلك فالمستشرقون يصفون مصحف عثمان بن عفانﭬ بأنه أقرب المصاحف إلى الأصل ، ولا يقولون إنه الأصل الموثوق به نفسه، فهم يتحاشون الاعتراف بأن القرآن الكريم قد جُمع وفق منهج علمي رصين قوامه التوثيق والدقة والتثبت، وقد أجمع الصحابة على صحة هذا الجمع وتلقوه بالقبول والعناية، وأخذوا بما تضمنه من الأوجه والقراءات، ومن ضمن هؤلاء الصحابة _ بطبيعة الحال _ جميع الصحابة الذين حشد لهم آرثر جفري مصاحف خاصة تتضمن بعض الاختلافات، ومنهم علي بن أبي طالبﭬ الذي قال: "أعظم الناس في المصاحف أجراً أبو بكر فإنه أول من جمع ما بين اللوحين"، كما أن زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير الذين ذكر لهما جفري مصحفين خاصين كانا ضمن اللجنة

---

[١] ينظر دائرة المعارف الإسلامية ٥/٤٠٥.

[٢] آرثر جفري (١٣١٠ – ١٣٧٩ هـ / ١٨٩٢ – ١٩٥٩ م) هو مستشرق أسترالي، معروف بتعصبه ضد الإسلام، ينظر منهج كتابة التاريخ الإسلامي لماذا وكيف، ص ٩٠.

الرباعية التي شكّلها عثمان بن عفان ﷺ لجمع القرآن في عهده.[1]
وديكارت وغيره من أصحاب مذهب الشك، لا يستثنون أي شيء من لزوم الريبة فيه، ولا بد أن يخضعوه لعملية الشك قبل الوثوق به حتى في الغيبيات التي لا تدرك بالعقل وحده، ويدل على ذلك قوله" إن هناك ثمة أحكاما كثيرة تسرعنا في إصدارها على الأشياء ربما تحول دون بلوغنا الحق، وعلقت بعقولنا قبل التيقن منها، حتى أنه لم يعد هناك أمل في التخلص منها إلا إذا شرعنا مرة أخرى في حياتنا إلى وضع جميع الأشياء التي قد تنطوي على أقل قسط من الريبة موضع الشك".[2] والمستشرقون ممن ينتمون إلى مذهب الشك، يقسمون الشك إلى قسمين حسب آراءهم وتصوراتهم الشخصية، التي لا ترتكز على قواعد علمية صحيحة، وهما:
١) الشك المنهجي، ويصفونه بالمعتدل، ويدّعون أن الغرض منه هو التوصل إلى الحقائق، ومن يأخذ بهذا الشك فهو أقرب إلى الموضوعية من الجامد أو الجاحد.
٢) الشك المذهبي أو المعرفي، لأنه شك في أصل المعرفة، ويصفونه بالمتطرف، وهذا شك لا غرض منه سوى العبثية، لأنه هو في نفسه مذهب فلا ثوابت له، فصاحبه يشك ويشك في أنه يشك، وهو مذهب السوفسطائيين.[3]

ولعمري إن في ديار المسلمين اليوم من أمثال مُحَمَّد خلف الله ومُحَمَّد الجابري ممن يُسَوِّقُون للفكر الليبرالي والاستشراق الغربي ممن يتأسون بالغربيين ويسيرون في خطاهم، ويجعلون الشك هو المرحلة الأولى للبحث والمعرفة، وبدون ذلك لا يتم البحث ولا تكتمل المعرفة، بل الجمود والتقليد والتخلف، ولذلك نسمع ونقرأ ما تنفثه أقلامهم الفاسدة، وتتفوه به ألسنتهم الجائرة من خلال الوسائل الإعلامية، أو شبكات التواصل الاجتماعية والانترنت، ولذلك كان من مقولاتهم:
١- لا يتأتى للإنسان العيش إلا في ظل الثقافة والفلسفة التي يشوبها الشك.
٢- لقد بلغ التفكير في الإسلام مبلغا فلسفيا لم تبلغه ثقافة أو حضارة أخرى، حتى إن

---

[1] ينظر الجمع الصوتي الأول للقرآن، د. لبيب السعيد، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٨، ص ٣٢٣و الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م، ١/ ١٢٧.

[2] ديكارت في الفلسفة العقلية، د. راوية عبد المنعم عباس، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٩٤م، ص١٢٩.

[3] ينظر نظرية المعرفة عند مفكري الإسلام وفلاسفة الغرب المعاصرين، د.محمود زيدان، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٩م، ص٢٨-٢٩.

المسلمين وعلى رأسهم كبار المتكلمين من قديم وحديث أمثال واصل بن عطاء المعتزلي، مؤسس طائفة المعتزلة، أقروا مبدأ الشك والبحث للوصول إلى اليقين.

٣- مرض ثقافتنا الإسلامية هو اليقين الأعمى، الشك بما هو حَيرة بين خيارات أو سيناريوهات عدة ممكنة، وبما هو ارتياب في حقيقة واقعة ما، وبما هو إحجام عن إصدار حكم قيمة على فعل ما، وبما هو تساؤل عن المرويات والمعتقدات، وبما هو شك في امتلاك الحقيقة ناهيك عن الحقيقة المطلقة، لا محل له من الإعراب في ثقافتنا الإسلامية المشابهة في هذا الصدد، لثقافات القبائل البدائية التي لا تعرف الشك، كل شيء آت لا ريب فيه، أحكامنا قطعية، حقائقنا بديهيات، ومعارفنا مسلّمات مستغنية عن البرهان، اليقين الأعمى ساد بين النخب منذ انتصار الإسلام الحنبلي.[١]

لكن مذهب الشك هذا ليس بالجديد وليس حديثا كما يظن كثير من الناس، أن أول من قال به ديكارت، فأهل الكلام من أهل القبلة كان الشك منتشرا فيهم، خاصة المعتزلة[٢]، حتى جعلوه واجبا، ونُقل عن أبي هشام الجبائي[٣] قوله: أول الواجبات هو الشك لتوقف القصد إلى النظر عليه.[٤]

---

[١] ينظر ما مزايا تدريس الفلسفة، العفيف الأخضر، جريدة إيلاف الألكترونية، ٣٠ أكتوبر ٢٠٠٨م، و شرح المقاصد في علم الكلام، سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني، دار المعارف النعمانية، باكستان،١٤٠١هـ – ١٩٨١م، ٤٨/١ ، و لنشك حتى لا نقع في شر قطعياتنا، يوسف أبا الخيل، صحيفة الرياض، عدد(١٣٧٨٢) ١٤٢٧/٢/١٩هـ، وحقوق الإنسان بين الفلسفة والأديان، حسن مصطفى الباش، دار الكتب الوطنية، بنغازي،١٤٢٦هـ، ص ٧٣-٧٤.

[٢] المعتزلة فرقة كلامية سنية ظهرت في بداية القرن الثاني الهجري(٨٠ هـ- ١٣١ هـ) في البصرة (في أواخر العصر الأموي) وقد ازدهرت في العصر العباسي ، اعتمدت المعتزلة على العقل في تأسيس عقائدهم وقدموه على النقل، وقالوا بأنّ العقل والفطرة السليمة قادران على تمييز الحلال من الحرام بشكل تلقائي، أنظر موقف ابن تيمية من الأشاعرة، عبد الرحمن بن صالح بن صالح المحمود، مكتبة ابن رشد، ١٤١٥ هـ– ١٩٩٥ م، ٧٧/١، و دراسات في الأهواء والفرق والبدع وموقف السلف منها، د. ناصر العقل، دار إشبيليا، الرياض، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، ص ١٨٣.

[٣] هو الشيخ أبو هاشم عبد السلام بن مُحَمَّد بن عبد الوهاب بن سلام ابن خالد بن حمران الجبائي المعتزلي وابن شيخ المعتزلة، ولد عام ٢٧٥هـ/٨٨٨م، ودرس على أبيه وعلماء عصره، حتى نبغ وأشتهر بين العلماء، وكان من البارعين في علم الكلام والمناظرة، ولم تكن له رواية في علم الحديث، وأتبعته فرقة يطلق عليها الهاشمية، أو البهشمية من المعتزلة، ينظر الأعلام للزركلي ٧/٤.

[٤] ينظر شرح المقاصد في علم الكلام، ٤٨/١.

وللمستشرقين باع طويل في التشكيك فيما ثبت قطعا من قصص القرآن الكريم بالأدلة والنصوص التي لا مجال فيها ولا مدخل للطعن والتشكيك ، والهدف لهم في ذلك واضحا جليا، يتجلى من خلال كتاباتهم ودراساتهم للتراث الإسلامي، وخصوصا فيما يتصل بالكتاب والسنة ، إذ ليس لهم من مراد سوى الصد عن دين الإسلام ، وتشويه معالمه السامية، والتشكيك في حقائقه الثابتة، وإيقاف عالميته وانتشاره المطرد ، التي وصل إلى أرجاء المعمورة رغم ما يواجه من تحديات وحرب ضروس من قبل أعدائه، وهذا مصداق قول النبي عليه الصلاة والسلام" ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر الا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل عزا يعز الله به الإسلام وذلا يذل الله به الكفر"[1].

ومن يتأمل في القرآن العظيم يجد آيات كثيرة تبطل مذهب الشك، وتعيب على من ينتهج هذا المذهب الفاسد، وآيات القرآن الكريم التي تبطل هذا المعتقد عند المستشرقين وأشياعهم كثيرة جدا، نورد منها ما يؤيد ما ذكرناه من فساد مذهبهم وعمى بصيرتهم، ومنها:

أولا: شكهم في دعوات الرسل عليهم الصلاة السلام إلى عبادة الله تعالى وحده، وترك ما يعبدون من الأوثان، كما قال تعالى ﴿ قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدۡ كُنتَ فِينَا مَرۡجُوّٗا قَبۡلَ هَٰذَآۖ أَتَنۡهَىٰنَآ أَن نَّعۡبُدَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ ﴾ هود ٦٢، وقوله تعالى ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ فَٱخۡتُلِفَ فِيهِۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّهُمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ﴾ هود ١١٠ وجاء عقب هذه الآية بيان بطلان ما هم عليه من عبادة غير الله تعالى، ونفي أي شك في بطلانه كما قال عز وجل ﴿ فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٖ مِّمَّا يَعۡبُدُ هَٰٓؤُلَآءِۚ مَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبۡلُۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمۡ نَصِيبَهُمۡ غَيۡرَ مَنقُوصٖ ﴾ هود ١٠٩ مما يعني أن ما هم فيه من الشك في عبادة الله تعالى باطل يقينا، كما أن ما هم فيه من عبادة الأوثان لا شك في بطلانه، فكان في هذه الآية نفي لشكين وإثبات ليقينين، ومن وجه آخر عاب الله على المشركين شكهم في ربوبيته وألوهيته فقال سبحانه ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٨ بَلۡ هُمۡ فِي

[1] مسند الإمام أحمد، أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، تحقيق مُحَّد عبدالشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م، من حديث تميم الداري رضي الله عنه ، ١٠٣/٤، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ١/١.

شَكٍّ يَلۡعَبُونَ ٩ ﴾ الدخان ٨ - ٩ ، قال ابن كثير رحمه الله تعالى" قد جاءهم الحق اليقين وهم يشكون فيه ويمترون ولا يصدقون به"[١]، ويقول عز وجل ﴿ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۛ لَا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا ٱللَّهُۚ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فِيٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرۡنَا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَنَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ ﴾ إبراهيم ٩، قال الإمام الطبري رحمه الله"﴿ وَإِنَّا لَفِي شَكّٖ ﴾ من حقيقة ما تدعوننا إليه من توحيد الله، ويريبنا ذلك الشك ، ويوجب لنا الريبة والتهمة فيه"[٢] ، ولذلك رد الله عليهم ردا قويا ينفي الشك فيه، ويرد هذه التهمة والفرية عليهم على ألسنة رسله عليهم السلام، ثم يلفت انتباههم إلى بعض آياته الدالة على ربوبيته، فقال عز وجل" ﴿ قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَدۡعُوكُمۡ لِيَغۡفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرَكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ قَالُوٓاْ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأۡتُونَا بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ﴾ إبراهيم ١٠، قال البغوي رحمه الله" هذا استفهام بمعنى نفي ما اعتقدوه"[٣] وقال ابن الجوزي رحمه الله تعالى" هذا استفهام إنكار، والمعنى: لا شك في الله، أي: في توحيده"[٤] ، وعاب تعالى عليهم سلوك سبيل أجدادهم حين شكُّوا في دعوة يوسف عليه السلام، ثم أكد هذا الذم بنفي الهداية عمن هو مسرف في شركه، مرتاب في ربوبيته تعالى وألوهيته،كما في قوله تعالى على لسان العبد المؤمن من آل فرعون ﴿ وَلَقَدۡ جَآءَكُمۡ يُوسُفُ مِن قَبۡلُ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلۡتُمۡ فِي شَكّٖ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلۡتُمۡ لَن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِهِۦ رَسُولٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ

---

[١] تفسير ابن كثير،٤/١٣٩.

[٢] تفسير الطبري ٤٧٨٣/٦.

[٣] معالم التنزيل، محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي ،حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر ،دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م،٢٧/٣.

[٤] تذكرة الأريب في تفسير الغريب، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق طارق فتحي السيد، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م، ٣٤٩/٤.

ٱللَّهُ مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ مُّرۡتَابٌ ﴾ غافر ٣٤ .[1] وذم الله تعالى أهل الكتاب عندما شكُّوا في النبي عليه الصلاة والسلام كم في قول الله تعالى ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ﴾ الشورى ١٤ قال جمع من المفسرين: "أي في شك من محمَّد"[2] ، والمقصود أن الله تعالى ذم أهل الكتاب على شكهم فيما لا شك فيه، وكان لابن حزم رحمه الله موقف حازم من أصحاب مذهب الشك فقال: "والله ما سمع سامع قط بأدخل في الكفر من قول من أوجب الشك في الله تعالى وفي صحة النبوة فرضا على كل متعلم لا نجاة له إلا به، ولا دين لأحد دونه، وإن اعتقاد صحة التوحيد لله تعالى وصحة النبوة باطل لا يحل، فحصل من كلامهم أن من لم يشك في الله تعالى ولا في صحة النبوة فهو كافر، ومن شك فيهما فهو محسن مؤد ما وجب عليه، وهذه فضيحة وحماقة، اللهم إنا نبرأ إليك من هذا القول"[3] ، وأهل الكلام جعلوا أول واجب هو النظر أو القصد إلى النظر الناتج عن مذهب الشك، ومذهب الشك باطل، وما بني على باطل فهو باطل، فطرائق إثبات الحقائق الغيبية عند المتكلمين بالنظر أو القصد إلى النظر غير صحيحة، والكتاب والسنة على خلافها، وذلك أن الرسل عليهم السلام دعوا أقوامهم إلى التوحيد، ولم يدعوهم إلى النظر أو القصد إلى النظر، كما في قوله تعالى ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴾ النحل ٣٦ وقوله تعالى ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ الأنبياء ٢٥ وأخبرنا الله جل وعلا في سورة الأعراف عن نوح وهود وصالح وشعيب عليهم السلام أن كل واحد منهم قال لقومه ﴿ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ ﴾ الأعراف ٥٩ ولم يدعوا أقوامهم ابتداء إلى النظر أو القصد إليه، وفي بعث معاذ إلى اليمن لدعوة الناس إلى الله، كان أول ما دعا إليه واجب

[1] ينظر الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية ، القاهرة، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م،٣١٢/١٥.

[2] معالم التنزيل ١٢٢/٤.

[3] الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم الأندلسي الظاهري، دار ابن الهيثم، القاهرة، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م،١٦٤/٤.

التوحيد على العباد، وهذا خلاف ما يزعمه أهل الأهواء والكلام من أول واجب هو معرفة الله بالنظر، أو القصد إلى النظر، أو الشك، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذا رضي الله عنه على اليمن قال " إنك تقدم على قوم أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله فإذا عرفوا الله فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم فإذا فعلوا فأخبرهم أن الله فرض عليهم زكاة من أموالهم وترد على فقرائهم فإذا أطاعوا بها فخذ منهم وتوق كرائم أموال الناس "[1]، قال السمعاني رحمه الله تعالى: "ولم يرو أنه دعاهم إلى النظر والاستدلال، وإنما يكون حكم الكافر في الشرع أن يدعى إلى الإسلام فإن أبى وسأل النظرة والإمهال لا يجاب إلى ذلك، ولكنه إما أن يسلم أو يعطي الجزية أو يقتل، وفي المرتد إما أن يسلم أو يقتل وفي مشركي العرب على ما عرف".[2]

والقصص القرآني له نصيب كبير من مغالطات وافتراءات وشبهات المستشرقين، أعداء الملة والدين، حيث كانت معظم مزاعمهم المغايرة تماما للحقائق تدور حول أن مصدر القصص القرآني هو التشابه الحاصل بين هذا القصص وبين القصص اليهودي والمسيحي، وقد كان التأثير واضحا في السور المكية، وأن محمَّدا عليه الصلاة والسلام استقى تعاليمه من الكتابيين، وكان من أبرز من قال بذلك منهم هم: بلاشير[3]، جيوم[4]، نولدكه و سايدر سكاي . يقول الفرد جيوم" ومصدر القصص القرآني هو التشابه الحاصل بين هذا القصص وبين القصص اليهودي والمسيحي، وقد كان التأثير واضحا في السور المكية، وأن محمَّدا استقى تعاليمه من الكتابيين"[5] .

[1] رواه البخاري ، باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس، ٥٢٩/٢ الحديث١٣٨٩و مسلم باب الدعاء إلى الشهادتين، الحديث٣١.

[2] الانتصار لأصحاب الحديث ، أبي المظفر منصور بن محمَّد السمعاني ، تحقيق محمَّد بن حسين بن حسن الجيزاني، مكتبة أضواء المنار ، المدينة المنورة، ١٩٩٦م،٦٢/١.

[3] ريجيس بلاشير (١٣١٨ – ١٣٩٣ هـ – ١٩٠٠ – ١٩٧٣ م)، مستشرق فرنسي ،ولد في مدينة مونترج يوم ٣٠ يوليو ١٩٠٠ والمتوفى في مدينة باريس يوم ٧ أغسطس ١٩٧٣ ، معروف باطلاعه العميق على اللغة العربية و الأدب، أنظر موسوعة الأعلام، خير الدين الزركلي ٧٢/٢.

[4] الفرد جيوم (١٨٨٨ – ١٩٦٦ م) هو مستشرق بريطاني له مؤلفات منها تراث الإسلام وأثر اليهودية في الإسلام واليهود والعرب أنظر الموسوعة الحرة ويكيبيديا .

[5] في ظلال سيرة الرسول ﷺ، أحمد المخزنجي، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٤١١هـ-١٩٩١م، ص ١٠٠.

والحاصل أن مذهب الشك هو الجسر الذي يركبه أهل الأهواء من المستشرقين وغيرهم للوصول إلى أهدافهم الخبيثة، والتي يراد من ورائها إبعاد المسلمين عن دينهم وكتاب ربهم وسنة نبيهم محمد ﷺ ، وتشكيكهم في منهجية السلف الصالح رضي الله عنهم، ولهذا نجد أن منهج التشكيك عند أعداء الملة والدين قديم ومتجدد عبر الأزمان، يأخذ في كل زمان ثوبا جديدا عن ذي قبل حسب ما تقتضيه ظروف الحال والزمان ، بل وحسب الأوضاع التي يعيشها أهل ذلك الزمان، ولهذا لا نجد كتاب يبين خفاياهم، ويفضح مكامن قلوبهم مثل كتاب الله تعالى، القرآن الكريم ، كما قال عز وجل ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٣١﴾ يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ التوبة ٣١ - ٣٣ يقول الإمام الطبري –رحمه الله-" أنهم يحاولون بتكذيبهم بدين الله الذي ابتعث به رسوله ، وصدهم الناس عنه بألسنتهم ، أن يبطلوه ، وهو النور الذي جعله الله لخلقه ضياء (ويأبى الله إلا أن يتم نوره) ، يعلو دينه ، وتظهر كلمته ، ويتم الحق الذي بعث به رسوله محمداﷺ (ولو كره) إتمام الله إياه (الكافرون) ، يعني : جاحديه المكذبين به "[١] ، ويقول الجشي في قوله عز وجل ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾ البقرة ٢ أي: لا شك، والريب هو الشك ، كما قال تعالى ﴿ وَٱرۡتَابَتۡ قُلُوبُهُمۡ فَهُمۡ فِي رَيۡبِهِمۡ يَتَرَدَّدُونَ ﴾ التوبة ٤٥ والريبة: الشك، وقال تعالى ﴿ لَا يَزَالُ بُنۡيَٰنُهُمُ ٱلَّذِي بَنَوۡاْ رِيبَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ التوبة ١١٠ وارتاب الرجل: شك، فهو مرتاب، وقال تعالى ﴿ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴾ العنكبوت ٤٨ ، وقال عز وجل ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ ﴾ الحجرات ١٥ وقوله عز وجل ﴿

---

[١] تفسير الطبري ٣٩٧٧/٥.

﴿ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴾ هود ١١٠ ، المريب هو الذي يتشكك، والشك لا يتشكك، بل الذي يتشكك هو الشاك؟ والجواب من وجهين: أحدهما: أن هذا من باب وصف الصفة بما يستحقه الموصوف، كقولهم: شعر شاعر، وجنون مجنون، الآخر: أن أصل الريب القلق، وسمي الشاك مرتابًا، لأن الشاك ربما يقلق"[1] ، والآيات في هذا السياق كثيرة جدا والتي يبين لنا ربنا فيها ويكشف ما تنطوي عليه سرائر أولئك ومن سار مسارهم من المستشرقين وأهل الأهواء الذين اتخذوا الشك والريب مذهبا يلوثون به أفكار من ينتسبون إلى الإسلام والقرآن لثنيهم عما هم عليه من التمسك بعرى القرآن والسنة ، واضلالهم وصرفهم عن الصراط المستقيم ، ولكن كل ما يفعلونه من الصد عن سبيل الله يتلاشى ويضمحل أمام قول الله عز وجل ﴿ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ التوبة ٣٢ وأمام قوله تعالى ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ يوسف ٢١ .

[1] البرهان في غريب القرآن، حسن بن صالح بن عمر الجشي، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤١١هـ- ١٩٩١م، ص ١٥٩.

المطلب الثاني

المنهج المادي في كتابات المستشرقين عن قصص القرآن الكريم

إن من الأخطاء الفادحة ، والمنزلقات الخطيرة، التي انحرفت بها الدراسات الاستشراقية للقرآن الكريم عامة ، ولقصصه على وجه الخصوص، هو الاعتماد الفج على المنهجية المادية التاريخية، واعتمادهم للمنهج المادي فيما يكتبون عن قصص القرآن الكريم ، يعتبر اقصاء للوحي الإلهي، ونفي لحقائق القرآن الكريم، واتهام للنبي الكريم ﷺ وتشكيك فيما جاء به من الحقائق التي لا يمكن التشكيك فيها أو ردها، كما قال عز وجل ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ النجم ٣ – ٤ وقوله سبحانه ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ آل عمران ٦٢ وفي الحديث عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قالوا يا رسول الله إنك تداعبنا قال "إني لا أقول إلا حقا "[١] ، فالرسول ﷺ لا يقول ولا ينقل عن ربه إلا حقا، فإنه معصوم في جانب الرسالة والوحي وكل ما يأتي به من عند الله، حتى في مزاحه ومداعبته لأصحابه لا يقول لهم إلا حقا وصدقا، ولكن المستشرقين وكما هي عادتهم فيما يتصل بالإسلام والمسلمين يحيدون ويجانبون المنهجية العلمية الصحيحة في البحث والنقل، ولكنهم واقعيون إذا كان الأمر متعلقا بتراثهم وبحوثهم العلمية.

وفيما يتصل بقصص القرآن الكريم ، ينحى المستشرقون منحى الفصل بين القصص وبين الوحي الإلهي ، ويَزِنُون القصص بالميزان المادي التاريخي البحث، والذي به يخضعون الحقائق إلى تأويلات وتفسيرات خاطئة يبنون عليها مدلولاتهم، ويدعمون بها نظرياتهم، ويبرهنون عليها في كتاباتهم بما لا يصدقه عقل ولا يعتمد عليه يقين، مما حدا بهم إلى الوقوع في المتناقضات، والوصول إلى نتائج وبراهين لا يمكن التصديق بها، ولا التسليم بمضامينها من خلال المنظور الإسلامي، والمنهج العلمي الصحيح. ولا ننسى بحال العامل الاقتصادي الذي بات ظاهرا بشكل ملفت للأنظار في كتابات وشبهات المستشرقين، والذي كان نتاجا طبيعيا للمنهج المادي التاريخي، ولذلك جعل المستشرقون العامل الاقتصادي ميزانا يحتكمون إليه،

وجعلوه المحرك الأساسي لمنهجهم المادي التاريخي، واصبح الاقتصاد هو المعتمد عندهم في التحليلات والتأويلات والتفسيرات التي يبنون عليها النتائج، ويستدلون في كتاباتهم على أن

[١] رواه الترمذي ، باب المزاح، ٣٥٧/٤ الحديث رقم ١٩٩٠، وصححه الألباني في الصحيحة برقم ١٧٢٦.

الصراع الطبقي ، والنواحي المادية والاقتصادية هي السبب في إسلام السابقين الأولين، وان غزوات الرسولﷺ كان الدافع وراءها والمحرك القوي لها هو العامل الاقتصادي الصرف، مستبعدين بذلك الوحي الإلهي ، والدين الحق الذي جاء به نبينا ﷺ ، مروجين لأفكارهم أن العامل الاقتصادي ، والصراع الطبقي، والماديات هي المحرك الأوحد لعجلة الحياة.

والمتمعن فيما سبق يتبين له أن المستشرقين درسوا القرآن الكريم بقصصه وحقائقه على أنه نتاج مادي تاريخي، لا أنه وحيا من الله وعقيدة ودينا جاء به دين الإسلام، يقول د. ساسي الحاج" ينطلقون(أي المستشرقون) من منظور مادي للظواهر الفكرية التي يدرسونها، وعدم تقيدهم بالمقومات الدينية و العقدية أو الروحية نتيجة تأثرهم ببيئتهم الأوروبية التي تربوا فيها وأخذوا منها مناهجها وطرق معالجتها للحضارات، والأفكار الإنسانية وبكونها ترفض كل مصدر سابق للمعرفة باسم الوحي أو الدين ، والاعتماد على الفلسفة الوضعية وإخضاع الدراسات الإنسانية إلى مناهج العلوم التجريبية و لا ريب أن هذه المناهج لا تؤدي إلى نتائج علمية مستساغة عند تطبيقها على القضايا الإيمانية مثل الوحي والنبوة، و دورهما في حياة البشرية"[1]، ويقول في موضع آخر" فالأبحاث و الدراسات التي أنجزت حول التراث الإسلامي خرجت عن المقتضيات المنطقية و المنهجية العلمية في معالجة النصوص الإسلامية وذلك باعتمادها على مصادر خارجية و عوامل داخلية، بذل المستشرقون جهدا ضخما في تأصيلها باعتبارها مصادر للقرآن الكريم بالرغم أنها لا تصمد أمام النقد الموضوعي و البحث المتأني، ضمن هذا السياق نشير إلى ما ذكره المستشرق (هنري لمنس[2]) بأن الرسولﷺ اعتنق الوحدانية و آمن بالبعث والحساب ووجد نفسه متفقا في هذه المعتقدات مع اليهودية والمسيحية و أنه مادام ليس هناك سوى اله واحد، فليس هناك إلا وحي الهي واحد، وأنه مدعو لنشر هذه الحقائق بين أبناء جلدته و بلغتهم ..أي صياغة الوحي العالمي باللغة العربية"[3] .

---

[1] نقد الخطاب الاستشراقي في الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية ، د.ساسي سالم الحاج، دار المدار الإسلامي، مصر، ٢٠٠٢م، ص ١٦٩.

[2] هنري لامنس Henri Lammens ولد في جنت، بلجيكيا عام ١٨٦٢، توفي في بيروت سنة ١٩٣٧، يسوعي بلجيكي ومستشرق، إنضم في سن الخامسة عشر لجماعة اليسوعيين في بيروت واستقر بعد ذلك في لبنان، درس اللغة العربية، اللاتينية واليونانية ثماني سنوات، أول أعماله كانت قاموسا عربيا سنة ١٨٨٩، أصدر من بيروت جريدة البشير وأصبح بعد العديد من الرحلات مستشرقا في كلية الدراسات الشرقية لجامعة القديس يوسف، الموسوعة الحرة ويكيبيديا.

[3] نقد الخطاب الاستشراقي في الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية، ص ٢٧٠-٢٨٣.

إن المنهج المادي التاريخي لدى المستشرقين عند دراستهم للإسلام والقرآن، ومن ذلك القصص القرآني، أصل في إلقاء التهم، وتشويه الدين، وإظهار الرسولﷺ مظهر الشخص المادي الدنيوي، يقول المستشرق (هوبرث جريم) "أن مُحَمَّداً لم يكن في بداية أمره يسعى إلى التبشير بدين جديد وكان هدفه محصوراً في إصلاح مجتمعه في مكة ومن هنا استخدم فكرة الحساب يوم القيامة كوسيلة للضغط على الأغنياء لقبول خطته الرامية في الإصلاح الاجتماعي"[١]، وهذا دأب المناهج الاستشراقية في دراسة القرآن الكريم وعلومه، إذ أنها تفتقد الشفافية والعدالة والمنهجية العلمية الصحيحة، وذلك لأنها تعتمد كليا على المنهج المادي المحسوس البحت، والتطور العقلي المحض ، وهذا لا يمكن بحال أن يتماشى ودراسة القرآن الكريم، الكتاب الإلهي الذي لا يخضع للتجارب المادية، ولا لمسلمات وأحكام العقل البشري، فالقرآن الكريم كلام الله ووحيه إلى رسوله مُحَمّد ، فهو منزه عن كل نقص وعيب، وكل ما جاء فيه حقائق لا يشوبها ريب ولا شك، ولا يمكن لعقل بشري أن يأتي بمثله أبدا، ويستحيل على القوة العقلية البشرية أن تأتي ولو بشيء يسير من مثله، كما قال عز وجل ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ الإسراء ٨٨ ، يقول د. حسن عزوزي " إذا كان علماء الأديان الغربيون قد درسوا التوراة والأناجيل وفق تلك المناهج المادية في إطار من الدراسات الدينية المقارنة فإن أمر القرآن الكريم يختلف عن ذلك، فهو وحي إلهي لم تمسه تحريفات الإنسان أو تغييرات الزمان، لذلك وجب على من يدرسه ويحلل قضاياه أن يدرسه بعقلية تؤمن بالغيب وما يترتب على ذلك، ليس من المتاح لفئات المستشرقين قدامى كانوا أو معاصرين التخلص من خلفياتهم الفكرية التي نسجتها بيئات معينة وظروف خاصة، ولا من رؤاهم المادية والتغريبية التي أملتها في البحث والتحليل"[٢].

وخلاصة القول فيما سبق، أن المنهج المادي التاريخي هو الميزان التحليلي، الذي يحلل به المستشرقون القصص القرآني والحقائق التراثية الإسلامية، بعيدين عن كل موضوعية وحيادية

---

[١] نقد الخطاب الاستشراقي في الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية ص ٢٩٩.

[٢] ينظر آليات المنهج الاستشراقي، د. حسن عزوزي، مطبعة آنفو برانت، فاس، المغرب، ٢٠٠٧م، ص ٥١.

مستغلين العدائية المتغلغلة في قلوبهم لبث سمومهم، وترويج أفكارهم الباطلة، لتنطلي على من قل نصيبه من فهم معاني الإسلام السامية، وحقائقه الدائمة، وتعاليمه الثابتة والصالحة لكل زمان ومكان، وليس لأعداء الإسلام من المستشرقين من أهداف سوى تشويه محاسن الإسلام، والصد عن القرآن، ووصم القصص القرآني الحق بالأساطير والخيالات، وهذه الأقوال ما تعدو عن كونها امتداد مستميت لما قاله الأولون من أسلافهم من قريش ويهود وغيرهم من ملل الكفر والإلحاد، وصدق الله جل في علاه حين أخبرنا عنهم بقوله ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا ۚ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ الأنعام ٢٥ وقوله سبحانه ﴿ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ الفرقان ٥ وقوله عز وجل ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ النحل ٢٤ .

المطلب الثالث

المنهج الاجتماعي في كتابات المستشرقين عن قصص القرآن الكريم

الحياة الاجتماعية لكل أمة هي الميدان الأرحب للبحث والدراسة ، واستخلاص النتائج والتوصيات، والحياة الاجتماعية لأمة الإسلام بما تتسم به من الخير والسعادة والعيش الرغد، والتمسك بتعاليم الدين الإسلامي، وتنفيذ أحكامه، هي المرتع الخصب لأعداء الإسلام من المستشرقين وسفرائهم في كل بلد إسلامي، بهدف النيل من الحياة الإسلامية الاجتماعية، وتغيير البنية الأساسية لها، وتحويل المجتمع المسلم إلى حياة اجتماعية غربية، خالية من القيم والأخلاق، لا هم لأهلها سوى الانهماكية المادية، والصراعات الحضارية، وتكوين الطبقات الاجتماعية، وإثارة النعرات الجاهلية، والحروب الأهلية، وجعلوا من القصص القرآني الاجتماعي ميداناً للتحريف والتحوير والتكذيب والتشكيك، يقول المستشرق ريتشارد بل مؤلف كتاب مقدمة القرآن" أن النبي قد اعتمد في كتابه على الكتاب المقدس، وخاصة على العهد القديم في قسم القصص، فبعض قصص العقاب كقصة عاد وثمود مستمد من مصادر عربية، ولكن الجانب الأكبر من المادة التي استعملها مُحَمَّد ليفسر تعاليمه ويدعمها قد استمده من مصادر يهودية ونصرانية "[1] ، وقال في موضع آخر "ولقد كان هذا الصنيع الأدبي مما ألفه القوم من المدنيين، خاصة أهل الكتاب ذلك لأنه الصنيع الذي جرت عليه التوراة وجاء به الإنجيل ومن هنا لم ينكروه، وهو في أعلى ما عرفت العربية من طبقات البلاغة وأدب القائلين"[2]، ومن أتباع وسفراء المستشرقين في بلاد الإسلام من يحذو حذوهم، ويدعم شبهاتهم، ويؤيد باطلهم، ومن هؤلاء د. مُحَمَّد خلف الله يقول "إن المعاني التاريخية ليست مما بلغ على أنه دين يتبع، وليست من مقاصد القرآن في شيء، ومن هنا أهمل القرآن التاريخ من زمان ومكان وترتيب للأحداث" وكذلك يصف القرآن بأنه أساطير الأولين كما وصفه به المشركون ، ويستدل بذلك بقوله تعالى﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴾ الفرقان ٥ "[3]. إن القرآن الكريم بعيد كل البعد عما قاله وأوله د. خلف الله ، إذ بقوله هذا يريد إخضاع آيات القرآن الكريم وقصصه وينزله منازل المعايير الأدبية،

---

[1] الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ص٨٤.

[2] هجمة علمانية جديدة ومحاكاة النص القرآني، د. كامل سعفان، دار الفضيلة، الرياض، ١٩٩٣م.

[3] الفن القصصي في القرآن الكريم، د. مُحَمَّد خلف الله، ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ، ١٩٧٢م، ص٤٢ وما بعدها.

والتفسيرات المادية التاريخية، بل وانتزع وألغى قدسية كتاب الله تعالى وكلامه، فالقرآن الكريم هو كلام الله الموحى إلى رسولهﷺ فهو كتاب مقدس وله حرمته وقدسيته، فلا يمكن بحال أن يخضع للمعايير البشرية، بل المعايير البشرية تخضع له، فالقرآن الكريم يركز في سرده قصصه على أخذ العبرة والعظة، والانقياد لله تعالى والعمل بطاعته والحذر من مخالفة أمره، والقرآن العظيم مليء بالأمثلة والدلالات القصصية على ذلك.[١]

إن المستشرقين عندما يدرسون المجتمعات العربية والإسلامية، فإنهم يستخدمون هذا المنهج الذي من خلاله يثيرون النعرات الجاهلية ، والنزعات العرقية، لعلمهم أن هذه كفيلة بتمزيق النسيج المجتمعي لأمة الإسلام، ولعل مما التزم به المستشرقون في دراساتهم للمجتمعات الإسلامية من خلال هذا المنهج، هو أن أي مشكلة تهم المجتمع المسلم، يبثها أحد أفراده، فإن هذه المشكلة تكون محل اهتمام المستشرقين لعرضها على المتخصصين منهم لدراستها وإيجاد الحلول لها ، ولكن ليس لصالح المسلمين ، بل لصالح الاستعمار والتنصير الغربي وبما يخدم مصالحهم ويوصل لأهدافهم، يقول د. مالك بن نبي[٢] " وهناك قاعدة عامة التزم بها المستشرقون إزاء المشكلات التي يعاني منها المجتمع العربي والإسلامي ، وهي أنه عندما يطرح مسلم أو بعض المسلمين مشكلة ما تهم مجتمعهم، فإن هذه المشكلة تكون قد طرحت أو ستطرح عاجلا في أوساط المتخصصين في الدراسات لحساب الاستعمار وتحت إشراف منه، وكلما يتقدم هذا المفكر المسلم أو هؤلاء المسلمون بحل هذه المشكلة، يسرع من طرف آخر هؤلاء المختصون لدراسة هذا الحل وإن كان فيه ما يفيد ، ويحولون جهدهم التقليل من شأنه وتخفيض قيمته حتى لا يفيد"[٣] .

ومن جانب آخر نجد المستشرقين يمارسون مهنة التشويه والتزوير وتلفيق التهم بالمجتمع العربي والإسلامي، فالمستشرقون يصفون المجتمع العربي والإسلامي على مر العصور ،

---

[١] وللمزيد ينظر القصص القرآني، د. فضل عباس، دار الفرقان، بيروت، ١٩٨٧م، ص ٦٥ وما بعدها.

[٢] مالك بن نبي (١٩٠٥-١٩٧٣م) الموافق ل(١٣٢٣ هـ-١٣٩٣ هـ) من أعلام الفكر الإسلامي العربي في القرن العشرين، يُعدّ المفكر الجزائرى مالك بن نبى أحد رُوّاد النهضة الفكرية الإسلامية في القرن العشرين، ويُمكن اعتباره امتدادا لابن خلدون، ويعد من أكثر المفكرين المعاصرين الذين نبّهوا إلى ضرورة العناية بمشكلات الحضارة، أنظر الموسوعة الحرة ويكيبيديا.

[٣] إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، مالك بن نبي، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق، ١٣٨٨هـ – ١٩٦٩م، ص ١٤-١٥.

وخصوصا العصر الأول بالتفكك والانحلال تسوده الأنانية وحب الذات ، وينظرون إلى حاضره نظرة انتقاص ويصفون العرب والمسلمين بالجهل والعجز، يقول المستشرق فؤاد سزكين[1]" إن العرب لم يعودوا يفهمون التضامن ولا التضحية ولا احترام الوعد الذي يفهمه الغربيون"[2] ويقول أيضا عن المجتمع العربي والإسلامي في موضع آخر" كل شيء في غير محله، الفكر الديني، الفكر الاجتماعي، المثقفون"[3] .

ولكن ما هي الأسباب أو الدوافع التي تدفع المستشرقين لسلوك هذه المنهجية المتحاملة على كل ما هو عربي وإسلامي؟ إن المتبصر في أحوال القوم ودراساتهم وبحوثهم تجاه الإسلام وأهله، يجد أن الأسباب لا تكاد تخرج عن أمور جوهرية، تلخص لنا مضامين الفكر الغربي وتوجهاته ومقاصده تجاه العالم العربي والإسلامي، ومنها:

أولا: التعصب الديني الذي تدين به المنهجية الاستشراقية ، سواء كان هذا التعصب ناتجا عن الإيمان الكامل بالكنيسة الغربية، أو الإيمان باليهودية العالمية والولاء لها.

ثانيا: تحقيق المصالح الغربية في البلاد العربية والإسلامية، وتقديم هذه المصالح الاستعمارية على المصالح العلمية واستبعاد المنهجية العلمية عن الساحة إذا كانت المصالح متعلقة بالبلدان الغربية.

ثالثا: النظرة الحضارية الاستعلائية تجاه العالم العربي والإسلامي، لما يشعر به الاستشراق الغربي والبلدان من التفوق الحضاري، الذي هو في الأساس مأخوذ ومسروق من الحضارة الإسلامية في شتى المجالات العلمية والحضارية التي شهدت بها الأندلس وغيرها، وهذه حقيقة يعرفها الغربيون أنفسهم، والتي تعكس مدى ما وصلت إليه الحضارة العربية والإسلامي من التفوق والتقدم القابلين للاستمرارية في كل زمان ومكان.

---

[1] فؤاد سزگين Fuat Sezgin (ولد ٢٤ اكتوبر ١٩٢٤) هو رائد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، ومؤسس ومدير معهد تاريخ العلوم العربية الإسلامية في جامعة يوهان فرانكفورت، ولد البرفيسور فؤاد سزكين عام ١٩٢٤م في بطليس، تركيا، وفيها أكمل دراسته الابتدائية والثانوية، وكان في نيته الدراسة في الجامعة التكنولوجية، الا أن أحد أقرباؤه أخذه الى المستشرق هلموت ريتر Hellmut Ritter الذي كان يدرس هناك منذ عام ١٩٢٦م، وندعوه مستشرقا لأنه يحاول أن يكون من المستشرقين في آرائه، موسوعة المعرفة الدخول الساعة الثامنة مساء من يوم الجمعة ١٤٣٥/١/٧هـ.

[2] الاستشراق ومناهجه في الدراسات الإسلامية، أ.د. سعدون الساموك، دار المناهج للنشر والتوزيع، الأردن، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م، ص ٩١-٩٢.

[3] المرجع السابق ص ٩٢.

والمقصود أن هذه المنهجية التي يمتهنها المستشرقون تسعى جاهدة لتشويه الصورة الحقيقية الناصعة لدين الإسلام والصد عنه، والتي ينتهجها المستشرقون من قديم وحديث والتي لا ينفكون عنها في بحوثهم ودراساتهم للمجتمع العربي والإسلامي، وهي ملازمة لهم ملازمة الظل، يقول أحدهم وهو وليم مونتغمري واط[١] " جد الباحثون منذ القرن الثامن عشر في تعديل الصورة المشوهة التي تولدت في أوربا عن الإسلام، وعلى الرغم من الجهد العلمي الذي بذل في هذا السبيل في أوربا لا تزال قائمة، فالبحوث والدراسات الموضوعية لم تقدر بعد على اجتنابها"[٢].

ولعل من الأمثلة ما أثاره المستشرقون حول قصص القرآن الكريم ، واستخدموا فيه هذا المنهج، قصة وجود الإسلام وأنه ظاهرة اجتماعية لا وحي من السماء، وقد جاء ذلك في كتاب قصة الحضارة[٣] لـ ويليام جيمس ديورانت[٤] بقوله" يزعم بعض المغالطين أن رسالة النبيﷺ إنما كانت دعوة جماعية، وأن الاضطراب الذي انتاب الحياة العربية قبل الإسلام يحتم أن تظهر حركة إصلاحية تعالج أسبابه، وربما يزيدون على ذلك أن مُحَّداﷺ في جملة تعاليمه لم يتعد العقلية العربية في تطلعاتها ومطامحها. وهذا صريح في أن الإسلام ليس وحيا من السماء، وإنما هو تصحيح اجتماعي تلتمس دواعيه على الأرض"[٥] . وهذا المثال أو هذه الصورة لا تعدوا أن تكون شبهة وزوبعة من الزوابع التي يثيرها المستشرقون حول الإسلام والقرآن وهدي المصطفىﷺ ، ومن المعلوم لدى كل ذي لب ، أن الإسلام الذي يشهد لانتشاره العالم بأسره، فلم يبق بيت مدر ولا حجر ولا سهل ولا جبل إلا ووصلته رسالة الإسلام، وهذا مصداق حديث النبيﷺ الذي رواه تميم الداري قال سمعت رسول اللهﷺ يقول " ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر الا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل

---

[١] ترجم له ص ٦٤.

[٢] الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ص ٧٣.

[٣] قصة الحضارة، ويليام جيمس ديورانت، ترجمة مُحَّد بدران، دار الجيل، بيروت، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

[٤] ويليام جيمس ديورانت (بالإنجليزية: William James Durant) (من ١٨٨٥ - إلى ١٩٨١) فيلسوف، مؤرخ وكاتب أمريكي من أشهر مؤلفاته كتاب قصة الحضارة والذي شاركته زوجته أريل ديورانت في تأليفه، الموسوعة الحرة ويكيبيديا.

[٥] موسوعة بيان الإسلام الرد على الافتراءات والشبهات، نخبة من كبار العلماء، دار نهضة مصر للنشر، القاهرة، ص ١٦١.

ذليل عزا يعز الله به الإسلام وذلا يذل الله به الكفر"[1] ، أكبر وأوسع من أن يحدد بظاهرة اجتماعية نبتت في بيئة محدودة لا تتناسب والاسلام الذي انتشر انتشارا واسعا وصالحا لكل زمان ومكان، ثم إن أي مقولة أو بحث تسوده الذاتية، فإنه ولا محالة سيفقد حقيقته العلمية، ومنهجيته السليمة مما سيؤدي إلى نتائج وخيمة وغير عادلة، كما أن التفسيرات المادية للتاريخ الإسلامي ستنتج للعالم نتائج خاطئة من الناحيتين العلمية والمنطقية وذلك لعمى بصرها وبصيرتها عن إدراك الحقائق والثوابت، لأنها تعتمد في منهجيتها على أدوات مادية بشرية قاصرة. يقول مصطفى السباعي[2]-رحمه الله- " يرى المستشرقون أن التاريخ الإسلامي سلسلة من الأكاذيب، فهم يفسرون أحداثه وفق أهواءهم واقتراحاتهم الفاسدة أحيانا، وهم يستنبطون الأحكام الكلية من حوادث جزئية ، فيكون حكمهم آنذاك قائم على استقراء ناقص لا يثبت دليلا يعتمد عليه، ويعتمدون الأخبار الضعيفة أو الأخبار الثابتة والبناء عليها، حيث تقودهم إلى استنتاجات ونتائج غير صحيحة، ويغفلون الروايات التي تناقض النتائج التي يقرونها ، وهم يعرضون مقاطع مشوهة عن التاريخ الإسلامي بعيدا عن الحقيقة كتصويرهم للمعارك الإسلامية بغير صورتها الإسلامية وليس التاريخ في نظرهم إلا السيف والدم"[3].

وخلاصة القول فيما سبق ، أن هذا المنهج هو سمة من سمات المستشرقين، بهدف تشويه صورة القصص القرآني ، بل وتشويه صورة الإسلام والقرآن وسنة سيد الأنام عليه الصلاة والسلام، وذلك لصد الناس عنه وعن الدخول فيه، ومع ذلك كله إلا أن المؤشرات تقول إن الإسلام ينتشر بشكل كبير رغم محاولات الصد، والداخلين فيه في ازدياد وهذا من فضل الله ومنته ان يجعل هذا الدين حقيقة لا خيال، وصدقا لا مراء، وأنه منزل من عند الله، وان الله حافظه وأهله مهما تطاولت الألسن، وتكالبت الذئاب ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِءُواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ التوبة ٣٢.

---

[1] سبق تخريجه ص ١٠٥.

[2] مصطفى بن حسني، أبو حسان السباعي، عالم إسلامي، مجاهد، من خطباء الكتاب، ولد بحمص (في سورية) وتعلم بها و بالأزهر واعتقله الانكليز في مصر وفلسطين ستة أشهر، وأسلموه إلى الفرنسيين فسجنوه في لبنان ٣٠ شهرا، أنظر الأعلام للزركلي ٢٣١/٧.

[3] السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، ص ٢٩٧.

المطلب الرابع

المنهج الانتقائي في استعمال المصادر في كتابات المستشرقين عن قصص القرآن الكريم

إن من المتعارف عليه بين العلماء والباحثين من قديم وحديث، أن نجاح أي منهج أو أية دراسة ، يتوقف على وفرة المصادر والمراجع والمنابع المعتمدة وعلو قيمتها وصفاء جوهرها، ونقاء مضمونها، لأن هذه الروافد والمراجع هي روح التغذية وقاعدة التمويل العلمي التي تعتمد عليها آليات الدراسة والبحث، فالمصادر والمنابع إذا كانت ذات أصالة وذات علاقة مباشرة بموضوع البحث والدراسة، كان النجاح وحصول الهدف والمراد هو النتيجة المنشودة من البحث، يقول د. حسن عزوزي" في إطار البحث الاستشراقي يتبين أن المنهج المتبع في انتقاء المصادر المعينة على بحث الموضوعات المرتبطة بالقرآنيات يتنوع ويختلف تبعاً لطبيعة الموضوعات المطروقة من جهة، ولمدى موضوعية المستشرق وأمانته العلمية أو حياده على الأقل في توظيف تلك المصادر والنقل عنها من جهة ثانية"[١].

ومن الملاحظ على دراسات المستشرقين لقصص القرآن الكريم أنها تعاني من الخلل المنهجي، وذلك لارتباط القرآن الكريم وقصصه بالوحي المنزل من عند الله تبارك وتعالى، وقد ذكرت سابقا أن المستشرقين واقعيون في بحوثهم ودراساتهم العلمية، إلا إذا كانت تلك البحوث والدراسات تتعلق بكل ما يتصل بالتراث الإسلامي، فإن المنهجية العلمية تنحرف عن الطريق الصحيح، بعيدا عن الأمانة العلمية، ولعل ذكر بعض مواطن الخلل المنهجي عندهم هنا ، يتضح معها انصراف المنهجية البحثية عن المسار الصحيح، وفيما يلي الإشارة إلى بعض تلك النقاط:

أولا: اختيار مراجع ومصادر معينة ومحدودة من مصادر ومراجع علوم القرآن دون غيرها.

وهذا واضح جلي في دراسات المستشرقين لعلوم القرآن الكريم بما فيها القصص الحق، إذ أن هذه المصنفات القرآنية المحدودة التي يعتمدها المستشرقون في كتاباتهم عن القرآن الكريم عامة وفي قصصه خاصة ، كُتب جامعة لم تتحر الصحة والنقد والرواية السليمة والصحيحة، ولذلك

---

[١] مناهج المستشرقين البحثية في دراسة القرآن الكريم، حسن بن إدريس عزوزي، بحث مقدم تحث إشراف مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، فندق ميريديان المدينة المنورة، الثلاثاء ١١/١٠/١٤٢٧هـ، ص ١٣.

نجد من المستشرقين أمثال نولدكة، وبيل، وبلاير، وبورتون في جمع القرآن لا يتجاوزون كتب المصاحف لابن أبي داود، والاتقان للسيوطي، والفهرست لابن النديم، بينما لا نجد عندهم كتبا معتمدة تتضمن المأثورات والأحاديث والروايات الصحيحة المعتمدة في كتب السنة والصحاح أو حتى في كتب المفسرين، ولم يتقصوا أيضا ما بينته مذاهب التفسير كله ولو أنهم فعلوا ذلك وتتبعوا جوانب التفسير الفقهية والتشريعية، وفهموا مقاصد اللغة والنحو وتقصوا الآثار، وذلك من خلال كتب التفسير المتوفرة آنذاك ، لظهرت لهم حقائق لم تظهر لهم من قبل، وهي أن النصوص القرآنية خصيبة ومليئة بل وثرية بالمعاني والحقائق والدلائل التي قد لا تظهر للباحث من أول وهلة، ولذلك نرى عميد المستشرقين جولد تسيهر يهمل ويغفل كثيرا من آثار التفسير تجاهلا وتعمدا وذلك ليظهر للناس أن تراث المسلمين من علوم التفسير ما هي إلا رذاذا متناثرا فرقته الأهواء والأحزاب والأفكار المختلفة والمتناحرة، وما أدل على ذلك من كتابه العقيدة والشريعة في الإسلام[1] وكتابه مذاهب التفسير الإسلامي[2] وما جاء فيهما من المغالطات والتشكيكات والتشويه لأمور الإسلام وأحكامه وتشريعاته.

ثانيا: تتبع الآثار والروايات الضعيفة والموضوعة والمنقطعة من مصادر علوم القرآن والاستشهاد بها لإثبات افتراءاتهم وشبهاتهم.

يعتمد المستشرقون في دراساتهم لعلوم القرآن الكريم، ومنها القصص القرآني ، على الأخبار الضعيفة والموضوعة، وهذا أمر يتفق عليه أولئك القوم، وذلك لأن الهدف الذي يسعون إليه هو التشكيك في كل ما يتعلق ويتصل بدين الإسلام، لتحقيق الغاية الكبرى وهي صد الناس عن الدخول فيه، وهذا امر لا يختلف عليه اثنان. ولم يتوقف هذا المنهج الاستشراقي عند تتبع الأخبار الضعيفة فحسب، بل يتعدى الأمر إلى اختيار الكتب التي تحمل الكثير في بطونها من هذه الأخبار والآثار الواهية المنقطعة والموضوعة ، والتي يرمون من ورائها إلى بناء أحكامهم ، وأغراضهم المرجوة ، وقد وجدوا ما سعوا إليه من تلك الكتب وأفادوا منها ما يبتغون. ولقد سلك المستشرقون مسلكا آخر في الطعن والتشكيك في القرآن الكريم وقصصه وفي السنة الشريفة، وهو ضرب الأدلة والآثار بعضها ببعض ونقض ما هو مشهور عند المسلمين عن تاريخ النصوص القرآنية، ومن هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر،

---

[1] قام بترجمته إلى العربية د. محمد يوسف موسى وزملائه، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٣٧٨هـ-١٩٥٩م.

[2] قام بترجمته إلى العربية د. علي حسن عبدالقادر، مطبعة العلوم، القاهرة، ١٣٦٣هـ-١٩٤٤م.

المستشرق ولش كاتب مادة القرآن في دائرة المعارف الإسلامية[1] قد وجد فيما أورده السيوطي في الإتقان[2] من روايات مختلفة ومتباينة عن أول من جمع القرآن الكريم بابا يلجه، لكي يعرض أمام القراء جملة من الروايات الضعيفة التي تسند الأولية في جمع القرآن تارة إلى عمر ﷺ، وتارة إلى علي ﷺ، وينقل عن ابن أبي داود أيضا رواية مفادها أن أبا بكر ﷺ بدأ بالجمع، ثم أكمل ذلك عمر ﷺ ، وينقل أيضاً رواية عن ابن سعد في طبقاته[3] مفادها أن عمر ﷺ توفي ولم يكمل جمع القرآن، يقول د. حسن عزوزي" ومختلف هذه الروايات الضعيفة والمنقطعة تتعارض مع ما جاء في صحيح البخاري من أن أول من جمع القرآن هو أبو بكر الصديقﷺ[4] وقد وجد معظم المستشرقين في كتاب "المصاحف" لابن أبي داود ضالتهم المنشودة، ومعروف عن ابن أبي داود أنه كان يجمع كل ما بلغه في شأن جمع القرآن واختلاف مصاحف الصحابة دون تمحيص أو تثبت"[5] ، ولذلك أقول إن تتبع الأحاديث الضعيفة والآثار الموضوعة، والروايات المنقطعة، هو المنهج المتأصل لدى المستشرقين، لصرف الأنظار عما صح وتواتر عن النبيﷺ وتجاهل الكتب والمصادر المعتمدة لدى المسلمين، بقصد التشويه وضرب الصحيح بالسقيم ، وتغليب السقيم على الصحيح لتشكيك أهل الإسلام عن دينهم، وصد غيرهم عن اعتناقه والدخول فيه.

ثالثا: تصيد الأدلة والآثار والنصوص من كتب أخرى لا تغني عن الكتب الأصيلة، ككتب الأدب والتاريخ وغيرها.

من الأمور التي لا يُختلف عليها، أن المنهج البحثي عند أهل الإسلام يعتمد كلية على المراجع والمصادر الأصيلة والموثوقة، والتي تخرج بها المادة العلمية خالصة وسليمة من التشويش والاضطراب والشكوك، وهذا ما تشدد عليه الكثير من الجامعات والمرافق العلمية البحثية في بلاد المسلمين، وتوصي طلابها وباحثيها دائما بالتروي وتحري الآثار والروايات الصحيحة والمتواترة عن النبيﷺ وأصحابه وعن علماء المسلمين المشهود لهم بالثقة والأمانة العلمية، أما

[1] دائرة المعارف الإسلامية الجزء الخامس الصفحة ٤٠٦.

[2] الإتقان في علوم القرآن ١٦٤/١.

[3] الطبقات الكبرى، مُحَّد بن سعد أبو عبد الله البصري ، إحسان عباس، دار صادر ،بيروت،١٩٦٨ م.

[4] صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن، ١٩٠٧/٤ حديث رقم ٤٧٠١.

[5] مناهج المستشرقين البحثية في دراسة القرآن الكريم، ص ١٦.

إذا نظرنا بتمعن إلى آليات المنهج البحثي الاستشراقي في الدراسات الإسلامية، فإننا نجد المستشرقين ينحون منحى المغالطات والاستنتاجات الخاطئة ، وتأكيد الأحكام المغرضة تجاه كل ما هو إسلامي، وذلك بتجاهل المصادر القرآنية الموثوقة التي لا يجدون فيها بغيتهم من الكيد والتشويه، والاتجاه نحو المصادر الأخرى ككتب الأدب والسير والتاريخ التي يجدون فيها مرتعهم من الروايات الضعيفة والمنقطعة والموضوعة، مع علمهم المسبق بما تسببه هذه المنهجية من مصادمات للأمور والثوابت الجوهرية لدى المسلمين، والتي ترتبط مباشرة بالقرآن والسنة والتراث الإسلامي الصحيح فيما يتصل بالقصص وغيره ، يقول أ. د. سعدون الساموك " يعتمد المستشرقون الأخبار الضعيفة والبناء عليها حيث تقودهم إلى نتائج واستنتاجات غير صحيحة، ويغفلون الروايات التي تناقض النتائج التي يقرونها"[1] .

قلت والحقيقة أن الكثير من هؤلاء المستشرقين ، ويتبعهم في ذلك دعاة التغريب في مجتمعات المسلمين، قد اعتمدوا مثل تلك المصادر والكتب والمراجع التي تحوي هذه الروايات الضعيفة والمنقطعة والموضوعة، وشددوا في توجيه الباحثين من التغريبيين من أبناء المسلمين، في اعتمادها كمراجع ومصادر لبحوثهم، وبذلوا لها جل اهتمامهم، وقاموا بإعادة طباعتها مرات عديدة، لعلمهم ما لها من دور فعال في مواجهة التراث الإسلامي الصحيح، والعمل على إفساد حقائقه، وتنقل صورا خاطئة عن الوقائع والحوادث بقصد التشكيك والتشويه لحقائق الإسلام، وصد الناس عن الدخول فيه، وزرع الخلخلة والتذبذب في نفوس أهله.

رابعا:**الاهتمام البالغ بالدراسات الاستشراقية السابقة وتجاهل المصادر القرآنية الأصيلة.**

من الملاحظ على دراسات المستشرقين للقرآن الكريم وقصصه، البعد عن المنهجية العلمية الصحيحة، والتي من أساسياتها اختيار المراجع والمصادر الموثوقة والمعتمدة لدى المستهدفين بالدراسات وهم المسلمون وتراثهم ، فهم يتعمدون اعتماد المراجع التي لا تهتم بالتوثيق والمصداقية العلمية ، ولذلك فالمستشرق الذي يريد ترسيخ مبدأ أو فكرة معينة، لا يلق أي اهتمام إلى المصادر التي تكشف ما يرمي إليه، فهو في غالب أمره يتعمد إلى تقديم كتب ثانوية وغير موثقة يقول د. حسن عزوزي" وهذا المنهج الخاطئ كفيل بأن يؤدي إلى نتائج مغلوطة وخاطئة ،ويبدو أن من أعظم أخطاء هذا المنهج المتمثل في عدم ترتيب المصادر حسب موثوقيتها وقيمتها هو تقديم كتب المستشرقين على غيرها من كتب العلماء المسلمين الأوائل في

[1] الاستشراق ومناهجه في الدراسات الإسلامية ص ٩٣.

نقل الروايات، والنصوص القديمة"[1]، ولذلك وقع هذا المنهج في الخطأ الفادح في عدم النظر في كتب العلماء المسلمين الأوائل الموثقة في نقل الروايات والآثار والنصوص، وتقديم كتب المستشرقين عليها، مما سبب الأخطاء التي بني عليها تصورات خاطئة عن التراث الإسلامي.

وأورد هنا بعض الشواهد الدالة على المنهج الفاسد الذي يتبعه المستشرقون في الدراسات الإسلامية، والتراث الإسلامي، ومن هذه الشواهد المستشرق الفرنسي ريجي بلاشير[2] الذي لا يألوا جهدا في العمل بهذا المنهج العقيم، ففي كتاباته عن القرآن وقصصه وعن الدراسات الإسلامية عموما، يحيل إلى كتاب [تاريخ القرآن] لأستاذه المستشرق الألماني نولدكه[3] ، ففي أي مسألة تتعلق بالقرآن وعلومه وتكون منقولة عند علماء المسلمين ومدرجة في كتبهم، فإن بلاشير يلجأ إلى الإحالة إلى كتاب شيخه نولدكه بداية، ثم ينوه بعد ذلك بكتاب الواحدي[4] في أسباب النزول، وتفسير أبي حيان[5]، ثم الإتقان للسيوطي وفي المقابل نرى المستشرق ولش[6] في مادة القرآن يقول"لاشيء في القرآن يدل على أن معنى "الأمي" الذي لا يقرأ ولا يكتب"، وبدلا من أن يحيل إلى كتب التفسير يحيل مباشرة بعد قوله هذا على نولدكه في تاريخ القرآن ، ، وبلاشير في المدخل إلى القرآن ص ٦- ١٢، ومن هنا يتضح لنا أن إحالة المستشرقين في

---

[1] مناهج المستشرقين البحثية في دراسة القرآن الكريم، ص ١٩.

[2] سبق ترجمته ص ١٠٨.

[3] سبق ترجمته ص ٥٤.

[4] علي بن أحمد بن مُحَّد بن علي بن متوية، أبو الحسن الواحدي ٤٦٨ هـ - ١٠٧٦ م، مفسر، عالم بالأدب، نعته الذهبي بإمام علماء التأويل، كان من أولاد التجار أصله من ساوة (بين الري وهمذان) ومولده ووفاته بنيسابور، أنظر الأعلام للزركلي ٤/٢٥٥.

[5] علي بن مُحَّد بن العباس التوحيدي، أبو حيان،٤٠٠ هـ -١٠١٠ م، فيلسوف، متصوف معتزلي، نعته ياقوت بشيخ الصوفية وفيلسوف الادباء، وقال ابن الجوزي، كان زنديقا، ولد في شيراز (أو نيسابور) وأقام مدة ببغداد، وانتقل إلى الري، فصحب ابن العميد والصاحب ابن عباد، فلم يحمد ولاءهما. ووشي به إلى الوزير المهلبي فطلبه، فاستتر منه ومات في استتاره، عن نيف وثمانين عاما، قال ابن الجوزي، زنادقة الإسلام ثلاثة، ابن الراوندي، والتوحيد، والمعري، وشرهم التوحيدي لانهما صرحا ولم يصرح، أنظر الأعلام للزركلي ٤/٣٢٦.

[6] ألفورد ت ولش، أستاذ دراسات الأديان في جامعة ولاية ميتشجان، حصل ولش على درجة الدكتوراه في الدراسات العربية والإسلامية من جامعة إدنبرغ عام ١٩٧٠، وحصل كذلك على درجة الماجستير في لغة الكتاب المقدس، وأدب والتاريخ الشرق الأدنى من الكلية اللاهوتية المعمدانية الجنوبية، تشمل أبحاص ولش مجالات الأديان والتاريخ، والدراسات العربية والإسلامية، أنظر الموسوعة الحرة ويكيبيديا.

المراجع والدراسات الإسلامية، إلى كتب إخوانهم وزملاءهم من المستشرقين أمر مطرد، وهذا ما أكدناه في بداية المطلب من أن المستشرقين يتعمدون عدم الرجوع إلى الكتب الأصيلة المعتمدة لدى المسلمين، لعلمهم أنها ستعارض ما يهدفون إليه من هدم الإسلام والصد عنه، بل والأمر من ذلك أن نجد في كتاب بلاشير عن القرآن الكريم إحالة مباشرة على كتاب نولدكه ثم يشير أيضا في الوقت نفسه إلى أن نولدكه أسند الإحالة إلى تفسير الإمام الطبري ، ثم يتبين لبلاشير أن عزو نولدكه لابن جرير الطبري غير صحيح، ومع هذا يترك المسألة كما هي دون تصحيح ، أو أن يعيرها أي اهتمام، بل يستمر في غيه وضلاله ، ممتطيا منهج أسلافه، مستشهدا بنقولهم وإحالاتهم ، بما يتوافق مع أهدافه ورغباته[١] ، ويضاف إلى ما سبق أن الترجمة من المراجع الأجنبية لابد أن يغير الكثير من مضامين الترجمة ، خصوصا إذا كانت الترجمة تتصل بالأعلام أو الأمكنة، فلا علاج لها والحال هذه إلا الرجوع إلى المراجع والمصادر الأصلية لضمان جودة المعلومة وصحتها.

وفي قصة الغرانيق التي يرددها المستشرقون وعلى رأسهم المستشرق ر.ف.بودلي[٢] في كتابه حياة مُحَمَّد[٣] حيث يقول"ولكنه، أي مُحَمَّدا ، على الرغم من تلميحه لهم، أي كفار قريش، يوماً أن اللات والعزى ومناة قد يُرجى نفعها مع الله، إلا أنه قد عاد ونقض ذلك، فقد فطن إلى أن الأمر الذي يضطلع به لا يقبل مساومة، وأنه لن يجد مخرجا سهلاً"[٤] ، وقد وجدت هذه الفرية صدا ودحضا ممن وقفوا أنفسهم في التصدي لمثل هذه الشبهات والضلالات ، وردوها على اصحابها بالحجة والبرهان، مبطلين لها ولما جاء فيها من الكذب والافتراء، ومن هؤلاء الدعاة أ.د. مهدي رزق الله أحمد[٥] في كتابه السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية[١] ، وكذلك الشيخ

---

[1] R. Blachère: Introduction au Coran p 69, note 89 .

[٢] ر.ف. س. بودلي، بالإنجليزية: R. V. C. Bodley) كان ضابطا في صفوف الجيش البريطاني، كاتب، صحفي ومستشرق من كتبه الرسول حياة مُحَمَّد (The Messenger The Life of Mohammed) طُبع عام ١٩٦٩م في ٣٦٨ صفحة ، ونقل هذا الكتاب إلى العربية مُحَمَّد مُحَمَّد فرج و عبد الحميد جودة السحار عام ١٩٤٥م وعلق على هذا الكتاب مهدي رزق الله أحمد بتصحيح الأخطاء والمراجعة والنقد والتحقيق،أنظر الموسوعة الحرة ويكيبيديا.

[٣] ترجمه إلى العربية مُحَمَّد فرج و عبد الحميد جودة السحار، دار الكتاب العربي ، مصر، ١٩٤٥م، ورد عليه د. مهدي بن رزق الله أحمد في كتابه مزاعم وأخطاء وتناقضات وشبهات بودلي في كتابه الرسول، حياة مُحَمَّد دراسة نقدية، =الناشر مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.

[٤] الرسول حياة مُحَمَّد ص ٧٣.

[٥] مهدي رزق الله أحمد، باحث ومؤلف في السيرة النبوية والثقافة الإسلامية وعضو دائرة السنة والشمائل بمركز بحوث

ناصر الدين الألباني – رحمه الله – في كتابه نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق[2] ، وفيما أورده بودلي عن هذه القصة لا يصح، وقد جاء في صحيح البخاري ما يناقض ذلك تماما، ويرد فرية بودلي وغيره عليه[3] .

والمقصود أن المستشرقين يتعمدون تجاهل مصادر الدين الإسلامي الأصيلة والصحيحة والموثوقة، ويعمدون إلى مراجع ومصادر أسلافهم في استشهاداتهم، وذلك بقصد التضليل والتشويه وقلب الحقائق وصد الناس عن دين الله عز وجل، ولكن الله بفضله ومنه قيض لهم من دعاة الحق من يفضح مكايدهم ويكشف ضلالاتهم ويرد عليهم مفترياتهم فلله الحمد والمنة.

=القرآن الكريم والسنة والنبوية ، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية ، السودان.

[1] السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، د. مهدي رزق الله أحمد، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

[2] نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق، مُحَمَّد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، دمشق، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م.

[3] رواه البخاري، باب استئجار المشركين عند الضرورة، ٢/٧٩٠، الحديث ٢١٤٤.

المطلب الخامس

منهج الأثر والتأثر في دراسات وكتابات المستشرقين عن قصص القرآن الكريم

يعد هذا المنهج الاستشراقي ، منهجاً عدوانيا، تكتنفه العنصرية العرقية، والنزعة التأثيرية الدينية، ومضمونه يتمحور حول رد كل ما يتصل بدين الإسلام من قرآن وسنة وقصص وغيره بعد تفكيكها إلى ملة اليهودية والنصرانية المحرفة، و معظم المستشرقين إن لم يكونوا كلهم يمتهنون هذا المنهج فيربطون كل ما يتصل بالإسلام والمسلمين باليهودية والنصرانية، ولا شك أن هذه هي حالة عدائية محضة ، وحسد متوارث ومتأصل في نفوس القوم والله عز وجل قد بين لنا سوء الطوية التي تنطوي عليها قلوبهم ونفوسهم، فقال عز وجل ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ البقرة ١٠٩، يقول ابن كثير رحمه الله" يحذر تعالى عباده المؤمنين عن سلوك طريق الكفار من أهل الكتاب، ويعلمهم بعداوتهم لهم في الباطن والظاهر، وما هم مشتملون عليه من الحسد للمؤمنين، مع علمهم بفضلهم وفضل نبيهم"[١].

وهذا المنهج وهذه النزعة العدوانية التي يسلكها المستشرقون في الدراسات الإسلامية، ليست وليدة اليوم بل هي قديمة أزلية يتوارثها القوم كابرا عن كابر ، ففي عام ١٨٣٣م ، أصدر اليهودي أبراهام غايغر A.Geiger كتابا يحمل عنوانا مثيرا هو (ماذا أخذ القرآن عن اليهودية؟)[٢] ، وقد أصبح هذا الكتاب بمثابة الضوء الأخضر لمعاشر المستشرقين ، والذي فتح لهم بابا لتفكيك مضامين القرآن الكريم، واستنباط ما يُخَيل إليهم أنه منقولا من اليهودية فتكاثرت الأبحاث الاستشراقية التعسفية لترد قصص القرآن الكريم وغيره من التراث الإسلامي

---

[١] تفسير ابن كثير ١/١٣٣.

[2] Abraham Geiger: Was hat Muhammad aus dem Judentum aufgenommen Bonn 1833.

إلى العناصر التوراتية المزعومة يقول د. حسن عزوزي " وقد أقبلت أبحاث هؤلاء تفكك مضامين القرآن الكريم، لتردها إلى عناصر توراتية ــ يهودية مزعومة"[١]، وكلما وجد هؤلاء وجه شبه بين بعض مضامين القرآن والكريم وتلك الموضوعات التي تبث في التوراة والإنجيل، عزو الأمر مباشرة إلى أن القرآن استقى موارده القصصية وغيرها من التوراة والإنجيل، فهذا أحد مشاهيرهم ريجي بلاشير الذي قد يكون أحسنهم اعتدالا في إصدار الأحكام يقول في كتابه حياة مُحَمَّد "إن التأثير النصراني كان واضحاً في السور المكية الأولى؛ إذ كثيرا ما تكشف مقارنة بالنصوص غير الرسمية كإنجيل الطفولة الذي كان سائداً في ذلك العهد عن شبه قوي"[٢] ويستمد التأييد لرأيه من آراء بعض الباحثين المستشرقين لإثبات ما استنتجه من أن هناك علاقة بين مؤسس الإسلام(يقصد النبيﷺ) والفقراء النصارى بمكة حسب زعمه.

ويرى الكثير من المستشرقين أن اللغة العبرية هي أصل لكثير من ألفاظ القرآن الكريم، ففي جانب الأعلام التي وردت في القرآن الكريم يرى المستشرق الفرنسي اليهودي أندريه شوراكي أن أصلها يعود للعبرية، وقد أصدر كتابا ترجم فيه معاني القرآن الكريم إلى اللغة الفرنسية والتي أرجع الكثير منها وعزاها لأصول عبرية حسب زعمه، وقد وجد الكتاب انتقادا من بعض المستشرقين وذلك لعدم وجود مرجعية علمية صحيحة لديه[٣] ، ومن يرجع إلى تلك الترجمة سيجد فيها هشاشة وغرابة في الدلالات، استخدم فيها معان وألفظ شاذة لا تعطي القارئ نوع فهم أو وصول لحقيقة علمية واضحة.

إن هذا المستشرق اليهودي يذكي في الأذهان أن معظم ألفاظ القرآن الكريم ترجع في معانيها إلى ما يقابلها في لغته العبرية، وبالتالي يؤكد للناس فريته وكذبه بأن مصدر القرآن الحقيقي هو التوراة ، حيث استمد قصصه ومعانيه منها.[٤]

إن هذا المنهج الاستشراقي المخالف لكل قواعد البحث العلمي الصحيح، والذي ينسب مصدرية القرآن الكريم إلى التوراة والإنجيل، فإنه يتجاهل بل ويلغي قدسية القرآن الكريم وينفي

---

[١] مناهج المستشرقين البحثية في دراسة القرآن الكريم، ص ٢١.

[2] R,Blachère: Le problème de Mohomet ,PUF –Paris 1952 P 42.

[3] Le Coran: L'Appel, traduction de André Chouraqui, ed Robert Laffont – Paris 1991.

[٤] وللمزيد ينظر جولد تسيهر، العقيدة والشريعة في الإسلام، ترجمة مُحَمَّد يوسف موسى وزميليه، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٩٤٨م ، ص ١٧.

أصل الدين ومنبعه ونسبته إلى الله عز وجل، والمستشرقون عندما يطبقون هذا المنهج على القرآن فإنهم يرجعون أسسه ومبادئه ومضامينه إلى أصول يهودية ونصرانية، يقول د. عمر لطفي العالم "إن ما صنعه القرآن هو الحق، وأن طريقته هي الطريقة المثلى في تقرير الحقائق بصورة كلية ليست مجالا للإختلاف، وأما ما عداه من الكتب السماوية الأخرى فقد تغيرت أسانيدها ودخلها التحريف والتغيير"[1] .

وفي الجانب الآخر نجد أن هذا المنهج الاستشراقي الظالم يشاطره التحايل والمراوغة والدهاء من بعض المستشرقين، فعلى سبيل المثال المستشرق المجري إجناس جولد زيهر I.Goldziher يحاول إقحام القرآن الكريم في أصل المدعاة وهي التشابه القائم بين ألفظ القرآن الكريم والعهد القديم على حد زعمه، حيث يقول " القرآن مصدق لما سبق من الرسالات الدينية، وقد استصفى منها بعد فترة من الرسل ما هو من جوهر الدين"[2] ، هذه هي نظرة المستشرقين واعتقاداتهم في أن القرآن الكريم وقصصه مستمد من الأفكار اليهودية، إن مرادهم من وراء هذه التعسفات والأباطيل، واستخدام هذا المنهج الخطير جدا الذي يزعمون من وراءه أن كتاب الله عز وجل تأثر بالتوراة وغيرها من الكتب السماوية لينفوا عامدين مصدرية القرآن الكريم وربانيته.

إن منهج الأثر والتأثر الاستشراقي موجود إبان إفادة النهضة الأوروبية من الحضارة اليونانية، فقد طبقه الغرب بشكل صارم، ولذلك أصبح هذا المنهج أداة ووسيلة لمواجهة أي فكر أو مذهب جديد، وتطبيقه عليه للوصول إلى المأمول وخصوصا ما يتصل بالعالم الإسلامي ومعتقداته وتراثه المجيد، وبكلمة أدق فيما يتصل بالقرآن الكريم وعلومه، لأنه الوحي المنزل من عند الله على لسان رسولهﷺ المحفوظ من كل عبث وتحريف إلى أن يرث الله الأرض ومن عليه، ومهما حاول أولئك العابثون فلن يصلوا إلى منشودهم من الإضرار به أو بمدخرات الأمة وتراثها الأصيل﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ يوسف ٢١ .

---

[1] المستشرقون والقرآن دراسة نقدية لمناهج المستشرقين، مركز دراسات العالم الإسلامي، مالطا، ١٩٩١م، ص ١٠٠.

[2] العقيدة والشريعة في الإسلام، جولدزيهر، ص ١٧.

المطلب السادس

المنهج الافتراضي في دراسات وكتابات المستشرقين عن قصص القرآن الكريم

يتسم المنهج الاستشراقي في مضمونه العام بالانحراف عن مسار المنهجية العلمية الصحيحة ، وخصوصا فيما إذا كان الأمر يتعلق بالإسلام والمسلمين، والقرآن والشريعة ، ولقد كان المنهج الافتراضي أحد ضروب هذا المنهج ووسيلتهم إلى التصديق بما هو في الأصل كذبا، والمستشرقون يسعون إلى إيجاد فرضيات مسبقة ويحاولون إثباتها بأدلة وأراء واهية، ويخضعونها للبحث الذي يتناسب وما يصبون إليه من التكذيب والتشكيك وقلب الحقائق بما هو ثابت ومسلم به بأدلته الصحيحة من أمور الإسلام، ويحاولون نفي رسالة النبيﷺ وما جاء به من الحق من ربه جل وعلا، يقول د. مُحَّد فتح الله الزيادي" المستشرقون الدارسون للإسلام بحكم مخالفتهم العقدية له لا يستطيعون التخلص من مسلماتهم أن مُحَّداﷺ ليس نبيا مرسلا، وأن القرآن الكريم ليس كتابا منزلا، وأن العرب ليسوا جنسا حضاريا مؤهلا للقيام بدور حضاري إنساني، وقد أثرت هذه المسلمات في توجهاتهم البحثية فجعلتهم يحاولون الوصول إلى عدم جدة الرسالة الإسلامية، واعتمادها على مصادر قديمة، واتصال الرسولﷺ بآخرين تعلم منهم ونقل ما نقل، ثم تراهم يتحدثون عن تأثر الرسولﷺ بالبيئة تارة وبالصرع تارة أخرى، إلى غير ذلك من الآراء التي لسنا في مجال حصرها أو مناقشتها"[1] .

إن القرآن الكريم وما يتضمنه من قصص وسور وآيات ، هو ميدان المستشرقين الأرحب لبث السموم والتشكيك في أصالة القرآن الكريم، ولقد كان ترتيب السور مرتعا خصبا لأولئك المستشرقون، لممارسة هذا المنهج الفرضي الذي لا يقوم على أسس علمية مقبولة، فقد خالفوا أهل الإسلام في قضية ترتيب السور الذي هو عند المسلمين مسألة توقيفية لا خلاف فيها، إذ أنهم يفترضون ترتيبا جديدا مبنيا على أسس من الهوى والزيغ، بعيدا عن المنهج العلمي الصحيح، وبناء على ما قرروه من هذا الترتيب المصطنع، فإنهم بنوا على ذلك نتائج تحمل منزلقا خطيرا في جانب القرآنيات، ومن خلال هذا الباب أظهروا طعونهم وتشكيكاتهم في

---

[1] الاستشراق أهدافه ووسائله، ص١١٦.

القرآن، لا في الترتيب فحسب بل في كل ما يتضمنه من قصص وحوادث وآيات، وأخضعوه لظروف زمانية ومكانية، ومن هؤلاء المستشرق الانجليزي آرثر جفري الذي تكلم عن سورة الجن وأنشأ لها فرضية ليبني عليها أحكاما يوهم القارئ بأنها حقائق علمية لا تقبل النقاش والجدال، فيقول" إن الآيات الخاتمة للسورة تختلف كثيراً في الشكل والأسلوب، وتظهر وكأنها قطعة غريبة وضعها جامعو القرآن أو كتبته"[1]، فيؤكد هنا للقارئ جزافا أن هنا اختلافا وعدم تناسب وتناسق بين الآيات الخاتمة في السورة، ولو أن جفري أنصف ورجع إلى كتب التفسير الموثوقة لدى المسلمين، لوجد أن الحقيقة تخالف ما قاله وما توهمه، يقول الإمام برهان الدين البقاعي[2] –رحمه الله– في آخر حديثه عن سورة الجن "لقد التقى أول السورة وآخرها، فدل آخرها على الأول المجمل وأولها على الآخر المفصل، وذلك أن أول السورة بين عظمة الوحي، بسبب الجن، ثم بين في أثنائها حفظه من مسترقي السمع، وختم بتأكيد حفظه وحفظ جميع كلماته"[3] .

وذاك الإمام ابن الزبير الغرناطي[4] عند حديثه عن سورة الجن ختم حديثه بقوله" ثم استمرت الآي ملتحمة المعاني معتضدة المباني إلى آخر السورة "[5]، وبهذا يتبين بطلان ما ذهب إليه جفري، وليس المقام هنا مقام الرد على مفتريات هؤلاء المستشرقين حول القرآن الكريم وعلومه، وإنما لبيان عوار هذا المنهج وفساده من الأصل، ولمزيد من البطلان والفساد لهذا

---

[1] Arthur Jeffery: The Koran: Selected Suras translated Heritage, New York 1982 P32.

[2] هو إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، أبو الحسن برهان الدين(٨٠٩ – ٨٨٥ هـ = ١٤٠٦ – ١٤٨٠ م)، مؤرخ أديب، أصله من البقاع في سورية، وسكن دمشق ورحل إلى بيت المقدس والقاهرة، وتوفي بدمشق، الأعلام للزركلي ٥٦/١.

[3] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم برهان الدين البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٤ هـ–١٩٨٤م ، ٢٠ / ٥٠٤.

[4] هو أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر،(٦٢٧ – ٧٠٨ هـ = ١٢٣٠ – ١٣٠٨ م)، محدث مؤرخ، من أبناء العرب الداخلين إلى الاندلس، انتهت إليه الرياسة بها في العربية ورواية الحديث والتفسير والاصول، ولد في جيان وأقام بمالقة فحدثت له فيها شؤون ومنغصات، فغادرها إلى غرناطة فطاب بها عيشه وأكمل ما شرع فيه من مصنفاته، وتوفي فيها، أنظر الأعلام للزركلي ٨٦/١.

[5] البرهان في ترتيب سور القرآن، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، طبع وزارة الأوقاف المغربية، الرباط ١٩٩٠م، ص ٣٤٩.

المنهج، نورد مثالا يثير كثيرا من الغرابة في أفكار القوم، ففي قصة الاستئذان التي أمر الله بها في القرآن في سورة النور في قوله عز وجل ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾ النور ٢٧ ، يقول المستشرق الإنجليزي المعاصر منتغمري وات[١] M.Watt في تأويل هذه الآية على حد زعمه "إن ذلك دليل على انحطاط في مستوى الأخلاق كان النبي ﷺ بحاجة إلى السمو به في نفوس أصحابه"[٢]، ومن يتأمل في كلامه يتبين له بروز المنهج الفرضي الذي نتج عنه استنتاج خاطئ، إذ أنه لو كانت الأخلاق غير منحطة لولج الناس بيوت الآخرين بلا أدب ولا استئذان، ولما صار للبيوت حرمة ولا هيبة، فقضية الاستئذان لا تختص بدين الإسلام فحسب ، بل هي فطرة جبلت عليها النفوس البشرية السوية، ودعت إليها الأديان، وتظافرت عليها الأعراف والتقاليد بين الشعوب الإنسانية، ولعل وات نسي أو تناسى أن الغرب يحتفظ بفضيلة الاستئذان قبل الولوج في بيوت الناس، فأنى لوات هذا الافتراض الذي لا يقوم على أساس علمي صحيح.

وخلاصة القول في هذا المنهج، هو أن معاشر المستشرقين يهدفون وبشكل مباشر من ورائه وغيره من المناهج الاستشراقية، إلى الوصول إلى غاية كبرى وهي إثبات أن القرآن الكريم بشري وليس وحياً منزل من عند الله تبارك وتعالى، وأنه يحمل بين طياته التناقض إما إزاء موضوعاته أو أساليبه، وذلك من خلال الافتراضات المسبقة التي يسعى المستشرق جاهدا إلى إثباتها، وهذا المنج وهذه السمة غير العلمية ولا تستند على قواعد علمية صحيحة، يجب أن تواكبها من قبلنا منهجية إسلامية علمية ، تتسم بالموضوعية والعدل ، بعيدة عن الهوى والتعصب ، ننشد من ورائها الوصول إلى الحق، يقول الحسن بن الهيثم" ونجعل غرضنا في جميع ما نستقرءه ونتصفحه استعمال العدل، لا اتباع الهوى، وفي سائر ما نميزه وننتقده طلب الحق، لا الميل مع الآراء، فلعلنا ننتهي بهذا الطريق إلى الحق الذي به يثلج الصدر، ونصل بالتدرج والتلطف إلى الغاية التي عندها يقع اليقين، ونظفر مع النقد والتحفظ بالحقيقة التي يزول معها

---

[١] ترجم له ص ٦٤.

[٢] محمد ﷺ في مكة، ويليام مونتجمري وات، ترجمه د. عبد الرحمن عبد الله الشيخ، مراجعة د. أحمد الشلبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة، ١٤١٥ هـ، ص ٤٣٠.

الخلاف وينحسر بها مواد الشبهات"[1].

[1] الاستشراق أهدافه ووسائله ص ١١٧.

المطلب السابع

المنهج الإسقاطي في دراسات وكتابات المستشرقين عن قصص القرآن الكريم

يظهر في هذا المنهج شيء من الغرابة في ماهية اسمه وعلى ماذا ينطوي من المعاني والأهداف ، ولإزالة هذه الحيرة، لا بد لنا من التقديم والتعريف بهذا المنهج، ليتبين مضمونه وتتضح معالمه:

يعرف علماء النفس الإسقاط بأنه" تفسير الأوضاع والمواقف والأحداث بتسليط خبراتنا ومشاعرنا عليها، والنظر إليها من خلال عملية انعكاسٍ لما يدور في داخل نفوسنا"[١]، ويعرفه علماء التحليل النفسي[٢] بأنه "حيلة نفسية، يلجأ إليها الشخص كوسيلة للدفاع عن نفسه ضدّ مشاعر غير سارّة في داخله، مثل الشعور بالذنب أو الشعور بالنقص، فيعمد – على غير وعي منه – إلى أن ينسب للآخرين أفكارا ومشاعر وأفعالا حياله، ثمّ يقوم من خلالها بتبرير نفسه أمام ناظريه"[٣]. ويمكننا الوصول من خلال التعريفين السابقين إلى النتائج التالية:

١– أنّ الشعور بالنقص والدونية سبب للقيام بعملية الإسقاط .

٢– الدفاع عن عيوبٍ أو نقصٍ في القائم بهذه العملية.

٣– فقدان الشعور أثناء القيام بهذه العملية.

٤– نزاهة الغاية والهدف في الغالب مما يجه إليها أثناء عملية الإسقاط.[٤]

ولقد ورد منهج الاسقاط بصفة الاسقاط المتعمد في قوله عز وجل ﴿ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ النساء ١١٢ ، قال ابن كثير رحمه

---

[١] أنظر موسوعة علم النفس، أسعد رزق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٧م، ص٤٠.

[٢] مدرسة التحليل النفسي Psychoanalysis: مدرسة متفرعة عن علم النفس Psychology، رائدها هو الطبيب النفسي النمساوي سيغموند فرويد Sigmund Freud (1856-1939م)، وهي مشهورة باهتمامها بالدوافع اللاشعورية للمرء إلى تصرفاته وسلوكياته، وكذلك باهتمامها المفرط بالعوامل الجنسية بصفتها الدافع الأساس حتى في طور الطفولة، انظر، الموسوعة العربية الميسرة، مُحَمَّد شفيق غربال، دار الشعب، القاهرة، ١٩٦٥م، ص١٠٠٣.

[٣] موسوعة علم النفس ص ٤٠.

[٤] وللمزيد أنظر منهج الإسقاط في الدراسات القرآنية عند المستشرقين ، د. مُحَمَّد عامر عبد الحميد مظاهري، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ٢٠٠٦م، ص ٦–٧.

الله" هي كقوله تعالى ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ فاطر ١٨ يعني أنه لا يغني أحد عن أحد، وإنما على كل نفس ما عملت لا يحمل عنها غيرها"[١]، يقول د. حسن عزوزي" تفسير الوقائع والنصوص بالإسقاط أمر دأب المستشرقون على توظيفه في أبحاثهم القرآنية، ونعني بالمنهج الإسقاطي إسقاط الواقع المعيش على الحوادث والوقائع التاريخية، إنه تصور الذات في الحدث أو الواقعة التاريخية"[٢]، ويقول في موضع آخر" وهكذا يتم تفسير تلك الوقائع وفق المشاعر الإنسانية الخاصة والانطباعات التي تتركها بيئة ثقافية معينة، فالمستشرق الباحث عندما يضع في ذهنه صورة معينة يحاول إسقاطها على صور ووقائع معينة يخضعها إلى ما ارتضته مخيلته وانطباعاته"[٣].

والمستشرقون كعادتهم ودأبهم، يمارسون العملية الإسقاطية في الدراسات القرآنية بناء على تأثرهم القوي بخلفياتهم العقدية وموروثاتهم الفكرية، وبدافع نفسي خبيث يهدف إلى رمي القرآن الكريم بما ثبت في حق كتبهم المقدّسة ودياناتهم المحرّفة، منتقصين من قدر كتاب الله عز وجل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه﴿ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ فصلت ٤٢
.

ولتأكيد ما سبق نضرب مثالا يثبت رسوخ هذا المنهج عند المستشرقين، وهو ما أورده المستشرق بلاشير عندما قام بالبحث عن أسباب عدم جمع القرآن الكريم في مصحف مستقل زمن نبيناﷺ إذ أنه عليه الصلاة والسلام وأصحابه كانوا يميلون إلى ترك الأمور على ماهي عليه، وذلك لأن العرب في جملتهم لا يفكرون إلا في الحاضر ولا يهمهم المستقبل ، وهذا الميل يقف وراء عزوف المسلمين عن جمع القرآن في عهدهﷺ .[٤] وهذا التفسير الإسقاطي فاسد بكل المقاييس العلمية، إذ أن بلاشير لا يستند فيه إلى أدنى دليل علمي صحيح، وحتى المنطق العقلي لا ينطبق عليه، لأنه مبني في الأساس على فرضيات مسبقة، وهوى متبع، مما نتج عن ذلك أحكاما جزافية متعسفة، لم تخضع أبدا لأدنى المعايير البحثية العلمية، ومن المعلوم ضرورة

---

[١] تفسير ابن كثير ٤٩٢/١.

[٢] مناهج المستشرقين البحثية في دراسة القرآن الكريم، ص٣٣.

[٣] المرجع السابق ص ٣٣.

[٤] Blachère: op.cit p 16 ، وأنظر مناهج المستشرقين البحثية في دراسة القرآن الكريم، ص٣٣.

أن النبي ﷺ كان يحث الصحابة رضي الله عنهم أجمعين على حفظ القرآن وتدوينه خوفا عليه من الضياع، باستخدام كافة الطرق المتاحة أنذاك، ومن حرصه عليه الصلاة والسلام على عدم اختلاط القرآن بالحديث النبوي ، أمر بتدوين الحديث أولا ثم كتابة القرآن، يقول زيد بن ثابت رضي الله عنه " كنا عند رسول الله ﷺ نؤلف القرآن من الرقاع"[١]، وفي هذا دلالة على أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يفكرون في حفظ القرآن وتدوينه ، ولكن لم يكن ممكنا جمعه في مصحف واحد أنذاك وذلك لأنه كان ينزل على رسول الله ﷺ منجما حسب الوقائع والحوادث على مدى ثلاث وعشرين سنة، حيث كان يرقب في ذلك نزول زيادة أو نقصان أو نسخ لبعض الأحكام، وهذا أمر طبيعي استحالة جمعه في مصحف واحد أنذاك لهذه الأسباب، فمن أين لبلاشير هذا التخبط في التأويل واستخدام هذا المنهج غير الموافق للمعايير العلمية السليمة.

ومن الصور التي يطبق عليها المستشرقون هذا المنهج الإسقاطي قولهم بالتمايز في أسلوب القرآن الكريم المكي والمدني، وأرجعوا ذلك إلى البيئة المنحطة لأهل مكة، والبيئة المتقدمة والمتحضرة لأهل المدينة، إذ أن الآيات القصيرة تدل على أن أهل مكة أميون جاهلون، وإذا كانت طويلة فهذا يدل على أن أهل المدينة مثقفون واعون ومتعلمون، بل ومتأثرون بالنفوذ اليهودي فيها، بل من المستشرقين من بالغ في الأمر، وهو هنري لامنس حيث قال" إن اختلاف الأسلوب بين العهد المكي والعهد المدني يعد انعكاساً واضحاً للبيئة التي وجد فيها، فالنصوص القرآنية تعكس طبيعة وبيئة وظروف كل مكان وكل زمان، فالأسلوب القرآني يمتاز في مكة بالشدة والعنف، لأن أهلها أجلاف بينما يمتاز في المدينة باللين والوضوح والصفح، لأن أهلها مستنيرون"[٢]. ولا غرو في أن أهداف المستشرقين من وراء كل هذه الدعاوى ، هو التلبيس والتدليس على المسلمين دينهم، وصد الناس عنه، والتشكيك في معطيات القرآن الكريم وجعله وأسلوبه متأثرا بالبيئة المحيطة، وأنه كلام الرسول ﷺ وليس من كلام الله، وهذه كلها مغالطات وممارسات مجانبة للحق و للبحث العلمي الصحيح، ولم يفقه أولئك أن الدعوة الإسلامية قد أخذت تطورا كبيرا في جميع مراحلها، بداية من مكة ونهاية بالمدينة، وأنه وكما ورد في السيرة اختلاف واضح في خطاب القرآن الكريم لأهل المدينة، عن خطابه لأهل مكة،

---

[١] الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ١٦٤/١، والحديث أخرجه الحاكم في مستدركه ٦١١/٢، وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

[2] Henri Lammens; l'Islam, Beyrouth 1943 p 60.

إذ أن الآيات التي نزلت في مكة كانت في تسفيه أحلام المشركين ومقارعتهم بالحجج وتحديهم، فالأمر كان يتعلق بتأسيس أسس العقيدة الصحيحة وتدمير معالم العقائد الوثنية السائدة، أما في المدينة فكان الأمر يستدعي تأسيس الدولة الإسلامية، ويتطلب التفصيل في التشريع وبناء المجتمع الجديد، فلا غرو إذن أن يطنب القرآن بعدما كان يوجز، ويفصل بعدما كان يجمل، كما أن الدعوة الإسلامية أنذاك تحتاج إلى مراعاة ة وتدرج في أحول المدعوين وظروف الحال والمكان.

وخلاصة القول أن ما ادعاه أعداء الملة والدين من المستشرقين، من تناقض وتباين في سور القرآن الكريم وآياته وقصصه وأسلوبه، عار من الصحة، بل إنهم يفتقرون في دراساتهم هذه إلى أبسط معايير البحث العلمي الصحيحة، وأن الآيات والسور ليست خاضعة للظروف والمتغيرات في البيئة كما يدعي ويزعمه أولئك المغالطون، ولكنها حكمة إلهية ، ودعوة قرآنية تراعي أحوال المخاطبين، تشتد وتلين وترغب وترهب بما يستدعيه الحال والمقام[١].

---

[١] وللتوسع أنظر مدخل إلى دراسة علوم القرآن والتفسير، د. حسن عزوزي، أنفو برانت، المغرب، ١٩٩٨م، ص٣٢-٣٣.

المطلب الثامن

المنهج التأويلي لآيات القصص في القرآن الكريم

المنهج التأويلي في دراسات المستشرقين للنص القرآني، أوقعهم في تأويلات وتناقضات مخالفة للصواب، وذلك لأن دراساتهم فيما يخص الإسلام والقرآن تتسم بعدم الموضوعية، إذ أن هؤلاء وخصوصا فيما يتصل بالقرآن والإسلام، لم يلتزموا قواعد البحث العلمي الصحيحة والدقيقة، بعيدا عن المنهجية التعصبية والعدائية ومجابهة الحقائق، فهم وكما هو واضح في دراساتهم وبحوثهم يضعون ويستبقون بالنتائج والفرضيات والتفسيرات الخاطئة، ثم يشرعون في صياغة المقدمات ويضعون البراهين والأدلة التي تتمشى مع أهدافهم ورغباتهم، حتى وإن بانت مجانبة للأصل والصواب. ولعل مما أعمى أبصارهم عن رؤية الحقائق فهمهم السقيم وبضاعتهم المزجاة في فهم اللغة العربية الفهم المتعمق الصحيح، التي توصلهم إلى فهم سليم للنص القرآني، فهم لا يريدون متعمدين فهم اللغة العربية بالمنهج العلمي الصحيح، بل كفاهم منها المعرفة السطحية التي قادتهم إلى نتائج خاطئة، وتفسيرات وتأويلات سقيمة، يقول د. يحي عليان عثمان" يجب على هؤلاء المستشرقين إذا أرادوا قراءة النص القرآني وتحليله أن يتحلوا بالحيادية والانفتاح الفكري والتمسك بالروح العلمية في البحث والابتعاد عن التثبت بالرؤية الأحادية المتعلقة بالنتائج، وأن يعترفوا بالنتائج وإن كانت مخالفة لتصوراتهم، يجب على المستشرقين أن يتمتعوا بالأمانة العلمية في البحث ولا يكونوا حاقدين متعصبين لآرائهم؛ بحيث يبترون النص القرآني ولا يدرسونه دراسة كاملة ، يجب على المستشرقين عدم إصدار الأحكام النهائية على النص القرآني إلا بعد الاستدلال بالبراهين والحجج التي تثبت ما يقولونه"[1]، ويقول د. عبدالصبور شاهين[2] "وآفة المستشرقين أنهم يسوقون مجرد الاحتمالات العقلية مساق الحقائق ويقيسون الماضي الذي لم يكن جزءاً من تاريخهم، وبالتالي لم يكن من مكونات ضمائرهم بمقياس حاضرهم مع تباين المكان والزمان والعقلية والروح، وآية ذلك أنهم يغضون أبصارهم عن

---

[1] مناهج وأساليب البحث العلمي النظرية والتطبيق، يحي عليان ، دار الصفا للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٠م، ص٢١٥.

[2] هو د. عبد الصبور شاهين (١٨ مارس ١٩٢٩ – ٢٦ سبتمبر ٢٠١٠م ١٧ شوال ١٤٣١ هـ ، مفكر إسلامي مصري ومن أشهر الدعاة الإسلاميين في مصر والعالم الإسلامي، خطيب مسجد عمرو بن العاص أكبر وأقدم مساجد مصر سابقًا، أنظر الموسوعة الحرة ويكيبيديا.

الطابع الميتافيزيقي[1] الذي نشأت في ظله أحداث التاريخ القرآني وعلى عهد النبوة، ويرفضون مناهج المسلمين في نقد الأخبار ورواتها"[2].

إن العقلية الاستشراقية الغربية تختلف تماما في قضايا التفسير والتأويل عن العقلية الإسلامية لدى المسلمين، إذ أن االمستشرقين يجرون البحوث والدراسات بناء على ما تمليه عليهم الأهواء والكراهية الأزلية للإسلام والمسلمين معتمدين على المصادر التي بها يصلون إلى مآربهم وأهدافهم الباطلة، متجاهلين المصادر والمراجع التي يعتمدها المسلمون في تأويل النصوص وتفسيرها.

ويعترف بعض علماء المستشرقين أن طبيعة الفهم الاستشراقي يختلف عند فهم الباحثين المسلمين والدليل على ذلك ما قاله المستشرق الألماني د. ديلكويس موراني: " الفهم الاستشراقي للقرآن يختلف كل الاختلاف عنه عند المسلمين عامة، والباحثين المسلمين خاصة، وذلك ما أثار توتراً، بل حقداً، إن صح التعبير بين الطرفين الإسلامي والأوروبي، إن المستشرق الذي يدرس نص القرآن وعلومه لا ينطبق من الحقيقة المطلقة لدى المسلمين، أن هذا النص وحيّ منزل، أي لا يدرسه من زاوية الإيمان، بل من زاوية العلم المنفصل عن جميع ما يدخل في باب الإيمان والعقيدة، والاستشراق يعالج النص القرآني وفقاً لمعايير علوم الديانات العامة، ووفقاً لعلوم التاريخ، فمن هنا يمكن القول إن نص القرآن في رأي المستشرقين ليس إلا وثيقة تاريخية ثمينة باعتباره مبدأً أساسياً في إيمان المسلمين وعقيدتهم، وهذا ما ينبغي على الباحثين المسلمين مراعاته عند القراءة في دراسات المستشرقين أو مناقشتهم حتى لا يحصل

---

[1] الميتافيزيقا فرع من فروع الفلسفة التي تبحث في المبادئ الأولية للعالم، وحقيقة العلوم، ينظر الموسوعة الفلسفية، عبدالرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٤م، ص ٤٩٣-٤٩٥.

[2] قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية، نقد مطاعن، ورد شبهات، د. فضل عباس ، دار النشر، عمان، ١٩٨٩م، ص١٨.

الخلل في الفهم والنتائج، والمدارس الاستشراقية تختلف باختلاف الدول، فالاستشراق الإنجليزي يختلف عن الاستشراق الأمريكي أو الألماني فلكل منهم طبيعته الخاصة."[1]

وللتأكيد على انحراف المنهجية التأويلية للنص القرآني عند المستشرقين، نذكر ما قاله المستشرق ريتشارد بل في كتابه مقدمة القرآن أن النبيﷺ قد اعتمد في كتابه على الكتاب المقدس، وخاصة على العهد القديم في قسم القصص، فبعض قصص العقاب كقصة عاد وثمود مستمد من مصادر عربية، ولكن الجانب الأكبر من المادة التي استعملها مُحَمَّد ليفسر تعاليمه ويدعمها قد استمده من مصادر يهودية ونصرانية[2]، وقال في موضع آخر" وهذا هو الذي يدل عليه ما ذكره القرآن من قولهم ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ النحل ٢٤ ذلك لأنهم كانوا يستبعدون أن يصدر من هذا القصص الأسطوري عن الله، ومن هنا وقفوا موقفهم من النبي، وقالوا عنه وعن القرآن، وهو بناؤه بعض قصصه الديني على أساس من الأساطير القديمة" وقال أيضا" ولقد كان هذا الصنيع الأدبي مما ألفه القوم من المدنيين، خاصة أهل الكتاب ذلك لأنه الصنيع الذي جرت عليه التوراة وجاء به الإنجيل ومن هنا لم ينكروه، وهو في أعلى ما عرفت العربية من طبقات البلاغة وأدب القائلين"[3]، وهناك من أتباع المستشرقين والسائرين في ركابهم من يقول بقولهم ، وينطق بألسنتهم، أمثال د. مُحَمَّد خلف الله حيث يقول " إن المعاني التاريخية ليست مما بلغ على أنه دين يتبع، وليست من مقاصد القرآن في شيء، ومن هنا أهمل القرآن التاريخ من زمان ومكان وترتيب للأحداث وكذلك يصف القرآن بأنه أساطير الأولين كما وصفه به المشركون ، ويستدل بذلك بقوله تعالى ﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ الفرقان ٥ "[4] ، هذا هو منطق المستشرقين وأتباعهم في بلاد الإسلام، إذ لا يمكن بأي حال من الأحوال أن ينطبق ما أوردوه من التأويل الخاطئ الذي لا يستند إلى

---

[1] ينظر منهج المستشرقين التأويلي في تفسير النص القرآني، د. زكريا إبراهيم الزميلي، بحث مقدم إلى مؤتمر"الإسلام والتحديات المعاصرة"، المنعقد بكلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية، في الفترة: ٢-٣/٤/٢٠٠٧م ص ٤٩.

[2] أنظر الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ص٨٤.

[3] هجمة علمانية جديدة ومحاكاة النص القرآني، ص ٥٤-٥٥.

[4] الفن القصصي في القرآن الكريم ص ٤٢.

دليل صحيح أو قاعدة علمية صحيحة، بل ولا ينطبق على القرآن الكريم، فهم يريدون أن يخضعوا كلام الله عز وجل وقصص القرآن الكريم للمعايير الأدبية، والغالب على المنهج التأويلي عند المستشرقين ، أنهم يفسرون القصص تفسيرا ماديا وتاريخيا، متجاهلين عمدا قدسية آيات القرآن الكريم وقصصه الحق، وهذا بطبيعة الحال لا يمكن ولا يجوز أبدا في شريعة الله ، يقول د. فضل عباس[1] " الآيات القرآنية لها قداسة لأنها منزلة من عند الله سبحانه وتعالى، وعلى ذلك فهو لا يخضع للمعايير البشرية، بل المعايير البشرية يجب أن تخضع له، فالقرآن عندما يذكر قصص الأنبياء يتجاوز الزمان والمكان والأشخاص والأحداث، ويركز في سرده القصة على أخذ العبرة والعظة، مثال ذلك عندما ذكر قصة موسى وعيسى وإبراهيم وغيرهم من تلك القصص"[2].

ولم تقتصر انتقادات المستشرقين للقرآن الكريم عند حد تأويل القصص والإعجاز وترتيب السور، بل تعدى ذلك إلى أساس الدين ، وقاعدة الشريعة، إلى العقيدة وثوابت الدين، إذ تجرأوا على تأويل آيات العقيدة تأويلا بعيدا عن الانصاف والعدل، خارجين عن الأمانة العلمية والبحث العلمي الصحيح، فتجرأوا على أسماء الذات وصفات الكمال لله عز وجل ، كما في قوله عز وجل ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ النمل ٣٠ ، حيث استدل بعض القساوسة على إثبات التثليث في الإسلام من خلال تأويل النص القرآني السابق، واعتبر هؤلاء أن ذلك النص فيه ثلاثة أسماء (الله والرحمن والرحيم) فيدل على التثليث[3] ، وهذا دليل قاطع على فهمهم السقيم للغة العربية ومعانيها، إذ أن الله اسم لله وهو اسم ذات يدل على المسمى

---

[1] هو أبو محمّد فضل حسن عباس، أحد أبرز علماء السنة في الأردن، وأحد العلماء المعدودين في علوم التفسير وعلوم اللغة والبلاغة، عرفه الناس من خلال كتبه ودروسه ومحاضراته في حلقات العلم وفي المساجد وفي المنتديات العلمية، وعرفه طلاب العلم في رحاب المعاهد العلمية والجامعات، برز الدكتور فضل عباس كأحد أهم علماء التفسير والتلاوة وكان ذلك في السبعينات حين سجلت له الإذاعة الأردنية ٤٠٠ حلقة إذاعية في تلاوة وتفسير القرآن الكريم كاملاً، كانت باكورة مسيرته العلمية التي أثمرت فيما بعد نتاجاً كبيراً وهاماً من المؤلفات والنظرات الجديدة في تفسير القرآن الكريم، ينظر الموسوعة الحرة ويكيبيديا.

[2] القصص القرآني، ص ٦٥.

[3] ينظر مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية، ص٣٣ .

وهو الله جل في علاه، والرحمن الرحيم صفتا كمال وجمال لهذا الاسم وهو الله، وبهذا يبطل تأويلهم وتنجلي الحقيقة.[1]

وخلاصة القول أن المستشرقين يسلكون بهذا المنهج الخاطئ ، مسلك الغواية والإساءة إلى دين الإسلام وأهله، غير مبالين أو مكترثين بالقواعد المنهجية العلمية والبحثية الصحيحة، ولا بالنزاهة والأمانة العلمية التي يجب على كل باحث وفي أي فن من فنون العلوم أن يتصف بها، وأعداء الملة والدين من اليهود والنصارى ومستشرقيهم، لا يألون جهدا في حرب الإسلام وأهله، فعداوتهم أزلية متجددة بزي مختلف عن سابقة بما يقتضية حال الزمان والمكان، مع احتفاظهم بأصل العداوة وأزليتها، ولن يتم لهم الرضا عن أمة الإسلام حتى تنمحي معالم الإسلام ويسير الجميع في دينهم وركابهم، وقد أخبرنا الله بهذا في كتابه الكريم بقوله عز وجل ﴿ وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ البقرة ١٢٠ وقوله عز وجل ﴿ إِن يَثۡقَفُوكُمۡ يَكُونُواْ لَكُمۡ أَعۡدَآءٗ وَيَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ وَأَلۡسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ ﴾ الممتحنة ٢ ، وقوله سبحانه ﴿ وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدٗا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ ﴾ البقرة ١٠٩ ، قال الإمام الطبري –رحمه الله– "وليست اليهود يا محمد ولا النصارى براضية عنك أبدا، فدع طلب ما يرضيهم ويوافقهم، وأقبل على رضا الله في دعائهم، إلى ما بعثك الله به من الحق، فإن الذي تدعوهم إليه من ذلك لهو السبيل إلى الاجتماع فيه معك على الألفة والدين القيم، ولا سبيل لك إلى إرضائهم باتباع ملتهم، لأن اليهودية ضد النصرانية، والنصرانية ضد اليهودية، ولا تجتمع النصرانية واليهودية في شخص واحد في حالة واحدة، واليهود والنصارى لا تجتمع على الرضا بك، إلا أن تكون يهوديا أو نصرانيا، وذلك مما لا يكون منك أبدا، لأنك شخص واحد ، ولن يجتمع فيك دينان متضادان في حال واحدة، وإذا لم يكن إلى اجتماعهما فيك في وقت واحد سبيل، لم يكن لك إلا إرضاء

[1] وللتوسع ينظر الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ١ /٦ .

الفريقين سبيل، وإذا لم يكن لك إلى ذلك سبيل، فالزم هدى الله الذي لجميع الخلق إلى الألفة عليه سبيل"[1] ، وقال ابن كثير –رحمه الله– في معنى الآية " وليست اليهود يا مُحَمَّد ولا النصارى براضية عنك، أبدا فدع طلب ما يرضيهم ويوافقهم ، وأقبل على طلب رضا الله في دعائهم إلى ما بعثك الله به من الحق"[2] .

---

[1] تفسير الطبري ٦٧٣/١.

[2] تفسير ابن كثير ١٤٢/١.

المطلب التاسع

منهج النفي لآيات القصص في القرآن الكريم

يختلف هذا المنهج كثيرا عما قبله من المناهج الاستشراقية ، بل قد يكون أشدها لاعتماده على قاعدة النفي لكل ما يتصل بالقرآن والسنة وعلومهما، فمنهج النفي بات واضحا جليا ، ومعلما بارزا في الدراسات والأبحاث الاستشراقية، فهو يقوم على تصحيح كل ما هو ضعيف وموضوع من الروايات والآثار المتصلة بعلوم القرآن الكريم ومنها القصص، ونفي وتضعيف الروايات الصحيحة من تلقاء أنفسهم دون سبب علمي صحيح، أو وجهة نظر مقبولة، بمعنى أنهم إنما يتبعون الهوى المبني على عداوة الإسلام وأهله، وكل ما يتصل بالدين من علوم ومعارف، وهذا بلا شك كاف لبيان فساد هذا المنهج وبطلانه، يقول د. حسن عزوز" إنهم ينفون العديد من الروايات لهذا السبب أو ذاك، بينما نجدهم يتشبثون –بالمقابل- بكل ما هو ضعيف شاذ"[١].

وقد شهد أحد رموز الاستشراق بوجود هذا المنهج الهدام في كتب المستشرقين التي باتت من عوامل الهدم والسلب وفشل النتائج المستخلصة من دراساتهم للتراث الإسلامي، وهو المستشرق الفرنسي إميل ديرمنغم Emile Dermenghem إذ يقول " من المؤسف حقاً أن يكون قد غالى بعض هؤلاء المتخصصين من أمثال موير ومرجليوت ونولدكه وسبرنجر ودوزي وغريم وجولدزيهر وغيرهم في النقد أحياناً، فلم تزل كتبهم عامل هدم ونفي على الخصوص، ولا تزال النتائج التي انتهى إليها المستشرقون سلبية ناقصة"[٢] ، ولقد تبين من خلال ما سبق الأهداف التي يرمي إليها هذا المنهج ويعمل على تحقيقها، وهي النفي المتعمد للحقائق والعلوم القرآنية من قصص وغيره، وكذلك نفي الأحداث والوقائع التاريخية التي لها صلة وارتباط قوي بعلوم القرآن الكريم، وذلك عبر عدد من القنوات والطرق الممنهجة مثل إثارة الشكوك حول علوم القرآن من قصص وأحداث وغيرها، لإحداث الاهتزاز الثقافي بين أفراد المجتمع الإسلامي، إضافة إلى التوسع والمبالغة في النقد للعلوم القرآنية إلى حد يتم من خلاله تطبيق عملية ومنهج النفي، ليلغي وينفي بذلك كل ما يتعارض مع العلوم الاستشراقية، والأهداف الغربية.

---

[١] مناهج المستشرقين البحثية في دراسة القرآن الكريم ص ٤٢.

[٢] حياة محمد، إميل ديرمنغم Emile Dermenghem ، ترجمة عادل زعيتر، ، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ،١٩٤٩م.

ولننظر إلى العقلية الغربية حينما تلغي وتنفي المصادر التاريخية والسير النبوية والسنن المأثورة، كيف تنقلب عندها الحقائق، وتختل الموازين، فهذا المستشرق لويس شبرنجر **Sprenger**[1] الذي "يرى أن اسم النبي ﷺ قد ورد في أربع سور من القرآن هي آل عمران والأحزاب ومُحَّد والفتح، وهي جميعها سور مدنية، ومن ثم فإن لفظة (مُحَّد) لم تكن اسم علم للرسول قبل الهجرة"[2] ، وهنا يتجاهل هذا المستشرق وينفي كل المصادر والآثار التاريخية الصحيحة التي تثبت اسم النبيﷺ في الفترة التي قضاها بين جنبات مكة المكرمة، وجل حجته أنه لم يرد اسم مُحَّد ﷺ في القرآن الكريم فيما نزل منه في مكة، ظانا أن القرآن الكريم متخصص فقط في سيرة وحياة مُحَّدﷺ ، ونافيا ما عداه من التراث التاريخي المحتوي على الوقائع والحوادث والسير التاريخية بما فيها سيرته عليه الصلاة والسلام منذ مبعثه وحتى التحاقه بالرفيق الأعلى، ولا غرو فالمستشرقون أصحاب مناهج تنبني على الإقصاء والهدم والنفي وسوء الانتقاء لكل ما هو خارج عن دفتي القرآن الكريم.

والمستشرقون في جميع أحوالهم ودراساتهم حول علوم القرآن الكريم، يحاولون إقصاء كل الروايات الصحيحة والمعتمدة لدى علماء الإسلام والتي لا تخضع للشك ولا الارتياب والتي تثبت صدق القرآن الكريم وكل ما جاء به النبيﷺ من عند الله، من خلال المبالغة في نقدها إلى حد إلغائها ونفيها، ويعتمدون كل ما هو ضعيف ومنقطع وموضوع من الآثار والروايات ، ويبنون عليها أحكاما باطلة لا تستقيم أبدا ولا يصدقها من لدية أدنى مرتبة من العلم والعقل الصحيح، وذلك لادخال الشك والارتياب _ على الأقل _ في النفوس.

والمقصود أن المستشرقين يُغْرِقون كثيرا في الاتكاء على الضعيف والسقيم والموضوع من الروايات والاعتماد عليه، لإصدار الأحكام على القرآن الكريم وقصصه وعلومه والسنة الشريفة ومضامينها، وذلك يدل بما لا يدع مجالا للشك على سوء النية، وخبث الطوية عند هؤلاء، بغية طمس معالم الدين ، وتحطيم المسلمات والبديهيات من الإسلام، التي هي من ثوابت الإيمان عند أهل الإسلام. وهذا يدلنا ويثبت لنا بطلان منهج النفي المسلوك عند أولئك المستشرقون ، الذي لا يخدم إلا مصالحهم، ويحقق أهدافهم.

---

[1] ألويس اشبرنجر ابن كرستوفر اشبرنجر (١٢٢٨ – ١٣١٠ هـ / ١٨١٣ – ١٨٩٣ م) هو مستشرق نمساوي، اشتغل في مدرسة دهلي ومطبعة كالكوتا في الهند عام ١٨٤٢، تجنس بالجنسية الإنكليزية، واشتهر بكتابه عن حياة النبي مُحَّد، موسوعة المستشرقين ص ٢٨.

[2] مناهج المستشرقين البحثية في دراسة القرآن الكريم ص ٤٢.

المبحث الثاني

مصادر المستشرقين في كتاباتهم عن قصص القرآن الكريم ومواقفهم منها، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مصادر المستشرقين في كتاباتهم عن قصص القرآن الكريم.

المطلب الثاني: موقف المستشرقين من مصادرهم في الكتابة عن قصص القرآن الكريم.

المطلب الأول

مصادر المستشرقين في كتاباتهم عن قصص القرآن الكريم

يعتمد المستشرقون في كتاباتهم عن الإسلام وتراثه عموما، وعن علوم القرآن الكريم بما في ذلك القصص بوجه خاص، مصادر ومنابع ومراجع هي في الغالب مراجع لمستشرقين آخرين، تفتقد في غالبيتها إلى المصداقية البحثية والعلمية، وقد يحيلون أحيانا إلى مراجع عربية تفتقد أيضا الدقة في النقل والتوثيق، وقد لا تكون معتمدة عند علماء المسلمين، وقد يكون هذا التنوع والاختلاف في المراجع والمصادر عند أولئك المستشرقين راجع إلى عوامل ومؤثرات عدة، لعل من أبرزها التفرغ التام لدراسة القرآن الكريم وعلومه من قراءات وقصص وغيره، وساعدهم في ذلك إلمامهم التام باللغات الأوربية ، واطلاعهم الواسع بالآداب العربية.

ومن يطلع على مؤلفاتهم وكتاباتهم يجد أنهم مجرد نقلة بطرق مختصرة لمؤلفات سابقيهم من المستشرقين، مرددين ما قاله أولئك، ويلاحظ أيضا أن كتاباتهم حول التفسير والقصص وغيرها تتأرجح بين لغات أوروبية مختلفة ، كالفرنسية والألمانية والانجليزية، فهم لا يتكلمون العربية في الأصل، حتى من عاش منهم بين ظهراني العرب ، يجد صعوبة كبيرة في فهم العربية عوضا عن أن يكتب بها، ولذلك يرجعون في كتاباتهم إلى ما ألفه سابقيهم من المستشرقين ولا يرجعون إلى المصادر المعتمدة لدى علماء الإسلام. ولذلك نرى اعتمادهم في كتاباتهم ومصادرهم على صنفين من الموارد ، أحدهما مصادر ومراجع باللغة العربية لم تترجم إلى اللغات الأوربية، ولكنها قليلة بالنسبة إلى غيرها من المترجمة من الكتابات الاستشراقية، منها مذاهب التفسير الإسلامي المنشور في ليدن سنة ١٩٢٠ م ، ومنها أيضا مادة قرآن ضمن الموسوعة الإسلامية ، الطبعة الثانية مكتبة بريل ليدن ١٩٨١ م ، والآخر تلك الكتابات الاستشراقية في علوم القرآن الكريم وهي الأكثر شيوعا، كلها بدون استثناء من كتابات المستشرقين أو تلامذتهم بشتى اللغات الأوربية.[١]

والمتتبع لهذه المصادر يجد أن الصنف الأول تحكمه التوجهات والأهداف الاستشراقية في

---

[١] وللتوسع ينظر مجلة البحوث الإسلامية، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، الرياض، العدد ٦٧، من رجب إلى شوال ١٤٢٣هـ، الصفحة ١٤٤-١٤٧.

قضية الفوائد المرجوة منه، فنرى المستشرق جولد تسيهر في كتابه (مذاهب التفسير) عند حديثه عن القراءات يحيل في التوثيق إلى كتاب الكشاف للزمخشري، مع أن هذا الكتاب ليس مرجعا معتمدا عند المسلمين في القراءات، وإنما هو كتاب تفسير فقط، وقد يجد القارئ في هذا الكتاب ما يدل على تعصب الزمخشري لرأيه مع إيراده لقراءات شاذة ومردودة، ففي هذه الحالة يستغل المستشرق الفرصة، ويستعمل هذا الأمر في التدليس والتلبيس والتشكيك في مضامين القرآن الكريم، ويمكن القول فيما سبق، أن التصورات الخاصة لدى بعض المستشرقين ، هي التي تحكم كل ما يأخذونه عن المراجع والمصادر العربية لعلوم القرآن الكريم، بل إن المتتبع لكتاباتهم يجد أحيانا نوع كذب وتدليس ينسبونه إلى تلك المصادر لترويج بضاعتهم الفاسدة في التشكيك والصد عن دين الإسلام.

ودراسات المستشرقين لمضامين القرآن والسنة من قصص وغيره لا يمكن الاعتماد عليها كمصادر علمية وبحثيه صحيحة، بل لا يمكن الوثوق بها، وذلك لافتقارها إلى المصداقية والموضوعية العلمية، ولا تخضع لأبسط معايير البحث العلمي، وقد يستشهدون ويقتبسون في دراساتهم باستشهادات منقولة من أمهات الكتب المعتمدة عند المسلمين، ولكن هذه النقول يعتريها سوء النقل وسوء الاستشهاد إذا أنها تفتقر إلى الأمانة والدقة والتجرد والموضوعية، ويعتريها الكذب والتدليس والتشكيك والتحريف. وللوقوف على بعض الأمثلة في ذلك وإثباتا لما سبق نرى المستشرق هاملتون جب في كتابه النظم والفلسفة والدين في الإسلام[1] الذي ملأه بالكثير من المغالطات التي يلاحظها كل من قرأ له من عامة الناس عوضا عن علمائهم، يقول هذا المستشرق حول القرآن الكريم، والرسول ﷺ " سأتحدث في المقالة الثانية عن المشارب الجديدة التي يسرها القرآن للطاقات الشعورية والخيالية لدى العرب وعن أثرها في المواقف الدينية الإسلامية، أما في هذا المقام فإن ما يهمنا ما هو جمهور العرب الوثنيين الذين تقبلوا التعاليم القرآنية دون أن يتخلوا تمام التخلي عن معتقداتهم القديمة، فكان ما حققه مُحَمَّد لديهم هو أنه فرض قوة سيطرة عليهم باسم الله القوي المتعال وجعلها فوق ما عندهم من حصيلة ، وبذلك ظل الموروث العربي القديم قائماً تحت هيمنة ذلك القادر الأعلى، وظل لديهم إيمانهم

[1] النظم والفلسفة والدين في الإسلام، هاملتون جب، المركز العربي للكتاب، دمشق، ص ١٠٨.

بالسحر وبالقوى الغيبية، وبخاصة الشرير منها كالجن وبالقرينة أو التابع كل هذه المعتقدات وأشباهها ظلت قائمة مصبوغة بصبغة إسلامية تكثف هنا أو ترق هناك، لتلعب دوراً كبيراً في أفكار المسلمين من العالم"[1]. والقارئ لهذه المقولة سيتبين له جليا مصادرها ومشاربها ، وأنها مأخوذة مما قاله أسلافه من المستشرقين، دونما اعتماد على مصادر علمية صحيحة، إضافة إلى ركاكة الأسلوب وعدم الوضوح فيما أورده من كذب وافتراء ومخالفة للحقائق.

[1] النظم والفلسفة والدين في الإسلام ص ٥٨.

المطلب الثاني

مواقف المستشرقين من مصادرهم في الكتابة عن قصص القرآن الكريم

تنوعت واختلفت مصادر ومراجع المستشرقين حول الإسلام والقرآن الكريم ومضامينه وحول السنة الشريفة، ولعل هذا التنوع والاختلاف يدل على اتجاهاتهم نحو الإسلام وتراثه، من أجل دراسته وبث الشكوك حوله، والطعن في أصالته ومنبعه، وتلك المصادر هي في الغالب مراجع لمستشرقين آخرين، تفتقد في غالبيتها إلى المصداقية البحثية والعلمية، بل ومجانبة للأمانة العلمية التي يجب أن يتحلى بها كل باحث ومنصف، وقد يحيلون أحيانا إلى مراجع عربية تفتقد هي أيضا إلى الدقة في النقل والتوثيق، وقد لا تكون معتمدة عند علماء المسلمين، ويتضح موقف المستشرقين من هذه المصادر، من خلال تقسيمهم إلى فريقين:

الفريق الأول هم أقل شأنا من الفريق الثاني في موقفهم من المصادر الإسلامية فيقبلون صحة عامتها، ولكنهم لا يهتمون بإسناد الروايات وغير ذلك من عوامل صحتها، ويميلون إلى استخدام تلك الروايات التي تؤيد وجهات نظرهم بدون نقد أو اعتراض وينتقدون تلك التي تتعارض مع آرائهم واتجاهاتهم.

الفريق الثاني هم أولئك المتطرفون في موقفهم من المصادر، ويقولون إنها ليست معاصرة وقابلة للاعتماد عليها، في الحديث عن التاريخ الإسلامي للقرنين الأول والثاني، ومع أن الكثيرين من الفريق الأول يقومون بدحض مزاعم الفريق الثاني في المصادر، ومع أن العلماء المسلمين أيضا يقومون بدحض هذه المزاعم، فإنهم أي الفريق الثاني، يصرون على موقفهم وذلك خصوصا من أجل النيل من القرآن والإسلام، ويبذلون جهدهم في النفي والتشكيك والصد عن هذا الدين الحنيف.

أما بالنسبة للموقف من القرآن على وجه الخصوص وما يتضمنه من وقائع وقصص وأخبار لا تقبل الكذب والتشكيك، فإن الفريقين متساويان، فالفريق الأول يحاول بشتى الوسائل والحجج إثبات أن القرآن من تأليف مُحَمَّد ﷺ وأنه مقتبس من اليهودية والنصرانية والديانات القديمة الأخرى، والفريق الثاني يبني على هذه الاستنتاجات ومن ثم يذهب إلى أبعد الحدود ويقول إن المصادر التاريخية الإسلامية لا يمكن الاعتماد عليها للقرنين الأولين والقرآن ليس فقط من تأليف مُحَمَّد ﷺ ، بل إنه تطور عبر قرنين ثم اتخذ شكله الحالي في نهاية القرن

الثاني أو بعده.

كما أن الفريقين يهدفان إلى جعل القرآن مساويا لما يسمَّى بالكتاب المقدس من حيث التاريخ، أو كما يقولون: إن للقرآن تاريخا كما للكتاب المقدس تاريخ، والله عز وجل قد أبطل تلك الاستنتاجات والأقوال والحجج بقوله ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ يونس ١٥ – ١٧، يقول الشيخ العلامة عبدالرحمن السعدي–رحمه الله– " فقد لبثت فيكم عمرا طويلا قبل تلاوته ، وقبل درايتكم به، وأنا ما خط ببالي ولا وقع في ظني، حيث لم أتله في مدة عمري، ولا صدر مني ما يدل عل ذلك، فكيف أتقوله بعد ذلك، وقد لبثت فيكم عمرا طويلا، تعرفون حقيقة حالي، بأني أمي، لا أقرأ ولا أكتب، ولا أدرس ، ولا أتعلم من أحد، فأتيتكم بكتاب عظيم، أعجز الفصحاء، وأعيا العلماء"[1].

إن جميع استنتاجات الفريقين فاسدة وباطلة، لكن المنتمين إليهما لا يشعرون بذلك، وفي الآونة الأخيرة كثفوا جهودهم في بسط آرائهم وترويجها، فيقومون بإعادة طبع كتابات المستشرقين القدماء في هذا الموضوع من ناحية ، وفي إعداد منشورات جديدة أخرى من ناحية ثانية. يخبرنا توبي ليستر " أن المستشرقين الأوروبيين والأمريكيين قد تبنوا مشروعا لإعداد ما يسمونه بـ"الموسوعة القرآنية" والتي ستتضمن جميع ما توصل إليه علماء الغرب في القرن المنصرم في الدراسات القرآنية"[2] ولهذا كانت هذه هي مواقفهم من مصادرهم، إذ المهم عندهم هو ما يؤيد أقوالهم ويدعم حربهم الفكرية على كل ما يتصل بالإسلام والقرآن، ويحقق لهم ما يصبون إليه من التشويه والتشكيك، والصد عن هذا الدين، ومع ذلك كانت أعمالهم عليهم هباء

[1] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ٢/٣٠٨–٣٠٩.

[2] وللتوسع ينظر مزاعم المستشرقين حول القرآن الكريم، محمَّد مهر علي، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ١٤٢١ هـ، ٣٦/١ .

منثورا، إذ أن الإقبال على الإسلام كبير، والداخلين فيه كثير، و ليتمن الله ما أراد م علو كلمته، وانتشار دينه، كما قال جل وعلا ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ التوبة ٣٢ ، ولذلك فإنه من الضروري متابعة ما يكتبونه وينشرونه ومواجهتهم في ساحتهم وذلك بدحض كل استنتاجاتهم وشبههم وافتراءاتهم، وردها عليهم.

الفصل الثاني

المَنْهَجُ العِلْمي الصَّحِيح في الدَّعْوةِ إلى اللهِ، للردِ عَلى الشُبُهَاتِ والافْتِراءاتِ،

وفيه تمهيد وخمسة مباحث:

التمهيد: وفيه توطئة وتعريف ببعض مفردات العنوان.

المبحث الأول: مشروعية المنهج العلمي الصحيح في الدعوة إلى الله، في الرد على الشبهات والافتراءات وحكمه.

المبحث الثاني: أهمية المنهج العلمي الصحيح في الدعوة إلى الله، في الرد على الشبهات والافتراءات في الدعوة إلى الله.

المبحث الثالث: أنواع المنهج العلمي الصحيح في الدعوة إلى الله، في الرد على الشبهات والافتراءات.

المبحث الرابع: ضوابط المنهج العلمي الصحيح في الدعوة إلى الله، في الرد على الشبهات والافتراءات.

المبحث الخامس: منهج أهل السنة والجماعة في الدعوة إلى الله ،في الرد على الشبهات والافتراءات.

التمهيد

قبل أن أتحدث في التوطئة لموضوع الفصل الثاني، أود التعريف ببعض مفردات عنوان الفصل مما يزيد بيانا ووضوحا لما سأكتب في ثناياه فيما يهم المنهج العلمي الصحيح في الدعوة إلى الله.

أولا: مفهوم المنهج في اللغة والاصطلاح.

المنهج في اللغة:

قال ابن فارس: النهج ، الطريق ، ونهج لي الأمر : أوضحه وهو مستقيم المنهاج.[1]

وقال الجوهري: النهج ، الطريق الواضح ، وكذا المنهج والمنهاج ، وأنهج الطريق أي استبان ، وصار نهجا واضحا بينا ، ونهجت الطريق إذا أبنته وأوضحته.[2]

المنهج في الاصطلاح: هو الأصول والقواعد ، ويراد بها الطريقة المنظمة في النظر والتفكير وتناول العلوم والمعارف.[3]

ثانيا: مفهوم العلمي في اللغة والاصطلاح.

العلم في اللغة:

قال ابن منظور : والعِلْمُ نقيضُ الجهل، عَلِم عِلْماً وعَلُمَ هو نَفْسُه، ورجل عالمٌ وعَلِيمٌ من قومٍ عُلماءَ فيهما جميعاً. قال سيبويه: يقول عُلَماء من لا يقول إلاّ عالِماً.[4]

وقال ابن فارس: العين واللام والميم أصلٌ صحيح واحد، يدلُّ على أثَرٍ بالشيء يتميَّزُ به عن غيره، من ذلك العَلامة، وهي معروفة. يقال: عَلَّمت على الشيء علامة، ويقال: أعلم الفارس، إذا كانت له علامةٌ في الحرب.[5]

العلم في الاصطلاح: العلم عند علماء الجمع والتدوين، "جملة من المسائل المضبوطة بجهة واحدة" سواء كانت هذه الجهة مادة العلم أو غايته أو منهجه.[6]

ثالثا: مفهوم الدعوة في اللغة والاصطلاح.

---

[1] مقاييس اللغة لابن فارس مادة نهج.

[2] الصحاح في اللغة مادة نهج.

[3] المنهج السلفي ، د. مفرح بن سليمان القوسي، دار الفضيلة ، الرياض، ١٤٢٢هـ ، ص ٢٢.

[4] لسان العرب لابن منظور مادة علم.

[5] مقاييس اللغة لابن فارس مادة علم

[6] مناهل العرفان في علوم القرآن، محمّد الزرقاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٦٢هـ-١٩٤٣م،ص ١٥.

الدعوة في اللغة:

قال ابن منظور: الدَّعوة المرَّة الواحدةَ من الدُّعاء، ودَعا الرجلَ دَعْواً ودُعاءً: ناداه، والاسم الدعْوة، وتَداعى القومُ: دعا بعضُهم بعضاً حتى يَجتمعوا.[1]

الدعوة في الاصطلاح:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – :

"الدعوة إلى الله، هي الدعوة إلى الإيمان به، وبما جاءت به رسله، بتصديقهم فيما أخبروا به وطاعتهم فيما أمروا."[2]

إن الدعوة الى الله عز وجل من أجل القربات ، وأفضل الطاعات، وهي جزء لا يتجزأ من حياة المسلم في مجتمعه وبيته وعمله، ومع القريب والبعيد، ومع المسلم وغير المسلم ، وهي مهنة الأنبياء والمرسلين، والداعي إلى الله أحسن الناس لسانا، وأكملهم بيانا، وأفصحهم قولا، كما قال تعالى ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ فصلت ٣٣ قال ابن كثير – رحمه الله– " أي هو في نفسه مهتد بما يقوله فنفعه لنفسه ولغيره لازم ومتعد وليس هو من الذين يأمرون بالمعروف ولا يأتونه وينهون عن المنكر ويأتونه بل يأتمر بالخير ويترك الشر ويدعوا الخلق إلى الخالق تبارك وتعالى وهذه عامة في كل من دعا إلى خير وهو في نفسه مهتد ورسول الله ﷺ أولى الناس بذلك"[3] .

والداعي إلى الله عز وجل يسلك مسلك النبي ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين والتابعين، متخذا من الكتاب والسنة منهجا وطريقا في دعوته الناس إلى الله تعالى، وهذا هو المنهج الصحيح الذي سار عليه الأسلاف، وخصوصا في الرد على شبهات أهل الأهواء من المستشرقين وغيرهم، بأن يلزم الحكمة والمنهج الصحيح في الرد مستدلا بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، حتى تكون الدعوة في مأمن من عبث العابثين، وتلاعب المتلاعبين، الذين ضرهم للدين والدعوة أقرب من نفعهم.

---

[1] لسان العرب لابن منظور مادة دعا.

[2] الفتاوى الكبرى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق مُحَمَّد عبدالقادر عطا – مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م، ١٥/١٥٧.

[3] تفسير ابن كثير ٤/ ٨٩.

المبحث الأول

مشروعية المنهج العلمي الصحيح في الدعوة إلى الله، في الرد على الشبهات والافتراءات وحكمه.

المنهج العلمي الصحيح في الدعوة إلى الله عز وجل ، هو المنهج المسْتَمد من الكتاب والسنة وعمل الصحابة والتابعين، وهذا المنهج الدعوي الصحيح هو المنهج المشروع والذي جاءت به الأدلة من الكتاب والسنة، وهو منهج أهل السنة والجماعة، وهو المنهج الأسلم والاحكم والأعدل، وخصوصا فيما يختص بالرد على أهل الأهواء من المستشرقين وتلامذتهم في المجتمعات الإسلامية فيما يثيرونه من شبهات وأباطيل حول الإسلام والقرآن والسنة، كما قال عز وجل ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ يوسف ١٠٨، يقول ابن كثير –رحمه الله– " أي سبيله وطريقه ومسلكه وسنته، وهي الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يدعو إلى الله بها على بصيرة من ذلك ويقين وبرهان هو وكل من اتبعه يدعو إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ على بصيرة ويقين وبرهان عقلي وشرعي"[1] ، وقال الإمام الطبري – رحمه الله– موضحا ومبينا هذا الطريق السوي" أي قل يا محمد الدعوة التي أدعو إليها، والطريقة التي أنا عليها من الدعاء إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له دون الآلهة والأوثان والانتهاء إلى طاعته وترك معصيته، سبيلي وطريقتي ودعوتي"[2] ، وقال سبحانه ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ الأنعام١٥٣، يقول العلامة الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي – رحمه الله – " أي صراط الله الموصل إليه وإلى دار كرامته المعتدل السهل المختصر ولا تتبعوا الطرق المخالفة لهذا الطريق فتضلكم عنه وتفرقكم يمينا وشمالا، فإذا ضللتم عن الصراط المستقيم، فليس ثم إلا طرق توصل إلى الجحيم"[3] . وقال عز وجل ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ

---

[1] تفسير ابن كثير ٤٥٢/٢.

[2] تفسير الطبري ٤٦٥٦/٦.

[3] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٨٧/٢.

﴿ وَجَـٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ ﴾ النحل ١٢٥، قال القرطبي – رحمه الله – " أمره أن يدعو إلى دين الله وشرعه بتلطف ولين دون مخاشنة وتعنيف، وهكذا ينبغي أن يوعظ المسلمون إلى يوم القيامة"[١] وكلامه رحمه يدل على المنهج الصحيح ومشروعيته في الدعوة إلى الله تعالى، وأن غيره من المناهج المنحرفة الباطلة ما هي إلا اتباعا للهوى ومشاقة لهدي النبيﷺ وأصحابه ، وسلوكا لغير سبيل المؤمنين، كما قال عز وجل ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾ النساء ١١٥ ، قال ابن كثير – رحمه الله – " أي ومن سلك غير طريق الشريعة التي جاء بها الرسولﷺ ، فصار في شق ، والشرع في شق، وشق عن عمد منه بعد ما ظهر له الحق وتبين له واتضح له"[٢] .

وهذا أيضا يدل على أن طريق الرسولﷺ وطريق المؤمنين هو المنهج الصحيح والطريق المستقيم في الدعوة إلى الله عز وجل، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – " إن كلاًّ من الوصفين يقتضي الوعيد لأنه مستلزم للآخر، كما يقال مثل ذلك في معصية الله والرسول، ومخالفة الإسلام والقرآن فيقال، من خالف القرآن والإسلام أو من خرج عن القرآن والإسلام فهو من أهل النار، فهكذا مشاقة الرسول واتباع غير سبيل المؤمنين، ومن شاقه فقد اتبع غير سبيلهم وهذا ظاهر، ومن اتبع غير سبيلهم فقد شاقه أيضا، فإنه قد جعل له مدخلاً في الوعيد، فدل على أنه وصف مؤثر في الذم، فمن خرج عن إجماعهم فقد اتبع غير سبيلهم قطعاً، والآية توجب ذم ذلك"[٣].

ولقد أمر الله تعالى باتباع هؤلاء المؤمنين ، والسير على ما ساروا عليه من لزوم المنهج الصحيح في الأقوال والأفعال، والدعوة إلى الله ، والبعد عن المناهج الضالة المضلة والبعيدة عن الصراط المستقيم، فقال عز وجل ﴿ وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَـٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَـٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّـٰتٍ تَجۡرِي تَحۡتَهَا

---

[١] الجامع لأحكام القرآن، ١٣١/٥.

[٢] تفسير ابن كثير ٤٩٣/١.

[٣] مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق أنور الباز – عامر الجزار، دار الوفاء، الاسكندرية، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م، ١٩٣/١٩.

﴿ ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ التوبة ١٠٠، قال ابن كثير -رحمه الله-" يخبر تعالى عن رضاه عن السابقين من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان ، ورضاهم عنه بما أعد لهم من جنات النعيم والنعيم المقيم"[١]، وقد بين لنا نبيناﷺ أن الفرقة الناجية هي الفرقة التي مضت على ما كان عليه هو وأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين، في التزام المنهج الصحيح في القول والعمل والبعد عن البدع والأهواء وأهلها، وهذا هو الصراط المستقيم والمنهج القويم، فعن عوف ابن مالك ﷺ قال: قال رسول اللهﷺ "افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، فواحدة في الجنة ، وسبعون في النار ، وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة ، فإحدى وسبعون في النار ، وواحدة في الجنة ، والذي نفس مُحَّد بيده لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة ، واحدة في الجنة ، وثنتان وسبعون في النار ، قيل : يا رسول الله، من هم ؟ قال : الجماعة"[٢].

وعن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول اللهﷺ " ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية لكان في أمتي من يصنع ذلك وإن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة قالوا ومن هي يا رسول الله قال ما أنا عليه وأصحابي"[٣] ، والشاهد من هذا الحديث هو قوله عليه الصلاة والسلام" ما أنا عليه وأصحابي" أي لزوم الصراط المستقيم والمنهج القويم في العبادة والطاعة والدعوة إلى دين الله وشريعته، وفي الجدال والمنافحة عن شريعة الله ورد الشبهات والافتراءات على أهلها، وفي حديث ثوبانﷺ قال: قال رسول اللهﷺ "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك"[٤]، وهذا يدل على ثباتهم على الدين وعلى المنهج الصحيح المستقى من الكتاب والسنة، مهما اعترضهم من الصوارف والعوارض والأهواء والملل المنحرفة ، فإنهم

---

[١] تفسير ابن كثير ٣٤٩/٢.

[٢] سنن ابن ماجة، ابن ماجة أبو عبد الله مُحَّد بن يزيد القزويني، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية، بيروت، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م، كتاب الفتن، ١٢٨/٥ الحديث ٣٩٩٢، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٦٦/٤ برقم ١٤٩٢.

[٣] رواه الترمذي، باب افتراق الأمة، ٢٦/٥، الحديث ٢٦٤١، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٦٦/٤ برقم ١٤٩٢.

[٤] رواه مسلم، كتاب الإمارة باب قولهﷺ لا تزال ، ١٥٢٣/٣، الحديث ١٧٠.

صامدون وثابتون على الحق، قال الإمام النووي–رحمه الله– " وفي هذا الحديث معجزة ظاهرة ، فإن هذا الوصف ما زال بحمد الله تعالى من زمن النبيﷺ إلى الآن ، ولا يزال حتى يأتي أمر الله المذكور في الحديث"[1] يقول يزيد بن هارون وأحمد بن حنبل" إن لم يكونوا أصحاب الحديث فلا أدري من هم"[2]. وقال شخ الإسلام –رحمه الله– "وأهل الحديث والسنة هم الذين ليس لهم متبوع يتعصبون له إلا رسول اللهﷺ فهم أعلم الناس بأقواله وأحواله، وأعظمهم تمييزا بين صحيحها وسقيمها، وأئمتهم فقهاء فيها، وأهل معرفة بمعانيها، وهم أعظم الناس اتباعا لها، تصديقا وعملا وحبا، وموالاة لمن والاها، ومعاداة لمن عاداها، الذين يردون المقالات المجملة إلى ما جاء به من الكتاب والحكمة، فلا ينصبون مقالة ويجعلونها من أصول دينهم وجمل كلامهم، إن لم تكن ثابتة فيما جاء به الرسول ﷺ ، بل يجعلون ما بعث به من الكتاب والحكمة هو الأصل الذي يعتقدونه ويعتمدونه، وما تنازع فيه الناس من مسائل الصفات والقدر والوعيد والأسماء والأحكام، ومسائل المعاد وحشر الأجساد وغير ذلك، يردونه إلى الله ورسوله، فما كان من معانيها موافقا للكتاب والسنة أثبتوه، وما كان منها مخالفا للكتاب والسنة أبطلوه، ولا يتبعون الظن وما تهوى الأنفس، فإن اتباع الظن جهل، واتباع هوى النفس بغير هدى من الله ظلم"[3] ، ولزوم هدي صحابة رسول اللهﷺ ، يعد التزاما بهديه عليه الصلاة والسلام، ففي ذلك سلامة ونجاة من المزالق والمهالك في الدنيا والآخرة، والتمسك بسنتهم بعد سنته أمر متواتر عليه، فعن العرباض بن ساريةرضي الله عنه قال: قال رسول اللهﷺ " أوصيكم بتقوى الله ، والسمع والطاعة وإن أُمِّر عليكم عبد حبشي ، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا ، فعليكم بسنتي ، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل بدعة ضلالة "[4] ، وحول هذا الأمر يقول الخطابي" هذا دليل على أن الواحد من الخلفاء الراشدين اذا قال قولاً وخالفه فيه غيره من الصحابة، كان المصير إلى قول الخليفة

---

[1] شرح النووي على صحيح مسلم، للإمام محي الدين أبي زكريا يحى بن شرف النووي، دار المنار للنشر والتوزيع، القاهرة ، ١٤٢٣هـ–٢٠٠٣م، ٩٥/٥.

[2] شرف أصحاب الحديث، للخطيب البغدادي، تحقيق مُحَّد سعيد أوغلي، نشر كلية الإلهيات، أنقرة، ١٣٨٩هـ–١٩٦٩م، برقم ٤٨ ص ٢٧.

[3] مجموع الفتاوى ٣٤٧/٣.

[4] سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق سيد إبراهيم وزميله، دار الحديث، القاهرة،١٤٢٠هـ–١٩٩٩م، ٣٢٩/٤، الحديث ٤٦٠٩ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٢٦١/١٠ برقم ٤٣١٤.

أولى"[1] .

وقد ورد من الآثار ما يؤيد المنهج الصحيح، والطريق السوي في ممارسة شرائع الإسلام ومنها الدعوة إلى الله ودحر شبهات أعداء الإسلام من المستشرقين وأشياعهم، ومن ذلك ما قاله عبدالله بن مسعودﷺ حيث قال" من كان منكم متأسيا فليتأسّ بأصحاب مُحَّدﷺ فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوبا، وأعمقها علما، وأقلها تكلفا، وأقومها هديا، وأحسنها حالا، قوما اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم "[2] ، وقال الإمام الأوزاعي – رحمه الله-" اصبر نفسك على السنة وقف حيث وقف القوم وقل بما قالوا وكف عما كفوا عنه واسلك سبيل سلفك الصالح فإنه يسعك ما وسعهم ولا يستقيم الإيمان إلا بالقول ولا يستقيم القول إلا بالعمل ولا يستقيم الإيمان والقول والعمل إلا بالنية موافقة للسنة"[3]، وقال أيضا" عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس، وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوا لك القول"[4]، وقال الإمام أحمد – رحمه الله – " أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول اللهﷺ والاقتداء بهم " [5] .

قلت وكل ما سبق من الأدلة والآثار تدل على وجوب الأخذ بالمنهج العلمي الصحيح الموافق للكتاب والسنة في الدعوة إلى الله تعالى، ودفع شبهات المغرضين، وتفنيدها والرد عليها ردا علميا من واقع الكتاب والسنة ، وسيرة السلف الصالح، وهو المنهج الذي رسمه لنا نبينا عليه الصلاة والسلام، ونبذ ما عداه من المناهج المضللة ، التي لا تستند في دعوتها إلى أسس صحيحة، وقواعد متينة، ولقد تركنا رسول اللهﷺ بعده على المحجة البيضاء التي لا يزيغ عنها إلا هالك، العرباض بن ساريةﷺ قال : وعظنا رسول اللهﷺ موعظة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب قلنا يا رسول الله ان هذه لموعظة مودع فماذا تعهد إلينا قال "قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي الا هالك ومن يعش منكم فسيرى اختلافا

---

[1] معالم السنن شرح سنن أبي داود، أبو سليمان أحمد بن مُحَّد البستي، المطبعة العلمية ، حلب، ١٣٥١هـ-١٩٣٢م، ١٢/٧.

[2] جامع بيان العلم وفضله، أبي عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي، تحقيق أبو عبد الرحمن فواز أحمد زمرلي، دار ابن حزم، الرياض، ١٤٢٤-٢٠٠٣ هـ ، ١٩٨/٢.

[3] حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار الكتاب العربي ، بيروت، ١٤٠٥هـ، ١٤٣/٦.

[4] جامع بيان العلم وفضله، ٢٨٣/٢.

[5] أصول السنة، أبو عبدالله أحمد بن مُحَّد بن حنبل الشيباني، دار المنار ،الخرج ، السعودية، ١٤١١هـ، ١٤/١.

كثيرا فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين وعليكم بالطاعة وان عبدا حبشيا عضوا عليها بالنواجذ فإنما المؤمن كالجمل الأنف حيثما انقيد انقاد"[1] . ولقد بليت الأمة من قديم وحديث بالكثير من المناهج والفرق المخالفة لهدي الكتاب والسنة في دعوتها وتوجهها أمثال المعتزلة والجهمية والرافضة والصوفية وغيرها من فرق الأهواء والبدع، والتي خالفت أهل السنة والجماعة في قواعد الدين وفروعه، وأثارت البدع والضلالات وفرقت الأمة إلى فرق وأحزاب، وبات أهل السنة والجماعة في قلة أمام هذه الموجات والفرق المختلفة، وهذا مصداقا لما تنبأ به النبي ﷺ في حديث الافتراق، مع بيانه للفرقة الناجية التي سلكت المنهج الصحيح في دعوتها وعباداتها ودفاعها عن كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، وهي التي على منهجه ومنهج أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين.

[1] رواه ابن ماجة ٢٩/١ الحديث ٤٣ والإمام أحمد باب حديث العرباض بن سارية، ١٢٦/٤ الحديث ١٧١٨٢وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ١١/٣ برقم ٩٣٧.

المبحث الثاني

أهمية المنهج العلمي الصحيح في الدعوة إلى الله ، في الرد على الشبهات والافتراءات.

يُسْتَمد المنهج العلمي الصحيح في الدعوة إلى الله، ورد الشبهات والأضاليل عن الإسلام وتراثه المجيد، من ثنايا الكتاب والسنة، وسيرة السلف الصالح والتابعين، فلا تستقيم الدعوة ولا يتأتى لها التأثير البالغ في نفوس الناس ، إلا إذا كانت مبنية على منهج علمي صحيح تستمد منه قواها وتأثيرها، وذلك لأن النفوس مجبولة على قبول الصحيح الذي لا يخالجه شك ولا ريب، وتنفر من السقيم الذي لا يقوم على أساس علمي وقواعد علمية صحيحة، ولا بد لقيام المنهج الدعوي الصحيح، واستقامته لدى الداعية إلى الله، من قواعد وأسس يقوم عليها هذا المنهج، ومن ذلك العلم إذ لا غنى للداعية إلى الله تعالى عن العلم الذي يوصل به دعوته إلى الناس، فالجاهل لا يصلح أن يكون داعية ، ولذلك خاطب الله رسولهﷺ وأمره بالعلم فقال عز وجل ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴾ محمد ١٩.

ولقد أنشأ الإمام البخاري – رحمه الله _ باب في الصحيح أسماه " باب العلم قبل القول والعمل"[١]، يقول الإمام ابن حجر –رحمه الله– "قال ابن المنير: أراد به أن العلم شرط في صحة القول والعمل، فلا يعتبران إلا به، فهو مقدم عليهما، لأنه مصحح للنية المصححة للعمل، فنبه المصنف على ذلك حتى لا يسبق إلى الذهن من قولهم: (إن العلم لا ينفع إلا بالعمل) تهوين أمر العلم والتساهل في طلبه"[٢] ، والعلم الأساسي في حياة العبد هو معرفة كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ كما قال تعالى ﴿ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ

[١] صحيح البخاري، كتاب العلم، باب العلم قبل القول والعمل،١/١٥٩، الحديث رقم ١٠.

[٢] فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٧٩هـ، باب العلم قبل العمل، ١/١٦٠.

لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ النحل ٤٤ ولهذا تكون أهمية المنهج الصحيح وطلب العلم الشرعي سببا قويا في نجاح الداعية إلى الله في دعوته ، وذلك من أول ما يضع قدمه في طريق الدعوة، يقول ابن القيم – رحمه الله – " إن لم يصحب الداعية(يعني العلم) من أول قدم يضعه في الطريق إلى آخر قدم ينتهي إليه فسلوكه على غير الطريق، وهو مقطوع عليه طريق الوصول، ومسدود عليه سبيل الهدى والفلاح، وهذا إجماع من العارفين، ولا شك أنه لا ينهى عن العلم إلا قطاع الطريق، ونواب إبليس وشُرَطُه"[١] ، والفقه في الدين معلم من معالم الفقه والخير في حياة الداعية، فعن معاوية ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: "من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين"[٢].

ومن ذلك أيضا الإخلاص ، والإخلاص أصل في قبول الأعمال، فلا يقبل الله عملا ما لم يكن مشتملا بالإخلاص لله عز وجل، وهو في حق الداعية إلى الله أولى، لأنه داعية إلى الله وشريعته، لا يرجو من وراء عمله إلا الجزاء من الله تعالى ، فلا يكون هدفه طمعاً مادياً أو غرضا دنيويا، ولا يكون هدفه من ذلك الرياء أو السمعة وطلب الشهرة أو شيء من حطام الدنيا، أو أن يظهر فضله في دينه أو علمه أو عمله أو عقله على من يدعوه أو يا مره وينهاه، مما يزينه الشيطان، ويكيد به الإنسان ليبطل عمله ويفسد سعيه، ولأهمية هذا العنصر الحساس في حياة الداعية، أمر الله به في كتابه فقال تعالى ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾ الزمر ٢ وقال عز وجل ﴿ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾ الزمر ١١وقال سبحانه ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾ البينة ٥ ، وجاء في السنة النبوية أحاديث كثيرة تبين أهمية الإخلاص في الأقوال والأعمال لله تعالى، فعن عمر بن الخطاب ﷺ على المنبر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : " إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو إلى امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه "[٣] ، ومن القواعد

---

[١] مدارج السالكين، للإمام ابن القيم الجوزية، دار المطبوعات الحديثة، جدة، ١٤٠٢هـ، ٤٨٣/٢.

[٢] رواه البخاري ، كتاب العلم، باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، ١٦٤/١ الحديث رقم ٧١، ومسلم، كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة، ٧١٨/٢ الحديث رقم ١٠٣٧.

[٣] رواه البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الحي عند رسول الله، ٣/١ الحديث رقم ١.

والأسس أيضا المتابعة ، إذ لا تقوم الدعوة إلا على أساسين متينين، لايقوم أحدهما بدون الآخر، وهما الإخلاص والمتابعة للنبي عليه الصلاة والسلام، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله– في حديثه عن الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر: "وإذا كانت جميع الحسنات لا بد فيها من شيئين: أن يُراد بها وجه الله، وأن تكون موافقة للشريعة، فهذا في الأقوال والأفعال، في الكلم الطيب والعمل الصالح، في الأمور العلمية، والأمور العملية العبادية"[1] فالمتابعة شرط في قبول الأعمال، ومنها الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا ظاهر جلي في قول الله تعالى ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا ﴾ الكهف ١١٠، يقول الإمام الطبري–رحمه الله– " فمن يخاف ربه يوم لقائه، ويراقبه على معاصيه، ويرجو ثوابه على طاعته ﴿ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا ﴾ يقول: فليخلص له العبادة، وليفرد له الربوبية"[2]، والعمل الصالح هو العمل الموافق لهديه ﷺ ، ولهذا كان أئمة السلف رحمهم الله يجمعون هذين الأصلين (الإخلاص والمتابعة) كقول الفضيل بن عياض في قوله تعالى: لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ الملك ٢ ، قال: أخلصه وأصوبه، فقيل له: يا أبا عليّ ما أخلَصُه وأصوبه؟ فقال: إنَّ العمل إذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يُقبل، وإذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يُقبل، حتى يكون خالصا صوابا، والخالص، أن يكون لله والصواب، أن يكون على السُّنة"[3].

وقد روي عن سعيد بن جبير قال: "لا يُقبل قول إلا بعمل، ولا يُقبل قول وعمل إلا بنية، ولا يُقبل قول وعمل ونية إلا بموافقة السنة"[4]، ولذلك كان لزاما على الداعية إلى الله تعالى، متابعة الرسولﷺ وأن يسلك مسلكه في الدعوة، وأن يتخذه قدوة حيث أمره الله بذلك، فقال عز وجل قَالَ تَعَالَىٰ: أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ الأحزاب: ٢١، وقوله سبحانه ﴿ قُلْ إِن

---

[1] الاستقامة، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، تحقيق د. مُحَّد رشاد سالم، جامعة الإمام مُحَّد بن سعود ، الرياض، ١٤٠٣هـ، ٢/٢٩٧.

[2] تفسير الطبري ٥٤٤٣/٧.

[3] الاستقامة ٢٤٨/١.

[4] المرجع السابق ٣٠٩/٢.

﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ آل عمران: ٣١،
وعلى هذا فافتقاد الداعية إلى الله لعنصر المتابعة للرسول عليه الصلاة والسلام ، يفقده النجاح والتأثير في الناس، ويعرض دعوته للفشل والضياع.

ومن الأسس والقواعد التي تبين أهمية المنهج الصحيح في الدعوة إلى الله ورد الشبهات والأباطيل أيضا، الحكمة، والحكمة من أقوى دعائم المنهج الدعوي الصحيح، بل هي من أهم عوامل نجاح الداعية إلى الله في دعوته، والنبيﷺ كان حكيما فيما يدعو الناس إليه، وكيف لا يكون كذلك وهذا أمر جبله الله عليه، وأمره به في كتابه فقال عز وجل ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ النحل: ١٢٥ ، وقال ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ ﴾ العنكبوت: ٤٦.

إن الحكمة بشموليتها وتعريفها العام هي إتقان الأمور وإحكامها، بأن تُنزل الأمور منازلها، وتوضع في مواضعها، وليس من الحكمة التعجل في الدعوة إلى الله تعالى، وأن ينقلب الناس عن حالهم التي هم عليها إلى الحال التي كان عليها الصحابة بين عشية وضحاها، ومن أراد ذلك فهو بعيد عن الحكمة، لأن حكمة الله عز وجل تأبى أن يكون هذا الأمر، ويدل على هذا أن الرسول ﷺ وهو الذي ينزل عليه الكتاب ، نزل عليه الشرع متدرجا حتى استقر في النفوس وكمل، ولهذا جاءت الدعوة إلى الله تعالى مرتبة ترتيبا حكيما ، يضمن الغاية التي من أجلها بعث الله الرسل وأنزل الكتب، وهي هداية الناس ، وإخراجهم من ظلمات الجهل إلى أنوار العلم.[1] والرسولﷺ يضرب لأمته أروع الأمثال والوقائع التي تدل على حكمته ورحمته بأمته، ومن ذلك موقفه عليه الصلاة والسلام من الأعرابي الذي بال بالمسجد، فعن أنس بن مالك ﷺ قال: "بينما نحن في المسجد مع رسول الله ﷺ إذ جاء أعرابي، فقام يبول في المسجد، فقال أصحاب رسول الله ﷺ مه مه[2]، قال: قال رسول الله ﷺ "لا تزرموه[1] دعوه"

[1] وللتوسع يُنظر الصحوة الإسلامية ضوابط وتوجيهات، للشيخ مُحَّد بن عثيمين، دار الوطن للنشر، الرياض،١٤٢٦هـ، ص ٣٥ وما بعدها.

[2] مه : كلمة زجر، لسان العرب، لابن منظور، ١٣ /٥٤٢.

فتركوه حتى بال، ثم إن رسول الله ﷺ، دعاه فقال له: "إنَّ هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول، ولا القذر، إنما هي لذكر الله، والصلاة، وقراءة القرآن" ثم أمر رجلاً من القوم فجاء بدلو من ماء فشنَّه عليه"[2]، ومن ذلك أيضا ما رواه أبو هريرةرضي الله عنه قال: " قام رسول الله ﷺ في صلاة وقمنا معه فقال أعرابي وهو في الصلاة: اللهم ارحمني ومُحَّدا، ولا ترحم معنا أحداً، فلما سلم النبي ﷺ قال للأعرابي: "لقد حجرت واسعا" يريد رحمة الله.[3]

ومن الأمثلة على حكمته عليه الصلاة والسلام ، ما جاء عن معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه قال: "بينا أنا أصلي مع رسول الله ﷺ إذ عطس رجل من القوم فقلت: يرحمك الله! فرماني القوم بأبصارهم فقلت: واثكْلَ أمَّياه[4] ! ما شأنكم تنظرون إليَّ؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم فلما رأيتهم يصمّتونني، لكني سكت، فلما صلى رسول الله ﷺ فبأبي هو وأمي، ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه، فو الله ما كهرني[5] ولا ضربني ولا شتمني، قال: "إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن، أو كما قال رسول الله ﷺ "[6]، والأمثلة على ذلك كثيرة من سيرته عليه الصلاة والسلام، التي تبين أهمية هذا العنصر الحيوي والأساسي في الدعوة إلى الله تعالى.

ومن القواعد والأسس في أهمية المنهج الصحيح في الدعوة إلى الله، الرفق والحِلم ، فالداعية إلى الله تعالى يكون رفيقا رحيما، حليما لينا، مشفقاً على الناس، فإنَّ ذلك مدعاة لقبوله ودما يدعو إليه ، وهذا خلق عظيم من أخلاق الإسلام، تمثل على وجه الحقيقة في شخص النبي ﷺ

---

[1] لا تزرموه أي لا تقطعوا عليه بوله، والازرام: القطع، يُنظر شرح النووي على صحيح مسلم، ١٩٠/٣.

[2] رواه مسلم، كتاب الطهارة، باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات إذا حصلت في المسجد، ٢٣٧/١ ، رقم ٢٨٦، ومعنى شنه عليه: أي صبه عليه.

[3] رواه البخاري ،كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، ٤٣٨/١٠، الحديث رقم ٦٠١٠.

[4] واثكْلَ أُمياه: معناه فقدان المرأة لولدها، ويجوز أن يكون من الألفاظ التي تجري على ألسنة العرب ولا يراد بها الدعاء، كقولهم: تربت يداك، انظر النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك بن مُحَّد الجزري (ابن الأثير)، تحقيق طاهر أحمد الزاوي المكتبة العلمية ، بيروت ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ٦٢٨/١.

[5] ما كهرني: يعني ما نهرني. أنظر النهاية لابن الأثير ٣٩٥/٤.

[6] رواه مسلم، كتاب المساجد، باب تحريم الكلام في الصلاة، ٣٨١/١، الحديث رقم ٣٣.

في دعوته هدايته للناس، ولهذا امتن الله تعالى عليه واصفا إياه بقوله ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ القلم: ٤، وقوله عز وجل ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ آل عمران: ١٥٩، يقول الشيخ عبدالرحمن السعدي –رحمه الله– " أي برحمة الله لك ولأصحابك ، من الله عليك أن ألنت لهم جانبك، وخفضت لهم جناحك، وترققت لهم، وحسنت لهم خلقك، فاجتمعوا عليك وأحبوك، وامتثلوا أمرك"[١]، ومن ينظر لسيرته عليه الصلاة والسلام بمكة والمدينة وغيرها، يرى أنه أمضى حياته يدعو ويذكر وينذر في غاية من اللطف واللين، ويقصد نواديهم، يدعوهم إلى الهدى، ويتحمل منهم ألوان الأذى، ولا يزيد على أن يقول: "رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون"[٢].

ومن القواعد والأسس أيضا، الصبر، والصبر مأمور به كل مسلم وهو في حق الداعية إلى الله تعالى أوجب، فنصوص الكتاب والسنة الواردة في الصبر كثيرة جدا، ومن ذلك قصة لقمان الحكيم لابنه بقوله: ﴿ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ لقمان: ١٧، فأوصاه بالصبر وذلك لأن الصبر يحتاج إلى مجاهدة وخصوصا عندما يتصل بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يقول ابن كثير –رحمه الله– " عَلِم أن الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر لابد أن يناله من الناس أذى، فأمره بالصبر"[٣]، ولأن الصبر فيه مشقة كبيرة على النفس، لا تقوى عليه في كثير من الأحيان، وخصوصا في جانب الدعوة إلى الله تعالى ومواجهة البشر على اختلاف طباعهم وأهواءهم، لهذا أمرها الله بالصبر كثيرا والمصابرة، كما قال عز وجل ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ آل عمران: ٢٠٠، ورسل الله صلوات الله

[١] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٢٨٥/١.

[٢] رواه البخاري، كتاب استتابة المرتدين، باب إذا عرض الذمي أو غيره بسب النبي ﷺ ولم يصرح، ٢٥٣٩/٦ الحديث رقم ٦٥٣٠، و مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة أحد، ١٤١٧/٣، الحديث رقم ١٧٩٢، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

[٣] تفسير ابن كثير ٤١٧/٣.

وسلامه عليهم أجمعين، خير من أمرهم الله بالصبر في دعوة الناس إليه، وهم بلا شك أئمة الدعوة والدعاة، كما قال تعالى لخاتمهم ﷺ ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ ۚ بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ الأحقاف: ٣٥، وقال عز وجل ﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴾ البقرة: ٤٥، وحثﷺ أمته على التحلي بالصبر والتخلق به، فعن سعد بن أبي وقاصﷺ قال: قلت يا رسول الله: أي الناس أشد بلاءً؟ قال: "الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل، يبتلي الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلابة زِيدَ في بلائه، وإن كان في دينه رقة خُفِّفَ عنه، وما يزال البلاء بالمؤمن حتى يمشي على الأرض وليس عليه خطيئة"[١] .

وعن أنس بن مالك ﷺ مرفوعاً: "إنَّ عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم فمن رضي فله الرضى، ومن سخط فله السخط"[٢]، وعن أبي سعيد الخدري ﷺ أن أناسا من الأنصار سألوا رسول الله ﷺ فأعطاهم ثم سألوه فأعطاهم ثم سألوه فأعطاهم حتى نَفِدَ ما عنده قال: "ما يكون عندي من خير فلن أدخره عنكم، ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله، ومن يتصبر يصبره الله، وما أعطى الله أحداً عطاءً هو خير وأوسع من الصبر"[٣] ، وأحاديث كثيرة لا يتسع المقام لذكرها كلها، ويكفي ما تقدم من الشواهد التي تدل على عظيم خلق الصبر، وأنه سبب من أقوى أسباب رسوخ الإيمان في قلب العبد، وخصوصا من يتصدى للدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

---

[١] رواه الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء، ٦٠١/٤، الحديث رقم ٢٣٩٨، وابن ماجة ، كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء، ١٥٢/٥، الحديث رقم ٤٠٢٣، وأحمد ، ١ /١٧٢، الحديث رقم ١٤٨١ وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم ١٤٣.

[٢] رواه الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء، ٦٠١/٤، الحديث رقم ٢٣٩٦، وابن ماجه، كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء، ١٥٩/٥، الحديث رقم ٤٠٣١، وصححه الألباني، في السلسلة الصحيحة، رقم ١٤٦.

[٣] رواه البخاري ، كتاب الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة، ٥٣٤/٢، الحديث رقم ١٤٠٠، و مسلم، كتاب الزكاة، باب فضل التعفف والصبر، ٧٢٩/٢، الحديث رقم ١٢٤.

ومن القواعد أيضا التحلي بالأخلاق الفاضلة، وهذه من الأمور المهمة في حياة الداعية إلى الله تعالى أو الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يكون متمسكا بأخلاق الداعية التي هي في الأصل أخلاق الإسلام، مطبقا لها في معتقده وفي عباداته من صلاة وصيام وتلاوة قرآن وفي هيئته وجميع مسلكه مبتعدا عن الأخلاق الذميمة حتى يُمثّل دور الداعية إلى الله تعالى على الوجه والمنهج الصحيح، وقد ذم الله قوما انتفت منهم صفة القدوة الحسنة في دعوتهم للناس، حيث يدعون الناس إلى الصلاح والإصلاح وينسون أنفسهم بقوله عز وجل ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ البقرة: ٤٤، وقوله سبحانه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ ﴾ الصف: ٢ - ٣ ، فالآمر بالمعروف والناهي عن المنكر والداعي إلى الله وشريعته، يكون قدوة وممتثلا فيما يدعو الناس إليه، وهذا هو الأكمل والأفضل بلا شك، مع أن للعلماء آراء وأقوال حول هذه المسألة، ولعل القول الراجح فيها أن للإنسان أن يأمر بالمعروف ولو لم يفعله، وينهى عن المنكر وإن كان يفعله، وليس المقام هنا مقام البسط وإيراد الأقوال والترجيح، لأن هذه مسائل فقهية وليست من مسار موضوع البحث، إلا أن قبول دعوة الداعي أو أمر الآمر بالمعروف ونهي الناهي عن المنكر، منوط باستقامة الداعي على ما يدعو إليه، ولذلك فإن الداعي إلى الله تعالى أو الآمر الناهي إذا كان قدوة صالحة في عقيدته وفي عباداته ومنهج حياته فحري أن يُقبَلَ قوله، وتسمع كلمته، ويكون له تأثير طيب على المجتمع.[1]

وإذا كان هذا هو شأن المنهج الصحيح وأهميته في حياة الداعية إلى الله، فإن في المقابل هناك مناهج تدعي لزوم الكتاب والسنة، والعمل الدعوي والمنهجي الصحيح ولكنها في الحقيقة خلاف ذلك، فظهورها في الميدان الدعوي وممارستها للدعوة ، قد أظهر انحرافها عن المسار الدعوي الصحيح، وارتكابها لأخطاء منهجية، ووقوعها لأمور بدعية، ومخالفتها لنصوص الكتاب والسنة، وتجافيها عن المسار الصحيح الذي رسمه لها نبي الهدى والرحمةﷺ، وكانت أخطاؤها إما في جانب العقيدة، أو العبادات، أو المعاملات، أو خلل واضح في المنهج

[1] للمزيد يُنظر كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأثرهما في حفظ الأمة ، د. عبد العزيز المسعود ، دار الحرمين للطباعة ، القاهرة ، ١٤١٥هـ، ٢٢٣/١.

كما هو واضح عند المعتزلة والجهمية والصوفية وغيرها من المناهج التي انحرفت عن المنهج الدعوي الصحيح، ولذلك كانت ولا تزال نصوص الكتاب والسنة شاهدة لصاحب العمل بصحته وصحة فهمه وعمله، وفي قصة الثلاثة الذين ذهبوا إلى بيوت أصحاب النبي ﷺ يسألون عن عبادته خير شاهد على ما أشرت إليه هنا ،فإخلاصهم في العمل وحرصهم على التعبد لله تعالى بما لم يتعبد به رسول الله ﷺ ،لم يعفهم من كونهم خالفوا منهاج النبوة الوسطي الذي جمع بين عبادة القلب والجوارح واستقامتها، وبين شؤون الحياة الدنيا ومصالحها، ولهذا قام النبي ﷺ بالتعقيب والتوجيه ومن ثم التحذير من المخالفة لما جاء به من الهدى والشريعة، وكون المخالف لن يصل إلى شيء مما أراده بغير الطريق التي يسلكها رسوله ونبيه ﷺ ، وإن حسنت النوايا ونقت السرائر، لكن لا بد من أن تستقيم أيضا الطرائق والمناهج، فهذه المناهج الدعوية المختلفة في كثير من مناهجها وتصوراتها وقعت فيما وقع فيه هؤلاء الثلاثة وهم يظنون أنهم على شيء ، وأنهم أردوا الهدى والهداية للخلق ولن يدركوا ذلك بغير الطريق الذي رسمه النبي ﷺ وسار عليه الأصحاب والتابعون لهم بإحسان، ولذلك جاء القرآن الكريم يحذر من المخالفة لهدي النبي ﷺ ، فقال تعالى ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ النور: ٦٣.

والمقصود مما سبق أن طريق الدعوة هو طريق الدعاة إلى الله تعالى والمصلحين لما فسد من أحوال الناس، وأهل السنة أولى به من غيرهم، وذلك لأن منهجم مستقيم له وزنه وأهميته لأنه مستمد من الكتاب والسنة وما كان عليه الصحابة والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين، بل هم الغرباء في زمن متلاطم يموج بالفتن كما تموج الرياح بأمواج البحار، وهم قليل وسط خضم من الفرق والمناهج المنحرفة عن الصراط المستقيم، فعن أبي هريرة ﷺ ، عن النبي ﷺ أنه قال: "بدأ الإسلام غريبا، وسيعود غريبا كما بدأ، فطوبى للغرباء" وفي رواية قيل: يا رسول الله، من الغرباء؟ قال: "الذي يصلحون إذا فسد الناس"، وفي لفظ آخر: "الذين يُصلحون ما أفسد الناس من سنتي"، وفي لفظ آخر: "هم النزاع من القبائل"، وفي لفظ آخر: "هم أناس صالحون قليل في أناس سوء كثير"[1]، قال العلامة عبدالعزيز ابن باز- رحمه الله- عند الكلام عن هذا الحديث "والمقصود أن الغرباء: هم أهل الاستقامة، وأن الجنة والسعادة للغرباء الذين يصلحون

---

[1] رواه مسلم،كتاب الإيمان باب بيان أن الإسلام بدأ غريبا، ١٣٠/١، الحديث رقم ٢٣٢، والترمذي ، باب أن الإسلام بدأ غريبا، ١٨/٥، الحديث رقم ٢٦٢٩، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٣٤٧/٣ برقم ١٢٧٣.

عند فساد الناس، إذا تغيرت الأحوال والتبست الأمور وقلَّ أهل الخير ثبتوا هم على الحق واستقاموا على دين الله، ووحدوا الله وأخلصوا له العبادة واستقاموا على الصلاة والزكاة والصيام والحج وسائر أمور الدين، هؤلاء هم الغرباء، وهم الذين قال الله فيهم وفي أشباههم ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ فصلت: ٣٠ - ٣١ ومعنى ما تدعون: أي ما تطلبون"[١].

فهؤلاء هم أصحاب المنهج الصحيح الذي عظمت أهميته ، وتَعْظُم أكثر في هذا الزمان الذي كثرت فيه المناهج وتشعبت سبلها، وتعددت مشاربها، وتباينت أهدافها، وانكشف غطاءها ، وصارت وبالا وبلاء على الأمة الإسلامية، ومن ثم كان لزاما أن يكون هناك من يظهر بالحق ويصدع به ويعتصم بمنهج السلامة والنجاة من ضلالات هذه الفرق وتلك الأهواء، فكان أصحاب المنهج الصحيح، والطريق القويم من أهل السنة والجماعة هم الملازمون لطريق الدعوة لا يتخلفون عنه ولا يحيدون، وبه وبأمر الله قائمون، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم ، منصورون بأمر الله، فعن معاويةرضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول " لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك "[٢].

---

[١] الموقع الرسمي لسماحة الشيخ العلامة عبدالعزيز ابن باز-رحمه الله-، الدخول الساعة التاسعة مساء يوم الخميس الموافق ١٤٣٦/٣/٢٤هـ.

[٢] رواه البخاري، كتاب المناقب، باب سؤال المشركين، ١٣٣١/٣، الحديث رقم ٣٤٤٢.

المبحث الثالث

أنواع المنهج العلمي الصحيح في الدعوة إلى الله، في الرد على الشبهات والافتراءات

تتعدد وتتنوع المناهج الدعوية العلمية الصحيحة، من حيث المصادر والطبيعة والموضوعات والأسس والمضامين، وكذلك من كونها مناهج تتعلق بالقلب والعقل والحس، وهي في مجملها تسعى إلى منهج تكاملي علمي صحيح، يهدف إلى غاية عظمى صحيحة وهي دعوة الناس إلى الله عز وجل ، وتحقيق الغاية التي من أجلها خُلِق العباد، وربطهم بخالقهم عز وجل، واستقامتهم على منهج صحيح، منضبط بضوابط الشرع، مهتدين ومقتدين بخير الخلق وهم رسل الله عليهم الصلاة والسلام، الذين جاءوا بمنهج رباني علمي صحيح، تُنْتَفى معه جميع المناهج المنحرفة التي لا تقوم على أسس علمية صحيحة.

ولأن المناهج الدعوية متعددة وكثيرة في مجملها، إلا أن من الممكن تقسيمها إلى أربعة أنواع، تتضح معها الرؤية الشاملة لهذه المناهج ، والغاية التي تتحقق من ورائها ، وهي على النحو التالي:

الأول: المنهج العلمي الدعوي الصحيح من حيث الأساس والمصدر.

هذا النوع من المناهج العلمية الدعوية يمكن أن نقسمه من حيث المصدرية والنشأة إلى قسمين:

القسم الأول المنهج الرباني: وهو المنهج الذي جاء به الكتاب والسنة، معصوما من الخطأ والشك والانحراف، وحي من الله عز وجل أوحاه إلى رسولهﷺ ، وهو أحكم سبيل وأقومه، بل هو أصل المناهج الدعوية كلها وأساسها، وقد جاء به القرآن الكريم في أوضح صورة، وأجمل عبارة، فقال عز وجل ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ المائدة: ٤٨ ، قال الإمام الطبري-رحمه الله- " منهاجا أي السبيل لكلكم ، من دخل في دين محمدﷺ فقد جعل الله له شرعة ومنهاجا، يقوا القرآن له شرعة ومنهاجا"[١] ، وقال ابن كثير-رحمه الله-" أي سبيلا وسنه"[٢] ، والمنهج الرباني له من الميزات والخصائص ما لا يكون في غيره من المناهج، إذ أنه منهج متكامل من جميع جوانبه، فلا مجال فيه لنقص أو عيب أو شك، وذلك لكمال

[١] تفسير الطبري ٢٩١٤/٤.

[٢] تفسير ابن كثير ٦٢/٢.

مصدره، فهو سبحانه متصف بكل صفات الكمال والجمال، فمنهج القرآن والسنة منهج متكامل من كل وجه، وهو أيضا بين واضح وظاهر لا غموض فيه ولا لبس، إذا نزل بلغة عربية فصحى واضحة البيان، وفصيحة العبارة، أنزله الله بلسان عربي مبين، كما قال عز وجل ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ (١٩٣) عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ (١٩٥) ﴾ الشعراء: ١٩٢ - ١٩٥ ، كما أن المنهج الرباني كامل وشامل لكل متطلبات الداعية إلى الله تعالى، فكل ما ينشده الداعية لنجاح دعوته، وبلوغ غايتها موجود في ثنايا الكتاب والسنة، كما بين ذلك عز وجل بقوله ﴿ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ﴾ الأنعام: ٣٨ ، فهو منهج شامل متكامل وصالح لكل زمان ومكان ينشده فيه الداعية إلى الله، وهو أيضا متوازن ومنسجم مع بقية المناهج الدعوية المستمدة من القرآن والسنة، فلا تنافر بينها ولا تجافي ولا اختلاف، وهذا يؤكد لنا وحد المصدر، وهو الوحي الإلهي لهذه المناهج، فالمناهج الربانية متوازنة فيما جاءت به من هداية للناس كافة الناس. ومتوازنة فيما تعرضه من موضوعات عقدية وسياسية واجتماعية واقتصادية، وما تعالجه من مشكلات تعترض طريق الإنسان في دنياه وأخراه، وفي الجانب الآخر نلاحظ انسجاما وتوافقا تاما بين المنهج التربوي الروحي، والمنهج التربوي الجسدي، وبين القلب والعقل، دون أن يطغى أحدها على الآخر من خلال المنهج الرباني، وتحقق أيضا انسجاما تاما بين الحقوق والواجبات دون إفراط أو تفريط.

والمنهج الرباني بيسره ومرونته قابل للتطبيق العملي في كل زمان ومكان ، فكل ما جاء به من أوامر ونواهي وتكاليف قابلة للتطبيق وفي مقدور كل إنسان تطبيقها دون عناء أو مشقة ، فإن الله عز وجل لا يكلف نفس إلا وسعها وطاقتها، كما قال عز وجل ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا مَآ ﴾ الطلاق: ٧، وقوله تعالى ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ ﴾ البقرة: ٨٦ وقوله جل شأنه ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ ﴾ الحج: ٧٨ ، يقول الإمام القرطبي- رحمه الله- " أي من ضيق، وهذه الآية تدخل في كثير من الأحكام، وهي مما خص الله به هذه الأمة"[١]، وقال ابن كثير-رحمه الله- " أي ما كلفكم ما لا تطيقون، وما ألزمكم بشيء يشق عليكم إلا جعل الله لكم فرجا ومخرجا"[٢] ، وإذا كان هذا المنهج الرباني بهذه الصفة من اليسر

[١] تفسير القرطبي ٦٧/٦.

[٢] تفسير ابن كثير ٢٢٣/٣.

والسهولة، فإنه أيضا ملزم لكل مسلم يدين بدين الله عز وجل بالاتباع والامتثال، إذ لا مجال فيه للتمرد والخروج عليه، فكل مسلم متعبد به لله عز وجل الذي أنزله على رسولهﷺ.وفي جانب الرد على الشبهات والافتراءات الباطلة التي يثيرها أعداء الإسلام من المستشرقين وغيرهم، نجد المنهج الرباني المستمد من الوحيين، يعطي الطريق الصحيح والمنهج القويم في الرد عليها بطرق واسس علمية صحيحة ومقنعة ، بأدلتها وحججها الدامغة، التي لا يبقى ولا يقوم لمستشرق وغيره معها حجة ولا برهان، ولا أدل على ذلك من الردود الكثيرة من خلال الرسائل العلمية، أو عبر المجامع الحوارية، أو من خلال الوسائل الحديثة كالإنترنت وتويتر والفيس بوك وغيرها التي تم من خلالها الرد على المستشرقين وإبطال حججهم، ودحض شبههم، وردهم على أعقابهم ناكصين، وصدق الله عز وجل حين قال ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ الأنعام: ١٤٩.

القسم الثاني المنهج البشري: وهذا المنهج كما هو واضح من عنوانه جهد بشري مستنبط من المنهج الرباني باجتهاد وبذل بشري من قبل العلماء والدعاة إلى الله تعالى ، هذا الجهد منضبط بضوابط الشرع ، وخصوصا فيما يستجد في زمنهم من وقائع وأحداث وتغيرات تحتاج إلى مواكبة ومعالجة بما يتوافق مع الشرع الحنيف، وكذلك بما يتناسب وحال المدعوين والمستهدفين بالنشاط الدعوي، ولكن ومع الجهد والاجتهاد الذي يبذله العلماء والدعاة فيما يستجد من الأمور، إلا أن الجهد البشري مهما بلغ من العلم والمعرفة يبقى معرضا للنقص والخلل، فالعقل البشري محدود النظرة والقدرة، وهذه طبيعة بشرية، وأمر مسلم به، فالإنسان البشري محدود الطاقة والقوة لا يمكنه الاحاطة بكل شيء، بخلاف المنهج الرباني المنزل من لدن من علمه محيط بكل شيء في السموات والأرض، يعلم خائنة الأعين وما تكتنفه الصدور والقلوب، فالمنهج البشري يصلح للزمان الذي وضع له وفي زمن من وضعه من العلماء والدعاة، وقد لا يصلح لزمن غيرهم، فالمناهج التي وضعت في زمن ابن تيميه مثلا، أو زمن الغزالي، أو مُحَمَّد بن عبد الوهاب، أو ابن القيم الجوزية، أو المورودي، لا يمكن أن تكون محيطة بمشكلات وملابسات زماننا هذا، ولكن عدم إحاطتها هذا لا يمنع من الإفادة منها والاستهداء بها في وضع مناهج دعوية تناسب عصرنا هذا، ولعل هذا يتبين لنا من خلال الاختلاف والتباين الكبير بين مناهج الصوفية وأنصار السنة، وجماعة البليغ، والاخوان المسلمين وغيرهم من المناهج التي بنيت على اجتهادات بشرية من أصحابها ومؤسسيها، فنجد أن مؤسس كل

جماعة له منهجه الخاص به في الدعوة فلكل مدرسة دعوية منهج خاص بها في طرق الدعوة وكيفيتها، مما نتج عنه تضاد وتصادم وصراع وتناحر واختلاف بين تلك الجماعات والفرق، مما أثر سلبا على مسيرة الدعوة الإسلامية، ونأى بها عن المسار الصحيح والمنهج القويم. والمنهج البشري مهما بلغ من الدقة والحذر والجهد ، فإنه لا يملك عصمة من الخطأ والنسيان، إذ أن كل منهج يضعه البشر يكون عرضة للأخطاء والزلل، والاحتمالية في الصواب والخطأ، إذ لا عصمة إلا للأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام. والمنهج البشري أيضا لا يُلْزم به الناس، فقد يقبلونه ولربما رفضوه، بخلاف المنهج الرباني المبني على الوحي الإلهي، إذ الكل ملزم به حيث لا يشوبه خطأ أو زلل. ولا يتسنى للمنهج البشري الاستمرارية، إذ أنه وليد زمان ومكان ، لا يصلح لكل الأزمنة والأمكنة.

وبالجملة فالفرق واضح بين المنهج الرباني والمنهج البشري من حيث الأصالة والمصدر، فالأول ثابت راسخ، والأخير متغير مع تغير الأزمان والأحوال، والأخير مستمد مادته من الأول، ولا شك أن التمسك بالمنهج الرباني والوحي المنزل هو طريق الاستقامة والسلامة والنجاة في الدنيا والآخرة ، كما قال عز وجل ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ الأنعام: ١٥٣.

الثاني: المنهج العلمي الدعوي الصحيح من حيث الموضوع والمحتوى.

الدعوة الإسلامية شاملة لجميع مناحي الحياة الإنسانية، ولهذا حصل التنوع في المناهج وما يتعلق بها من موضوعات مختلفة تتعلق بموضوع الدعوة، فهناك مناهج تتعلق بموضوع العقيدة ، وهي التي تعنى بالجانب العقدي للفرد المسلم من جهة الإيمان بالله وملائكته وما يتعلق بهم من صفاتهم وأحوالهم، والإيمان بالكتب المنزلة على رسل الله عليهم الصلاة والسلام، والإيمان برسل الله وأنبياءه ، وأنهم أتو بالكتب السماوية من عند الله عز وجل وصفاتهم وعددهم ومعرفة أولو العزم منهم، والإيمان باليوم الآخر وما يتعلق به وما يتم فيه والجنة ونعيمها، والنار وجحيمها والصراط والحساب والميزان وأخذ الكتاب الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا يحصيها، والإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره، والتحذير من الشركيات، ولكن الذي يحسن التنبيه إليه هو أن الدعاة إلى الله عز وجل ينحصر دورهم فيما يخص جانب العقيدة، في إيصال المفاهيم العقدية إلى المدعوين، دون الخوض في المصطلحات والمفردات والجوانب التي ينتهي أمرها عند المتخصصين في هذا الجانب، وذلك حتى لا يختلط موضوع العقيدة بموضوع الدعوة فيحصل

من جراء هذا الخلط أخطاء تضر بالجانبين، وهناك ما يتعلق بموضوع العبادات، من صلاة وصوم وحج و زكاة وغيرها، من الممارسات التعبدية التي تمارس على أرض الواقع، وهنا يبرز دور منهج الدعوة والدعاة في وضع النظم والخطط العلمية التي يمكن من خلالها تطبيق تلك العبادات على وجهها الأكمل والأشمل، فدعوة الناس إلى أداء الصلاة جماعة والحفاظ عليها في أوقاتها، والالتزام بجوانب العبادات الأخرى، وممارستها كما جاءت به أدلة الوحيين، وتذكير الناس بأنه لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى والعمل الصالح، وغير ذلك من أنواع التعليم والتذكير تكون في صميم منهج الدعوة والدعاة، وهناك ما يتعلق بالشؤون الاجتماعية وما يخصها من خطط وتنظيمات تنهض بالمجتمع المسلم فردا وأسرة ومجتمع، إلى المرتبة الاجتماعية التي تليق به.

فالإسلام دين حفظ للمجتمع المسلم حياة معيشية واجتماعية كريمة لا توجد في غيرها من الملل والمجتمعات، كم حفظ للجماعة والفرد المصالح والحقوق من أمن وحرية وشخصية مستقلة، في حدود المصالح الخاصة والعامة وفي أطر الشرعة الحكيمة، ويدعو الفرد إلى تكوين أسرة وما يتقدم ذلك من خِطْبة وعقد ومهر وحقوق وواجبات، وما يلحقها من طلاق وعدة وتربية وحضانة وميراث، كما ندعو الناس إلى بناء مجتمع مسلم تسوده الأخوة الإيمانية والتكافل والتراحم والمساواة والعدل على ما جاءت به شريعة الله عز وجل. وهناك أيضا ما يتعلق بالأمور الاقتصادية التي تهدف إلى تطبيق النظام الاقتصادي الإسلامي، فهو نظام يستمد محتواه من شريعة الله، ويقوم على الوسطية، لا يحرم الفرد حقة وملكه كما تفعله الشيوعية وغيرها، ولم يجعل من الفرد إقطاعيا يستغل بحقوق الجماعة كما هو الحال في النظام الرأسمالي، لكنه جعل لكل حدودا لا يتعداها فالفرد يعرف حقوقه وحدود تلك الحقوق. كما أن الجماعة تعرف حقها و حدودها، ودور المنهج الدعوي هنا يتمثل في وضع نظام اقتصادي إسلامي وفق منهج دعوي على ضوء خطط دعوية مدروسة.

والسياسية، التي تختص بالحكم في الإسلام ، فالإسلام دين ودولة، ويتضح ذلك من خلال آيات كثير من القرآن الكريم، منها قول الله تبارك وتعالى ﴿ **وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ** ﴾ المائدة: ٤٩ ، وقوله عز وجل

﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ المائدة: ٥٠، وقوله عز وجل ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ المائدة: ٤٨، وقال عز وجل ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ النساء: ٦٥ ، وهذه الآيات واضحة الدلالة فيما ترمي إليه من المعاني التي تدل على الحكم في الإسلام، وأما من أدلة السنة الشريفة، فعن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول "إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر"[١]، ففي هذا الحديث نص الرسول ﷺ على الحكم بقوله (الحاكم)، وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه "لتنقضن عرى الإسلام عروة عروة فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها فأولهن نقضا الحكم و آخرهن الصلاة"[٢] ، وهذا كذلك يدل على الحكم وأن الإسلام دين ودولة، وهكذا في بقية الجوانب الصحية، والعسكرية، والرياضية، والترويحية، ، ولكل جانب من هذه الجوانب، يضع الدعاة والعلماء خططا ، ونظما على ضوء المناهج الربانية، والأحكام الشرعية.

الثالث: المنهج العلمي الدعوي الصحيح من حيث طبيعة المنهج.

لكل منهج من المناهج الدعوية العلمية الصحيحة طبيعته الخاصة، فمن المناهج ما هو عام ،ومنها ما هو خاص ،ومنها ما هو فردي ،ومنها ما هو جماعي، ومنها النظري، ومنها التطبيقي والعملي، ولكل ميدانه الخاص، فلا يمكن تعميم المنهج الخاص، والعكس صحيح، وهذه من الطبيعة الخاصة بكل منهج، وهناك أمثلة كثيرة من شريعة الله للمنهج الدعوي الخاص والعام، ومن ذلك قيام الليل كله أو بعضه وجوبا ، منهج عبادي خاص برسول الله، قال ابن كثير –رحمه الله–" وكان ﷺ ممتثلا ما أمره الله تعالى به من قيام الليل، وقد كان واجبا عليه وحده"[٣] ، وكذلك واستئذان الأطفال الذين لم يبلغوا الحلم أو الذين بلغوه ، نظام خاص بهم، ومن ذلك أيضا زواجه بأكثر من أربع، ونحوها، ومنها ما هو خاص بالنساء دون الرجال،

---

[١] رواه البخاري ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب أجر الحاكم إذا اجتهد، ٢٦٧٦/٦، الحديث رقم ٦٩١٩.

[٢] رواه أحمد ٢٥١/٥ الحديث ٢٢٢١٤ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٣٥٣/١٩ برقم ٩٢٠٦.

[٣] تفسير ابن كثير ٣٩٢/٤.

أو العكس، ومنها ما هو خاص بالمرضى دون الأصحاء، ومنها ما هو خاص بالمسافرين دون المقيمين، ومنها ما هو خاص بالمسلمين، ومنها ما هو خاص بغيرهم، والمنهج الخاص لا يصلح تعميمه بحال من الأحوال. وعلى النقيض وفي الجانب الآخر المنهج العام، فيكون للناس عامة دون تخصيص ، فالأمر بالبر عام وبالصدق عام والنهي عن الكذب عام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عام ويقاس على ذلك أشياء كثيرة. وأما المنهج الدعوي الفردي فهو المتخصص في دعوة الفرد المسلم، بقصد إصلاحه وتقويمه وهدايته لما فيه خيره ونجاته في الدنيا والآخرة، في أمور دينه ودنياه وتقويم خلقه، وأخلاقه وأقواله، وأفعاله حتى يتميز عن غيره ، وفي المقابل أيضا المنهج الدعوي الجماعي الذي يهتم بدعوة المجتمع المسلم وتقويمه وإصلاحه في أمور الدين والدنيا، حتى يتميز بسلوكه وأخلاقه وتصرفاته عن أي مجتمع آخر.

الرابع: المنهج العلمي الدعوي الصحيح من حيث الركائز والفطر السليمة.

فطر الله تبارك وتعالى عباده على فِطَر ثلاث متمثلة في القلب والعقل والحس، وعلى ذلك يتنوع المنهج الدعوي، كما قال عز وجل ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ الروم: ٣٠ ، فما اختص بالقلب كان ذلك متعلقا بالمنهج العاطفي، وما كان مرتكزا على العقل كان مختصا بالمنهج العقلي، وما كان متعلقا بالحس سمي بالمنهج الحسي أو المنهج التجريبي، وكل هذه المناهج متلازمة بعضها ببعض ، وذلك لتلازم الركائز الفطرية في النفس البشرية، ولعلي أسلط الضوء ولو على وجه الاختصار عل هذه المناهج الدعوية الثلاثة حتى يتسنى لنا معرفة مدى جدواها في الميدان الدعوي، فالمنهج الدعوي العاطفي هو الذي يؤثر في القلب والشعور الداخلي والوجداني للإنسان، فيحرك مشاعره وأحاسيسه متأثرا بما يسمع من وعظ مؤثر، يقول د. مُحَمَّد البيانوني معرفا بالمنهج الدعوي العاطفي هو " مجموعة الأساليب الدعوية التي ترتكز على القلب ، وتحرك الشعور والوجدان"[1] ، ويظهر هذا التأثير العاطف في القلب من خلال المواعظ الحسنة المؤثرة، بما تحويه من آيات وأحاديث وقصص مؤثرة، وقد نص الله عليها في القرآن الكريم وأمر بها كوسيلة وأسلوب دعوي مؤثر، فقال عز وجل ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ النحل: ١٢٥ ، يدخل فيه أسلوب

[1] المدخل إلى علم الدعوة ، د. مُحَمَّد أبو الفتح البيانوني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، ص٢٠٤.

الخطابة الذي يتضمن المحتوى الموجه للمستهدف وهو المدعو، بما فيه من آيات الترغيب والترهيب والوعد والوعيد، والقصص الحقيقية التي يتأثر بها القلب والوجدان، فيتغير وضع المدعو من حال إلى حال، ولا سيما إذا كان الخطيب ذو قوة علمية ، وصوت حسن، واحتراف في سرد القصص، فإنه سيكون ذا أثر في نفس المدعو وقلبه، وكذلك تذكير المدعو بنعم الله عليه، التي قد يفتقدها غيره، وما يجب عليه تجاهها من شكر المنعم بها ، والعمل بمقتضاها من الأعمال الصالحة.

ويدخل في المنهج الدعوي العاطفي أيضا، مدح المدعو بما فيه من الخصال الحميدة، والمزايا الطيبة، فإن ذلك سيؤثر بلا شك في عواطفه ومشاعره تجاه الداعي، فيتأثر به وينقاد لما يريده منه من الاستقامة على الدين والخير. وهذا أسلوب ينتهجه كثير من الدعاة إلى الله، لشحذ عاطفته وتليين قلبه، ليكون مستعدا ومتقبلا لما سيذكر به من دين الله عز وجل. ولا ننسى ما للقصص العاطفية المؤثرة من تأثير في حال المدعو، فيعتبر ويتعظ ويحاول التغير في وضعه وحياته إلى الأحسن. ومن المنهج الدعوي العاطفي أيضا، إظهار الرحمة والرأفة بالمدعو، إما بكلمة مؤثرة، أو بمساعدة شخصية، أو السعي في قضاء حوائجه، كل ذلك مؤثر بلا شك في قلبه وعاطفته، كما قال تعالى ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ ﴾ آل عمران: ١٥٩ ، وكل ذلك يكون ويشكل منهجا دعويا عاطفيا مؤثرا في حال المدعوين.

والداعية الحصيف هو الذي يستخدم هذا المنهج، وينوع في استخدامه، ويتلمس المواطن المناسبة لاستخدامه، حتى يكون له الأثر البالغ في عاطفة المدعو، ولعل من المواطن المواتية التي يستخدم الداعية فيها هذا المنهج، موطن دعوة الجاهل، الذي يكون عندها بحاجة إلى الرفق واللين، فيدعوه ويعلمه ما يحتاجه، ويرغبه في الدين والعلم، ويذكره بما سيجنيه من الخير الكثير من وراء هذا العلم وهذا الدين في الدنيا والآخرة، وكذلك في دعوة من لا يعرف حاله ومستوى علمه، ومدى قوة إيمانه، فيستثير عواطفه، ويستميل قلبه، ويختار لذلك الأسلوب المناسب، وكذلك عند دعوة أصحاب القلوب الضعيفة كالنساء والأطفال ، واليتامى والمساكين ، والمصابين والمرضى، ودعوة الآباء للأبناء ، ودعوة الأبناء للآباء ، ودعوة الأقارب والأرحام والأصدقاء فيما بينهم ، وغير ذلك من المواطن التي لا تفوت على الداعية الحصيف.

وخلاصة القول فيما سبق، أن المنهج الدعوي العاطفي له تأثير عجيب في عاطفة ووجدان

المدعو، مما يحمله على سرعة الاستجابة للداعي، بما في هذا الأسلوب من لطافة وتوفر العبارات المؤثرة، واتساع دائرة استخدامه في كثير من المواطن والمناشط الدعوية، فله من قوة التأثير ما لا يكون في غيره من المناهج الدعوية، لأن أغلب الناس اليوم ولا سيما مع مشاغل الحياة وقسوتها، وتراكم أعبائها، وتأثيرها في أخلاق الناس وتصرفاتهم، لا يفيد معهم غالبا إلى المنهج العاطفي لترقيق القلوب وتهيئتها للدعوة والبيان.

وأما المنهج العقلي فهو "النظام الدعوي الذي يرتكز على العقل ، ويدعو إلى التفكر والتدبر والاعتبار، أو بمعنى آخر هو مجموعة الأساليب الدعوية التي ترتكز على العقل ، وتدعو إلى التفكر والتدبر والاعتبار"[1] ، ويتميز هذا النظام بأساليب خاصة تميزه عن غيره من المناهج الدعوية، ومن ذلك المحاكمات العقلية ، والأَقْيِسَةُ بجميع أشكالها : قياس الأَوْلى ، والقياس المساوي ، وقياس الخَلْف(العكس) والقياس الضمني، ومثال قياس الأولى كما في قوله عز وجل ﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ التوبة: ١٣ ، وكما في حديث بهز بن حكيم قال حدثني أبي عن جدي قال قلت : "يا رسول الله ﷺ عوراتنا ما نأتي منها وما نذر ؟ قال احفظ عورتك إلا من زوجتك أو مما ملكت يمينك فقال الرجل يكون مع الرجل ؟ قال إن استطعت أن لا يراها أحد فافعل قلت والرجل يكون خاليا قال فالله أحق أن يستحيا منه"[2]، والقياس المساوي كما في حديث سليم بن عامر عن أبي أمامة رضي الله عنه قال ان فتى شابا أتى النبي ﷺ فقال : "يا رسول الله ائذن لي بالزنا فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا مه مه فقال أدنه فدنا منه قريبا قال فجلس قال أتحبه لأمك قال لا والله جعلني الله فداءك قال ولا الناس يحبونه لأمهاتهم قال أفتحبه لابنتك قال لا والله يا رسول الله جعلني الله فداءك قال ولا الناس يحبونه لبناتهم قال أفتحبه لأختك قال لا والله جعلني الله فداءك قال ولا الناس يحبونه لأخواتهم قال أفتحبه لعمتك قال لا والله جعلني الله فداءك قال ولا الناس يحبونه لعماتهم قال أفتحبه لخالتك قال لا والله جعلني الله فداءك قال ولا الناس يحبونه لخالاتهم قال فوضع يده عليه وقال اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه فلم يكن

---

[1] المدخل إلى علم الدعوة ص ٢٠٨.

[2] رواه الترمذي، باب حفظ العورة، ٩٧/٥، الحديث رقم ٢٧٦٩ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٢٠٣/١.

بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء"[1]، وأما قياس الخَلْف فمثاله كما في حديث أبي ذرﷺ وفيه "وفي بضع أحدكم صدقة قالوا يا رسول الله أياتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟ قال أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر ؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجرا"[2]، وأما القياس الضمني فكما في حديث أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ "من نسي وهو صائم فأكل أو شرب فليتم صومه فإنما أطعمه الله وسقاه"[3]، وهنا قاس ضمنا الصائم الذي أكل وشرب ناسيا ، على الصائم الذي لم يأكل ولم يشرب.[4]

ومن أساليب المنهج العقلي أيضا ضربُ الأمثال بأنواعها صريحةً كانت أو كامِنَةْ ، أ و أمثالا سائرة، فمن الأمثال الصريحة في القرآن الكريم قول الله عز وجل ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴾ البقرة: ١٧ ، ومنها أيضا في السنة الشريفة ما رواه النعمان بن بشير ﷺ ، عن النبي ﷺ قال " مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا"[5]، ومن الأمثال الكامنة ما رواه أبي ذرﷺ قال: قال رسول الله ﷺ " من فارق الجماعة شبرا خلع ربقة الإسلام من عنقه"[6] ، وأمثال كثير إما مصرح بها أو جاءت بما يدل على التشبيه، كما قال عز وجل ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾ العنكبوت: ٤٣ ، قال الإمام الخطابي–رحمه الله– " الرِبّقْة: ما

---

[1] رواه أحمد، ٢٥٦/٥، الحديث رقم ٢٢٢٦٥ وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٣٦٩/١ برقم ٣٧٠.

[2] رواه مسلم، كتاب الزكاة، باب بيان اسم الصدقة، ٦٩٧/٢، الحديث رقم ٥٣.

[3] رواه البخاري، كتاب الصوم، باب أكل الناسي وشربه، ٨٠٩/٢، الحديث رقم ١٧١.

[4] وللمزيد ينظر بحث تطبيقات الرسولﷺ للمنهج العقلي في الدعوة، المقدم من الباحث مُحَمَّد بن عبدالله العثمان لنيل الماجستير لقسم الدعوة والاحتساب للمعهد العالي للدعوة الإسلامية في المدينة المنورة ، ص ٢٦–٧٥.

[5] رواه البخاري، كتاب الشركة، باب هل يقرع في القسمة والاستهام، ٨٨٢/٢، الحديث رقم ٢٣٦١.

[6] رواه أبو داود بتحقيق الألباني، باب في قتل الخوارج، ٣٨٥/٤، الحديث ٤٧٦٠ و أحمد ١٨٠/٥ الحديث ٢١٦٠١ والحاكم في المستدرك على الصحيحين، مُحَمَّد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١١ هـ– ١٩٩٠م، كتاب العلم ٢٠٣/١ الحديث ٤٠٢ وقال الحاكم وقد روي هذا المتن عن عبد الله بن عمر بإسناد صحيح على شرطهما.

يُجعلُ في عنق الدابة كالطوق يُمسكها لئلا تشرد ، يقول : من خرج عن طاعة الجماعة ، وفارقهم في الأمر المجمع عليه ، فقد ضل وهلك ، وكان كالدابة إذا خلعت الربقة التي هي محفوظة بها ، فإنها لا يؤمن عليها عند ذلك من الهلاك والضياع "[1]، ومن الأمثال السائرة بين الناس يتناقلونها ، ما رواه أبو هريرةﷺ قال : قال رسول الله ﷺ من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة"[2]، وللقصص دور كبير في الاعتبار والعظة، التي تأتي معها القناعة العقلية عند المدعو، كما قال عز وجل ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ يوسف: ١١١ ، وقال سبحانه ﴿ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ الأعراف: ١٧٦، وهذا النوع من الأسلوب القصص كثير مما قصه الله علينا في القرآن الكريم، وكذلك السنة الشريفة مما قصه النبي عليه الصلاة والسلام عن الأمم السابقة.

وإن كثيرا من المدعوين ينكرون البدهيات العقلية والأمور الواضحة البينة، مثل قوله تعالى ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾ الطور: ٣٥ ، وقوله عز وجل ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ الأنبياء: ٢٢ ، وهنا يستخدم الداعية إلى الله معهم المنهج العقلي بأساليبه ومعطياته، ويستخدمه أيضا مع أولئك الذين يقدمون العقل والفكر في نقاشهم وحوارهم، فيكونون أسرع تأثرا ، وأقرب عودة إلى الحق، بالمنهج العقلي السليم، ويستخدم أيضا مع أولئك الذين يتجردون من الأغراض الخاصة، الذين يبتعدون في نقاشهم وحوارهم عن التعصب لآرائهم، المنصفين في أقوالهم وأحكامهم، وكذلك مع التأثرين بالشبهات والشهوات والباطل، فهؤلاء جميعهم يمكن للمنهج العقلي التعامل معهم والوصول إلى نتائج جيدة.

وللمنهج العقلي جملة من الخصائص التي يختص بها عن غيره من المناهج، ومن ذلك اعتماده على الاستنتاجات العقلية ، والقواعد المنطقية ، والفطرية، ومنها أيضا عمق تأثيره في المدعوين

[1] معالم السنن، باب في الخوارج، ٣٣٤/٤، برقم ١٦٨١.

[2] رواه الترمذي ٦٣٣/٤ الحديث ٢٤٥٠، وصححه الألباني في السلسلة ٢٨/٣ برقم ٩٥٣.

، ورسوخ الفكرة التي يوصل إليها عن طريقه ، إذ ليس من السهل تغيير القناعة والأفكار، ومنها إفحام الخصم المعاند، ومن خصائصه ضيق دائرته عن دائرة المنهج العاطفي، وذلك باختلافه من قوم إلى قوم، ولهذا كان لزاما على الداعية إلى الله أن يختار المنهج المناسب للشخص المناسب، وفي الوقت المناسب، والموقف المناسب.

وأما المنهج الحسي أو التجريبي فهو النظام الدعوي الذي يرتكز على الحواس ، ويعتمد على المشاهدات والتجارب أو بمعنى آخر هو مجموعة الأساليب الدعوية التي ترتكز على الحواس ، وتعتمد على المشاهدات والتجارب[1] ، ويعرف أيضا بالمنهج العلمي لاتصاله بالعلوم التجريبية، لكن تسميته بالمنهج الحسي أو التجريبي يكون أوضح وأبين، وكما أن لبقية المناهج أساليب تختص بكل منهج، فإن للمنهج الحسي بعضا من الأساليب التي يتميز بها، ومن تلك الأساليب لفت الحس إلى ما حوله من الآيات والعظات والعبر، وذلك تمهيدا للوصول إلى قناعات يحصل بها الهداية والتسليم، كما في قول الله تعالى﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ الذاريات: ٢٠ – ٢٣، وقوله عز وجل ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْءَافَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ فصلت: ٥٣، ومنها أيضا أسلوب التعليم التطبيقي ، على وجه يشاهد المدعو كيفية تطبيق الفعل المأمور به ، والمدعو إليه ، كما في أمرهﷺ بالصلاة كما يصلي، فعن مالك بن الحويرثرضي الله عنه قال : أتينا النبي ﷺ ونحن شببة متقاربون فأقمنا عنده عشرين ليلة فظن أنا اشتقنا أهلنا وسألنا عمن تركنا في أهلنا فأخبرناه وكان رقيقا رحيما فقال " ارجعوا إلى أهليكم فعلموهم ومروهم وصلوا كما رأيتموني أصلي وإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم ثم ليؤمكم أكبركم"[2] ، وكذلك أمره عليه الصلاة والسلام بأخذ المناسك في الحج عنه، فعن جابررضي الله عنه قال: "رأيت النبي ﷺ يرمي على راحلته يوم النحر ويقول لتأخذوا مناسككم فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه"[3]، ومن الأساليب أيضا القدوة العملية في تعليم الأخلاق

---

[1] ينظر المدخل إلى علم الدعوة ص ٢١٤.

[2] رواه البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، ٢٢٣٨/٥ الحديث رقم ٥٦٦٢.

[3] رواه مسلم، كتاب الحج، باب استحباب رمي جمرة العقبة، ٩٤٣/٢، الحديث رقم ٣١٠.

والسلوك، وقد تحقق هذا في شخص النبيﷺ فهو قدوة عملية حية لكل مسلم ومسلمة، ومؤمن ومؤمنة، فهو قدوة للعالمين، كما قال الله تعالى مخبرا عنه ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ الأحزاب: ٢١، وكقوله تعالى موجها لرسوله عليه الصلاة والسلام ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ آل عمران: ١٥٩ ، وهذا الأسلوب خلق من أخلاقه عليه الصلاة والسلام، فهو أكمل الناس خلقا، وقد بينت لنا ذلك أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، فعن سعد بن هشام قال: "قلت يا أم المؤمنين أنبئيني عن خلق رسول الله ﷺ قالت ألست تقرأ القرآن ؟ قلت بلى قالت فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن"[١]، ومن أساليب المنهج الحسي أيضا تغيير المنكر باليد ، وإزالته على وجه يشاهده صاحب المنكر ، ويُعدَّ هذا الإنكار أقوى درجات الإنكار ، وهذا بلا شك وخصوصا في هذه الزمنة يكون التغيير باليد للسلطان الذي يملك القوة لذلك، وكذلك الرجل سلطان في بيته يغير المنكر بيده، فعن أبي سعيدرضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول "من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه ومن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان"[٢]، ولما فتح مكة ، بادر عليه الصلاة والسلام بالأصنام التي كانت حول الكعبة ، حيث طعنها بِعُودٍ في يده فتساقطت على وجهها ، وبعث سراياه إلى الأوثان اللات ، والعُزّى ، ومناة" فكُسَّرت .[٣]

ومن الأساليب أيضا تأييد الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام بالمعجزات الحسية والخوارق ، كما حدث مع كثير من الأنبياء السابقين ، ومع رسولناﷺ، إلى غير ذلك من الأساليب التي تعتمد على الحس البشري. ويستخدم المنه الحسي التجريبي والتعليمي في مواطن كثيرة ، ومنها استخدامه في تعليم الأمور التطبيقية العملية والدعوة إليها ، وكلما كان الأمر المدعو إليه دقيقا وهاما ، كانت الحاجة إليه أشد ، كما فعل النبي ﷺ في تعليم الصلاة والوضوء والحج وغيرها

---

[١] رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جامع صلاة الليل ومن نام عنه، ٥١٢/١، الحديث رقم ١٣٩.

[٢] رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر، ٦٩/١، الحديث رقم ٧٨.

[٣] رواه البخاري، كتاب المظالم، باب هل تكسر الدنان التي فيها الخمر، ٨٧٦/٢، الحديث رقم ٢٣٤٦ وزاد المعاد في هدي خير العباد، باب إجارة أم هاني حموين لها، ٣٦١/٣.

من العبادات، ويستخدم أيضا في دعوة العلماء والمتخصصين في العلوم التطبيقية التجريبية ،ويعين في ذلك الاستدلال بالإعجاز العلمي في القرآن والسنة ، مع ملاحظة ضرورة عدم التوسع في استخدام النصوص الشرعية لتأييد النظريات العلمية والفرضيات ، ويكتفي بالاستشهاد بها على الحقائق العلمية الثابتة ، وبأسلوب مناسب[1]، و يستخدم أيضا في دعوة المتجاهلين للسنن الكونية ، والمنكرين للبدهيات العقلية ، فإن المعاندين لا تفيد معهم إلا الحقائق المعتمدة على الملموسات والمحسوسات ، وعلى هذا الأساس جاءت كثير من معجزات الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام مادية ومحسوسة.

وللمنهج الدعوي الحسي التجريبي والعلمي خصائص كغيره من المناهج الدعوية، ومنها سرعة تأثيره لاعتماده على المحسوسات التي يُسلّم بها كل إنسان عادة ، فإذا لم يسلم دل ذلك على عناده وإصراره على باطله ، ومن هنا توعد الله عز وجل عباده الذين أصروا على كفرهم بعد رؤية المعجزات النبوية ، فقال عز وجل ﴿ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾ المائدة: ١١٤ – ١١٥، ومنها أيضا عمق تأثيره في النفوس البشرية ، لمعايَنتها الشيء المحسوس ، ولذلك قيل ليس الخبر كالمعاينة كما في قول الله عن إبراهيم عليه السلام ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ البقرة: ٢٦٠، ومنها أيضا سعة دائرته ، لاشتراك الناس جميعا في أنواع الحس أو بعضها ، لا يتخلف عن هذا كبير أو صغير ، ولا عالم أو جاهل، ومنها أيضا يُحتاجُ في استخدامه في كثير من المواطن إلى خبرة واختصاص ، فلا يحسنه جميع الدعاة ، ولاسيما إذا كانت الدعوة لطبقة العلماء المتخصصين في العلوم

[1] ينظر المنهج العلمي وأثره في الدعوة إلى الله، فكري السيد عوض، بحث لنيل درجة الماجستير، المعهد العالي للدعوة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤٠٤هـ، والمدخل إلى علم الدعوة ص ٢١٧.

التطبيقية.[1]

وخلاصة القول في هذه الأنواع من المناهج الدعوية العلمية الصحيحة، أنها تتركز على النفس البشرية مؤثرة فيها تأثيرا مباشرا، وأنها بحول الله تعالى عونا للداعية إلى الله تعالى في مسيرته الدعوية متى ما استخدمها الاستخدام الأمثل لإيصال الخير والدعوة إلى الناس، ولا سيما في ما يعرض له من الحوارات الفكرية والعلمية، وخصوصا في مجال الرد على الشبهات والأباطيل التي يثيرها معاشر المستشرقين وتلامذتهم في المجتمعات العربية والإسلامية، حول الإسلام والقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، والداعية إلى الله لا يألو جهدا في تعلم واستقطاب كل ما ينفعه في نشر الدعوة الإسلامية من مناهج وأساليب ووسائل مشروعة، ولا سيما وسائل العصر من شبكات اتصال وتواصل اجتماعية والإنترنت وكل ما هو مفيد لدعوة الناس وإقامة الحجة عليهم واعذارهم كما قال عز وجل ﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ الأعراف: ١٦٤ .

[1] وللمزيد ينظر المدخل إلى علم الدعوة ص ٢١٨-٢١٩، و مناهج الدعوة و أساليبها، على جريشة، دار الوفاء، المنصورة، ١٤٠٧ هـ ، ص ٢٨-٣٧.

المبحث الرابع

ضوابط المنهج العلمي الصحيح في الدعوة إلى الله، في الرد على والشبهات والافتراءات

قبل أن أبدأ الحديث عن ضوابط المنهج العلمي الصحيح في الدعوة إلى الله، أود التعريف بكلمة(ضوابط) في اللغة والاصطلاح، حتى تتضح الرؤيا حولها وحول ما ترمي إليه في هذا المبحث.

الضوابط في اللغة:

قال ابن منظور: الضبط: لزوم الشيء وحبسه، ضبط عليه وضبطه يضبط ، قوله يضبط شكل في الأصل في غير موضع بضم الباء، وهو مقتضى اطلاق المجد وضبط هامش نسخة من النهاية يوثق بها، لكن الذي في المصباح والمختار أَنه من باب ضرب.) ضبطا وضباطة، وقال الليث: الضبط لزوم شيء لا يفارقه في كل شيء، وضبط الشيء حفظه بالحزم، والرجل ضابط أَي حازِمٌ.[1]

وقال ابن فارس: الضاد والباء والطاء أصلٌ صحيحٌ. ضَبَطَ الشَّيء ضَبْطاً، والأضبط الذي يَعمل بيديه جميعاً.[2]

وقال الجوهري: ضَبْطُ الشيءِ: حفظُه بالحزم، والرجلُ ضابطٌ، أي حازمٌ، والأَضْبَطُ الذي يعمل بكِلْتا يديه، تقول منه: ضَبِطَ الرجل بالكسر يَضْبَطُ، والأنثى ضَبْطاءُ.[3]

الضوابط في الاصطلاح:

قال الجرجاني: إسماع الكلام كما يحق سماعه ثم فهم معناه الذي أريد به ثم حفظه ببذل مجهوده والثبات عليه بمذكرته إلى حين أدائه إلى غيره.[4]

بعد أن تم التعريف بهذه الكلمة في اللغة والاصطلاح، واتضح لنا مدلولها، نبين تلك الضوابط التي ينضبط بها المنهج الدعوي ، والتي تصحح مساره، وتسبر طرقه، وتحقق له النتائج المرجوة،

---

[1] لسان العرب لابن منظور مادة ضبط.

[2] مقاييس اللغة لابن فارس مادة ضبط.

[3] الصحاح في اللغة للجوهري مادة ضبط.

[4] التعريفات، علي بن مُحَّد بن علي الجرجاني، تحقيق ، إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي ، بيروت،١٤٠٥، باب الضاد، ١٧٩/١.

ومن هذه الضوابط ما يلي:

أولا: من المتفق عليه بين العلماء أن الدعوة إلى الله تعالى عبادة يرجو بها الداعية الأجر والمثوبة من الله، وهي مأمور بها شرعا، كما قال عز وجل ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ آل عمران: ١٠٤ ، وقوله عز وجل ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ النحل: ١٢٥، فلا بد فيها من تحقق شرطين أساسيين، وهما:

١) الإخلاص لله، وهذا المطلب يدخل في كل ما يتقرب به العبد إلى الله من الطاعات والعبادات، كما قال عز وجل ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾ البينة: ٥ ، و كما في حديث عمر بن الخطاب ﷺ على المنبر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول " إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو إلى امرأة ينكحها فهجرته إلى ما جاهر إليه"[١]، ولا تصح عبادة أو طاعة أو عمل ما لم يكن العبد فيها مخلصا لله تعالى ، كما قال عز وجل ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ الفرقان: ٢٣ قال ابن كثير –رحمه الله– " فكل عمل لا يكون خالصا، وعلى الشريعة المرضية فهو باطل"[٢].

٢) المتابعة للنبيﷺ في أقواله وأفعاله، وقد أمر الله بمتابعته وطاعته فقال عز وجل ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴾ الأنفال: ٢٠ ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ آل عمران: ٣١ وعن عائشة ﵂ تقول قال رسول اللهﷺ "من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد"[٣].

إذا فالإخلاص والمتابعة شرطان وضابطان أساسيان في قبول الأعمال ولا غنى لمسلم عامل

---

[١] رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب مقدمة الشارح، ١/١، الحديث رقم ١.

[٢] تفسير ابن كثير ٢٩٥/٣.

[٣] رواه أحمد ١٨٠/٦ الحديث رقم ٢٥٥١١ وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٢٤٧/١ الحديث رقم ٢٤٨.

منها، ويوم القيامة تقبل بهما الأعمال أو ترد.

ثانيا: لا يلتفت الداعية إلى الله المخلص والمتابع لكثرة القابلين لدعوته، وإنما يلتفت إلى أن تكون دعوته موافقة للصواب والسنة، فقد كان النبي معه الإثنان والنبي معه الثلاثة وهكذا ، لهذا يقول الله جل وعلا ﴿ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴾ يوسف: ١٠٣، وقوله عز وجل ﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ القصص: ٥٦ ، إن الداعية قد يلتفت إلى الكثرة، وإذا التفت إلى الكثرة فإنه خالف أصل الدعوة، فالموافقة للصواب والسنة هو الأولى، سواء قَبِل الناس أم لم يقبلوا، ولهذا الأنبياء والمرسلون كان المستجيبون لهم قليلا، فذاك نوح عليه السلام كمثال حي لبث في قومه تسعمائة وخمسون سنة ومع ذلك ما آمن معه إلا قليل كما حكى الله عنه بقوله ﴿ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ هود: ٤٠.

ثالثا: من الأمور المهمة في حياة الداعية إلى الله تعالى العناية بأن يبدأ بالأهم ثم المهم من أمور الدعوة ومضمونها ، ومن ذلك البدء بعقيدة التوحيد وترسيخها في قلوب الناس، فإنها القاعدة المهمة التي ترتكز عليها بقية الأعمال، وهذا القاعدة ظاهرة في حديث معاذﷺ المشهور لما بعثه النبي ﷺ إلى اليمن ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذا ﷺ إلى اليمن قال " إنك تقدم على قوم أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله فإذا عرفوا الله فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم فإذا فعلوا فأخبرهم أن الله فرض عليهم زكاة من أموالهم وترد على فقرائهم فإذا أطاعوا بها فخذ منهم وتوق كرائم أموال الناس "[1] فأمره النبيﷺ بالتدرج في دعوة أولئك القوم، وليبدأ بقاعدة الدين وهي التوحيد، ثم يتدرج فيما بعدها من أمور العبادات، وهذا أصل مهم في أن الداعية لا بد له أن يرعى البداءة بالأهم فالمهم.

رابعا: من ضوابط المنهج الدعوي الصحيح أيضا أن يكون الداعية صاحب علم، وعالما بما يدعو إليه، فالداعية إلى الله يدعو إلى الله جل وعلا على بصيرة وعلم كما قال عز وجل

---

[1] متفق عليه، رواه البخاري، كتاب الزكاة، باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس، ٥٢٩/٢، الحديث رقم ١٣٨٩ ومسلم ، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين، ٥٠/١ الحديث رقم ٣١.

﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ يوسف: ١٠٨ ، وكذلك يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر عالما بما يأمر به وبما ينهى عنه ، إذ لا بد للداعية من العلم الصحيح من الكتاب والسنة، متفقا على أيدي من سبقوه من العلماء والدعاة الذين يبصرونه بما يتوجب عليه حال تصديه للدعوة إلى الله.

خامسا: من ضوابط المنهج الدعوي الصحيح ، أن يقوم الداعية إلى الله تعالى بالتعاون مع إخوانه في ميدان الدعوة على البر والتقوى، والتواصي بالحق ، واستشارة أهل العلم والخبرة فيما يعرض له من أمور تلتبس عليه، وهذا أصل جاء به القرآن الكريم والسنة الشريفة، كما قال تعالى ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِۚ ﴾ المائدة: ٢ ، عن سعيد بن أبي بردة عن أبيه عن جده ، أن النبي ﷺ بعث معاذا وأبا موسى إلى اليمن وقال " يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا وتطاوعا ولا تختلفا"[١]

سادسا: ومن ضوابط المنهج الدعوي أيضا أن يراعي الداعية إلى الله في دعوته الناس ، الأمور الاجتهادية والخلافية، حتى لا يصطدم بأهواء الناس وما جبلوا عليه من الجدال والخلاف والخصام، الذي قد يفضي إلى إفساد دعوته ومنهجه، وصدود الناس عنه، فلا يحصل له المقصود من دعوته وهداية الناس، وليرجع إلى أهل العلم في مثل هذه المسائل الخلافية والاجتهادية، وليحرص على جمع الكلمة، ولم شعث الأمة، ولا سيما في هذه الأزمنة الحالكة، التي يتربص فيها أعداء الإسلام لمثل هذه الفجوات الخطيرة. ولكن الذي يجب التنبه إليه هو أن بعض الناس، يجعل القاعدة لا إنكار في مسائل الخلاف، عامة في كل خلاف، وهذا غلط، فمسائل الخلاف كثيرة والمسائل المجمع عليها قليلة، فما ثَم مسألة إلا والخلاف قائم فيها إلا ما أُجمع عليه وهو قليل بالنسبة إلى كثرة المسائل المختلف فيها، فلو قيل لا إنكار في كل مسألة أُختلف فيها، صار المجال واسعا ولا ينكر إلا ما خولف فيه الإجماع، وهذا باطل، بل ينكر على من خالف الكتاب والسنة، لأن من ذهب إلى قول من الأقوال، قد يكون هذا القول مخالف للسنة، وقد يكون صاحب القول ما فقه الدليل، أو قد يكون له عذر، ولكن المتوجب إذا اتضحت السنة وجب اتباعها ولم يُعذر أحد بمخالفتها، وإذا خالفها فإنه ينكر عليه ويبين لأن حماية دين الله أعز من احترام الناس أو احترام شخصياتهم و أقوالهم وآرائهم.

---

[١] رواه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب ما يكره من التنازع والاختلاف، ١١٠٤/٣، الحديث رقم ٢٨٧٣.

سابعا: من ضوابط المنهج الدعوي العلمي الصحيح أيضا، أن يكون الداعية إلى الله تعالى مصلحا لنفسه قبل أن يصلح الآخرين، فإنه هو المطالَب بأن يستقيم ثم من تاب معه، كما قال عز وجل ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ هود: ١١٢، وأن يكون أسوة وقدوة حسنة للناس فيما يدعو إليه، فبقدر ما يكون الداعية قدوة حسنة للناس، بقدر ما يكون تأثيره أقوى في نفوسهم، وقد ذم الله قوما خالفوا هذا المنهج القويم فقال سبحانه ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ البقرة: ٤٤.

ثامنا: ومن ضوابط المنهج الدعوي العلمي الصحيح، التزام الداعية إلى الله تعالى بمنهج سلف هذه الأمة المتمثل في منهج أهل السنة والجماعة وتعميقه، والمعروف بوسطيته، وشموليته، واعتداله، وبعده عن الإفراط والتفريط.

فهذه بعضا من الضوابط التي ينبغي لكل داعية إلى الله الالتزام بها، والعمل بمقتضاها، ضمانا لنجاح دعوته، وقبول الناس لها، وبعدا عن كل ما قد يضر به وبها، وهي مما استنبطه العلماء والدعاة إلى الله من كتاب الله وسنة رسولهﷺ ، وأعمال السلف الصالح من الصحابة والتابعين، ومن سار على منهجم، واقتفى أثرهم. بل هي ثمرة وزبدة تجارب لكثير من العلماء والدعاة إلى الله تعالى، ولنعلم يقينا أن الدعاة إلى الله لو فقهوا هذه الضوابط وعملوا بها لكان في ذلك خير كثير لمسيرة الدعوة، وخصوصا فيما يتصل بالرد على شبهات أهل الأهواء من المستشرقين وغيرهم، ودحر أباطيلهم وشبههم، وما على الداعية إلا البذل والعمل والعطاء، وأما النتائج فهي بيد الله سبحانه، فهو من بيده الهداية، وهو الذي يقلب القلوب كيف يشاء.

الفصل الثالث

شُبُهَاتِ المسْتَشْرِقينَ حَولَ قَصَصِ القُرآنِ الكَرِيم والرَّد عَليْها، وفِيه تَمْهِيد و ثَلاَثٌ وعُشْرُونَ شُبْهَة

التمهيد:

دأب المستشرقون كعادتهم ، على إطلاق العنان لنفوسهم المريضة، وعقولهم المنتكسة، للخوض والطعن والتشكيك والنفي والعداء المستميت، لكل ما يتصل بالإسلام والقرآن والسنة الشريفة، وهذا بلا شك من الأمور الأكثر خطرا ، لعلمهم أن القدح في نبوته ﷺ ، والنيل منها يؤدى إلى انهيار صرح الإسلام، إذ الوحي هو الأساس الذى ينبني عليه الدين، فإذا فُقِد، فُقِد الدين.

ولذلك شنوا حملة شرسة، تكتنف في طياتها ألوان الحقد، والبغضاء، والعداء السافر، لكل ما هو إسلامي، يصدرون عن أحكام مغرضة، وأقوال جائرة، مجانبين كل طرق البحث العلمي السليم ، كما بين الله لنا أمرهم، وفضح مكائدهم، وحذر منهم بقوله عز وجل ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ التوبة: ٣٢ ، وقوله سبحانه ﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ﴾ التوبة: ١٠ ، ولقد ركز اولئك المستشرقون جل جهودهم في إثارة الشُبَه والافتراءات حول قص القرآن الكريم، ونفوا بذلك أصالته ومصدريته، وهم بذلك لا يعلمون أنهم كالذي يطرد السراب في بيداء الأرض، كلما جاءه لم يجده شيئا، فهم في عناء دون بلوغ مرام، إذ القرآن وما حواه من القصص والوقائع والأخبار، محفوظ بحفظ الله، لا يطاله عبث عابث ، ولا طعن طاعن، بل حججه الدامغة في ثناياه، لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، كما قال الله عز وجل ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ الحجر: ٩، ولقد قيض الله لكتابه ودينه من أهل الحق، من يدافع عنه، ويبين شبهات وافتراءات أولئك المستشرقون، ويرد عليها بحجج دامغة، وأدلة مقنعة، ويفضح

مكايدهم، ويكشف أمرهم، ويقطع عليهم مرادهم، حتى لا تنطلي أقوالهم على العامة، وهذا من نصر الله لدينه وكتابه، ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ الحج: ٤٠.

الشبهة الأولى

أولا: عرض الشبهة وتوثيقها.

"زعمهم تشابه القرآن واليهودية في القصص مثل قصة ابني آدم وقصة إبراهيم، يقول المستشرق اليهودي المجري إجناتس جولد تسيهر[1]" كان هناك ما ورد في الكتب السابقة من مختلف القصص التي أجملها مُحَّد، وقدمها في منتهى الإيجاز وأحيانا على وجه متداخل، ليذكر على سبيل الإنذار والتمثيل بمصير الأمم السابقة الذين سخروا من رسلهم ووقفوا في طريقهم"[2].

ثانيا: الرد عليها ردا إجماليا.

إن مما أثبته القرآن الكريم هو ثبوت نبوة نبينا مُحَّدﷺ ، وتنوعت دلائل ذلك من بشارات في الكتب السابقة، وإرهاصات نبوته قبل مبعثه، وإعجاز القرآن الكريم، والمعجزات الكثيرة الدالة على صحة رسالته، وما يُعلم من مسيرته، كما قال تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ الصف: ٦، وقوله عز وجل ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ الأعراف: ١٥٧، ولذلك دلت الآية على أنه عليه الصلاة والسلام كان أميا وهذا معلوم من سيرته، وهذا أبلغ في استبعاد أن يكون استقى من أهل الكتاب وغيرهم، وأنه لم يطلع على التوراة والإنجيل، ولم يقرأها أحد عليه، كما أنهﷺ لم يتلق عن أهل الكتاب ما زعموه مطلقا، ولم يكن يجالس أهل الكتاب قبل البعثة، ولقاءاته بهم بعد بعثته ﷺكانت على قلتها عامة بغرض دعوتهم، لا

[1] ترجم له ص ٣٠.

[2] مذاهب التفسير الإسلامي، ص ٧٥ و العقيدة والشريعة في الإسلام، ص ١٥.

للتلقي عنهم، كما حدث مع نصارى نجران ويهود المدينة، وعلى افتراض أنه ﷺ جلس مع أهل الكتاب سرا، فإنه من المستحيل أن يكون هذا الدين العظيم بما فيه من عقائد وشرائع وأخبار وآداب هو حصيلة تلك الاجتماعات مطلقا، وقد ذكر ابن تيمية-رحمه الله- بقوله" وقد علم بالتواتر أن المشركين من قريش وغيرهم، لم يكونوا يعرفون هذه القصص، ولو قدر أنهم كانوا يعرفونها، فهم أول من دعاهم إلى دينه فعادوه، وكذبوه، فلو كان فيهم من علمه، أو يعلم أنه تعلم من غيره لأظهر ذلك، ولو كانت هذه القصص المتنوعة قد تعلمها ﷺ من أهل الكتاب مع عدوانهم له، لكانوا يخبرون بذلك ويظهرونه ولو اظهروا ذلك، لنقل ذلك وعرف، فإن هذا من الحوادث التي تتوفر الهمم والدواعي على نقلها "[١] .

وأما قولهم بالتشابه بين قصص القرآن الكريم، وقصص التوراة، فهذا لا يدل أبدا على الاقتباس من التوراة، وإنما يدل على وحدة المصدر بين الكتب السماوية، بأنها في أصلها وحي من الله تعالى إلى أنبيائه ورسله، ثم إن هناك اختلاف بين قصص التوراة وقصص القرآن الكريم، إذ أن المقْتَبِس لابد أن ينقل الفكرة من القصة أو بعضها، وهذا خلاف القرآن الكريم، فإنه يتجاوز ذلك فيأتي بجديد لم يذكر في قصص التوراة والإنجيل، بل ويصحح خطأ وقع فيها، ولهذا تحداهم الله في القرآن الكريم، أن يأتوا بآية من مثله، فكيف يكون مستقى من التوراة؟ كما قال سبحانه ﴿ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴾ الطور: ٣٤، فإذا كانوا لا يستطيعون ولن يستطيعون وهم بشر، فكيف يتأتى للنبيﷺ أن يأتي به من عنده وهو بشر مثلهم؟، وهذا رد إجمالي على هذه الفرية لعله اتضح في عمومه وإجماله بطلان ما يدَّعون.[٢]

ثالثا: الرد عليها ردا تفصيليا.

إن المزاعم التي يدعيها ويفتريها المستشرقون وتلامذتهم في العالمين العربي والإسلامي، ترجع في أصولها إلى ما كان يدعيه ويزعمه مشركوا مكة حول أصالة ومصدرية القرآن الكريم، ولذلك فإن القرآن الكريم تصدى ووقف بحزم وصرامة في وجه تلك المزاعم والافتراءات، فاضحا

---

[١] ينظر الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، دار العاصمة ، الرياض ، ١٤١٤ هـ، ٣٢٦/٥.

[٢] وللتوسع يُنظر المستشرقون والقرآن الكريم ، د. مُحَّد أمين حسن مُحَّد بني عامر، دار الأمل للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠٠٤م، ص ٢٦٨ و الاسلام في مواجهة الاستشراق، د. عبدالعظيم المطعني ، دار الوفاء، المنصورة، ١٤٠٧هـ ، ص ٥٤٩ .

أمرها، ومبينا بطلانها، وذلك من خلال ما يلي:

أولا: أن القرآن الكريم تحدى أولئك المعاندين، أصحاب اللجاجة والجدل العقيم، الذين لا ينقادون للحقائق والأمور المسلم بها، والذين يرفضون عمدا وإصرارا على الباطل، أي برهان أو دليل حق وإلزام وحجة بالغة ودامغة، فقد تحداهم القرآن كما قال تعالى ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴾ الإسراء: ٨٨ ، قال ابن كثير-رحمه الله- " أخبر أنه لو اجتمعت الإنس والجن كلهم واتفقوا على أن يأتوا بمثل ما أنزل الله على رسوله لما أطاقوا ذلك ولما استطاعوه، ولو تعاونوا وتساعدوا فإن هذا أمر لا يستطاع، وكيف يشبه كلام المخلوقين كلام الخالق الذي لا نظير له ولا مثال ولا عديل له"[١]، وقوله عز وجل ﴿ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ هود: ١٣ ،وقوله سبحانه ﴿ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ يونس: ٣٨، وقوله ﴿ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ إِنِ ٱفۡتَرَيۡتُهُۥ فَلَا تَمۡلِكُونَ لِي مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِۚ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۖ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ الأحقاف: ٨، إلى غير ذلك من الأدلة والآيات التي تحدى الله فيها أولئك القوم أن يأتوا بمثل هذا القرآن الكريم، فكيف للنبيﷺ أن يأتي به من عنده وهو بشر مثلهم؟ فإن كان مُحَمَّد ﷺ قد استطاع بمساعدة أهل الكتاب أن يأتي بالقرآن من عند نفسه، فليحاول أهل الكتاب أنفسهم ومعهم الثقلان من الجن والإنس أن يأتوا بمثل القرآن إن كانوا صادقين في زعمهم مبدأ الإفادة، وهذا التحدي بلا شك مبطل لكل دعاوى أهل الاستشراق والتنصير، يقول د. عبدالراضي مُحَمَّد عبدالمحسن " وهذا التحدي القرآني لمجادلي التنصير يشتمل على دليل بطلان مزاعمهم، إذ التحدي مكلَّل بفشلهم وهو دليل على بطلان دعواهم"[٢].

ثانيا: خلو القرآن الكريم تماما من التناقض والتضارب والاختلاف، فلو حصل هناك مقارنة

[١] تفسير ابن كثير ٣/٦٠.

[٢] الغارة التنصيرية على أصالة القرآن الكريم، د. عبدالراضي مُحَمَّد عبدالمحسن، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ١٤٢١هـ، ١/٦٨.

لوجدنا كتب التوراة والإنجيل التي بأيدي المستشرقين، مليئة بالمتناقضات والاختلافات والاضطراب، لما لحقها من التحريف والتبديل والتغيير، فلم تعد هي الأصل الذي نزل من السماء، أما القرآن الكريم فهو على أصله لم يعتريه أي تحريف ولا تغيير، فهو يدعو إلى تأمل آياته وقصصه وأخباره، فلو حصل هذا التأمل والتفكر ، لوجدنا نتيجة لا يشوبها شك ولا ريب بأن القرآن الكريم منزه عن كل خلل وعيب ونقص ، وهذا دلالة قاطعة على أصالته وأنه وعلى مدار القرون والسنين لم يعتريه أي تغيير، بل ولم يستطع أي كائن بشري مهما علت رتبته العلمية أن يغير فيه أو يبدل، وهذا وحده كاف على أنه كتاب معجز وأنه ليس من تأليف البشر، ولم يأت به النبيﷺ من تلقاء نفسه، أما غيره فيشتمل على وجوه من الاختلاف والتضارب، ولهذا قال تعالى مثبتا إعجاز القرآن الكريم وأصالته ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴾ النساء: ٨٢ ، وقوله عز وجل ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ فصلت: ٤٢، قال ابن كثير- رحمه الله- " أي ليس للبطلان إليه سبيل ، لأنه منزل من رب العالمين"[١]، ومن جهة أخرى نرى القرآن الكريم، قد ألجم مجادليه من المستشرقين وغيرهم من أهل الأهواء، بحقيقتين تاريخيتين، وحجتين دامغتين، أولاهما بيانه لأمية النبيﷺ وأنه لا يعرف قراءة ولا كتابة، وإذا كان كذلك فكيف يكون القرآن من تأليفه؟ كما قال سبحانه وتعالى ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَـٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ العنكبوت: ٤٨، و الحقيقة الأخرى وهي زعمهم أن الذي علم النبيﷺ القرآن هو الحداد الأعجمي، يقول د. عبدالراضي مُحَمَّد عبدالمحسن " فالحداد الذي نسبوا إليه تعليم النبي ﷺ كان لسانه أعجميا لا يجيد العربية بينما القرآن في أعلى طبقات الفصاحة التي سجد لها بعض الأعراب، والتي لا يستقيم عقلا أن يتعلمها النبي ﷺ من أعجمي، كما قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَـٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾ النحل: ١٠٣"[٢] يقول الشيخ العلامة عبدالرحمن السعدي-رحمه الله- "

---

[١] تفسير ابن كثير ٩١/٤.

[٢] الغارة التنصيرية على أصالة القرآن الكريم ص ٦٨/١.

يخبر تعالى عن قول المشركين المكذبين لرسوله ﴿ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ﴾ أي هذا الكتاب الذي جاء به بشر، وذلك البشر الذي يشيرون إليه أعجمي اللسان، وهذ القرآن (لسان عربي مبين) هل هذا القول ممكن؟ أو له حظ من الاحتمال؟ ولكن الكاذب، يكذب، ولا يفكر فيما يؤول إليه كذبه، فيكون في قوله من التناقض والفساد، ما يوجب رده، بمجرد تصوره"[١].

إن هذه المزاعم التي لا تعدو عن كونها كذب وافتراء نابعين عن حقد دفين ، وحسد ذميم، قد تهاوت وتكسرت على جدار الحقيقة، وصلابة الإسلام والقرآن، الحقيقة التي أثبتت أن القرآن الكريم لم يأخذ عن النصرانية ولا اليهودية في قصصه ومضامينه، وإنما العكس هو الصحيح، إذ كان التأثير عكسيا، حيث تأثرت النصرانية واليهودية بالقرآن والإسلام، يقول د. عبدالراضي مُحَمَّد عبدالمحسن " وهذا الاتجاه التأثيري العكسي وإن كان على غير المألوف إلا أن له ما يسوغه، حيث جاءت اليهودية والنصرانية دعوة مرحلية لجماعات قبلية محدودة من البشر، فلمّا أرادت تجاوز طبيعتها وأهداف رسالتها احتاجت إلى عناصر تمكنها من ملاءمة الدائرة الزمانية والمكانية والثقافية الجديدة التي أرادتها لنفسها، ولما كانت تفتقد إلى تلك العناصر التي لم تتوفر إلا للإسلام بحكم طبيعة رسالته العالمية الخاتمة، فإن اليهودية والنصرانية تلمّستا تلك العناصر في الإسلام واقتبستها منه"[٢]، ويقول مالك بن نبي[٣]" حتى إننا لا ندري إلى أيّ مدًى يمكن أن تكون ثورات الفكر المسيحي منذ الحركة الألبية حتى حركة الإصلاح البروتستانتي محسوبة كنتائج مباشرة أو غير مباشرة لمفهوم العقيدة في القرآن "[٤].

ولقد شهدت مؤلفات المستشرقين بذلك، وأثبتت أن الإسلام هو المؤثر القوي في غيره، وأخفقت تلك المزاعم الاستشراقية، ففي قاموس (برتلس مان لديانات العالم) " لقد أثَّر الإسلام تأثيرا عظيما في العقيدة المسيحية والفلسفة، وقاد على سبيل المثال إلى نقاش جديد

---

[١] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ٨٥/٣.

[٢] الغارة التنصيرية على أصالة القرآن الكريم ص ٦٩/١.

[٣]ترجم له ص ١١٦.

[٤] الظاهرة القرآنية، د. مالك بن نبي، ترجمة عبدالصبور شاهين، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م، ص ١٩٢.

حول عبادة الصور وتقديسها في المسيحية "[1].

ولقد كان تأثير الإسلام عاما على العقائد والشرائع والكتب المقدسة اليهودية والمسيحية، وذلك من خلال المبادئ الثلاثة عشر التي جعلها موسى بن ميمون[2] أساس الدين اليهودي وأركان الإيمان فيه، فصاغها على غرار أصول الإيمان في الإسلام، وأدرج فيها بعض أصول الإيمان الإسلامية مما لم يكن معروفا في اليهودية من قبل أو مدرجا في العهد القديم، كالاعتقاد بأن الله عالم، وبالثواب والعقاب في الآخرة، والاعتقاد في بعث الموتى ، وهذا يؤكد اقتباس ابن ميمون هذه الأصول من الإسلام.[3] وأما زعمهم بأن قصص القرآن الكريم مستنسخ ومكرر من قصص التوراة والإنجيل، فهذه الفرية متهاوية ومتصدعة كالدعوى التي قبلها، إذ أن معاشر المستشرقين وتلامذتهم وسفراءهم في العالمين العربي والإسلامي، يتجاهلون عمدا ذلك التباين والبون الشاسع بين قصص القرآن الكريم، وبين ما ورد في التوراة والإنجيل، وذلك يتجلى من خلال ما يلي:

أولا: الاختلاف الواضح البين بين المنهج القصصي في القرآن الكريم، عن المنهج القصصي في التوراة والانجيل، شكلا ومضمونا، ولغة ودراية، وذلك يتبين جليا من سياق ما يلي:

أ) أن المصدرية القصصية في القرآن الكريم هي من عند الله جل وعلا، فمنه أتى ونزل، وهو كلمه الطيب المحكم، وهو أحسن القصص على الإطلاق وأجمله، شكلا ومعنى ومضمونا، الذي لا يعتريه نقص ولا خلل، كما قال سبحانه عن نفسه ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ يوسف: ٣ ، أورد الإمام الطبري وابن كثير- رحمهما الله-" عن ابن مسعود أن أصحاب رسول الله ﷺ ملوا ملة فقالوا : لو قصصت علينا يا رسول الله ، فنزلت هذه الآية ، ثم ملوا ملة أخرى فقالوا : لو حدثتنا يا رسول الله ، فنزلت ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا ﴾ الزمر:

---

[1] Religionen der Welt , Bertelsmann Handbuch , S: 183 , ders

[2] موسى بن ميمون بن يوسف بن إسحاق، أبوعمران القرطبي، طبيب فيلسوف يهودي، ولد وتعلم في قرطبة، وتنقل مع أبيه في مدن الاندلس، وتظاهر بالاسلام، وقيل، أكره عليه، فحفظ القرآن وتفقه بالمالكية، ودخل مصر، فعاد إلى يهوديته، وأقام في القاهرة ٣٧ عاما كان فيها (من سنة ٥٦٧ هـ رئيسا روحيا لليهود، كما كان في بعض تلك المدة طبيبا في البلاط الأيوبي، ومات بها ودفن في طبرية (بفلسطين) له تصانيف، الأعلام للزركلي ٣٢٩/٧.

[3] وللمزيد ينظر الغارة التنصيرية على أصالة القرآن الكريم ص ٥٢-٥٣.

٢٣ "[1] وقوله جل شأنه ﴿ نَّحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ نَبَأَهُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى ﴾ الكهف: ١٣ ، أما في كتب التوراة والإنجيل، فالله متحدث عنه بطريق الحكاية لتعريف الناس به.

ب) الاختلاف الواضح البين بين المنهج القصصي في القرآن الكريم، عن المنهج القصصي في التوراة والانجيل، وذلك من خلال الخيال القصصي، فالخيال القصصي في التوراة والانجيل يقوم بدور كبير في تأليف وصياغة القصص، سواء كان ذلك في الأسلوب أم في العرض، وهذا التأليف وهذه الصياغة لم يكتشفها الباحثون من العلماء المسلمين فحسب، بل اكتشفها الباحثون الغرب أنفسهم، ومنهم جيمس فريزر[2] عن الفلكلور[3] في العهد القديم، الذي كشف في دراسة له، خفايا هذا التأليف وهذه الصياغة، وتعد هذه الدراسة من المرجعيات في هذا الأمر.[4] وهناك أيضا دراسة لا تقل شأنا من تلك، وتعد أيضا مرجعا مهما عند الغرب، وهي دراسة زينون كاسيدوفسكي عن الحقيقة والأسطورة في التوراة والتي لخّص فيها مكانة الخيال والخرافة في القصص التوراتي، بقوله: " تناقل اليهود تراثهم الديني من جيل إلى جيل، وساهم الطابع الفلكلوري لنقل الروايات الحقيقية بتطعيمها بكثرة من الخرافات والأساطير والأمثال والأقصوصات، جعلت من الصعب الآن التمييز بين الواقع والخرافة فيها "[5] ، وهذا شهادة حق شهد بها شاهد من أهلها، على خرافة القصص التوراتي والإنجيلي المحرف، تكون حجة

---

[1] تفسير الطبري ٤٤٦٢/٦-٤٤٦٣ وابن كثير ٤٢٥/٢ و المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي ،تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية ، بيروت، ١٤٢٢ هـ ، ٤٧٧/٣و سيكولوجية القصة في القرآن، د. التهامي النقرة، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ١٩٧٤م، ص ٨٠.

[2] جيمس چورج فريزر James George Frazer أخد لقب سير Sir ، ولد في جلاسجو، اسكوتلاندا، ١ يناير سنة ١٨٥٤، توفى في جلاسجو، اسكوتلندا ٧ مايو سنة ١٩٤١م ، عالم انثروبولوجيا إسكوتلندي، الف كتابه المشهور و الضخم " الغصن الذهبي " The Golden Bough وهو عباره عن دراسة في السحر و الدين ، الموسوعة الحرة ويكيبيدياو كتاب الغصن الذهبي، جيمس فريزر، ترجمة د. أحمد أبو زيد، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، ١٩٧١م، ص ٩-١١.

[3] الفلكلور مجموعة الفنون القديمة والقصص والحكايات والأساطير المحصورة في مجموعة سكانية معينة في أي بلد من البلاد، ينظر معجم المعاني مادة فلكلور.

[4] يُنظر الفلكلور في العهد القديم ، جيمس فريزر ، ترجمة نبيلة إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٣م .

[5] الحقيقة والأسطورة في التوراة، زينون كاسيدوفسكي، الأبجدية للنشر، دمشق ١٩٩٠م ص ٥٢.

على أولئك المستشرقين من أوساطهم ومن ذواتهم.

ولم تعد الأساطير والخرافات مقتصرة على العهد القديم للتوراة والانجيل، بل انتقلت بتحريفاتها إلى العهد الجديد، ولذلك قام أحد رواد مدرسة الأشكال الأدبية وتاريخ الأديان رودولف بولتمان، بتطهير العهد الجديد من براثن الخرافات والأساطير، وهذا إثباتا على أنها موجودة في كتبهم المحرفة، حتى يكون لها قيمة (على حد زعمه)، وإن مما قاله في ذلك " تقف المسيحية اليوم أمام خيار عسير، فبمطالبتها الإيمان بعقائدها فإنها تشق على البشرية بإلزامها التسليم بقصص وخرافات أسطورية عفا عليها الزمن"[1].

أما القرآن الكريم فيختلف عن ذلك تمام الاختلاف، فلا مكان للخيال القصصي فيه، ولا طريق له إليه، فقصصه كله حق ، حيث يلجأ القرآن في قصصه إلى الاحتكام لمعياره النقدي في نقل الأخبار كما قال عز وجل ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ﴾ الحجرات: ٦، فهو ينقل أخبار ووقائع وقصص واقعية لا مجال فيها للكذب والتدليس، تحكي أحداثا تاريخية صادقة ظاهرة للعيان، واضحة جلية لا غموض فيها ولا خفاء كما قال سبحانه ﴿ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴾ آل عمران: ١٣٧، ولقد أثبت القرآن الكريم صدق ما جاء فيه من قصص وحوادث ووقائع في الأمم السابقة لسوق العظة والاعتبار لتجنب ما وقعت فيه ، وذلك من خلال آثار القصص القرآني الشاهدة على الصدق التاريخي، مثل آثار سيل العرم الذي هدّم سد مأرب باليمن، فلا زالت آثار الجنتين الواقعتين عن يمين السد وشماله ماثلة حتى اليوم تؤكد صحة قصة سبأ كما أخبرنا الله عن ذلك بقوله ﴿ لَقَدۡ كَانَ لِسَبَإٖ فِي مَسۡكَنِهِمۡ ءَايَةٞۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٖ وَشِمَالٖۖ كُلُواْ مِن رِّزۡقِ رَبِّكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥۚ بَلۡدَةٞ طَيِّبَةٞ وَرَبٌّ غَفُورٞ ﴾ سبأ: ١٥ ، قال ابن كثير –رحمه الله– في شأن هذه الواقعة " كانت سبأ ملوك اليمن وأهلها، وكانت التبابعة منهم وبلقيس صاحبة سليمان عليه الصلاة والسلام من جملتهم، وكانوا في نعمة وغبطة في بلادهم وعيشهم واتساع

---

[1] Rudolf Bultmonn , Neues Testament und MyThologie , S : 21 , in Kergma und MyThos, Hrsg . von : Hans - Werner Hamburg 1960.

أرزاقهم وزروعهم وثمارهم، وبعث الله تبارك وتعالى إليهم الرسل تأمرهم أن يأكلوا من رزقه ويشكروه بتوحيده وعبادته، فكانوا كذلك ما شاء الله تعالى، ثم أعرضوا عما أمروا به، فعوقبوا بإرسال السيل والتفرق في البلاد أيدي سبأ ، شذر مذر"[1]، وفي الجانب الآخر، اكتشف علماء الآثار النقوش الثمودية في أرض تبوك ومدائن صالح وتيماء ولا زالت مرفقا سياحيا وموقع عظة واعتبار حتى اليوم[2] .

إن هذه الوقائع لتدل على صدق القرآن الكريم، وحقيقة قصصه ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ آل عمران: ٦٢ ، ولهذا جاء القرآن الكريم ليصف قصصه بأنه ﴿أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ يوسف: ٣ ، وذلك لتوافر الخبر والعلم والمعاينة في آن واحد ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ﴾ الأعراف: ٧ ، ولقد دأب القرآن الكريم على التعبير بالصورة المحسوسة الحقيقية، وهذا المنهج القرآني الفريد هو الأداة المفضلة في عرض القصص . وكذلك تفرد القرآن الكريم بخاصيتي التصريح والتلميح، فتارة يصرح وأخرى يلمح، بما يبرز فيه من أدق التفاصيل النفسية والشعورية لشخصيات القصص، فيعرض للقارئ والمستمع تلك المشاهد والتفاصيل دون التعرض لذكر الأسماء، كما هو الحال في قصة (العبد الصالح) و (فتى موسى) و قصة ثمود ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا﴾ الشمس: ١٢ و (مؤمن آل فرعون) ، وهذه الخصائص وغيرها لا تتوافر في أي كتاب منزل إلا القرآن الكريم، مما يؤكد كذب وافتراء المستشرقين في ما أوردوه من الشبهة حوله، يقول د. حسين علي مُحَّد "وقد يكون هذا التلميح إلى جانب ملاءمته للمنهج القصصي الذي يهتم بإبراز الحدث وقيمته ومغزاه لكونه الهدف من القصّ، فإنه يناسب طبيعة التشريع الإسلامي فيما يخصُّ أسماء النساء مثلا: امرأة نوح وامرأة لوط وامرأة فرعون ، وكذلك زوجة إبراهيم هاجر وسارة ، وأسماء زوجات النبي ﷺ ، والمجادلة في زوجها "[3] .

وإن مما يثبت صدق قصص القرآن الكريم وحقيقته، وأن ليس بينه وبين القصص التوراتي

[1] تفسير ابن كثير ٣/٤٩٤.

[2] ينظر مصادر التاريخ، سيدة إسماعيل كاشف، دار الرائد العربي، بيروت – لبنان ، ١٩٨٣ م ص ١٦.

[3] القرآن ونظرية الفن، د. حسين علي مُحَّد، القاهرة، ١٤١٣ هـ ، ١٩٩٢م، ص ١١٢.

والانجيلي أي تشابه، التجريد الزماني والمكاني، حيث لا يحدد القرآن زمن الحدث أو مدته أو مكانه إلا ما كان محوريا في الحدث أو مسرحا له كمصر في قصة يوسف ، وكذلك في قصة الإسراء والمعراج من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وكما في قصة نوح عليه السلام، وقصة أصحاب الكهف في نومهم، وكما في قصة الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها في سورة البقرة، ولعل من أسباب وجود التجريد الزماني والمكاني في قصص القرآن الكريم، العناية التي أولتها القصة للحدث الذي وقع فيها، إذ أنها تقرر الحقائق وتستقل بها عن ذكر الأشخاص بعينهم، ويمكننا من خلالها الإفادة من الحكمة والمغزى لهذه القصة في كل زمان ومكان بما يتناسب وعالمية القرآن الكريم واستمرارها ، فما دور الأشخاص في هذه الحال إلا أمثلة لتلك الحقائق التي تضمنتها تلك القصة المقصودة لذاتها، وكذلك نجد أن الإيجاز الغير مخل، قد تحقق في قصص القرآن ، إيجاز في العبارة وإيجاز في السرد لا نجد شبيها له في غيره من الرسالات، وهذا بلا شك دلالة على الإعجاز العظيم الذي يتمتع به هذا الكتاب العزيز.[1]

وإن مما تفرد به القرآن الكريم، وبرهن على صدقه وأصالة مصدريته، التنويع بين الإجمال والتفصيل، فيذكر في قصصه تارة، التحذير من العناد والتكذيب والإصرار على الباطل، والتخويف من مصائر المكذبين، يكون بالإيجاز والفواصل القصيرة دون ذكر للأسماء أو للمحاورات ، فعلى سبيل المثال يورد القرآن الكريم ، تسع آيات من سورة الفجر فيها ثلاث قصص لمكذبي الرسل تشمل أعمالهم وعقابهم، كما قال عز وجل ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿٨﴾ ﴾ الفجر: ٦ – ٨ والقصة الثانية في قوله سبحانه ﴿ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴾ الفجر: ٩ والقصة الثالثة في قوله جل شأنه ﴿ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾ ﴾ الفجر: ١٠ – ١٤ ، وهذا الذي لا ند له ولا نظير في كتب التوراة و الإنجيل، فهو يثبت يقينا أنه ليس من تلقاء بشر،

[1] يُنظر أدب القصة في القرآن الكريم، عبد الجواد المحص، الدار المصرية، الاسكندرية، ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠م، ص ٢٥٥.

وأنه لم يقتبس أو يأخذ من كتب التوراة والإنجيل شيئا، وأن الشبهة مردودة على أهلها بقوة الدليل، وثبوت الحقيقة.[1]

كما أن ختام القصة وعاقبتها في القرآن الكريم، يكون في الغالب في قالب من العبرة والعظة والحكمة، وتقرير موجز ، كما في قصة موسى عليه السلام والسامري والعجل كما قص الله علينا ذلك بقوله ﴿ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾ طه: ٩٨ ، وكذلك في قصة أهل الكهف كما في قوله تعالى ﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ الكهف: ٢٦ ، وأيضا في قصة يوسف عليه السلام ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ يوسف: ١٠٠ .

وفي قصة مريم وابنها كما في قوله تعالى ﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ ﴾ مريم: ٣٤ – ٣٥ ، فيعطي القارئ والسامع خاتمة قصصية تتجلى فيها معاني العظة والعبرة، وبأسلوب واضح جلي، يتسم بالإيجاز والجمال، بينما الختام في قصص التوراة والإنجيل، يختلف تمام الاختلاف، حيث تختم القصة مع نهاية السفر أو الإصحاح، ففي قصة يوسف مثلا يفترض أن تكون الخاتمة في لقاء يوسف بأبيه يعقوب الذي صورته التوراة على النحو التالي" فشد يوسف مركبته وصعد لاستقبال إسرائيل أبيه إلى جاسان[2]، ولما ظهر له وقع

[1] وللمزيد ينظر سيكلوجية القصة في القرآن، التهامي نقرة، ص ٩١.

[2] اختلف علماء الآثار في تحديد المنطقة التي أقام بها أسباط يعقوب عند مجيئهم إلى مصر، منذ حوالي ٣٤ قرناً مضت، وبينما تطلق التوراة اسم جاسان على مكان سكنى اخوة يوسف فعندما وافق ملك مصر على حضور عائلة يوسف الصديق للإقامة في بلاده، لم يسمح لهم بالتجول فيها كما يشتهون، بل حدد لهم موقعاً معيناً يعيشون فيه، بالقرب من الحدود المصرية في سيناء. وبحسب ما جاء في سفر التكوين التوراتي، فإن الأرض التي سكنها آل يعقوب كانت تسمى

على عنقه وبكى على عنقه زمانا، فقال إسرائيل ليوسف أموت الآن بعد ما رأيت وجهك أنك حيّ بعد.[1] يقول د. حسين مُحَمَّد علي " ومع أن عبارة يعقوب لم تمس سبب العقدة الأصلية في القصة وهي رؤيا يوسف وتآمر إخوته عليه، فإن القاصّ في التوراة يكمل الأحداث بعد هذا اللقاء ليصف لقاء يعقوب بالفرعون، والمكان الذي أقطعه لبني إسرائيل، ومرض يعقوب وموته"[2]، ومن هنا يتبين لنا الاختلاف بين المنطق التعبيري القصصي للقرآن الكريم ، ومنطق التوراة، حيث أثبت هذا الاختلاف استقلالية القرآن الكريم في قصصه ومضمونه، وأنه وحي من الله تعالى لم يعتريه تحريف ولا تبديل، مثل ما حصل للتوراة والإنجيل، وأن القرآن الكريم لم يستقي قصصه لا من التوراة ولا من الإنجيل.

وللتباين في الأهداف دور كبير في هذا الاختلاف، إذ أن أهداف القصة في القرآن الكريم، تختلف تماما عن أهداف القصة في التوراة والإنجيل، وذلك من خلال ما يلي:

أولا: يشكل العهد القديم والعهد الجديد سجلا تاريخيا لحياة الشعب الإسرائيلي والنصراني، فهو كتاب تاريخ للاعتقاد والرؤساء والأنساب والتقاليد والنظم الاجتماعية والعلاقات الشخصية، لذلك جاءت عناوين الأسفار ملخّصة لمضمون تاريخها، مثل سفر التكوين الذي يؤرخ لبدء الخليقة، وسفر الخروج الذي يؤرخ لخروج اليهود من مصر، وسفر العدد الذي يحصي أعدادهم، وسفر اللاويين الذي يؤرخ لأحكام الكهنة من بني لاوي، وسفر التثنية الذي يعيد الأحكام والفروض والوصايا، ولما كان الهدف من الكتابين التأريخ جاءت القصص فيهما في إطار الهدف العام، فجاءت سردية تاريخية متنوعة ما بين التأريخ للأنساب كما في الإحصاءات التي يقوم بها العهد القديم لأعداد بني إسرائيل الداخلين إلى مصر والخارجين منها والداخلين إلى فلسطين والمهجّرين منها.[3] ويتضح مما سبق ، أن القصص التوراتي والإنجيلي لا

=«جاسان». وبالرغم من وجود اتفاق عام بين الباحثين على أن أرض جاسان لا بد وأن تكون في شرق الدلتا، فإنهم اختلفوا في تحديد موقعها، ينظر جريدة الشرق الأوسط، العدد ٧٩٤٣، الاحد ٢٦ جمادى الاولى ١٤٢١ هـ ٢٧ اغسطس ٢٠٠٠ م.

[1] ينظر الموسوعة الكنسية لتفسير العهد القديم، سفر التكوين، كهنة وخدام كنيسة مار، مطبعة دير الشهيد ، مصر ، ٢٠٠٦م، ٤٦ / ٢٩ . ٣٠ .

[2] القرآن ونظرية الفن، ص ١١٣.

[3] ينظر الغارة التنصيرية على أصالة القرآن الكريم ١/١٠٧-١٠٨.

يعدوا عن كونه سرد تاريخي بأحداث تاريخية، ليس لها أي أثر إيجابي في النفس والوجدان، ولا تملك أدني درجات التشويق لمن يقرأها أو يسمعها، تضم كلاما ركيكا غريبا لا تكاد النفس أن تصل إلى ما يرمي إليه ، ولا إلى الهدف الذي يريد تحقيقه في النفس البشرية.

ثانيا: أن القصص القرآني جاء لأهداف وغايات عظمى، لمن أمعن النظر، وأطال التفكير، وأدرك المعاني بالتأمل، وليس مسوقا لذاته ، أو مجرد سوق وسرد تاريخي بحت، لأنه مبني على توجيه رباني كريم، فليس من كلام البشر ولا منقولا من كتب وأسفار ومعاجم، كما قال تعالى ﴿ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ الأعراف: ١٧٦، وجاء القصص أيضا ليحقق هدفا أسمى، وغاية عظمى، وهي تحقيق التوحيد والعقيدة والدلالة عليهما، كما تبين ذلك من خلال قصة نوح مع قومه، وإبراهيم مع أبيه وقومه، وموسى مع فرعون، كما قال تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ الأنعام: ٧٤، وقوله عز وجل ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ المؤمنون: ٢٣، ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَـٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ الأعراف: ١٠٤ – ١٠٥، وفي قصص القرآن الكريم تثبيت للنبي ﷺ وللمؤمنين على الدين، ودفعا لهم في المضي قدما لنشر دعوة التوحيد وجهاد الأعداء، وتثبيت دعائم الإسلام، رغم ما يلقونه من الأذى وتعنت المشركين، وتكبد كل عناء ومشقة، وبذل النفس والنفيس في سبيل الله، فالله يقص على رسوله والمؤمنين أنباء ما قد سبق ليكون لهم زاد وبلاغا إلى حين، كما قال تعالى ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَجَآءَكَ فِى هَـٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ هود: ١٢٠، وفي قصص القرآن الكريم فصلا للخلاف والاختلاف والتضارب في قصص التوراة والإنجيل، كما قال عز وجل ﴿ إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ النمل: ٧٦ ، وهذا الهدف يختلف عما قبله، إذ أنه يرد الشبهة التي تقول إن القرآن يستمد قصصه من التوراة والإنجيل والعهد القديم، وفيه دليل قاطع على تهافت الجدليات التنصيرية، بأن القرآن الكريم،

تكرار للقصص في التوراة والإنجيل، يقول د. عبدالراضي مُحَمَّد عبد المحسن " لأنه (أي القرآن الكريم) يتضمن التفسير المقنع لمواضع التشابه بين القصص القرآني وقصص الكتب السابقة، فما جاءت به الكتب السابقة في مقام ادعاء المدعي، أما قصص القرآن فهو حقيقة الحدث الذي جرى يحكيه القاضي الفاصل في دعوى المدّعي، مبيِّنا به وجه الخطأ والصواب في مزاعم الادعاء ومقررًا الحقيقة التاريخية في الحدث لكل العالمين"[1].

ومن أهداف القصص القرآني أيضا، تحقيق العظة والاعتبار في النفس البشرية، لتعتبر بمن سبق وتأخذ الحيطة والحذر، وتكف عن غيها وتماديها في الخطأ والعصيان، كما قال عز وجل ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ يوسف: ١١١، ولعل معظم قصص القرآن الكريم، جاء للعظة والاعتبار، من باب القياس الطردي أو القياس العكسي، فيما يقع بالمشركين، ومن خالفوا الرسل من عقوبات وجزاءات ، أنها ستكون مرصادا لكل من حذا حذوهم أو سار في طريقهم، أو فعل فعلهم.

ولذلك عندما يقص علينا القرآن الكريم ما اقترفته الأمم السابقة من فساد أخلاقي، فإنه يقرن ذلك القصص بما استحقه المفسدون من عقاب وعذاب أليم، ويلازم ذلك الطلب من الناس بالتفكر والتأمل فيما حصل من أجل العظة والاعتبار والتخويف، كما قال عز وجل في قصة قوم لوط عليه السلام ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ الأعراف: ٨٤ ، وفي قصة ثمود قوم صالح عليه السلام، بين القرآن الكريم جزاء من يفعل السيئات مثلهم، وذلك في مقام الترهيب من الوقوع في فعلهم، ورغب في الجانب الآخر في ثواب من آمن واتقى وأصلح وابتعد عن العصيان والمخالفة، كما في قوله تعالى ﴿ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ (٥١) فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٥٢) وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٥٣) ﴾ النمل: ٥١ – ٥٣ ، ولقد

---

[1] الغارة التنصيرية على أصالة القرآن الكريم ١/ ١١٠.

تميز القرآن الكريم عن غيره من الكتب السماوية، بخاصية القوة في الحجة والإقناع فيما يورده من القصص، وذلك بعرض القصة المناسبة للموقف المناسب، مضمنة الحوار الهادئ ، المتضمن لدعاوى المخالفين والمعاندين للأنبياء والرسل، ثم تورد القصة دور الأنبياء في ردودهم المشتملة على القوة الإقناعية العامة، التي كأن القائل لها هو رسول اللهﷺ ، أو أي داعية إلى الله من السلف أو الخلف، وذلك لأن دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام واحدة، ومنهجهم واحد، ومن الأمثلة على ذلك للتوضيح ، لا للحصر ، الحوار التي جرى بين نوح عليه السلام وقومه، كما في قول الله عز وجل ﴿ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِىٓ أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمۡۖ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ هود: ٣١ ، وقوة القرآن الكريم في إقناع الخصم، دلالة على قوة المصدر، وأنه كلام الله تعالى، وليس مأخوذا من التوراة ولا من الإنجيل، وفي هذا إبطال لشبهة المستشرقين ، في أن قصص القرآن الكريم مأخوذا من قصص التوراة والإنجيل والعهد القديم.

ومما يثبت أن قصص القرآن الكريم، ليس مأخوذا من غيره من الكتب، إثبات قدرة الله تعالى المطلقة، من خلال عرض القصص، ومن ذلك ما جاء في قصة خلق آدم عليه السلام من العدم، كما قال تعالى ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ آل عمران: ٥٩ ، أو قصة خلق عيسى بن مريم عليه السلام من دون أب ، كما قال عز وجل ﴿ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابًا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتۡ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِى بَشَرٌ وَلَمۡ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌۖ وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةً مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمۡرًا مَّقۡضِيًّا ﴿٢١﴾ ﴾ مريم: ١٧ – ٢١ ، وكذلك إثبات قدرة الله تعالى على إحياء الموتى ، كما في قصة إبراهيم عليه السلام مع الطير، قال تعالى ﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيۡفَ تُحۡىِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِىۖ قَالَ فَخُذۡ أَرۡبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ

إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ البقرة: ٢٦٠ ، وقصة البعث والنشور في قصة الذي أماته الله مائة عام ثم بعثه، ﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ البقرة: ٢٥٩ ، وفي هذه الأدلة وغيرها ، رد قاطع على فرية القول بأخذ القرآن من قصص أهل الكتاب، وإبطال لها بقوة الحجة، وعلو الدليل.

والقرآن الكريم قد انفرد بقصص لا يوجد له نظير ولا شبيه في كتب التوراة والإنجيل، وهذا دليل قوي جدا ورد قاطع على شُبه المستشرقين، وإثباتا لبطلانها، يقول د. عبدالجواد المحص " يعد هذا الدليل من أبرز أدلة (نقد النص) وأهمها في بيان تهافت دعوى تكرار القرآن لقصص التوراة والإنجيل، بسبب كون المصدر المزعوم الإفادة منه يفتقد مادة المرويات القصصية ويجهل كل شيء عنها، وذلك في حالة القصص الكاملة التي انفرد بها القرآن، ويزيد الأمر قوة في الإثبات والإفحام عندما تتعلق المرويات ببعض التفاصيل الدقيقة التي أتى بها القرآن الكريم في القصص المتناظرة مما لم تذكره كتب العهدين"[١]، ومن الأمثلة والأدلة القوية على انفراد القرآن الكريم بالقصص، القصص الكاملة ، مثل قصة صالح و هود و شعيب و الخضر و ذي القرنين وغيرها، وما فيها من التفاصيل الدقيقة، التي خالف فيها كتب التوراة والإنجيل، ومن ذلك أمْر الله تبارك وتعالى للملائكة بالسجود لآدم ، وامتناع إبليس عن ذلك، ومن ذلك أيضا تحطيم إبراهيم عليه السلام لأصنام قومه ونظرته في النجوم، وقوله إني سقيم، ومحاجته لهم، ومحاولتهم إحراقه بالنار، وإسكانه لزوجه هاجر وابنه إسماعيل بجوار المسجد الحرام، واشتراكه هو وابنه إسماعيل في رفع قواعد البيت العتيق، وكذلك محاورة نوح عليه السلام مع

---

[١] أباطيل الخصوم حول القصص القرآني، د. عبد الجواد المحص، الدار المصرية، الإسكندرية، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م، ص ٤٦ – ٤٨.

ابنه الكافر، ومحاولته إنقاذ ابنه من الهلاك ورغبته في إسلامه والنجاة من النار، ومحاورة نوح مع الله في قضية ابنه.

وكذلك قصة امرأة العزيز مع يوسف عليه السلام وتمزيقها لقميصه، ودعوتها للنساء بعدما سمعت بحديثهن عنها وعن يوسف، وتقطيع أيديهن، وقصة سحرة فرعون والتقام العصا بعدما انقلبت بأمر الله حية عظيمة التي التهمت حبالهم وعصيهم، وسجودهم وإيمانهم بالله، ومحاورتهم لفرعون، وقصة الرجل الثاني الذي أراد موسى عليه السلام أن يبطش به، في حال أن العهد القديم يدعي أن هذا الشخص عبراني، وأيضا قصة السامري الذي صنع العجل لبني إسرائيل في حين أن التوراة تذكر أنه هارون عليه السلام، وأيضا ما ذكرة القرآن الكريم عن الرجل المؤمن من آل فرعون الذي كان يكتم إيمانه، ودافع عن موسى حين هموا بقتله، وذلك الرجل الذي جاء من أقصى المدينة يسعى فنصح موسى بالخروج من أرض مصر، وكذلك ما ذكره القرآن الكريم من قصة موسى مع شيخ آل مدين من أن للشيخ ابنتان، بينما تذكر التوراة أن له سبع، ومحاورة فرعون وهامان في بناء الصرح، وأمر موسى لقومه بذبح البقرة ومحاورتهم معه، وقصة أصحاب السبت ومسخهم قردة بعد أن اعتدوا فيه، وما قصه القرآن الكريم من تسخير الله الشجر والطير والحديد لداود عليه السلام، وتسخير الجن والريح لسليمان عليه السلام، وقصة الهدهد، وكتاب سليمان لملكة سبأ وإسلامها وإحضار عرشها بلمح البصر من قبل الذي عنده علم الكتاب، وكلام عيسى في المهد، وما صنعه عيسى من الطين كهيئة الطير وصيرورته طيرًا بإذن الله، وقصة المائدة، كل ذلك دليلا قاطعا وحجة دامغة على أن القرآن الكريم كلام الله المباشر إلى رسوله ﷺ ، وأنه لم يتلقى قصصه من التوراة والإنجيل ولا من العهد القديم.[١]

وبالمقارنة بين قصص القرآن الكريم وقصص التوراة والإنجيل في نتائج القصص المتناظر، نجد نتيجة حتمية ، ومعيارا موضوعيا، تتهاوى معهما جدليات ومزاعم المستشرقين والمنصرين، التي تزعم كذبا وافتراء تكرار قصص القرآن الكريم لقصص العهد القديم والجديد، وذلك لما ظهر من اختلاف جوهري وتفصيلي واضح أثناء المقارنة والمقابلة بين النصوص في الكتب الثلاثة، مما يحسم بشكل قاطع بطلان هذه الشبهة وردها على أعقابها. وبهذا يتبين جليا أن

[١] ينظر الغارة التنصيرية على أصالة القرآن الكريم ١/١١٣-١١٦.

القصص القرآني قد خالف القصص التوراتي والإنجيلي في تفصيلات دقيقة، وأن مقررات العلوم، الطبيعية والفيزيائية والإنسانية والأثرية، قد وافقت التفصيلات القرآنية بينما خطّأت الروايات التوراتية والإنجيلية، فسوف يكون ذلك أنصع برهان علمي على تهافت مزاعم الجدل التنصيري حول القصص القرآني خاصة، وحول أصالة القرآن عامة.

وفي جانب آخر من الجوانب التي تثبت ثبات القرآن الكريم على ما هو عليه منذ أنزل على النبيﷺ لم يعتريه نقص ولا تغيير، ولم تدخله أية اقتباسات أو إضافات من كتاب آخر، وأنه مختلف تماما عن الكتاب المقدس والتوراة والإنجيل، سرده لقصة ابني آدم وقتل الأخ لأخيه، فبينما يذكر سفر التكوين الاسمين الصريحين لقابيل وهابيل، بينما اكتفى القرآن الكريم بذكر قصتهما ولم يذكر الأسماء إذ لا حاجة ولا مصلحة لذكرهما، وإنما العبرة بالعظة والاعتبار والبعد عن الحسد والبغضاء واقتراف الذنب من قتل وغيره، وقد جاء ذكرهما في الآثار فلا حاجة للتكرار، ومهما تكن أسماؤهما، فالقصة تتحدث عن ابني آدم "الإنسان"، وهذه الجريمة الأولى تم توظيفها مباشرة في القرآن لفرض تحريم عام، كما قال تعالى ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ المائدة: ٢٧ - ٢٩ بينما نرى في الكتاب المقدس أن أول ما أُعطيت هذه الوصية للبشر كان عن طريق موسى عليه السلام ، والقرآن يعترف أن الإسرائيليين هم أول من تسلّم هذه الوصية، مثبّتاً أهميتها ، كما قال عز وجل ﴿ مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡأَرۡضِ لَمُسۡرِفُونَ ﴾ المائدة: ٣٢، لا يوضح الكتاب المقدس سبب رفض الله لتقدمة

قابيل[1]، ويشير القرآن الكريم إلى تعديات سابقة له أدّت إلى عدم قبول تقدمته ﴿ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾.

وإذا أتينا إلى نهاية القصة، نجدها مختلفة تماما عنها في القرآن الكريم، وذلك أن الكتاب المقدس يذكر أن القاتل هرب واختفى، دون أن يتحدث عن صفح الله عنه، بينما القرآن الكريم يذكر كيف أن القاتل تعلم من الغراب كيف يدفن أخاه، فيندم على ما فعل، ولم تقف النهاية في القرآن الكريم عند هذا الحد فحسب، بل أسس عقوبة صارمة كعقاب لمن تجرأ على قتل نفس بريئة بغير حق ، حفظا للنفس البشرية، ودرءاً للظلم، كما قال عز وجل ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ المائدة: ٣٢ – ٣٣.

وخلاصة القول في الرد على هذه الفرية أن قصص القرآن الكريم، قصص موحى من الله تبارك وتعالى العالم بما كان وما يكون وما سيكون، إلى رسولهﷺ وأنه قصص حق فيما تضمنه من حوادث ووقائع منذ أن خلق آدم وأهبطه إلى الأرض، ثم بَعْثه لرسله عليهم الصلاة السلام، وآخرهم نبينا مُحَمَّدﷺ ، وأنها كلها صحيحة وموافقة لمقتضى الحال والدليل، وموافقة لمقتضى العقل البشري، بخلاف القصص التوراتي والإنجيلي الذي تتابعت على تحريفه أيدي البشر، فصار قصصا خياليا لا يتوافق والحقائق ولا يستوعبه ويصدقه العقل البشري، بل إنه يفتقد الدليل العلمي والبحثي الصحيح، فكيف والحال هذه أن يستمد منه القرآن مضمونه القصصي؟ ولا سيما تلك الاختلافات الكثيرة التي وجدناها خلال استعراض الرد على الشبهة

[1] ينظر سفر التكوين ٤/١-١٠.

بين القرآن الكريم، والتوراة والإنجيل، والعهد القديم والجديد. فتبين لنا بطلان تلك الشبهة والفرية التي أريد منها خلط قصص القرآن الكريم بقصص التوراة والإنجيل، لإثارة الشكوك حول القرآن والإسلام، وخصوصا فيما هو متعلق بالقصص، بهدف التشويه لصورة القصص وصد الناس عن دين الإسلام، ولكن ومع كل هذه المحاولات المستميتة لإظهار الإسلام في صورة قاتمة ومشوهة، إلا أنه وبفضل الله تبارك وتعالى، تأتي النتائج عكسية لما يأملون، فينتشر الإسلام والقرآن، ويدخل الناس فيه أفواجا، كما قال عز وجل ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ الصف: ٨ .يقول أحد المستشرقين المنصفين وهو واشنطن إيرفينغ[١]" القرآن الكريم يعتبر من أعجز وافضل ما قدم للبشرية من نص مكتوب، لا يمكن ولا بأي حال من الأحوال مقارنته بسواه من النصوص"[٢]

[١] هو واشنطن إيرفينغ Washington Irving ١٧٨٣م-١٨٥٩م كاتب ومؤلف أمريكي ولد في نيويورك لأب اسكتلندي، ويعرف بكاتب سير ومؤرخ دوبلوماسي وكان مشهورا في الأوساط الأمركية وخارجها، ينظر الموسوعة العربية ، الدخول الساعة الخامسة مساء الثلاثاء ١٤٣٦/٨/٨هـ.

[٢] ينظر مُحَمَّد وخلفاؤه ، واشنطن إرفينغ، ترجمة هاني يحى نصري، المركز الثقافي العربي، نيويورك، ١٩٩٩م، ص ٤٥٣.

الشبهة الثانية

أولا: عرض الشبهة وتوثيقها.

دعوى إفادة القرآن من العهد القديم، يقول المستشرق جولدتسيهر " لقد أفاد مُحَّد من تاريخ العهد القديم وكان ذلك في أكثر الأحيان عن طريق قصص الأنبياء، وإن مُحَّداً أخذ يجمع ما وجده في اتصاله السطحي أثناء رحلاته التجارية مهما كانت طبيعة هذا الذي وجده، ثم أفاد من دون أي تنظيم"[1] .

ثانيا: الرد عليها ردا إجماليا.

تهاوت هذه الدعوى والفرية أمام أدلة القرآن الكريم، وحججه الدامغة، وأمام الحقائق العلمية، إذ ليس لدى هؤلاء المستشرقون أمثال جولد تسيهر، ما يثبت دعواهم سوى براهين ملفقة وواهنة مستميتة لا تقف ولا تصمد أمام الأدلة القطعية، والبراهين النقلية، والحقائق العلمية العقلية، وقضية التشابه التي يدعيها المستشرقون إنما هي في أصل الرسالات ومنبعها، إذ أنها ترجع في أصلها إلى مصدرية واحدة وهي أنها من عند الله تبارك وتعالى، وأنها تدعوا في عمومها إلى دين واحد وملة واحدة وهي الإسلام، الذي مضمونه الاستسلام لله تعالى بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والخلوص من الشرك، ولكنها تختلف في مضامينها وشرائعها، فالقرآن الكريم كتاب مستقل في طبيعته ومضمونه وما يحويه من الشرائع والعبادات، وخصوصا فيما يتضمنه من القصص الحق الموافق للعقل والمنطق وللحقائق العلمية، فلا مجال فيه للخيال ولا للكذب ، لأنه كلام الله تعالى المحفوظ على مر السنين والقرون، فلم ولن يعتريه نقص ولا خلل ولا تغيير، فأنى لمثل هذا الكتاب وبهذه الصفات الكمالية ، أن يأخذ قصصه ومضامينه من كتب قد اعتراها التغيير والتحريف والتبديل عن أصلها الذي نزلت به؟ فهذه الشبهة مردودة شكلا ومضمونا، لأنها لا ترقى بأي حال إلى أدنى درجات البحث العلمي الصحيح، يقول الله عز وجل ﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ ﴾ الرعد: ١٧ ، يقول ابن كثير –رحمه الله– " أي لا ينتفع به، بل يتفرق ويتمزق، ويذهب في جانبي الوادي، ويعلق بالشجر، وتنسفه الرياح، وكذلك خبث الذهب

[1] العقيدة والشريعة في الإسلام، ص ١٥و٢٥، و مذاهب التفسير الإسلامي ، ص ٧٥.

والفضة والحديد والنحاس، يذهب ولا يرجع منه شيء، ولا يبقى إلا الماء ، وذلك الذهب الذي ينتفع به"[1] ، وهذا شأن الشبهات التي لا تستند إلى قاعدة علمية صحيحة، ودليل ومستند صحيح، فإنها تذهب جفاء وهباء أمام سحائب الأدلة القاطعة، والحجج الدامغة، والبراهين الساطعة.

ثالثا: الرد عليها ردا تفصيليا.

الإسلام واليهودية والنصرانية وغيرها من الديانات السماوية، في أصلها نزلت من السماء من منبع واحد ومصدر واحد، وكل ديانة لها صفاتها وشرائعها الخاصة بها ، لكن الجميع يدعو إلى أصل واحد وهو الإسلام، وقد أوكل الله حفظ الرسالات السماوية إلى البشر ، ما عدا القرآن الكريم الرسالة العامة إلى كل البشر، فقد أوكل حفظه إليه عز وجل، فلم يعتريه أي نقص أو تغيير أو تحريف، كما أثبت ذلك بقوله ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ الحجر: ٩ ، بينما الرسالات السابقة، لحقها تبديل وتحريف وتغيير، فلم تعد على أصلها البتة، وتفرعت منها كتب كثيرة محرفة، تحمل الوهن والتناقض والتضاد في متونها، فلم يعد بها أي ثقة حتى من أهلها، والرسالات التي جاء بها الأنبياء جميعا منزلة من عند الله العليم الحكيم الخبير، ولذلك فإنها تمثل صراطا واحدا يسلكه السابق واللاحق، ومن خلال استعراضنا لدعوة الرسل التي أشار إليها القرآن نجد أن الدين الذي دعت إليه الرسل جميعا واحد هو الإسلام ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ آل عمران: ١٩ ، والإسلام الذي جاء به القرآن ليس اسما لدين خاص، وإنما هو اسم للدين المشترك الذي هتف به كل الأنبياء، فالإسلام شعار عام كان يدور على ألسنة الأنبياء وأتباعهم منذ أقدم العصور التاريخية إلى عصر النبوة المحمدية، ويتحقق الإسلام بالطاعة والانقياد والاستسلام لله تعالى بفعل ما يأمر به، وترك ما ينهى عنه، ولذلك فإن الإسلام في عهد نوح يكون باتباع ما جاء به نوح عليه السلام، والإسلام في عهد موسى عليه السلام يكون باتباع شريعة موسى، والإسلام في عهد عيسى عليه السلام يكون باتباع الإنجيل، والإسلام في عهد مُحَمَّد ﷺ يكون بالتزام ما جاء به الرسول الكريم ﷺ.[2]

وإننا عندما نقابل بين نصوص قصص القرآن الكريم، ونصوص القصص في التوراة والإنجيل،

---

[1] تفسير ابن كثير ٤٦٤/٢.

[2] ينظر الرسل والرسالات، د. عمر سليمان الأشقر، دار النفائس، الكويت، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، ص ٢٤٣/١-٢٤٤.

نجد دليلا قاطعا، وحجة قوية تبطل معها الشبهة والفرية التي أثارها المستشرقون زورا وكذبا، إذ أن هذه المقابلة تُعَد دليلا موضوعيا، وذلك لأنها تكشف لنا فوارق، واختلافات، وتباين تفصيلية وجوهرية، بين متون القصص في القرآن الكريم ، والتوراة والإنجيل، مما يؤكد قطعا بطلان تلك الدعوى وفشلها، وأن القرآن الكريم لم يقتبس في قصصه شيئا من التوراة والإنجيل ، لا في قصص الأنبياء ولا في غيرها، ويمكن لنا تأكيد ذلك من خلال الاعتبارات التالية:

أولا: أن المقتبس للمعرفة أو القصص وغيره، يقع في مشكلة تكرار الأخطاء الموجودة في مصادره، فيستنسخ الخطأ في الشيء المقْتَبس دون وعي أو إدراك لما سينتج جراء ذلك.

ثانيا: وقوع المقتبس في الخطأ عند محاولته مخالفة المصدر الأصلي ، نظرا لبعد المدة الزمنية التي تفصله عن الأحداث مع قرب المصدر زمنيا من تلك الأحداث ، بل وافتراض معايشته لبعضها ، فإذا ما أضيف إلى تلك الاعتبارات بُعْد موضوعي آخر يتمثل في الاسترشاد بمقررات العلوم ونتائج مكتشفات علماء الحفريات والآثار فيما يخص مرويات القصص المتعلقة بالحقائق الكونية أو التاريخية ، فإنّ جوانب الموضوعية ولوازم المنهجية العلمية ودواعي الإفادة تكون قد توفرت في ذلك النهج ، فإن قادت نتائجه إلى أن القصص القرآني قد خالف القصص التوراتي والإنجيلي في تفصيلات دقيقة ، وأن مقررات العلوم : الطبيعية والفيزيائية والإنسانية والأثرية ، قد وافقت التفصيلات القرآنية بينما خطّأت الروايات التوراتية والإنجيلية ، فسوف يكون ذلك أنصع برهان علمي على تهافت مزاعم الجدل التنصيري حول القصص القرآني خاصة ، وحول أصالة القرآن عامة .[1]

ومن المواضع التي يمكن أن تتم من خلالها المقارنة والمقابلة بين قصص القرآن الكريم وبين قصص التوراة والإنجيل ، المواضع القصصية التالية:

أولا: قصة خلق العالم.

في كتب التوراة ورد ذكر خلق العالم في روايتين من سفر التكوين ، إحداهما تسمى الرواية الكهنوتية التي كتبت بواسطة الكهنة في عصر المنفى[2] ، والأخرى رواية (يهودية) ، أي من بين النصوص التوراتية التي تستخدم لفظ (يهوه) للتعبير عن اسم الإله ، وهي أقدم تاريخيا من

---

[1] ينظر الغارة التنصيرية على أصالة القرآن الكريم ١/١١٥-١١٦.

[2] كان النفي عام ٥٨٦ قبل الميلاد عندما دمر نبوخذ نصر ملك بابل بيت المقدس، ونفى معظم بني إسرائيل من أرض إسرائيل وأبعدهم إلى بابل، ينظر تأملات في سفر عزرا، د. نبيه أسحق، دار الأخوة للنشر، مصر، ١٩٩٨م، الفصل ٢.

الرواية الأولى وإن جاءت في النصوص تالية لها .[1]

تقول الرواية الأولى الكهنوتية التي كتبت بواسطة الكهنة في عصر المنفى.

" في البدء خلق الله السماوات والأرض ، وكانت الأرض خربة وخالية وعلى وجه الغمر ظلمة وروح الله يرف على وجه المياه ، وقال الله ليكن نور فكان نور ، ورأى الله النور أنه حسن ، وفصل الله بين النور والظلمة ، ودعا الله النور نهارًا والظلمة دعاها ليلا ، وكان مساء وكان صباح يوما واحدا ، وقال الله ليكن جلد في وسط المياه ، وليكن فاصلا بين مياه ومياه، فعمل الله الجلد وفصل بين المياه التي تحت الجلد والمياه التي فوق الجلد ، وكان كذلك ، ودعا الله الجلد سماء ، وكان مساء وكان صباح يوما ثانيا ، وقال الله لتجتمع المياه تحت السماء إلى مكان واحد ولتظهر اليابسة ، وكان كذلك، ودعا الله اليابسة أرضًا ، ومجتمع المياه دعاه بحارا ، ورأى الله ذلك أنه حسن، وقال الله لتنبت الأرض عشبًا وبقلا يبزر بزرًا وشجرا ذا ثمر يعمل ثمرًا كجنسه بزره فيه على الأرض ، وكان كذلك ، فأخرجت الأرض عشبًا وبقلا يبزر بزرا كجنسه وشجرا يعمل ثمرا بزره فيه كجنسه ، ورأى الله ذلك أنه حسن ، وكان مساء وكان صباح يوما ثالثا ، وقال الله لتكن أنوار في جلد السماء لتفصل بين النهار والليل ، وتكون لآيات وأوقات وأيام وسنين ، وتكون أنوارا في جلد السماء لتنير على الأرض ، وكان كذلك ، فعمل الله النورين العظيمين ، النور الأكبر لحكم النهار والنور الأصغر لحكم الليل ، والنجوم وجعلها الله في جلد السماء لتنير على الأرض ولتحكم على النهار والليل ولتفصل بين النور والظلمة ، ورأى الله ذلك أنه حسن ، وكان مساء وكان صباح يومًا رابعا ، وقال الله لتفض المياه زحّافات ذات نفس حية وليطر طير فوق الأرض على وجه جلد السماء ، فخلق الله التنانين العظام وكل ذوات الأنفس الحية الدبابة التي فاضت بها المياه كأجناسها وكل طائر ذي جناح كجنسه، ورأى الله ذلك أنه حسن ، وباركها الله قائلا أثمري وأكثري واملأي المياه في البحار ، وليكثر الطير على الأرض ، وكان مساء وكان صباح يومًا خامسًا ، وقال الله لتخرج الأرض ذوات أنفس حية كجنسها ، بهائم ودبابات ووحوش أرض كأجناسها ، وكان كذلك ، فعمل الله وحوش الأرض كأجناسها والبهائم كأجناسها وجميع دبابات الأرض كأجناسها ،

---

[1] ينظر سفر التكوين ، كهنة وخدام كنيسة مار مرقص بمصر الجديدة ، مطبعة دير الشهيد مار مينا العجائبي ، مصر،٢٠٠٦ م ، ١/١ و ٩/٢.

ورأى الله ذلك أنه حسن ، وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا ، فيتسلطون على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى البهائم وعلى كل الأرض وعلى جميع الدبابات التي تدب على الأرض ، فخلق الله الإنسان على صورته ، على صورة الله خلقه ، ذكر وأنثى خلقهم ، وباركهم الله وقال لهم أثمروا واكثروا واملأوا الأرض وأخضعوها وتسلطوا على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى كل حيوان يدب على الأرض ، وقال الله إني قد أعطيتكم كل بقل يبزر بزرا على وجه الأرض وكل شجر فيه ثمر شجر يبزر بزرًا ، لكم يكون طعامًا ، ولكل حيوان الأرض وكل طير السماء وكل دبابة على الأرض فيها نفس حية أعطيت كل عشب أخضر طعامًا ، وكان كذلك ، ورأى الله كل ما عمله فإذا هو حسن جدا ، وكان مساء وكان صباح يومًا سادسا ، فأكملت السماوات والأرض وكل جندها ، وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل ، فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل ، وبارك الله اليوم السابع وقدسه ، لأنه فيه استراح من جميع عمله الذي عمل الله خالقا .[١]

و تقول الرواية الثانية، التي أخذت من بين النصوص التوراتية التي تستخدم لفظ (يهوه) للتعبير عن اسم الإله.

" هذه مبادئ السماوات والأرض حين خلقت ، يوم عمل الرب الإله الأرض والسماوات كل شجر البرية لم يكن بعد في الأرض وكل عشب البرية لم ينبت بعد ، لأن الرب الإله لم يكن قد أمطر على الأرض ، ولا كان إنسان ليعمل الأرض ، ثم كان ضباب يطلع من الأرض ويسقي كل وجه الأرض ، وجبل الرب الإله آدم ترابًا من الأرض ، ونفخ في أنفه نسمة حياة ، فصار آدم نفسًا حية ، وغرس الرب الإله جنة في عدن شرقا ، ووضع هناك آدم الذي جبله ، وأنبت الرب الإله من الأرض كل شجرة شهية للنظر وجيدة للأكل"[٢]

وأما قصة خلق العالم التي جاء بها القرآن الكريم، فلم تأت مجتمعة في مكان واحد، شأنها شأن غيرها من القصص القرآني ، وإنما جاءت متفرقة وفي مواضع متعددة، وهي كما يلي:

أولا: ذكر خلق السماوات والأرض في مراحل ستة ، كما قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ ق: ٣٨، قال الإمام الطبري-رحمه الله- " أي ولقد خلقنا السموات السبع والأرض وما بينهما من الخلائق

---

[١] سفر التكوين ١/١.

[٢] سفر التكوين ٩/٢.

في ستة أيام، وما مسنا من إعياء"[1].

ثانيا: التداخل في مراحل خلق السماوات مع مراحل خلق الأرض كما قال عز وجل ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٩) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ (١٠) ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (١١) فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (١٢) ﴾ فصلت: ٩ - ١٢ .

ثالثا: خلق الكون من كومة أوليّة فريدة متماسكة كما قال تعالى ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ الأنبياء: ٣٠ ، قال ابن كثير –رحمه الله– " كانت السماء واحدة ففتق منها سبع سموات، وكانت الأرض واحدة ففتق منها سبه أراضين ، لكن السماء والأرض كانتا متماستين"[2] .

رابعا: تنوع وتعدد السماوات والكواكب التي تشبه الأرض، كما قال سبحانه ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ الطلاق: ١٢ .

خامسا: خلق الله بين السماء والأرض عالَم وسيط، كما قال عز وجل ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ ﴾ طه: ٦ .

ومن الملاحظ في هذه المقابلة بين قصص القرآن الكريم، وقصص التوراة والإنجيل، اتفاقهما في أمرين مهمين، وهما:

أ) عدد أدوار الخلق الستة .

---

[1] تفسير الطبري ٩/٧٥٩٠.

[2] تفسير ابن كثير ١٦٨/٣.

ب) جعل النجوم مصدر النور .

هذا في التوافق بينهما ، أما جوانب الاختلاف فكثيرة يمثل كل منهما خطأ علميا وقعت فيه الرواية التوراتية ، وتأكيدا علميا على صحة الرواية القرآنية ، وهذه الجوانب هي :

أولا: أن القرآن الكريم قد انفرد ببيان الكيفية التي تمت بها نشأة الكون وما فيه من الكتلة الأولية التي تفتقت بفعل الانفجار الكبير الذي يطلق عليه العلم الحديث نظرية الانفجار العظيم The Big Bang[1] .

ثانيا: المراحل الست في القرآن مراحل زمنية مديدة وليست ستة أيام بشرية بحساب تعاقب شروقين أو غروبين ، كما يشير إلى ذلك قوله تعالى ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ﴾ السجدة: ٤ – ٥ ، يقول العلامة محمد الأمين الشنقيطي –رحمه الله– " الظاهر أن معنى قوله ﴿ فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ ﴾ أي: في تتمة أربعة أيام، وتتمة الأربعة حاصلة بيومين فقط، لأنه تعالى قال﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ ﴾ ، ثم قال ﴿ فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ ﴾ أي: في تتمة أربعة أيام، ثم قال﴿ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ ﴾ فتضم اليومين إلى الأربعة السابقة، فيكون مجموع الأيام التي خلق فيها السماوات والأرض وما بينهما ستة أيام، وهذا التفسير الذي ذكرنا في الآية لا يصح غيره بحال، لأن الله تعالى صرح في آيات متعددة من كتابه بأنه خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أياما "[2] ،ولكن الخلاف الحاصل هو في ماهية هذه الأيام الستة، هل هي مثل أيامنا هذه ، أم أنها مراحل زمنية طويلة الأمد، والله عز وجل قادر على خلقها في أقل من ذلك، حيث يقول للشيء كن فيكون، ومرادها إلى الله عز وجل هو الذي يعلم ماهيتها، ولكن هنا بعض الآراء حول ذلك مثل قول الإمام القرطبي – رحمه الله–" في تفسير الأيام: "في ستة أيام" أي من أيام

[1] ينظر الكون ، كارل ساغان ، سلسلة عالم المعرفة (١٧٨) ، وزارة الإعلام بالكويت، ص ١٢٤ .

[2] أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت ، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م، ١٢/٧.

الآخرة أي كل يوم ألف سنة لتفخيم خلق السماوات والأرض، وذكر هذه المدة ولو أراد خلقها في لحظة لفعل، إذ هو القادر على أن يقول لها "كوني فتكون" ولكنه أراد أن يعلم العباد الرفق والتثبت في الأمور، وحكمة أخرى من خلقها في ستة أيام لأن لكل شيء عنده أجلا"[1]، وهذا ما يؤكده علماء الفيزياء الكونية من أن انفصال الأرض عن الشمس كان منذ خمسة الآف مليون سنة تقريبا ، وأن الأرض ظلت مئات الألوف من السنين كي يبرد سطحها[2]، ويقابل ذلك ما جاء في كتب التوراة من الخطأ الشنيع، وهو حصر المراحل الست في ستة أيام بشرية وتأكيد ذلك، تبدأ بالأحد وتنتهي بالجمعة، ويعقبها يوم السبت المقدس يوم الراحة الذي استراح الله تعالى فيه من عملية الخلق، وباركه وقدسه (تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا)، ويرى جيمس فريزر[3] عالم الديانات المقارنة الشهير أسباب وقوع الرواية التوراتية في هذا الخطأ العلمي الشنيع ، بأن رواية خلق العالم في التوراة لم تكن سوى تمهيد من الكهنة لخلع القداسة على يوم السبت يوم العبادة والراحة لدى اليهود وكان المصدر الذي استقى منه الكهنة تقديس اليوم السابع من أيام الخلق هو ملحمة خلق العالم البابلية[4].

وقد ترتب على هذا الخطأ في رواية الخلق التوراتية خطأ آخر وقعت فيه روايات العهد القديم وكذلك العهد الجديد كما يبدو في تصور إنجيل لوقا لشجرة أنساب المسيح ألا وهو حساب عمر الإنسان على الأرض بأنه بدأ في التاسعة صباح يوم الثالث والعشرين من شهر تشرين الأول عام ٤٠٠٤ قبل الميلاد ، أي قبل ستة الآف سنة من عامنا هذا[5] .

ثالثا: يشير القرآن الكريم إلى حالة غازية في بداية عملية الخلق، كما قال عز وجل ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾ فصلت: ١١ ، وقد جاء العلم الحديث، ليؤكد ويطابق مع ما جاء به القرآن الكريم، وفي هذا دليل آخر قاطع على صدق القرآن الكريم، وبما جاء به من القصص والمضمون الحق، وأنه لم

---

[1] الجامع لأحكام القرآن ، ٢١٩/٧.

[2] ينظر .Outlines of geoloical History, Wells . K . pp 3 – 37 lo ndon 1938 و الكون، كارل ساغان ص ١٢٤.

[3] سبقت ترجمته ص ٢٠٠.

[4] ينظر الواقع والأسطورة في التوراة ، زينون كاسيدوفسكي ، الأبجدية للنشر ، دمشق، ١٩٩٠م ، ص ٢٣ .

[5] ينظر المرجع السابق ، ص ٢٤.

يستق من غيره من كتب التوراة والإنجيل شيئا[1].

رابعا: وجود العوالم الوسطية التي أخبر القرآن بخلقها بين السماوات والأرض، كما قال عز وجل ﴿ أَفَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴾ سبأ: ٩ وقوله سبحانه ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ فصلت: ٥٣ ،ويسميها العلم الحديث بالبواقي أو المادة الكونية المنتشرة بين النجوم ، ويصفها بأنها ذات كتل هائلة.[2]

خامسا: أن العهد القديم يشتمل على عدد من الأخطاء، تثبت عدم أهليته لأن يكون كتابا صحيحا يأخذ منه غيره، بل لم يعد هو الكتاب الصحيح الذي نزل على موسى عليه السلام.

ومن هذه الأخطاء:

١) الإشارة إلى وجود المياه في المرحلة الأولى من مراحل الخلق .

٢) ذكر النور في اليوم الأول قبل أن تخلق النجوم .

٣) ذكر الليل والنهار في اليوم الأول قبل وجود الأرض ودورانها حول الشمس .

٤) وجود العالم النباتي في اليوم الثالث قبل خلق الشمس في اليوم الرابع .

٥) خلق الشمس والقمر بعد خلق الأرض ، وذلك يناقض المعلومات الأساسية عن تشكل النظام الشمسي .

٦) الإشارة إلى عالم الحيوان والطيور في اليوم الخامس مع أن وجود الطيور تال لوجود عالم الحيوان .[3]

ثانيا: قصة الطوفان، الذي أغرق الله به قوم نوح عليه السلام.

وبالمقابلة والتوافق بين القرآن الكريم والتوراة، نجد أن هناك توافق محصور في الأمور التالية:

أ) أسباب الطوفان ، ونعني به الأمطار الغزيرة ، وانفجار الأرض بالينابيع القوية، كما بين ربنا ذلك في قوله تعالى ﴿ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى

[1] ينظر القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم ، موريس بوكاي ، مكتبة مدبولي، القاهرة،١٩٩٦م، ص ١٧١- ١٧٢ .

[2] ينظر المرجع السابق، ص ١٧٠-١٧١.

[3] ينظر المرجع السابق ، ص ٤٥-٤٦.

ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ ﴾ القمر: ١١ – ١٢.

ب) قصة صنع نوح للسفينة التي أنجاه الله ومن آمن معه فيها، كما قال عز وجل ﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾ هود: ٣٧ .

ج) حمولة السفينة ومن كان معه على متنها من البشر وبعض الحيوانات، كما بين ذلك عز وجل بقوله ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ هود: ٤٠ . هذا فيما اتفقت عليه الروايتان ، أما أوجه الاختلاف فتتلخص في أمرين أساسيين، وهما:

الأول : ماهية الطوفان وقوته وحجمه ، فأما في القرآن الكريم، فإن الطوفان أتى عقوبة من الله لقوم نوح خاصة، على تكذيبهم وعنادهم، وعدم استجابتهم لنداء الله، وذلك شأن غيرهم من مكذبي الرسل، كما أوضح ذلك ربنا جل وعلا بقوله ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ الفرقان: ٣٧ ، أما في التوراة فجاء ذكر الطوفان على أنه عقاب عالمي لكل البشرية، ففي سفر التكوين جاء " فقال الله لنوحٍ نهاية كل بشر قد أتت أمامي لأن الأرض امتلأت ظلمًا منهم ، فها أنا مهلكهم مع الأرض . اصنع لنفسك فلكًا فها أنا آتٍ بطوفان الماء على الأرض لأهلك كل جسد فيه روح حياة من تحت السماء ، كل ما في الأرض يموت"[١]، وهذا الذي جاء في التوراة، بأنه هلاك شامل لكل أهل الأرض، لا يمكن قبوله بحال وذلك من خلال المرحلة التاريخية ، فبحسب تقويم العهد القديم يرجع تاريخ الطوفان إلى القرن الحادي أو الثاني والعشرين قبل الميلاد وهو يقابل تاريخ وجود الأسرة الحادية والعشرين من أسر الفترة الوسطى في مصر[٢] ، وكذلك من الناحية العلمية فإن القول بوقوع تدمير شامل للكرة الأرضية يتعارض مع أبسط مبادىء الجيولوجيا[٣] ، ولهذا فسر ذلك جيمس فريزر بأنه مناسبة خلقها الكهنة لإقامة عهد بين الرب وفئة الناجين المنتقاة حسب الشروط الكهنوتية .[٤]

---

[١] سفر التكوين ٦/١٣-١٧.

[٢] ينظر القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم ، موريس بوكاي ، ص ٥٣-٥٤.

[٣] ينظر الفلكور في العهد القديم ، جيمس فريزر ،١ /٩٢ .

[٤] ينظر المرجع السابق ١/١٠٨.

الثاني : موقع الطوفان.

تحدد التوراة مكان استقرار سفينة نوح عليه السلام في الشهر السابع في اليوم السابع عشر من الشهر على جبال أرارات[1]، وهذا مخالف لنص القرآن الكريم، إذ أن القرآن ذكر تصريحا اسم الجبل بأنه الجودي، دون ذكر مكانه تحديدا، وما تناقلته بعض الكتب ووسائل الإعلام بأنه في شمال شرق تركيا، أو غيرها لا يستند إلى دليل علمي صحيح، والقرآن الكريم لم يذكر المكان إذ ليس في ذكره مصلحة دنيوية أو أخروية، ولو كان هناك مصلحة لعباده في ذكره لذكره وبينه، كما قال عز وجل ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ هود: ٤٤، ولكن الذي يهمنا هنا هو كشف أخطاء كتب التوراة والإنجيل فيما تنقله من الأخبار والمرويات التي لا تستند إلى دليل علمي صحيح.

ثالثا: قصة يوسف عليه السلام.

وفي قصة يوسف عليه السلام دليل قاطع على بطلان الشبهة، وإثبات لصحة ما جاء في القرآن الكريم من القصص، وقصة يوسف هي القصة القرآنية الوحيدة التي جاءت في مكان واحد من سورة تحمل اسم النبي يوسف بن يعقوب عليهما السلام ، لذلك يسهل وضعها بالتوازي في مقابلة القصة التوراتية للوقوف على وجوه تباين واختلاف التفاصيل بين القصتين ، وذلك من خلال النقاط التالية:

أولا: جاءت قصة يوسف عليه السلام في القرآن الكريم في إطار ديني تنفذ منه أشعة روحية إلى النفس ببيان العبرة والعظة التربوية والأخلاقية التي من أجلها أنزل الله القصة ، بينما التوراة والعهد القديم ، قد وضعت القصة في إطار عائلي ، يحمل طابع السرد التاريخي المجرد ، دون أن يشير إلى ما وراء الأحداث من عظات .

ثانيا: بين لنا القرآن الكريم أن إخوة يوسف قد أصابهم الضيق والملل، من حب والدهم له

---

[1] جبل أرارات (بالتركية:Ağrı Dağı، هو أعلى قمة جبلية (٥١٦٥ م) بتركيا، جبل أرارات بركان نائم تغطيه الثلوج، يقع في شمال منطقة شرق الأناضول بمحافظة أغري، على بعد ١٦ كلم من الحدود مع إيران و ٣٢ كلم من الحدود مع أرمينيا، يبلغ قطر جبل أرارات حوالي ٤٠ كيلومتر يحاذي حدود إيران وتركيا وأرمينيا وأذربيجان، الموسوعة الحرة ويكيبيديا.

ولأخيه كما قال الله عنهم ﴿ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ يوسف: ٨ ، بينما التوراة لم تشر أو تذكر الأخ بشيء .

ثالثا: رؤيا يوسف التي قصَّها على أبيه كما في النص القرآني تتلخص في أنه رأى أحد عشر كوكبا والشمس والقمر له ساجدين كما في قوله تعالى ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴾ يوسف: ٤ ، بينما الذي جاء في التوراة أن يوسف رأى قبلها رؤيا ، فقد رأى أنه وإياهم يحزمون حزما في الحقل في الصحراء ، فإذا حزمته قامت وأحاطت بحزم إخوته فسجدت لحزمته حزمهم فقال له إخوته : لعلك تملك علينا ملكا ؟ أم تتسلط علينا تسلطا ؟ وازدادوا بغضا له من أجل أحلامه ومن أجل كلامه .

رابعا: لم تذكر التوراة أن الإخوة تفاوضوا على قتل يوسف أو أنهم راودوا أباهم لإخراجه معهم ، ولكن الأب يرسل يوسف لينظر سلامتهم وسلامة الغنم ثم يرد لأبيه الخبر فذهب إليهم ، وعندما رأوه تفاوضوا في شأنه .

خامسا: جاء في القرآن الكريم تآمر إخوة يوسف عليه إما قتلا أو طرحا أو إلقاءه في الجب كما قال الله عنهم ﴿ ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴾ يوسف: ٩ بينما الذي جاء في التوراة أن أحد الإخوة رأوبين استبعد فكرة القتل وأشار بالطرح في البئر التي في البرية ، لا لتلتقطه السيارة ، ولكن ليغافلهم ويستخرجه من البئر ليعيده إلى أبيهم .

سادسا: ورد في القرآن الكريم أن إخوة يوسف جاءوا على قميص أخيهم بدم كذب وجاؤوا أباهم وقت العشاء يبكون أخاهم فأجابهم كما في قوله تعالى ﴿ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ يوسف: ١٦ - ١٨ ، بينما الذي ورد في التوراة أنهم لم يجيئوا إلى أبيهم بل أرسلوا القميص الملون المغموس بالدم وأحضروه لأبيهم بواسطة الرسول الذي أرسلوه .

سابعا: جاء في القرآن الكريم أن يعقوب تجلد للمصاب الجلل وما زاد على أن قال كلمات سامية من قلب مؤمن صابر محتسب، راض بقدر الله، تعالج الموقف بحكمة ، وترضي الله عز وجل ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ يوسف: ١٨ ومثل هذا الموقف الرجولي الإيماني الرفيع هو اللائق بالنبي الكريم عليه السلام ، بينما ورد في التوراة أن يعقوب عليه السلام مزق ثيابه ووضع مسحا على حقويه وناح على ابنه أياما كثيرة .

ثامنا : لم يرد في التوراة من قول العزيز لامرأته أكرمي مثواه ، بل تجتاز ذلك مباشرة إلى قول المرأة ليوسف عندما دخل بيتها الخاص ورفعت عينيها إليه وقالت : اضطجع معي ، وليس في التوراة ذكر تعرض المرأة له بالمراودة غير ما ذكر ولا تغليق الأبواب ولا قدّ الثوب ولا استباق الباب ، ولكن فيها أن المرأة أمسكت بثوب يوسف فتركه عندها وخرج ، بل ورد في القرآن الكريم ما يخالف ذلك تماما، كما بينه الله عز وجل بقوله ﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ ۖ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ۖ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ۚ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ يوسف: ٢٣ – ٢٩، وهذا السرد لأحداث القصة أبلغ وأكمل ويناسب الحدث والسياق.

تاسعا: لم يرد في التوراة قصة الشاهد على روعة مغزاها ، وليس فيها خبر النسوة على الرغم من دوره في النسيج القصصي ، ولكن الذي في التوراة بعد أن حمي غضب العزيز أنه أخذ يوسف

ووضعه في بيت السجن .

عاشرا: في التوراة أن رؤيا الملك حصلت بعد سنتين من خروج الساقي(أي الذي يسقي الملك الخمر) ، وهذا التحديد مخالف لما جاء في القرآن الكريم، إذ أن يوسف لبث في السجن بضع سنين، وهذه المدة كما قال ابن كثير –رحمه الله– هي من الثلاث إلى التسع، وعن ابن عباس أنها ثنتا عشرة سنة، وقيل أكثر[1]، كما قال عز وجل ﴿ وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾ يوسف:٤٢.

الحادي عشر: وفي مجيء إخوة يوسف إلى مصر، فالتوراة تذكر أن يوسف حبسهم وسلك معهم مسلك إعنات حتى يأتوه بأخيهم وقال لهم : جواسيس أنتم ، لتروا عورة الأرض جئتم ، بهذا تمتحنون وحياة فرعون لا تخرجون من هنا إلا بمجيء أخيكم الصغير، وهذا شيء لا يصدقه عقل، ولا يقر به من عنده أدنى درجات العلم، إذ كيف يصدق على نبي الله أن يحلف بغير الله، وكيف يتأتى له وهو نبي موصوف بكل خلق عظيم وعطف وتسامح، أن يغلظ على إخوته، ويقسوا عليهم، ويصفهم بالجواسيس، فهذا مخالف تماما لما ينبغي أن يكون عليه أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام، فهذا خطأ فادح في التوراة، وقد جاء القرآن الكريم بخلاف ذلك تماما، فقال سبحانه ﴿ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِى بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ يوسف: ٥٩ – ٦١ .

الثاني عشر: جاء في ختام قصة يوسف عليه السلام ، حيث تقول التوراة بعد أن ذكرت موت يعقوب ودفنه ، واستخلف يوسف عليه السلام في بني إسرائيل قائلا : الله سيفتقدكم فتصعدون عظامي من هنا ، ثم مات يوسف وهو ابن مائة وعشر سنين وحنطوه ووضع في تابوت في مصر ، هكذا تنتهي القصة في التوراة بخاتمة فيها من الركاكة وضعف التعبير، وسوء الجانب الفني، وافتقاد الثقة في السرد، وخلوها من المصداقية العلمية، بينما جاءت الخاتمة لسورة يوسف في القرآن الكريم، في غاية الروعة في التعبير والسوق الفني الجميل، تحكي وقعا

[1] ينظر تفسير ابن كثير ٤٣٧/٢.

حقيقيا ملموسا، بعيدة عن الخيال والخلل العلمي، كما أوردها الله تعالى بقوله ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾ يوسف: ١٠٠ – ١٠١.

وأما من الناحية العلمية التاريخية، فإننا نجد أن هناك بعض أوجه الاختلاف، ومنها:

أولا: الوسائل التي امتطاها أبناء يعقوب عليه السلام أثناء ترحالهم لجلب حاجاتهم المعيشية ، لأهليهم من بلاد مصر بعد أن عم بهم الجدب والقحط ، إذ ذكر القرآن الكريم أن وسيلتهم في ذلك هي العير[1] بما فيها الإبل والبغال والحمير، أما التوراة فذكرت أن وسيلتهم في السفر وحمل الطعام هي الحمير فقط، وهذا لا يمكن قبوله لأمرين:

١) أن الحمار حيوان حضريّ غير مألوف في البادية وحياة الصحراء كوسيلة انتقال ولذلك لم يعرفه بنو إسرائيل إلا في الحياة الحضرية الزراعية بمصر .

٢) من غير المعقول أن يستطيع الحمار قطع المسافة من كنعان في بادية الشام إلى مصر مخترقا فيافي وصحراوات شاسعة ، أوعرها شبه جزيرة سيناء ، كل ذلك وهو محّمل بالحبوب والغلال يعاني جفاف الصحراء وقيظ الحر الشديد .

ثانيا: الاختلاف والتفاوت بين القرآن الكريم والتوراة في من هو حاكم مصر في ذلك الحين، فتذكر التوراة أنه فرعون ، ويصرح القرآن أنه (ملك) وليس فرعونا ، وهذا ما أكّدته الدراسات التاريخية المعاصرة التي أجراها عالم المصريات الفرنسي (بيير مونتيه) استنادا إلى تحديد العاصمة التي كان يحكم منها يوسف وهي (أفاريس) الواقعة في دلتا النيل قرب قرية سان الحجر المعاصرة ذات الكتابات الهكسوسية الغزيرة وهو ما يقطع بأن قصة حياته تعود إلى فترة حكم

[1] جاء في القاموس المحيط، أن كلمة عير تعني عند العرب الإبل والبغال والحمير، ينظر القاموس المحيط مادة عير.

الهكسوس[1]،لأن فراعنة الأسرة الثامنة عشرة نقلوا العاصمة إلى طيبة بعد طرد الهكسوس .[2] كذلك تذكر الوثائق المصرية التي ترجع تاريخها إلى القرن السادس عشر قبل الميلاد القبائل الكنعانية الرعوية التي جاءت واستقرت في مصر ، ويذكر المؤرخ اليهودي يوسفس فيلافيوس[3] أن الهكسوس أجداده[4].

وهنا بعض التطابق فيما ذكرنا من نتائج هذه الدراسات التاريخية مع بعض إشارات النص التوراتي ، حيث جاء في سفر التكوين في سياق القصة أن المصريين كانوا يعدُّون العبرانيين رجسًا ، فيكون من غير الطبيعي والمنطقي أن يسمح حكام مصر من الفراعنة أن يتسلط على المصريين من يعدونه رجسًا ، بل الشيء المنطقي الوحيد أن يكون الهكسوس المحتلون الأجانب عن مصر قد استعانوا بآسيوي أجنبي مثلهم في حكم البلاد .[5]

قلت وهذه الشبهة التي أوردها كل من المستشرق اليهودي جولد تسيهر، و المستشرق اليهودي فنسنك وغيرهم ، شبهة منبعها ما تنطوي عليه سرائر هؤلاء من الحسد والبغضاء للإسلام والقرآن، مما نتج عنها إثارة الشكوك حول الإسلام والقرآن وحول مصدرية القصص القرآني، بل والتشكيك في مصداقية النبي الكريم ﷺ فيما جاء به من عند الله تبارك وتعالى، بهدف الصد عن هذا الدين القويم، ولقد تبين من خلال الرد على الشبهة الاختلاف الواضح البين بين مضامين القصص والقرآن ، وبين ما جاء في التوراة والإنجيل مما لا يصدقه عقل ولا ينطوي عليه يقين، وذلك لأن التوراة والإنجيل قد توارثتها الأيدي بالتحريف والتغيير والحذف

---

[1] الهكسوس هم شعوب بدوية من أصول مختلفة دخلت مصر من الشرق في فترة ضعف خلال نهاية حكم الدولة الوسطى تقريباً في نهاية حكم الأسرة الرابعة عشر، لم يتفق خبراء التاريخ على أصلهم، ولكن الراجح أنهمأصحاب أصول آسيوية متعددة، ينظر وصف مصر، ب. س. جيرار ، ترجمة زهير الشايب، منى زهير الشايب، دار الشايب للنشر، القاهرة، ١٩٩٢م، و معالم تاريخ وحضارة مصر الفرعونية، سيد توفيق، دار النهضة العربية، القاهرة ، ١٩٩٠م.

[2] ينظر الحقيقة والأسطورة في التوراة ، زيتون كاسيوفسكي ، ص ٨٠.

[3] يوسفوس فلافيوس أو يوسيبوس أو باسمه العبري الأصلي يوسف بن ماتيتياهو كان أديبا مؤرخا وعسكريا يهوديي الدين رومانيا عاش في القرن الأول للميلاد واشتهر بكتبه عن تاريخ منطقة يهودا، والتمرد اليهودي على الإمبراطوية الرومانية والتي تلقي الضوء على الأوضاع، ينظر موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، د. عبدالوهاب المسيري، ٢٥/١.

[4] ينظر الحقيقة والأسطورة في التوراة ، زينون كاسيوفيسكي ص ٧٨.

[5] ينظر الغارة التنصيرية على أصالة القرآن الكريم ص ٧٧.

وإدخال ما لم تتضمنه من أخبار حال نزولها من السماء، حيث أصبحت مجافية لأصلها، بعيدة عن محتواها الأصلي، فخالجها التناقض والتضاد وافتقاد الثقة حتى من أهلها، فهم أهل التحريف والنقض للعهود والتبديل لكلام الله كما حكى الله عنهم في كتابه وبين حقيقة أمرهم بقوله عز وجل ﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ﴾ المائدة: ١٣ ، قال ابن كثير -رحمه الله- " أي فسدت فهومهم، وساء تصرفهم في آيات الله، وتأولوا كتابه على غير ما أنزله، وحملوه على غير مراده، وقالوا عليه ما لم يقل، وتركوا العمل به رغبة عنه"[1] .

[1] تفسير ابن كثير ٢/ ٣١-٣٢.

الشبهة الثالثة

أولا: عرض الشبهة وتوثيقها.

دعوى أن الوسط الوثني مصدر من مصادر محتوى القرآن الكريم، يقول المستشرق سانت كلير تسدال[١] " إن الوسط الوثني مصدر من مصادر محتوى القرآن الكريم من القصص وغيره"[٢] .

ثانيا: الرد عليها ردا إجماليا.

من الطبيعي جدا أن يكون لكتاب الله تبارك وتعالى أعداء ومغرضين، وذلك لأنه المصدر الأول لشريعة الإسلام، ورسالة مُحَمَّدﷺ ، وناسخ لما سبقه من الكتب والأديان، ولقد دأب المستشرقون إلى شحن كل ما يملكونه من طاقات مادية ومعنوية وبدنية لمواجهة هذا الكتاب العظيم، وبث السموم، وإثارة الشبهات، وبعث الشكوك في النفوس، للصد عنه وتنفير البشرية من دراسته وقراءته.

ولقد اختلفت آراء المستشرقين وتباينت حول مصادر هذا الكتاب العظيم، ولذلك نرى إن كثيرا من المستشرقين عندما يكتبون عن الإسلام، لا يتركون أبدا قضية المصدرية لهذا الإسلام وللقرآن، كزعمهم أن مُحَمَّداﷺ كان تلميذا عند اليهود والنصارى، وأن القرآن صورة تلمودية وصلت إلى مُحَمَّدﷺ بطريقة ما، وافترضوا لذلك عددا من الافتراضات، كقولهم أن ديانتي اليهودية والنصرانية كانتا معروفتين في بلاد العرب، وكقولهم أن مكة المكرمة عرفت اليهودية والنصرانية وذلك لأنها كانت رابطا تجاريا بين شمال بلاد العرب وجنوبها، مما كان له الأثر على النبيﷺ ، وزعمهم أن العرب الجاهلين كانوا يعرفون أفكارا يهودية ونصرانية، أمثال أمية بن الصلت وورقة بن نوفل وغيرهما مما كان له الأثر الواضح على النبيﷺ ، بل وزعم

---

[١] سانت كلير تسدال (توفي في اوائل القرن العشرين) ، قسيس مبشر فى إيران ، صنف أعنف وأخطر جدلية ضد أصالة القرآن الكريم، (المصادر الأصلية للقرآن) وكتبها بالألمانية، ثم ترجمها المبشر وليم موير إلى الإنجليزية ، ينظر الغارة على العالم الإسلامي، أ.ل. شاتليه، منشورات العصر الحديث، القاهرة، ١٣٨٧هـ، ص ٣٦.

[٢] Rev. W. St. Clair Tisdall, The Original Sources Of The Qur'an, 1905, Society For The Promotion Of Christian Knowledge: London, pp. 47-50 و آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره، د. عمر بن إبراهيم رضوان، دار طيبة، الرياض، ١٤١٣هـ، ٢٣٧/١-٣٦٥.

بعضهم أن الإسلام كان وليد بيئة وثنية تأثر بكل ما فيها من عناصر، وهناك منهم من زعم أن للحنفاء دور كبير في التأثير على أفكار النبيﷺ ، حيث عمل بها وأفاد منها، وآخرون زعموا أن الإسلام خليط من الديانات المجوسية والهندية القديمة ، والزرادشتية والمصرية القديمة وغيرها من الديانات القديمة .[١]

وما من شك في بطلان ما ذهبوا إليه من الشبهات التي لا تستند على دليل، ولم تخضع لأبسط معايير البحث العلمي الصحيح، خالية من التجرد والحياد والعدل والموضوعية، وسيكون الرد بإذن الله تعالى عليها مفندا في الرد التفصيلي الذي يبرهن سقوط تلك الدعاوى وبطلانها، مثبتا أن القرآن الكريم ، كتاب منزل من عند الله على قلب النبيﷺ ، لم يقتبس مضامينه ولا قصصه من أي مصدر آخر، سوى مصدره الأصلي، وهو كلام الله تعالى، لم يتغير أو يتبدل منذ أنزله الله تعالى، وسيبقى كذلك بحول الله ومنته، إلى أن يشاء له الرفع.

ثالثا: الرد عليها ردا تفصيليا.

إن الشبهة التي أثارها المستشرق سانت كلير تسدال ، وزعم أن الوسط الوثني مصدر من مصادر محتوى القرآن الكريم من القصص وغيره، تحتوي على عدد من المواضيع، ومنها:

زعمهم أن النبيﷺ استقى معلوماته التي ضمنها القرآن من البيئة التي عاش فيها بدليل التشابه في وجهين:

الوجه الأول: التشابه الموجود في العقائد والشعائر التعبدية والعادات، حيث استدل منها المستشرقون أن مُحَّداﷺ استقاها من البيئة التي عاش فيها وبين ما كان سائدا في الوسط الوثني ، الذي عاش فيه.[٢]

الوجه الثاني: التشابه الموجود بين مقاطع الشعر الجاهلي والآيات القرآنية، حيث زعموا أن مُحَّداﷺ استقاها من وسطه الوثني وجعلها في القرآن الكريم.[٣]

وللرد على هذه الشبهة نقول:

---

[١] آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره، ص ٢٣٩-٢٤٠.

[٢] W. St. Clair-Tisdall, THE SOURCES OF ISLAM, T.& T. Clark, Edinburgh, p 6.

[٣] المرجع السابق ص٩ .

شاء الله تعالى ومشيئته نافذة، أن تُعْمر مكة المكرمة، وتصبح أم القرى تهفوا إليها القلوب من كل مكان، ولذلك وجه نبيه إبراهيم عليه السلام بالتوجه إليها، وبناء الكعبة البيت الحرام، أول بيت على وجه الأرض، يؤمه الناس من كل أصقاع الأرض ويتوجهون إليه، ليكون قبلتهم الموحدة في صلاتهم وعبادتهم، فاستجاب لأمر الله عز وجل وقام بما أمر به من بناء الكعبة بمعاونة ابنه إسماعيل عليه السلام، الذي جاء مع والدته هاجر ونزلا موضع زمزم الآن، كما قال عز وجل ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ البقرة: ١٢٧، ولما استقر المقام لإسماعيل عليه السلام بمكة، تزوج وكثر نسله فيها، وضاقت بهم الأحوال واشتدت العداوات، مما حدا بالكثير منهم التفرق في البلاد والبحث عن مصادر العيش، وبعد فترة من الزمن، دخلت عليهم الوثنية، وذلك بسبب أن من يأتون مكة ويظعنون ثم يرحلون ، يأخذون من حجارة الحرم، وحيثما حلوا وأقاموا جعلوه في مكان يطوفون به كما يفعلون بالكعبة، وذلك تعظيما للحرم.[١]

ومن هنا بدأ استبدال دين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام بدين الأوثان كما كان في الأمم السابقة، وبقي هناك بقايا من دين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، يتنسكون بتعظيم البيت والطواف حوله والحج والعمرة، والوقوف بمزدلفة، والهدي، والإهلال بالحج والعمرة وغيرها. وكان أول من غير دين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، ونصب الأوثان ، وسيب السائبة، وبحر البحيرة، ووصل الوصيلة، وحمى الحام، عمرو بن لحي، ومن هنا انتشرت الأصنام، وعبدت الأوثان، كما كانت في قوم نوح عليه السلام، حتى وصل بهم الجهل أن سيطرت خزاعة على البيت، وأخرجت جرهم من مكة، وصار عمرو بن لحي مشرعا لهم ، لا يشرع بدعة إلا اتخذوها عبادة ومنسكا، حيث كان لديه القدرة المالية لإطعام الناس وكسوتهم، وقيل إن الأمر دام له ولولده على مكة ثلاثمائة سنة.[٢]

---

[١] ينظر السيرة النبوية ، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد، تحقيق طه عبد الرءوف سعد، دار الجيل ، بيروت، ١٤١١ هـ، ٢٠٣/١، و أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس المكي الفاكهي ، تحقيق د. عبد الملك عبد الله دهيش، دار خضر ، بيروت، ١٤١٤هـ، ١٣٥/٥، و الروض الأنف في شرح غريب السير، عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي، تحقيق عمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م، ١٦٦/١.

[٢] ينظر الروض الأنف ١٦٦/١.

ومن هنا دخل وتتابع الشرك في العرب ، وانصرفوا عن دين إبراهيم عليه السلام، وصرفوا ما ينبغي صرفه لله، لأصنامهم وأوثانهم، وساءت الأحوال ، وكثر الفساد، وفشت المحرمات، وتركت الفرائض والسنن، وكثرت البدع والخرافات، ومع حصول هذا كله، إلا أنه بقي قلة باقية يبحثون عن الحقيقة وعن الدين الذي افتقدوه، وهؤلاء يسمون بالحنفاء، فلما بعث الله النبيﷺ ، طلب من قريش قومه العودة إلى دين الحنيفية، دين إبراهيم الخليل عليه السلام قبل التغيير والتحريف، داعيا إياهم إلى عبادة الله وحده وترك عبادة الأوثان والأصنام، وترك عبادة كل وسيط يدعونه بينهم وبين الله، وطلب منهم عليه الصلاة والسلام تزكية النفس بفعل الواجبات، وترك المحرمات، واجتناب المنكرات، وترك مفاسد الأخلاق من الأقوال والأفعال، فما وجد منهم إلا العصيان والتمرد والمجابهة، ونابذوه وحاربوه وآذوه هو وأصحابه أيما إيذاء، إلا من القلة القليلة التي استجابت له ولدعوته، ولكن الله جل وعلا أيده ونصره عليهم، وانتشرت دعوة الحق بفضله ومنه إلى كل أرجاء المعمورة.

ولقد كان أهل الجاهلية في غاية من الفساد في القيم والأخلاق، وانقلاب الموازين، ولقد نقل لنا الصحابي الجليل جعفر بن أبي طالبرضي الله عنه ، وأم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنها، نقلا حيا وتصويرا واقعيا لما كان عليه القوم أنذاك، مبينين الفرق بين الجاهلية والإسلام، قال الصحابي الجليل جعفر بن أبي طالبرضي الله عنه للنجاشي ملك الحبشة، ردا على افتراءات السفيرين اللذين أرسلتهما قريش لإرجاع المهاجرين من الحبشة إلى مكة، " أيها الملك كنا قوما على الشرك نعبد الاوثان ونأكل الميتة ونسيئ الجوار، يستحل المحارم بعضنا من بعض في سفك الدماء وغيرها، لا نحل شيئا ولا نحرمه، فبعث الله إلينا نبيا من أنفسنا نعرف وفاءه وصدقه وأمانته فدعانا إلى أن نعبد الله وحده لا شريك له ونصل الارحام ونحمي الجوار ونصلي لله عز وجل، ونصوم له، ولا نعبد غيره، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الامانة وصلة الارحام وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة، فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من عند الله، فعبدنا الله وحده لا شريك له ولم نشرك به شيئا، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا، فعذبونا ليفتنونا عن ديننا ويردونا إلى عبادة الاوثان من عبادة الله، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك

واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك"[1].

أما أوجه الانحطاط في الأخلاق ، فتصوره لنا أم المؤمنين عائشة ﵂ بقولها "أن النكاح في الجاهلية كان على أربع أنحاء فنكاح منها نكاح الناس اليوم يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو ابنته فيصدقها ثم ينكحها ، ونكاح آخر كان الرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طمثها أرسلي إلى فلان فاستبضعي منه ويعتزلها زوجها ولا يمسها أبدا حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه فإذا تبين حملها أصابها زوجها إذا أحب وإنما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع ، ونكاح أخر يجتمع الرهط ما دون العشرة فيدخلون على المرأة كلهم يصيبها فإذا حملت ووضعت ومر عليها ليال بعد أن تضع حملها أرسلت إليهم فلم يستطع رجل أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها تقول لهم قد عرفتم الذي كان من أمركم وقد ولدت فهو ابنك يا فلان تسمي من أحبت باسمه فيلحق به ولدها لا يستطيع أن يمتنع منه الرجل ، ونكاح رابع يجتمع الناس كثيرا فيدخلون على المرأة لا تمتنع ممن جاءها وهن البغايا كن ينصبن على أبوابهن رايات تكون علما فمن أراد دخل عليهن فإذا حملت إحداهن ووضعت حملها جمعوا لها ودعوا القافة ثم ألحقوا ولدها بالذي يرون فالتاط به ودعي ابنه لا يمتنع من ذلك فلما بعث النبي ﷺ بالحق هدم نكاح الجاهلية كله إلا نكاح الناس اليوم"[2].

إن هذا الوسط الوثني بما فيه من الشرور وفساد القيم والأخلاق، هو الذي يجعله المستشرقون مصدرا من مصادر القصص القرآني، ومن ينظر بعين العقل والبصيرة، يرى ويحكم أنه لا يصلح بحال لما أثاروه وتوهموه، وكيف لا والقرآن الكريم كلام الله تعالى المنزل على رسوله ﷺ . ويتبين لنا من خلال ما سبق من الأدلة والنصوص، أن العرب كان فيهم بقايا من أخلاق الإسلام، ومن دين إبراهيم عليه السلام، وجوانب حث عليها الإسلام وأقرها، فلا غرابة إذا أن نجد مثل هذه البقايا بين ثنايا ركام الجاهلية والشرك.

وللوقوف على هذه الشبهات التي أثارها أولئك المستشرقون، بهدف تفنيدها والرد عليها، وإثبات بطلانها، ولنرى إنما هي دعاوى باطنية لا تصمد أمام دليل ولا تثبت أمام الحجة والبرهان. ودعواهم وشبهتهم تدور حول دعوة الإسلام إلى الوحدانية ، حيث تأثر بالوسط

---

[1] البداية والنهاية، ٩٣/٣.

[2] رواه البخاري، كتاب النكاح ، باب من قال لا نكاح إلا بولي، ١٩٧٠/٥ الحديث رقم ٤٨٣٤.

الوثني الذي عاش فيه[1]، وللرد عليها نقول إن الوحدانية مصلح أصيل وقديم ، وموجود منذ هبوط آدم عليه السلام على الأرض، حيث أهبطه الله ومعه عقيدة التوحيد، بأن لا يعبد إلا الله وحده لا شريك له، ولا يعبد معه أي مخلوق آخر، ونبذ الشرك والكفر، وظلت هذه الدعوة هي دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام، بين أقوامهم، كما أخبرنا الله عز وجل في القرآن الكريم بقوله تعالى ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ الأنبياء: ٢٥، قال العلامة الشيخ عبدالرحمن السعدي-رحمه الله- " فكل الرسل، الذين من قبلك مع كتبهم، زبدة رسالتهم وأصلها، الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، وبيان أنه الإله الحق المعبود، وأن عبادة ما سواه باطلة"[2].

وقد نقل هذه الدعوة المباركة إلى جزيرة العرب ، إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، ولكن مع تقادم الأزمان وطول الأمد، نسي العرب شيئا من هذه الدعوة، فطمسوا معالم التوحيد والعقيدة، وأحيوا براثن الشرك والكفر، فبعث الله إليهم محمداﷺ ليذكرهم بدعوة أبيهم إبراهيم عليه السلام، للتوجه إلى الله تعالى بخالص الأعمال، ونبذ الشرك وعبادة الأصنام. فدعوة النبيﷺ إلى الوحدانية ليست بتأثير الوسط الوثني كما يدعيه ويزعمه المستشرقون، بل هي اتصال ومواصلة لدعوة إبراهيم عليه السلام وتجديدا لها في حياة الناس، لأن الأصل واحد لهذه الدعوة، ومن يتقصى التاريخ يجد البرهان على ذلك، يقول د. عمر بن إبراهيم رضوان" والناظر إلى التوراة والإنجيل والقرآن وغيرها من الكتب السماوية ، يجد أن هذه الدعوة متكررة على ألسنة كافة أنبياء الله، فلا غرابة إذا من تجديد الدعوة لها في الإسلام على لسان رسولنا محمدﷺ "[3].

والقرآن الكريم الذي جاء به النبيﷺ من عند الله تبارك وتعالى، مليء بالآيات التي تذكر التوحيد والعقيد، وتدعوا إليها، وتنبذ الشرك والكفر وتنفر منهما، كما في قوله عز وجل ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ

[1] مصادر الإسلام، سانت كلير تسدال ص ٦.
[2] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ٣/٢٧٤.
[3] ينظر آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره، ص ٢٤٥.

دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴾ البينة: ٥ وقوله سبحانه ﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴾ النحل: ٥١، وقوله تعالى في بيان أن إبراهيم عليه السلام داعيا إلى التوحيد، ﴿ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ النحل: ١٢٠.

وتتواصل مزاعم أولئك المغرضون ليثيروا طرفا آخر لتلك الشبهة بقولهم بتشابه الإسلام والوسط الجاهلي، الذي نشأ فيه في جانب الشعائر التعبدية كالحج وما يكون فيه من تقبيل للحجر الأسود وطواف وسعي وغير ذلك من شعائر الحج.[١]

تقدم في الكلام في مقدمة الشبهة، أن دعوة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام تأسست في الجزيرة العربية، ولكن العرب هم الذين غيروا وبدلوا وأحدثوا الشركيات والوثنيات، ومع هذا التغيير الكبير ،إلا أنه بقي في هذا الوسط الوثني ثلة على دين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، كما أن الشرائع التي جاء بها إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، ومُحَمَّدﷺ أصلها واحد وهي منزلة من عند الله عز وجل، نقلها الرسل جميعا إلى أقوامهم، داعين لهم إلى هذا الأصل وهو توحيد الله وإفراده بالعبادة، فالعبادات من صلاة وزكاة وحج وصوم وغيرها، هي عبادات عند الرسل جميعهم، فإذا وجد هناك نوع تشابه في ذلك بين الديانات السماوية، مع اختلاف في الأماكن والهيئات والأوقات، فهذا من الأمر الطبيعي، كما قال عز وجل ﴿ لِّكُلِّ أُمَّةٖ جَعَلۡنَا مَنسَكًا هُمۡ نَاسِكُوهُۖ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِي ٱلۡأَمۡرِۚ وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدٗى مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ الحج: ٦٧ ، يقول ابن كثير –رحمه الله– " يخبر تعالى أنه جعل لكل قوم منسكا، قال ابن جرير لكل أمة نبي منسكا، ولهذا سميت مناسك الحج بذلك لترداد الناس إليها وعكوفهم عليها"[٢].

والمستشرقون أنفسهم يشهدون ويقرون بذلك ، ففي دائرة المعارف الإسلامية يقولون"

---

[١] RICHARD،BELL
Bell's, Introduction to the Quran, Revised by Montgomery Watt CHICAGO:EDUINBURGHAT THE UNIVERSITY PRESS1963, p 9.

[٢] تفسير ابن كثير، ٣/٢٢١.

ولم يك الحج إلى عرفات أمر اختص به العرب ، فالحج إلى معبد من المعابد عادة سامية قديمة جعلت حتى في الأجزاء القديمة من أسفار موسى الخمس فرضا يجب أداؤه فقد ورد في سفر الخروج الإصحاح الرابع والثلاثين (ثلاث مرات في السنة يظهر جميع ذكورك أمام السيد الرب إله إسرائيل"[1] ، يقول د. عمر بن إبراهيم رضوان" فالمسلمون يقفون في حجهم على جبل عرفات، واليهود يقفون في حجهم على جبل سيناء، والنصارى يحجون إلى بيت المقدس في فلسطين، فهل يعني هذا أن الديانات الثلاث أخذن شعيرة الحج من الوسط الجاهلي الوثني؟ والمستشرقون يعرفون أن اليهودية والنصرانية سابقة للوثنية في الجزيرة العربية فلا يبقى إلا أن يكون المصدر لكل ذلك هو الله عز وجل"[2].

وأهل الجاهلية لم يكن لهم بيت واحد للطواف في حجهم، بل كان لهم بيوت أخرى يطوفون بها كبيت ذي الخلصة[3]، فعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال كان في الجاهلية بيت يقال له ذو الخلصة وكان يقال له الكعبة اليمانية أو الكعبة الشامية فقال لي رسول الله ﷺ " هل أنت مريحي من ذي الخلصة " ، قال فنفرت إليه في خمسين ومائة فارس من أحمس قال فكسرنا وقتلنا من وجدنا عنده فأتيناه فأخبرناه فدعا لنا ولأحمس.[4]

وإذا جاء الإسلام بأمر الحج، فإن ذلك لا غرابة فيه، فهذه المناسك والشرائع هي وحي من الله تعالى، وأي تبديل أو تحريف فهو من أعمال الجاهلية ولا ريب، فالإسلام ما جاء إلا ليحي هذه المناسك التي شرعها الله، وبنها وفصلها لتظهر للناس معالم الإسلام ومحاسنه، من خلال هذه المناسك، فهو دين السلام والقيم الفاضلة.

والحج في الإسلام يختلف في مظاهره كليا، عن تلك المظاهر الوثنية، فالحج في الإسلام له أهدافه السامية العظيمة، وهي التوجه بالطاعة والعبادة إلى الله الواحد الأحد، وتذكير الناس بيوم حشرهم واجتماعهم بين يدي الله تعالى يوم القيامة، وفيه من المعاني التربوية المتكاملة في

---

[1] دائرة المعارف الإسلامية ٣٠٥/٧ والكتاب المقدس، جمعية الكتاب المقدس في لبنان، دار الكتاب المقدس، بيروت، ١٩٩٥م، ص ١٤٥.

[2] آراء المستشرقون حول القرآن الكريم وتفسيره، ص ٢٤٦-٢٤٧.

[3] بيت من مروة بيضاء، منقوش عليها كهيئة التاج، كان سدنتها من أمامة من باهلة، كالات والعزى، كان يطلق على هذا المعبد الكعبة اليمانية أو الشامية.

[4] رواه البخاري، كتاب فضائل الصحابة ، باب ذكر جرير بن عبدالله البجلي، ١٣٩٠/٣، الحديث رقم ٣٦١١.

جميع جوانبها، في ظل الإسلام ، هذا الدين العظيم، فأين إذا التشابه المختلق والمزعوم بين دين وتشريعات تسمو بالعواطف الإنسانية العظيمة، من تلك التشريعات الوثنية المنحطة التي لا تزيد معتنقيها إلا انحطاطا وضياعا، فالفرق واضح جلي بين شريعة الإسلام الحكيمة وبين شريعة الجاهلية الجهلاء، وهذا الفرق والبون الشاسع لا يخفي على ذي بصر وبصيرة وعقل راجح سديد.

وشعيرة الحج التي تؤدى في الإسلام ، هي شعيرة الحج التي أداها إبراهيم عليه السلام فالكل تجمعها كلمة التوحيد الخالص لله عز وجل ، وترك كل أنواع الشركيات التي أدخلتها الوثنية على حج إبراهيم عليه السلام، كإدخالهم الشرك على التلبية في قولهم " لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك، إلا شريكا هو لك ، تملكه وما ملك"[1] ، وكاستئذانهم بالوقوف بعرفة من الغوث بن مر[2] وولده من بعده، وكعدم دفعهم من عرفة إلا إذا دفع رجل من صوفة، ولا رميهم إلا إذا رمى رجل من صوفة.[3] فالإسلام يعيد كل تغيير حصل لحج إبراهيم عليه السلام إلى ما كان عليه، وهذا حتما يبطل شبهة المستشرقين، ويصدع بنيانها، فالحج وغير من العبادات هي وحي وتكليف من الله عز وجل لنبيه مُحَمَّد ﷺ ولأمته، وليست أخذا واستنساخا من الوسط الوثني المزعوم، وما بقي عند الجاهلية من بواق الحج وشعائره ومناسكه، هي بقايا دين إبراهيم عليه السلام، جاء الإسلام ليعيدها ويحييها.

والحج لم يستمد من اليهودية كما زعم المستشرق الآخر [دوزي][4] ، فالحج عند الجميع من مسلمين ويهود ونصارى مصدره دين إبراهيم عليه السلام، وهذا ظاهر جلي فيما سبق

---

[1] سيرة ابن هشام ١٠١/١.

[2] الغوث بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر، من أعيان مضر في الجاهلية، كان يخدم الكعبة، ويلي إجازة الحجاج إليها بعد نزولهم من عرفة، وورث ذلك عنه بنوه، وهم يعرفون ببني " صوفة " قيل: لأن أم الغوث جللت رأسه بصوفة وجعلته ربيطا للكعبة يخدمها، ينظر أنساب الأشراف، لأحمد بن يحيى البلاذري ، تحقيق/ سهيل زكار، ورياض زركلي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٧هـ، باب مضر، ٢١/١.

[3] ينظر سيرة ابن هشام ١/ ١٤٣-٢٣٠.

[4] رَيِنْهَارْت دُوزِي . Reinhart Dozy ليدن، هولندا، ٢١ فبراير ١٨٢٠، الإسكندرية، مصر، ٢٩ أبريل ١٨٨٣ مستشرق هولندي وأستاذ العربية في جامعة لَيْدَن، ينتمي إلى أصول فرنسية من الهوغونوتيين، اشتهر بدراسة تاريخ شمال أفريقيا والأندلس. له مؤلفات عدة، أشهرها تكملة المعاجم العربية أو المستدرك، ينظر موسوعة المستشرقين، ص ٢٥٩-٢٦٠.

استعراضه، وأما تقبيل الحجر الأسود، فليس من بقايا الوثنية، ولو كان كذلك ما أبقاه الإسلام، فالحجر الأسود لم يكن يوما من الأيام صنما ولا وثنا للعرب ولم يقدسوه يوما من الأيام، فهل من المعقول أن يتركه الوثنيون ويتركون تقديسه، ويفعل ذلك المسلمون؟ أما قضية احترام الحجر الأسود، فلأنه من بقايا بناء إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام للكعبة، فعمر ابن الخطاب رضي الله عنه قد بين لنا سبب تقبيل الحجر، وأن ذلك سنة مطردة، ومتابعة للرسول الكريم ﷺ ، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه جاء إلى الحجر الأسود فقبله فقال "إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت النبي صلى الله عليه و سلم يقبلك ما قبلتك "[١].

يقول د. عمر بن إبراهيم رضوان "تقبيل الحجر الأسود أمر تعبدي خالص لوجه الله تبارك وتعالى، وإن جهلنا سر ذلك التقبيل، فهو من سنن الطواف بالبيت، فكثير من العبادات تخفى أسرارها والمسلم مكلف بأدائها"[٢] ، والفرق واضح بين من يتوجه لشجر أو حجر أو أي مخلوق تجها مليء بالتعظيم والتبجيل على وجه التعبد والتنسك، وبين أداء عبادة خالصة لله وحده لا شريك له إيمانا واحتسابا ، في زمن معين ومكان معين وصفة معينة، ولكي لا يغتر حديثي العهد بالإسلام ممن كانوا يعظمون الأحجار فيما فعله عمر رضي الله عنه، فقد بين تبيانا لا غموض فيه أنه حجر لا يضر ولا ينفع وأن الضر والنفع بيد الله عز وجل ، وإنما القضية عبادة خالصة لله تعالى ومتابعة لهدي النبي ﷺ .[٣] وهذا التحذير من الاعتقادات الفاسدة، هو الذي وقع فيه المستشرقون أنفسهم، حيث ظنوا أن هذا الفعل هو من بقايا الوثنية.

والناظر في حال المسلمين اليوم في عباداتهم وصلواتهم ، يرى أنهم يستقبلون الكعبة المشرفة جاعلين منها قبلة لهم، ولا يمكن بحال أن نرى ولو مسلما واحدا يدين لله عقيدة وعملا ، أن يتوجه لها ليعبدها بذاتها، بل هناك ما هو أقل من ذلك ، فقد نهانا الله تبارك وتعالى عن الحلف بالكعبة أو القسم بها، وأمرنا بالحلف والإقسام به سبحانه، لأن الحلف بالشيء نوع تعظيم له، والتعظيم لا يكون إلا لله عز وجل. كما أن بعض مناسك الحج ترمز لأمور معينة، كلبس إزاري الإحرام ترمز إلى الكفن الذي يكفن به الميت، وهذا تذكير للناس

---

[١] رواه البخاري، كتاب الحج، باب ما ذكر في الحجر الأسود، ٥٧٩/٢، الحديث رقم ١٥٢٠.

[٢] آراء المستشرقون حول القرآن الكريم وتفسيره، ص ٢٤٩.

[٣] الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، أحمد عبدالرحمن البنا الشهير بالساعاتي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٣٨/١٢.

بالدار الآخرة، والوقوف بعرفة يذكر الناس بالوقوف بين يدي الله يوم الحشر، ورمي الجمار يذكر بكيد الشيطان لابن آدم ، كما حصل منه مع إبراهيم عليه السلام، فلا يمنع أن يكون تقبيل الحجر الأسود رمز لما كان عليه هذا الحجر أول نزوله من الجنة أنصع بياضا من الثلج حتى سودته ذنوب ابن آدم بالشرك وغيره. وتقبيل الحجر الأسود سنة متواترة عن النبيﷺ ، يفعلها كل مسلم، ويقتدي بالنبيﷺ لأنه عليه الصلاة والسلام لا يفعل إلا ما يأمره الله به ، وتقبيله من المناسك التي يفعلها الحاج والمعتمر حال الاستطاعة، فعن جابرﷺ يقول : رأيت النبي ﷺ يرمي على راحلته يوم النحر ويقول "لتأخذوا مناسككم فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه"[1] . فهل بقي بعد هذا البيان من شبهة تثار أو طعن في القرآن والإسلام، إلا في قلوب فاسدة، ونفوس حاقدة، قد امتلأت حقد وغيضا على الإسلام والمسلمين، تقول إن تقبيل الحجر الأسود من بقايا الوثنية والجاهلية.[2]

ويستشهد تسدال في شبهته ، أن الوسط الوثني مصدر من مصادر القرآن الكريم وقصصه، بقصة مريم[3] عليها السلام، وأنها ليست صحيحة ولم ترد في كتب النصرانية المعتمدة بهذا الشكل، واعتبرها خرافية وهمية ولا تصح وهذا حسب زعمه، ويبرهن إنكاره بعدة أمور منها:

١) أن ولادتها لعيسى عليه السلام(وصف في القرآن على شكل أشبه ما يكون بالأسطورة [ميلاد بده] عند الهنود ميلاد[بده] من عذراء لم يمسها رجال).

٢) ذكر خدمتها للهيكل مع أن هذا لا يجوز في حق النساء- على حد زعمه-.

٣) ذكر القرآن أنها أخت هارون أخي موسى- على حد فهمه- وهذا من الخطأ التاريخي في القرآن الكريم للفارق الكبير بينهما.[4]

وللرد على هذه الفرية المغايرة تماما لحقائق القرآن الكريم، وللحقائق والوقائع التاريخية،

---

[1] رواه مسلم، كتاب الحج ، باب استحباب رمي جمرة العقبة، ٩٤٣/٢، الحديث رقم ٣١٠.

[2] ينظر آراء المستشرقون حول القرآن الكريم وتفسيره، ص ٢٤٩-٢٥١.

[3] هي مريم بنت عمران أم المسيحٍ عليهما السلام، وهو عمران بن ماتان بن يعاميم، وموسى وهارون ابنا عمران من قاهت بن لاوي بن يعقوب، ينظر مروج الذهب، ابن الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، المكتبة العصرية ، بيروت، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م،١/ ٤٨-٦٢.

[4] ينظر آراء المستشرقون حول القرآن الكريم وتفسيره، ص ٢٩٦.

نقول أن قصة مريم بنت عمران وابنها عيسى بن مريم عليهما السلام، قد انتشرت في الأوساط المسيحية أيما انتشار، حتى إن فرقة البربرانية ألهوها وابنها عيسى عليهما السلام، وذلك لأنها حملت وولدت عيسى بن مريم بطريقة خارقة للعادة، بغير الطريقة التي تلد بها النساء[1]، وقد ذكر القرآن الكريم قصة تأليههم لهما، بقوله عز وجل ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ ﴾ المائدة: ١١٦ – ١١٧، أما زعمه أن قصة مريم وابنها غير موجودة في الكتاب المقدس، فهذا مردود عليه لورودها في إنجيل لوقا، وجاء فيه " وبعد تلك الأيام حبلت تلك الياصبات[2]، امرأته (أي زكريا عليه السلام) وأخفت نفسها خمسة أشهر قائلة: هكذا قد فعل بي الرب في الأيام التي نظر فيها إلي لينزع عاري بين الناس، وفي الشهر السادس أرسل جبرائيل الملاك إلى مدينة الجليل(اسمها ناصرة) إلى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف، واسم العذراء مريم فدخل إليها الملاك وقال : سلام لك أيتها المنعم عليها ، الرب معك، مباركة أنت في النساء، فلما رأته اضطربت من كلامه وفكرت ما عسى أن تكون هذه التحية، فقال لها الملاك لا تخافي يا مريم لأنك قد وجدت نعمة عند الله ، وها أنت ستحبلين وتلدين ابنا وتسميه يسوع هذا يكون عظيما وابن العلى يدعى ويعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكه نهاية"[3] .

---

[1] ينظر الفصل في الملل والأهواء والنحل ٤٧/١.

[2] إليصابات، بالإنجليزية إليزابيث، هي زوجة النبي زكريا وأم النبي يوحنا المعمدان (النبي يحيى)،واليصابات هذه هي الصيغة اليونانية لاسم لفظه في اللغة العبرية ((إليشيبا أو اليشبع)) أي ((الله قسم)) ومعناه المكرسة للرب، وهو اسم امرأة تقية من سبط لاوي ومن بيت هارون، واسمها في العبرية هو نفس اسم امرأة هارون ((اليشبع))، في الإنجليزية هو إليزابيث وعرب الاسم إلى "اليَصابات" كما في كتب التاريخ العربي، وأصل التاء ثاء، لكن العرب خففوها فجعلوها تاء، وكانت اليصابات هذه زوجة زكريا وصارت فيما بعد أم يحيى ، ينظر الموسوعة الحرة ويكيبيديا.

[3] الكتاب المقدس، العهد الجديد، إنجيل لوقا، الإصحاح ١/ ٢٦-٣٨.

أما إنجيل برنابا فكان أكثر وضوحا وبيانا، حيث جاء فيه " لقد بعث الله في هذه الأيام الأخيرة بالملاك جبريل إلى عذراء تدعى مريم من نسل داود من سبط يهوذا بينما كانت هذه العذراء العائشة بكل طهر بدون أدنى ذنب المنزهة عن اللوم المثابرة على الصلاة والصوم يوما ما وحدها، وإذا بالملاك جبريل قد دخل مخدعها وسلم عليها قائلا: ليكن الله معك يا مريم ، فارتاعت العذراء من ظهور الملاك ، ولكن الملاك سكن روعها قائلا : لا تخافي يا مريم لأنك قد نلت نعمة من لدن الله، الذي اختارك لتكوني أم نبي يبعثه إلى شعب إسرائيل ليسلكوا في شرائعه بإخلاص، فأجابت العذراء وكيف ألد بنينا وأنا لا أعرف رجلا؟ فأجاب الملاك إن الله الذي صنع الإنسان من غير إنسان، لقادر أن يخلق منه إنسانا من غير أب، لأنه لا محال عنده، فقالت مريم: إني لعالمة أن الله قدير فلتكن مشيئته، فقال الملاك: كوني حاملا بالنبي الذي ستدعينه يسوع عيسى، فامنعيه الخمر والمسكر وكل لحم نجس لأن الطفل قدوس الله (مبارك) فانحنت مريم بضعة قائلة: ها أنا ذا أمة الله فليكن بحسب كلمتك فانصرف الملاك ....الخ"[١] . وهذان نصان منقولان من الكتاب المقدس، الأول معترف به عند تسدال والآخر غير معترف به عنده، وكلا النصين يؤيدان وبقوة ما جاء في القرآن الكريم، ويدحضان شبهة تسدال التي لا تستند إلى دليل صحيح، وذلك لإنكاره قدرة الله تبارك وتعالى وعدم تصوره لها، ومن المعلوم أن عقيدة النصارى قائمة على هذه المعجزة الإلهية ، حيث يعتقدون أن أقنوم الابن التحم بعيسى في بطن أمه، وذلك أن هذا الاعتقاد يقوم على أن الله تبارك وتعالى عاقب آدم وذريته بجهنم، من أجل خطيئة آدم بالأكل من الشجرة ، ثم إنه حن عليهم بخروجهم من النار بأن بعث ولده فالتحم في بطن مريم بجسد عيسى (فصار إنسانا وإلها: إنسانا من جوهر أمه وإنسانا من جوهر أبيه، ثم ما أمكنه من خروج آدم وذريته من النار إلا بموته ، وبه يفدي جميع الخلق من الشيطان)[٢] .

فهذه هي عقيدة النصارى على ما فيها من الفساد المبين، إلا أنها شهدت بصدق القرآن الكريم، فيما جاء به من خلق عيسى عليه السلام من غير أب، وأنه لم يستمد مضامينه

---

[١] الكتاب المقدس، العهد الجديد، إنجيل برنابا، الفصل الأول بشرى جبريل للعذراء مريم بولادة المسيح، فقرة ١-١٦ ص ٣٩.

[٢] ينظر تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب ، عبد الله الترجمان الميورقي أبو مُحَمَّد، تحقيق محمود على حماية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٢م، ٢٦/١.

من الوسط الوثني كما ادعاه وزعمه المستشرقون. فالله جل وعلا بقدرته خلق عيسى عليه السلام بلا أب، قد خلق آدم من قبل بلا أب ولا أم ، خلقه من تراب وقال له كن فكان، كما قال عز وجل ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ آل عمران: ٥٩ ، مع أن التوراة أيضا تقر بخلق آدم من تراب ، وخلق آدم أشد وأكبر من خلق عيسى وذلك حسب المقياس البشري، وهذا الأمر يجب أن يومن به ويصدقه كل النصارى ومنهم تسدال صاحب الشبهة، وشتان بين قدرة الله عز وجل وبين قدرة البشر، وهذه القصة حقيقة وواقعية، ومذكورة في الإنجيل المعتمد عندهم، لا كما يدعيه تسدال أنها خرافية، وأنها لم تذكر إلا في كتاب التاريخ القبطي فقط.

والفرق بين أسلوب سرد القصة في الإنجيلين، وبين الأسلوب المعجز في سردها في القرآن الكريم واضح وبين، فهي في القرآن الكريم كما قال تبارك وتعالى ﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ
إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا
فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠
رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ
وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً
مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا
ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا
مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ
رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ
لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥۖ قَالُواْ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ
جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾
فَأَشَارَتْ إِلَيْهِۖ قَالُواْ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ
ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا

دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾ مريم: ١٦ - ٣٦ ، فقصة ميلاد عيسى عليه السلام، المذكورة في القرآن الكريم، هي المذكورة أيضا في الإنجيل بأصولها وأحداثها البارزة، فكيف يأتي تسدال وينكرها ويقول إنها قصة خرافية ومأخوذة من قصة خرافية عند الهنود وهي قصة ميلاد بده، وكيف يتسنى له طمس هذه الحقائق الواضحة البينة، وتحريفها بغيا وعدوا. ورده للقصة وإنكاره لها لمجرد أن مريم كانت تخدم الهيكل، غير مقبول، إذ أن أصل الخدمة في مكان العبادات في الديانات الثلاث للرجال، لكن الأمر لا يمنع النساء من المشاركة، في حدود ما تقتضيه طبيعتهن، وقد حصل هذا في الإسلام زمن النبيﷺ ، فعن أبي هريرةرضي الله عنه أن امرأة سوداء كانت تقم المسجد ففقدها رسول الله ﷺ فسأل عنها فقالوا ماتت، قال: أفلا كنتم آذنتموني، فقال دلوني على قبرها فدلوه فصلى عليها "[١] ، وقد ذكر الإنجيل أيضا خدمة حنة أم مريم[٢]، للهيكل كما في إنجيل لوقا وفيه" وكانت نبية حنة بنت فنوئيل من سبط أشير وهي متقدمة في أيام كثيرة قد عاشت سبع سنين مع زوج بعد بكوريتها وهي أرملة، وثمانين سنة لا تفارق الهيكل عابدة بأصوام وطلبات ليلا ونهارا"[٣].

ولذلك علم الله سبحانه وتعالى إخلاص حنة، المرأة العابدة الناسكة، في دعائها لربها بأن يرزقها ولدا يقوم على خدمة الهيكل، ولكن الله بسابق علمه وقدرته، رزقها أنثى يكون لها شأنا أرفع من شأن الذكور، يخرج منها معجزة عظيمة تدل على كمال قدرته، من غير أب يكون رسولا ومن أولي العزم من الرسل، ودون أن يمسها أحد من البشر. وكأن الله تعالى يقول لها" أنت يا حنة تريدين ذكرا بمفهومك وفاء لنذرك، خادما لبيته المقدس، وأنا وهبت لك

[١] رواه مسلم، كتاب الجنائز ، باب الصلاة على القبر، ٦٥٩/٢، الحديث رقم ٧١.

[٢] حنة هي والدة مريم العذراء والدة يسوع بحسب التقليد المسيحي، وكانت هذه ابنة لماثان بن لاوي بن ملكي من نسل هارون الكاهن، وإسم أمها مريم من سبط يهوذا، ينظر المعارف ، أبي مُحَمَّد عبدالله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق د. ثروت عكاشة، دار المعارف، القاهرة، ١٨٨٢م، ١٢/١.

[٣] الكتاب المقدس، إنجيل لوقا، الإصحاح ٢ فقرة ٣٦-٣٧.

أنثى، سأعطي البشرية بها خادما للعقيدة الإلهية بدلا من خدمته لبيته ، وبها تتحقق آية على قدرة الله الإلهية"[1] . وبهذا تندحر شبهة تسدال وتبطل، ويثبت حقا ما جاء في القرآن الكريم فهو الحق والفصل وليس بالهزل.

وأما ما دعا إليه تسدال بأن القصة خرافية ويعتبرها خطئا تاريخيا في القرآن وذلك بأن القرآن الكريم سماها أخت هارون ظنا منه أنه هارون أخو موسى بن عمران والفترة الزمنية الطويلة بينهما لا تسمح بذلك لأنها تقدر بخمسة عشر قرنا، وللرد على هذه الفرية نقول:
أن للعلماء في هذا الأمر أقوال وآراء، ومنها:
أولا: أن هارون المذكور رجل صالح من بني إسرائيل ينسب إليه كل من عرف بالصلاح، والمعنى أنك كنت في الزهد مثل هارون، فما الذي صيرك لهذا، وقد ذكر هذا قتادة وكعب وابن زيد والمغيرة بن شعبة.[2]
ثانيا: أن هارون هو أخو موسى بن عمران كليم الله ، فكانت مريم من أعقابه، ،وإنما قيل أخت هارون كما يقال يا أخا همدان، و يا أخا العرب، أي يا واحدا منهم.
ثالثا: أنه كان رجلا مشهورا بالفسق، فنسبت إليه بمعنى التشبيه لا معنى النسبة.
رابعا: أنه كان لها أخ يسمى هارون من صلحاء بني إسرائيل فذكرت به، والقول الراجح في ذلك والله أعلم، هو القول الثاني لما جاء عن النبيﷺ أنه هارون أخو موسى، فقد قال لعلي بن أبي طالب عندما أخره عن الغزو في المدينة" أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى"[3]، وجاء أيضا في إنجيل برنابا " كان في أيام هيردوس ملك اليهودية كاهن اسمه زكريا من فرقة أبيا وامرأته من بنات هارون واسمها الياصبات وكان كلاهما بارين أمام الله ساكنين في جميع وصايا الرب وأحكامه بلا لوم"[4] ، فبين هذا ومن كتبهم أن امرأة زكريا [الياصبات] كانت من نسل هارون أخي موسى عليهما السلام، ومن المتعارف عليه أن الياصبات وحنة كانتا أختين ، أما زكريا فكان زوج خالة مريم عليها السلام، وفي هذا إثبات نسب مريم إلى

[1] مريم والمسيح، مُحَمَّد متولي الشعراوي، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ١٤.
[2] ينظر مفاتيح الغيب، ١٧٧/٢١.
[3] الإصابة في تمييز الصحابة – ابن حجر ، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار الجيل ، بيروت، ١٤١٢هـ، ٥٦٩/٤، ورواه البخاري،كتاب المناقب، باب مناقب علي بن أبي طالب، ٤٢/١٢، الحديث ٣٤٣٠.
[4] الكتاب المقدس، إنجيل برنابا، العهد الجديد، الإصحاح الأول.

جدها الأعلى هارون عليه السلام.

ومن خلال استعراض ما سبق يتبين جليا بطلان شبهة تسدال ، وأن القرآن الكريم لم يقع في خطأٍ تاريخي كما زعم ، ولكنه الأسلوب القرآني المعجز الذي لا يدركه أولئك المستشرقون.[1]

وكذلك استشهد تسدال على أن الوسط الوثني مصدر من مصادر القرآن الكريم، بقصة كلام عيسى عليه السلام في المهد، وقال إنها قصة مختلقة ومكذوبة، ومأخوذة من الأقباط، حيث حصل عليها مُحَمَّد عن طريق مارية القبطية، أم عيسى فلم يتكلم إلا بعد سن الثلاثين من عمره، – على حد زعم تسدال– وكلامه كان لشجرة التين عندما لم يجد عليها ثمرا في الوقت الذي يجب أن تكون فيه مثمرة فخاطبها (لا يكن منك ثمر بعد إلى الأبد)[2] فيبست التينة في الحال، هذا هو سبب توهم مُحَمَّد لكلام عيسى في المهد.[3]

وللرد على تسدال في هذه الفرية، نقول إن جهله بالحقيقة أوقعه في هذه الشبهة، إذ أن مارية القبطية هي سرية أهداها له المقوقس صاحب مصر ، وذلك بعد صلح الحديبية ، وقد كانت مارية القبطية نصرانية ثم أسلمت ﵂، وذلك سنة سبع من الهجرة، وسورة مريم نزلت قبل قدومها حيث قُرِأت على النجاشي أثناء هجرة المسلمين للحبشة، ولم ينقل أن مارية كانت عالمة بالنصرانية، أو كانت تنشرها وتدعوا إليها ، بل إن الله شرح صدرها للإسلام فأسلمت من أول أمرها[4] .

أما قضية إنكار تسدال لحقيقة كلام عيسى عليه السلام في المهد، فهو وهم منه، إذ من يعرف حقيقة النصرانية وولعها الشديد بالدعاوى التي ترى أنها في صالح فرية تأليه المسيح عليه السلام ، يستغرب إهمال كتب النصارى التي بين أيديهم اليوم الواقعة مثل وقعة كلام عيسى عليه السلام في المهد، يوم أن برأ ساحة أمه العفيفة الطاهرة مما رماها به المفترون يوم أن أكرمها الله عز وجل بأن تكون أُماً لأحد أولي العزم من الرسل، ويوم أن طهرها واصطفاها

[1] ينظر آراء المستشرقون حول القرآن الكريم وتفسيره، ص ٣٠٠-٣٠٢.

[2] الكتاب المقدس، إنجيل متى، الإصحاح ٢١ الفقرة ١٩.

[3] ينظر مصادر الإسلام ، سانت كلير تسدال ص ١٢٤.

[4] ينظر الإصابة في تمييز الصحابة ٣٩١/٤.

على نساء العالمين، ورفع ذكرها وأعلى مقامها في الملأ الأعلى وفي جنات النعيم.
ومن المعلوم أن النصارى يصرون كل الإصرار على أن يجعلوا عيسى عليه السلام إلها أو ابنا لإله، حتى وإن كان ذلك مصطدما أو معارضا كل حجة ومنطق، فلماذا هم لم يذكروا قصة تكلم عيسى في المهد في أناجيلهم المحرفة؟ .

والناظر إلى كتب الأناجيل المحرفة، يجد أنها اختلفت واضطربت في نسب عيسى عليه السلام، وتخبطت في ذلك إلى درجة انتفاء الشك من أنها كلها محرفة وليست وحيا منزلا ولا من كلام الرسل عليهم الصلاة والسلام، والتي لا يمكن الاعتماد عليها خصوصا فيما يتصل بأمور العقائد، فإسقاطها خبرا من الأخبار ، أو قضية من القضايا الكبرى المهمة، أمرا ليس بالمستبعد، إما لطبيعة هذه المراجع ، أو لأسباب غامضة يبيتها كتابها ومؤلفوها ، ويعلل على ذلك كله بأمور منها:

١) أن تلك الأناجيل قد كتبت في وقت كان فيه اليهود والرومان يضطهدون أتباع المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، ويؤذونهم، ويوصمون المسيح وأمه والمعجزات التي وقعت بين يديه ، بأبشع الكلمات، وأخبث التهم .

٢) من الأمور التي لا يختلف عليها اثنان، أن كلام عيسى عليه السلام في المهد كمعجزة إلهية، كانت للحظات عابرة لم تدم وقتا طويلا، لتثبت بها كرامة مريم، وليثبت طهرها وعفافها مما رماها به قومها من الفرية والكذب، فبرأها الله عز وجل بقدرته على لسان عيسى عليه السلام في المهد، ثم عاد هذا الطفل كغيره من الأطفال، له ما له من الحاجات، ويفعل كل ما يفعله الأطفال، وإذا أضفنا إلى ذلك كله أن عدد الحاضرين وقت حدوث المعجزة قليل من ذويها، ثم ساقوا الخبر للآخرين، وأتى المرتاب ليتحقق من الأمر ، ما وجد إلا طفلا مثل الأطفال لا حول له ولا قوة، كان ذلك سببا من أسباب عدم ذكر وتدوين نطقه في المهد، فلما جاءت كتابة الأناجيل كانت تلك الحادثة قد غبرت في خضم الأحداث والوقائع التي أتت بعدها، والمتصلة بحياة المسيح عليه السلام، والتي انتهت بمطاردته لقتله، ولكن الله نجاه ورفعه بفضله ومنه.[1]

---

[1] ينظر المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل، عبد الكريم الخطيب، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٩٦٥م، ص ١٥٨-١٦٠و آراء المستشرقون حول القرآن الكريم وتفسيره، ص ٣٠٧-٣٠٨.

والقرآن الكريم كلام الله تعالى الذي لم يتبدل أو يتغير على مر الأزمان، يؤكد لنا حقيقة ومعجزة كلام عيسى عليه السلام في المهد، كما قال تبارك وتعالى ﴿ فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا (٢٦) فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا (٢٧) يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا (٢٨) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا (٢٩) قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١) وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا (٣٢) وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (٣٣) ﴾ مريم: ٢٦ – ٣٣ ، كما أكدت لنا ذلك أيضا السنة النبوية الشريفة، فعن أبي هريرةﷺ عن النبي ﷺ أنه قال" لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة عيسى وكان في بني إسرائيل رجل يقال له جريج كان يصلي جاءته أمه فدعته فقال أجيبها أو أصلي فقالت اللهم لا تمته حتى تريه وجوه المومسات وكان جريج في صومعته فتعرضت له امرأة وكلمته فأبى فأتت راعيا فأمكنته من نفسها فولدت غلاما فقالت من جريج فأتوه فكسروا صومعته وأنزلوه وسبوه فتوضأ وصلى ثم أتى الغلام فقال من أبوك يا غلام ؟ قال الراعي قالوا نبني صومعتك من ذهب ؟ قال لا إلا من طين . وكانت امرأة ترضع ابنا لها من بني إسرائيل فمر بها رجل راكب ذو شارة فقالت اللهم اجعل ابني مثله فترك ثديها وأقبل على الراكب فقال اللهم لا تجعلني مثله ثم أقبل على ثديها يمصه – قال أبو هريرة كأني أنظر إلى النبي ﷺ يمص إصبعه – ثم مر بأَمَةٍ فقالت اللهم لا تجعل ابني مثل هذه فترك ثديها فقال اللهم اجعلني مثلها فقالت لم ذاك ؟ فقال الراكب جبار من الجبابرة وهذه الأَمَة يقولون سَرَقْتِ زَنَيْتِ ولم تفعل"[1].

وكون عيسى عليه السلام يشارك اثنين أو ثلاثة في الكلام فهذا يدل على إمكانية حدوث هذا الأمر وفي أوقات مختلفة، وليس من المتعذر عندنا أن يكمل الله عقل الصبي في حال صغره ويبلغه في الفصل مبلغ الأنبياء، كما لا يتعذر عليه تبارك وتعالى أن يخلق البشر في

[1] رواه البخاري، كتاب الأنبياء ، باب واذكر في الكتاب مريم، ١٢٦٨/٣، الحديث رقم ٣٢٥٣ و مسلم كتاب البر والصلة والآداب ، باب تقديم بر الوالدين، ١٩٧٦/٤، الحديث رقم ٨.

الابتداء كامل العقل كما فعله تعالى في خلق آدم عليه السلام.[1] و قد أشارت المصادر والكتب التاريخية إلى كلام عيسى عليه السلام وكلام غيره في مرحلة طفولته.[2]

والخلاصة فيما سبق ذكره في الرد على هذه الفرية، وتلك الشبهة التي أثارها المستشرق تسدال ، حول مصدرية القرآن الكريم وقصصه ومضامينه، أنها فرية لا تقوم على أساس علمي دقيق وموثق، ولا تستند على مراجع علمية صحيحة، ولذلك عندما نوقشت مناقشة علمية صحيحة متجردة من الهوى وحظوظ النفس، تبين فسادها، وظهر بطلانها، وتوارت وتهاوت أمام الأدلة القطعية، والحقائق العلمية جدرانها، واستبان للقارئ والباحث أن الهدف من إثارتها هو الكيد والحسد ، وإثارة الشكوك والارتياب حول الإسلام والقرآن ، للصد عنه، وهذا ما ظهر من ثنايا الشبهة ومضامينها، فلم يكن الهدف بحثا عن الحقيقة، وإنما التشويه والتعتيم والطعن في مصداقية القرآن الكريم، وأنه وحي من الله تعالى إلى رسولهﷺ ، وأن ما أثير من الشبهة لا يعدوا عن كونه كذب وافتراء سرعان ما يذوب ويضمحل أمام البرهان الساطع والحق الامع ، وأن الحق يبقى، والباطل يفنى، كما قال ربنا تبارك وتعالى ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدًا رَّابِيًاۖ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ أَوۡ مَتَٰعٖ زَبَدٞ مِّثۡلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ ﴾ الرعد: ١٧.

[1] ينظر الفكر الإسلامي في الرد على النصارى ، د. عبد المجيد الشرفي، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٦م ، ص ٢٧٣.

[2] ينظر الكامل في التاريخ ، ١/١٧٧.

الشبهة الرابعة

أولا: عرض الشبهة وتوثيقها.

يقول مونتيه[1] في تعليقِه على قصة نوح وولدِه -في سورة هود " يرى أن من المحتملِ أن تكونَ هذه القصةُ قد أوحاها إلى محمدٍ ما وَرَد في التوراةِ عن سُكْر نوحٍ وتعرِّيه ورؤية ابنِه عورتَه، ثم لَعْنه لولدِه وذريَّته بعد ما أفاق وعلم بما وقَع" [2]

ثانيا: الرد عليها ردا إجماليا.

إن التشكيك في قصة نوح عليه السلام في عمومها، أمر دأب عليه الكثير من المستشرقين، فيصفونها تارة بالخيال، وتارة بالاضطراب والتناقض، وقد ذكر الله في القرآن الكريم هذه القصة في مواضع عدة، قصته مع قومه وقصته مع ابنه ومحاورته معه، وأثبت القرآن الكريم صحتها وعرضها للقارئ والمستمع بطريقة وأسلوب مشوق ، خالية من الاضطراب والتناقض والخلل التي يتناقلها المستشرقون، فالقرآن الكريم قد أخبرنا بنجاة نوح عليه السلام ومن آمن معه في الفلك، كما قال عز وجل ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَٰطِبْنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾ المؤمنون ٢٧ وقوله عز وجل ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ﴾ الشعراء ١١٩ ، وأما الكافرون والمكابرون المكذبون، فكان مصيرهم الهلاك، وإن كانوا من أقرب الناس إلى نوح عليه السلام، كما قال عز وجل ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ

---

[1] هو الفيلسوف إدوار مونته الفرنسي مستشرق فرنسي ولد في بلدته لوكادا ١٨١٧ ـ ١٨٩٤، له مؤلفات منها ترجمة القرآن الكريم إلى الفرنسية، والمستدرك على كتاب تفصيل آيات القرآن لـ المستشرق الفرنسي جول لابوم، ينظر الموسوعة الحرة ويكيبيديا ولم أجد له ترجمة في غيرها.

[2] ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة الفرنسية، E. Montet طبعت في باريس عام ١٩٢٩م، ص٣٢٠ و المستشرقون والقرآن، د. إبراهيم عوض، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م، ص ٣٧.

زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ﴿٤٠﴾ وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٤١﴾ وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٖ كَٱلۡجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ هود ٤٠ – ٤٣

﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴾ العنكبوت ١٤ ، وليس في القصة أي تضارب كما يدعيه المستشرقون، والقرآن الكريم هو معيار الصدق والحق ، فهو حجة بالغة على الكتب التي لا تستند على حجة أو برهان، لذا وجب التصديق به وبما أخبر به عن نوح عليه السلام وقومه، وغيره من الأنبياء والرسل، وسؤال نوح ربه أن ينجي ابنه من الهلاك، لا يخرج عن حالتين :

الأولى: أن ذلك السؤال بعد الغرق، فيكون سؤال استعلام وكشف عن حال ابنه، وقيل ربما دعاء له بالرحمة والمغفرة، وفي كلا الأمرين لم يكن ثمة نهي عن الدعاء.

الثانية: أن يكون الدعاء قبل الغرق ، فيكون دعائه ليتوب الله على ابنه، ويهديه إلى الحق والإيمان، وليس في كلا الحالتين أي مخالفة أو معصية تقدح في عصمته عليه السلام.[1]

وليس في القرآن الكريم ما يشير من قريب أو بعيد إلى ما ادعاه مونتيه من أن قصة نوح موحاة إلى النبيﷺ كما هي في سكر نوح عليه السلام وتعريه ، ورؤية ابنه لعورته، ولعنه لابنه وذريته بعدما أفاق وعلم بما وقع، وكل ما أورده من الفرية محض افتراء وكذب ، تدحضه الأدلة النقلية والعقلية، وأن ما ورد في القرآن الكريم عن القصة هو الحق الذي لا يعتريه أبدا شك ولا ريب.

ثالثا: الرد عليها ردا تفصيليا.

أبطل القرآن الكريم هذه الشبهة وتلك الفرية بما لا يدع مجالا للتردد والشك، وذلك بقوة الحجة، وبلاغة الدليل، فالقرآن الكريم لم يذكر أن أهل نوح عليه السلام نجوا جميعا من الغرق ، وإذا ذكر في موطن نجاتهم، فإن هذا لا يتنافى بحال مع ذكر أن بعضهم لم ينجوا ، كما

---

[1] ينظر موسوعة بيان الإسلام ، ٧٣/٦.

قال تبارك وتعالى ﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ الأنبياء ٧٦ ، وقوله عز وجل ﴿ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ (٧٥) وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ (٧٦) ﴾ الصافات ٧٥ - ٧٦ وقال سبحانه ﴿ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴾ الصافات ٨٢ ، وقال تعالى ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ هود ٤٠ قال ابن كثير-رحمه الله- " أي واحمل فيها أهلك وهم أهل بيته وقرابته، إلا من سبق عليه القول منهم ممن لم يؤمن بالله، فكان منهم ابنه يام الذي انعزل وحده وامرأة نوح إذ كانت كافرة بالله ورسوله"[1]. وذكر القرآن الكريم أيضا أن من الذين لم يؤمنوا به ويتبعوه ، ابنه وزوجته، كما قال عز وجل ﴿ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ (٤٢) قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ (٤٣) ﴾ هود ٤٢ – ٤٣، وقال سبحانه في موضع آخر ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴾ التحريم ١٠، فلم تكن الخيانة خيانة عرض أو فراش كما يفتريه بعض المستشرقين، وإنما خيانة مخالفة في الدين، قال الإمام الطبري-رحمه الله- " ذكر أن خيانة امرأة نوح أنها كانت كافرة، وكانت تقول للناس إنه مجنون، وأن خيانة امرأة لوط ، أن لوطا كان يُسِر الضيف، وكانت تدل عليه"[2]، فالقرآن الكريم يخبرنا أن أهل نوح هم المتقون الذين آمنو به، والذين لم يؤمنوا به لا يستحقون أن يتبعوه في النسب، وهذا من إعجاز القرآن الكريم، فبعضه يفسر بعض، والعام فيه يحمل على المقيد، كما قال عز وجل ﴿ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ

[1] تفسير ابن كثير ٤٠٥/٢.

[2] تفسير الطبري ٨١١٣/١٠.

أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ هود ٤٦ ، فالإيمان والتقوى هما الميزان ، كما بين ذلك عز وجل في موضع آخر بقوله ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا ﴾ الأحزاب ٦ ، فالقرآن الكريم خال من التناقض والتضاد والخلل، وكيف لا يكون كذلك وهو كلام الله الجليل.

ولذلك يؤكد لنا القرآن الكريم، أن أهل نوح عليه السلام حقا، هم الذين آمنوا معه، أما من لم يؤمن به وبما جاء به من الحق فليس منه ولا ينسب إليه، ولا يستحق أن يكون من أهله، كما قال سبحانه ﴿ وَنُوحًا إِذۡ نَادَىٰ مِن قَبۡلُ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ الأنبياء ٧٦، ومن العجيب أن يأتي أولئك المستشرقون وينكرون جازمين أنه لم يؤمن مع نوح عليه السلام أحد من قومه، ولم يؤمن معه سوى امرأته وأولاده ونساء أولاده، وهذا بلا شك معارض تماما لنصوص القرآن الكريم، ومجانب للصواب، ومضاد للحقائق، فقد أخبرنا الله في القرآن أن الذين آمنوا معه قليل من الناس، فمن المعلوم أن الله تعالى أرسل نوحا إلى قومه عامة ، فلبث فيهم الف سنة إلا خمسين عاما، يدعوهم إلى الله وإلى عبادته وتوحيده، وبذل لهم من النصح والإرشاد والإنذار والإعذار، ما تبرأ به الذمة، وتنقطع به المعذرة، ولكنهم أبو النصيحة ، وكابروا وعاندوا ، وقابلوه بأنواع الأذى ، وقالوا كيف يكون رسولا وهو بشر مثلنا، ولم يؤمن به إلا أراذل القوم وضعفاءهم، كما قال تعالى عنهم ﴿ فَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ ﴾ هود ٢٧ ، ولكنه عليه السلام مع ما وجد منهم من تكذيب وعناد وأذى، لم يمل ولم يقف عن مواصلة دعوتهم واستنقاذهم من النار، حتى أتى أمر الله عليهم وأذن بهلاكهم بالطوفان، كما قال تعالى ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴾ العنكبوت ١٤ ، وأوحى الله إليه بحلول العذاب، وأمره

بصنع السفينة لتكون سببا لنجاته ونجاة من آمن معه، وحكم عز وجل على الكافرين بالغرق والهلاك ﴿ وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴾ هود ٣٧.

ومما يُرَد به على شبه المستشرقين أيضا، أن الله لم يسم الذين آمنوا مع نوح عليه السلام بالأراذل، وإنما الذين سموهم بذلك هم الكافرون من قومه، حسدا وبغضاء للمؤمنين، وإنما اصطفاهم الله أتباعا لنوح عليه السلام، ونجاهم في الدنيا والآخرة، وهداهم إلى صراطه المستقيم، وبقوا ما شاء الله أن يبقون، وبقيت ذريته من بعده عليه السلام تسير على ما سار عليه، ونفع الله بهم العالمين، كما قال تعالى ﴿ وَجَعَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلۡبَاقِينَ ﴾ الصافات ٧٧، قال ابن عاشور " وظاهر هذا أن من آمن مع نبي الله نوح عليه السلام من غير أبنائه لم يكن لهم نسل، قال ابن عباس رضي الله عنهما لما خرج نوح من السفينة مات من معه من الرجال والنساء، إلا ولده ونسائه"[١] ، وبذلك تندفع شبة وفرية من وصفوا القرآن بالتعارض والتناقض من المستشرقين، وينتفى اللبس والتعارض الذي أولوه في كل من قوله تعالى ﴿ وَجَعَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلۡبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٖ فِي ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ الصافات ٧٧ - ٨١ وقوله تعالى ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ﴾ هود ٤٠ .

أما ما أورده المستشرق الفرنسي إدوار مونتيه من أن قصة نوح مع ابنه قد أوحاها إلى مُحَمَّد ما ورد في التوراة عن سكر نوح وتعريه ورؤية ابنه عورته، ثم لعنه لولده وذريته بعدما أفاق وعلم بما وقع، فنقول هذا محض افتراء وكذب، وتجن على رسول كريم من رسل الله، ولم يرد في القرآن الكريم ما يشير إلى ذلك البتة، وما ورد في التوراة فهو من آثار التحريف والتغيير والتبديل، كله كذب وزور وبهتان، نابع عن عداوة وبغضاء ، وتشويه لصورة الإسلام الناصعة،

---

[١] التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، مُحَمَّد الطاهر بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد الطاهر بن عاشور التونسي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت ، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ٤٧/٢٣.

بهدف صد الناس عنه، والقرآن الكريم لا يجوز أبدا على الأنبياء والرسل أن يسكروا وينحدروا في سكرهم إلى هذا المستوى الذي ذكره مونتيه، وكيف يسمح لنفسه مغايرة الإنصاف والعدل، وترجمة الآيات كيفما جاءت، وحسبما يمليه عليه الميل والهوى، وكيف يتأتى هذا الأمر ونوح نفسه عليه السلام قد ابتهل إلى الله تعالى، مشوبا بالآلام والضيق والكرب مما لحق بابنه من المصير المحتوم، كما جاء عنه في القرآن الكريم ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ هود ٤٥ ، فهل هناك أي رابطة أو آصرة بين هذه اللوعة والألم والحسرة الأبوية الجياشة، وبين اللعنة الموهومة ، والفرية المشئومة التي رُمِي بها نوح عليه السلام ابنه وكل ذريته من بعده؟ وعلى أي شيء، أَعَلى ذنب- إن صحت هذه الفرية وتلك الخرافة اليهودية، وهي بلا ريب غير صحيحة- هو الذي اقترفه، إذ لو لم يسكر على هذا النحو المقزز لما رأى ابنه عورته، ولم يقتصر مونتيه على هذا الافتراء المتعمد، بل يرى أن قول المولى جل وعلا، على هلاك قوم نوح ﴿ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ هود ٤٤ ، يتعارض مع قوله تعالى قبل ذلك لنوح ﴿ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾ هود ٣٧، فأين هذا التعارض إذا بين الآيتين، فقوم نوح قد هلكوا، وعند ذلك وبعد الهلاك قيل لهم ﴿ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ هود ٤٤، إلا أن المترجم مونتيه يترجم الآية على غير هدى، ويُحمِّلها من المعاني مالا تحتمل فيقول معناها أبعدوا من هنا أيها الظالمون، فيفسرها على أنهم أحياء، وهم قد أهلكهم الله، إنه يتعمد منابذة القرآن الكريم ومعارضته، فإن ما ذهب إليه من الترجمة بعيد جدا عما يعنيه القرآن الكريم، بل بعيد عن ما يقتضيه المنطق والعقل السليم، إذ كيف يتأتى له أن يجعل القرآن يخاطب قوما أحياء وهم في الحقيقة أموات هالكين، هذه ترجمة بعيدة عن كل موضوعية ومنطق علمي صحيح.[١]

قلت إن من يقرأ هذه الشبهة والفرية ويتمعن فيها، لا يخالجه شك في أنها لا تصمد بحال أمام أدلة القرآن الكريم، وأحداث قصصه الحقيقية، وذلك لأن مونتيه لا يستند في دعواه على أدلة صحيحة، بل إنه في بحثه وترجمته يفتقر إلى أبسط أبجديات البحث العلمي الصحيح، بل بناءه للشبهة بما تحمل من مفردات ومعان لا يمكن أن تمر على المنطق والعقل السليم مرور

[١] ينظر المستشرقون والقرآن ص ٣٧.

الكرام، بل لا يتردد في مجها ولفظها، وإذا كانت الترجمات في عمومها وهي تتخذ مجرى علمي صحيح، لا تخلوا من خلل فني في المعنى حال النقل، فكيف إذا كانت الترجمة بعيدة كل البعد عن المنهج العلمي الصحيح؟ فهذ الشبهة بما تضمنته من كذب وتلفيق وتزوير مردودة كما وكيفا، ومعنى ومبنى، وصدق الله حين قال ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ التوبة ٣٢.

الشبهة الخامسة

أولا: عرض الشبهة وتوثيقها.

" زعمهم أن في قصة أخذ موسى بلحية هارون ورأسه هو تحية على الطريقة التي كانت شائعة في آسيا الشرقية في الزمن القديم رمزا على المودة والإخاء، ثم يحيل إلى نص ورد في الإصحاح العشرين من سفر" صمويل الثاني"، فقال" يوءاب لعماسا:" أسالم أنت يا أخي؟ وأمسكت يد يوءا باليمنى بلحية عماسا ليقبله""[1] إدوار مونتيه.

ثانيا: الرد عليها ردا إجماليا.

إن أخذ موسى برأس ولحية أخيه هارون كما في قوله تعالى ﴿ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴾ طه ٩٤ إنما هو ليدنيه منه ويسمع منه الحقيقة، إذ كان موسى غضبا لما حصل غيرة على دين الله عز وجل ، وكراهية لما حصل من قومه من عبادة العجل، فلما تبينت له الحقيقة، وأن هارون لم يكن مذنبا ولم يحصل منه أي تقصير في نصح القوم وردهم عما هم عليه، استغفر لنفسه ولأخيه، كما في قوله سبحانه ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ الأعراف ١٥١ ، ورجع لمحاسبة قومه، ومحاسبة السامري الذي صنع العجل، وأغراهم بعبادته، كما قال تعالى ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾ ﴾ طه ٩٥ – ٩٨.

---

[1] ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة الفرنسية، ص ٤٤٩ والمستشرقون والقرآن ص ٣٨، و موسوعة بيان الإسلام ص ٢٥٣.

وما أورده مونتيه من الشبهة بقوله إن أخذ موسى عليه السلام برأس ولحية أخيه هارون عليه السلام، هو تحية اعتادها الناس فيما بينهم في آسيا الشرقية، إنما هو محض افتراء وكذب وتفسير وترجمة غير صحيحة للقرآن الكريم، ولا يوافق العقل والنقل أبدا، وما جاء به القرآن الكريم هو الحق والموافق للعقل والنظر الصحيح.

ثالثا: الرد عليها ردا تفصيليا.

هذه القصة بين موسى وأخيه هارون عليهما السلام، قصة وواقعة حقيقية ذكرها الله تعالى في القرآن الكريم، حيث أنه عليه السلام استعجل أمر ربه، تاركا هارون وبقية القوم خلفه، كما حكى الله عنه بقوله عز وجل ﴿ وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ (٨٣) قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ (٨٤) ﴾ طه ٨٣ – ٨٤، فما كان من قومه إلا أن فُتنوا بفتنة السامري ، بعبادة العجل، ولم يقدر هارون عن ردهم عن ذلك ، كما في قوله تعالى ﴿ وَلَقَدۡ قَالَ لَهُمۡ هَٰرُونُ مِن قَبۡلُ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي (٩٠) قَالُواْ لَن نَّبۡرَحَ عَلَيۡهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرۡجِعَ إِلَيۡنَا مُوسَىٰ (٩١) ﴾ طه ٩٠ – ٩١، قال ابن كثير –رحمه الله– " يخبر تعالى عما كان من نهي هارون عليه السلام لهم عن عبادتهم العجل وإخباره إياهم، إنما هذا فتنة لكم وإن ربكم الرحمن الذي خلق كل شيء فقدره تقديرا، ذو العرش المجيد الفعال لما يريد، ﴿ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي ﴾ أي فيما آمركم به واتركوا ما أنهاكم عنه، ﴿ قَالُواْ لَن نَّبۡرَحَ عَلَيۡهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرۡجِعَ إِلَيۡنَا مُوسَىٰ ﴾ أي لا نترك عبادته حتى نسمع كلام موسى فيه، وخالفوا هارون في ذلك وحاربوه وكادوا أن يقتلوه"[1].

فلما رجع إليهم موسى عليه السلام واكتشف ما هم عليه من عبادة العجل، غضب متأسفا مما فعلوه بعده من مخالفة لما كانوا معه عليه، فألقى الألواح وأخذ برأس هارون ولحيته، فكان ما كان من رد هارون بما لقيه من قوم موسى من الأذى وعدم سماع النصيحة ، كما بين الله ذلك بقوله ﴿ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ (٩٢) أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيۡتَ أَمۡرِي (٩٣) قَالَ يَبۡنَؤُمَّ لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي وَلَا بِرَأۡسِيٓۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقۡتَ بَيۡنَ بَنِيٓ

[1] تفسير ابن كثير ٣/ ١٥٥.

﴿ ... إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَمۡ تَرۡقُبۡ قَوۡلِي ﴿٩٤﴾ ﴾ طه ٩٢ – ٩٤، قال العلامة السعدي– رحمه الله– " فأقبل موسى على أخيه هارون لائما له، لم تخبرني لأبادر بالرجوع إليهم، فأخذ موسى برأس أخيه هارون ولحيته، يجره من الغضب والعتب عليه، فقال هارون (يا بن أم) ترقيقا له، وإلا فهو شقيقه ﴿ لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي وَلَا بِرَأۡسِيٓۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقۡتَ بَيۡنَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَمۡ تَرۡقُبۡ قَوۡلِي ﴾ أي فإنك أمرتني أن أخلفك فيهم، فلو تبعتك، لتركت ما أمرتني بلزومه وخشيت لائمتك، وأن تقول فرقت بين بني إسرائيل حيث تركتهم، وليس عندهم راع ولا خليفة، فإن هذا يفرقهم ويشتت شملهم، فلا تجعلني مع القوم الظالمين، ولا تشمت فينا الأعداء"[1].

هذه هي القصة على وجه الحقيقة كما أوردها القرآن الكريم، أما الفرية التي افتراها المستشرقون ومنهم إدوار مونتيه على وجه الخصوص، فهي مغايرة تماما، ومكذوبة على موسى وهارون عليهما السلام، إذا لا تناسب أبدا بين ما أورده مونتيه، وبين الموقف الذي دار بين موسى وهارون، فالغيرة على دين الله عز وجل، والتأسف على ما فعله القوم، يستدعي من موسى عليه السلام أن يأخذ برأس ولحية هارون لائما له على عدم اللحاق به، فموسى عليه السلام أسند إلى هارون عليه السلام مهمة وهي أن يحفظ القوم من أن ينحرفوا عن الجادة، ولاسيما أنهم حديثي عهد بالإسلام، وينهاهم عن عبادة العجل، وإن لم يستطع فليلحق به إلى جبل الطور[2]، وقد أدى هارون عليه السلام تلك المهمة على أكمل وجه، ولكنه لم يستطع رد القوم عن عبادة العجل، فقد تعرض لألوان الأذى وصلت إلى حد القتل، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم، وأيده العقل السليم، كما قال تعالى ﴿ قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي فَلَا تُشۡمِتۡ بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ وَلَا تَجۡعَلۡنِي مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ الأعراف ١٥٠ ، قال ابن كثير –رحمه الله– " أي لا تسوقني سياقهم ، ولا تجعلني معهم"[3].

ولذلك بادر موسى عليه السلام بالاستغفار له ولأخيه مما حصل، والأنبياء والرسل

---

[1] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٣/ ٢٤٨–٢٤٩.

[2] ينظر حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، د. محمود حمدي زقزوق ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، مصر، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢ م، ص ٣٤٢.

[3] تفسير ابن كثير ٢/ ٢٣٠.

يشفقون مما لا يشفق منه غيرهم، ويعلمون من الله ما لا يعلمه غيرهم، فموسى عليه السلام لا يريد ترويع أخيه، ولا أن يظن به سوء، ولكنها غيرة على دين الله، وغضب من أجل شريعة الله، ولذلك بادر عليه السلام بمعالجة الوضع، ومعاقبة السامري، وإحراق العجل ونسفه في البحر، ورد الناس إلى توحيد الله وعبادته، كما قال عز وجل ﴿ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴾ طه ٩٧، يقول د. محمد الحديدي " ولكن مما يشفع لهارون عليه السلام أنه ليس بالقوة والشدة التي بهما موسى عليه السلام، فكان يخشى من القتل ما لا يخشاه موسى"[١].

ولقد خالف مونتيه ما جاء في القرآن الكريم، وأول النص القرآني وترجمه على ما يمليه عليه الهوى، دون أن يكلف نفسه عناء الاطلاع على ما لدى المسلمين من مراجع وتفاسير معتمدة، ليتبين على ماذا يدل النص، ولذلك انحرف في التأويل وأتى بما لا يتوافق أبدا مع النقل والعقل، فيقول إن أخذ موسى بلحية أخيه هارون ورأسه إنما هي تحية متعارف عليها في آسيا الشرقية في الزمن القديم رمزا على المودة والإخاء، ويستشهد على كلامه بنص ورد في الإصحاح العشرين من سفْر [صمويل الثاني] " فقال يؤاب لعماسا: أسالم أنت يا أخي ؟ وأمسكت يد يوآب اليمنى بلحية عماسا ليقبله"[٢]، جاعلا من هذا النص إشارة إلى ما يريد من التأويل، ولا نعلم كيف جاءت هذه الطريقة تحية مألوفة في آسيا الشرقية، وعلى أي مستند تستند، ولماذا اقتصرت هذه التحية على آسيا الشرقية فقط، وما العلاقة التي تربطها بما جاء في القرآن الكريم، من أن موسى أخذ برأس أخيه ولحيته على أنها تحية؟ أيدل هذا على أن هارون عندما قال له ﴿ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ ﴾ طه ٩٤ كان يطلب منه ألا يحييه لأنه هو الغضبان وليس موسى؟ ولنفترض جدلا أن مونتيه لم يفهم نص القرآن في سورة طه بالشكل الصحيح، أفلا نظر إلى قول الله تعالى في سورة الأعراف ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ

---

[١] عصمة الأنبياء والرد على الشبه الموجهة إليهم، د. محمد أبو النور الحديدي، مطبعة الأمانة، مصر، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، ص ٣٤٣-٣٤٤.

[٢] الكتاب المقدس، العهد القديم، الإصحاح ٢٠.

قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنۢ بَعْدِيٓۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِي وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ الأعراف ١٥٠ ، أم أنه سيفسر بأن جر الناس بعضهم بعضا من رؤوسهم كان في آسيا الشرقية في الزمن القديم، دلالة على الحب، أم من الحب ما قتل؟. يقول د. إبراهيم عوض " لا جرم إذا أن يقول إن قول الله تعالى ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴾ الأنبياء ٣٤ صعب الفهم، ذلك أنه يرى أن هذه الآية ربما كانت منحولة ، وأنها على أية حال لم تسلم من العبث، ومعناها يصعب الوصول إليه، وفيم كل هذا؟ لقد اكتشفت أن هذه الآية تضاد العقيدة القرآنية التي تقرر أن البشر يخلدون في الجنة أو في النار، ليس هذا فقط، بل إنه من حيرته البالغة أمام هذه الآية يتساءل: أيقصد مُحَمَّد إن الله قد احتفظ له بمكان خاص في الحياة الأبدية؟ (يشير بهذا إلى الجزء الأول من الآية) ثم يستمر قائلا" يبدو أن النبي كان يجهل ما تقوله التوراة عن إخنوخ أن سار مع الله إلى آخر عمره، ثم اختفى لأن الله أخذه" ، لكن كيف كان النبي يجهل هذا يا ترى وهو متهم من هؤلاء المستشرقين بأنه كان يقرأ هذه التوراة ويسرق منها؟ والسؤال هنا ما علاقة هذا بذاك؟ وما وجه المقارنة بين إخنوخ الذي اختفى لأن الله أخذه، وبين إعلان القرآن بأن مُحَمَّدا سيموت، مثله مثل البشر جميعا؟ "[1] .

والخلاصة فيما سبق أن مناقشة أقوال وآراء هؤلاء والرد عليها لا يُعد تضييعا للوقت، لأن هؤلاء هم أئمة قومهم، وكلامهم مؤثر ومسموع، وقد تنطلي حججهم على قليلي العلم ، أو المتأثرين بهم، فتمر شبههم على الإسلام والقرآن ، ويصدقها الجاهلون، فلا بد من تفنيدها والرد عليها، وبيان عوارها وباطلها، حتى تظهر شمس الحقيقة، ويعلم الناس أن ما يدعيه مونتيه وأمثاله من المستشرقين من شبه ما هي إلا محض افتراء وكذب ، فهذا وأمثاله لا يألون جهدا في إثارة الفتن، وبسط التهم، وإثارة الشكوك، ولذلك استبان بطلان شبهته حول قصة موسى وأخيه هارون عليهما السلام، وأنه لا تناسب أبدا بين ما أوَّله وترجمه، وبين ما جاء به القرآن الكريم، وأن ما جاء به لا يمكن بحال أن يتفق مع العقل السليم ، والنقل المتين، وأن ما جاء به

[1] المستشرقون والقرآن ص ٣٨-٣٩.

القرآن الكريم هو الحق الذي لا مرية فيه، وصدق الله حين قال ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ النساء ٨٢ ، وقوله عز وجل ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ فصلت ٤١ - ٤٢ .

الشبهة السادسة

أولا: عرض الشبهة وتوثيقها.

يقول إدوار مونتيه [1] " إن قصة شعيب في سورة هود ، ينبغي منطقيا أن تتلو قصة صالح عليهما السلام، وهو ما يفيد – حسب زعمه – أن قصة إبراهيم ولوط عليهما السلام ليس مكانَها هناك بين القصتينِ المذكورتينِ، لماذا؟ لأن الآيةَ التي تذكر سلسلةَ الأممِ التي أَهلَكها الله قبلَ شعيبٍ – والتي يذكرُهم بها شعيبٌ عسى أن يتَّعِظوا ويطرحوا عنادَهم وكفرَهم – ليس فيها أدنى ذكرٍ لقصةِ إبراهيمَ، إذ لا تشير إلا إلى نوحٍ وهودٍ وصالحٍ، وهذا يدلُّ على أن الآياتِ التي تَحكِي قصةَ إبراهيمَ ولوطٍ لم تكن في الأصلِ جزءًا من هذه السورةِ"[2] إدوار مونتيه.

ثانيا: الرد عليها ردا إجماليا.

إن ما يقوله ويدعيه هذا المستشرق، لا يعدوا عن كونه تهورا أوقعه في التناقض والتضاد، وإلا فالقرآن الكريم له أسلوبه الخاص والفريد في عرض الأحداث والقصص، بما لا يدع مدخلا لشك أو خلل، وكم حاول الكثيرون بالطعن والتشكيك فيه وفي قصصه دون جدوى، لبلاغة أسلوبه، وقوة حجته، وإعجاز آياته، ولا أدل على ذلك من قول الله تبارك وتعالى ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ الأنعام ١٤٩ وقوله عز وجل ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ الإسراء ٨٨، فمونتيه ينفي وجود ذكر لإبراهيم ولوط عليهما السلام في القصة مع أن القصة تدور حول إهلاك قوم لوط ، إذ بدأت بمرور الملائكة على إبراهيم عليه السلام، حيث أخبروه بما قدموا من أجله، وما دور شعيب عليه السلام إلا تذكير قومه بما حل بمن قبلهم من الأقوام ليتعظوا ويعتبروا.

ثالثا: الرد عليها ردا تفصيليا.

إن مونتيه في شبهته هذه يدور حول الآية الكريمة التي يُذكر شعيب عليه السلام فيها

[1] سبقت ترجمته ص ٢٥١.

[2] ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة الفرنسية ص ٣١٤ والمستشرقون والقرآن ص ٤٣.

قومه بالاتعاظ والاعتبار بمن سلف من المكذبين، والتي يقول أنه لم يرد ذكر إبراهيم عليه السلام فيها، وهي قول الله تبارك وتعالى ﴿ وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ ﴾ هود ٨٩ ،متناسيا سياق القصة من أولها والتي حكت عن إهلاك قوم لوط عليه السلام، ومعنى الآية كما حكاه ابن كثير –رحمه الله– هو لا تحملنكم عداوتي وبغضي على الإصرار على ما أنتم عليه من الكفر والفساد، فيصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح وهود وصالح ولوط عليهم السلام من النقمة والعذاب[1]، فذكر إبراهيم عليه السلام لم يرد في هذه الآية وذلك لأن ذكره في أول القصة التي تحكي هلاك قوم لوط، عندما مر عليه الملائكة الكرام الموكلين بإهلاك قوم لوط، أغنى عن إعادة ذكره هنا، فالقرآن الكريم يتمتع بأسلوب الإيجاز والإعجاز، فلا يكرر إلا ما كان داعيا إلى التكرار، ناهيك من أنه تحدى الثقلين أن يأتوا بمثله، أو بسور من مثله، أو حتى بآية من مثله، كما قال تبارك وتعالى ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴾ الإسراء ٨٨ ، وقوله سبحانه ﴿ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ يونس ٣٨، وقوله عز وجل ﴿ فَلۡيَأۡتُواْ بِحَدِيثٖ مِّثۡلِهِۦٓ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ ﴾ الطور ٣٤، فعجز هذا المستشرق عن بلوغ هذا الإعجاز العظيم، جعله يتخبط في ترجمته ويلجأ إلى تلفيق الشبه وتحوير النص والقصة على ما يمليه عليه الهوى.

فالآية الكريمة التي أثار فيها مونتيه الشكوك تذكر لوطا وقومه في جملة مستقلة لا كما ادعاه، ﴿ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ ﴾ هود ٨٩، لأنهم أقرب الهالكين إلى قوم نوح وهود وصالح، يقول الإمام القرطبي–رحمه الله– " ذلك بأنهم كانوا حديثي عهد بهلاك قوم لوط"[2] وقال الإمام عبدالرحمن السعدي–رحمه الله– ﴿ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ ﴾ هود ٨٩ قال" أي لا في الدار ولا في الزمان "[3] ، فأين ادعائه أن الآية لم تذكر سوى نوح وهود وصالح؟

[1] ينظر تفسير ابن كثير ٢/٤١٦.

[2] الجامع لأحكام القرآن ٥/٦٠.

[3] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٢/٣٨٥.

بل وبلغ به الحد أن يدعي أن آخر الآية﴿ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ ﴾ أضيف مؤخرا بهدف التغطية على ما في النص من تناقض وتضاد، كما ظهر ذلك في هامش التمهيد في كتابه[1]، ومعنى كلامه أن قصة لوط وقومه، قصة دخيلة على سورة هود، وما السبب في نظره؟ السبب– على حد زعمه– أن قصة لوط مع قومه لم ترد على لسان شعيب عليه السلام، لكن الحقيقة التي لا يشوبها شك ولا وهم أن القصة أتت على لسان شعيب عليه السلام، وعندما يُسأل مونتيه عن حقيقة ورودها في القرآن الكريم، وفي نهاية الآية، لم يكن يملك من الجواب ما يدلي به سوى الادعاء بأن المسلمين هم من دسوها وأضافوها إلى الآية فيما بعد لتغطية التناقض الموجود في السورة، والله عز وجل قد زكى القرآن وحماه بقوله عز وجل ﴿ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴾ فصلت ٤٢ ، ولكن لو سئل هذا المستشرق أين التناقض الذي تدعيه في الآية؟ لما وجد جوابا يدلي به، لماذا لأنه ادعاء كذب وافتراء على القرآن الكريم، وظلم وبهتان للمسلمين، بل واتهام لله ورسولهﷺ ، والله سبحانه قد بين شناعة ذلك بقوله سبحانه ﴿ إِنَّمَا يَفۡتَرِي ٱلۡكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ﴾ النحل ١٠٥ ، يقول ابن كثير –رحمه الله– " إنما يفتري الكذب على الله وعلى رسولهﷺ شرار الخلق من الكفرة والملحدين المعروفين بالكذب عند الناس، والرسول محمدﷺ كان أصدق الناس وأبرهم وأكملهم علما وعملا وإيمانا ويقينا، معروفا بالصدق في قومه، لا يشك في ذلك أحد منهم"[2].

وعلى افتراض أننا أخرجنا آخر الآية، بناء على ادعاء مونتيه أنها مضافة من قبل المسلمين وليست من الآية، فسيكون انتهاء الآية عند كلمة صالح، فهل تنسجم هذه النهاية مع بقية نهايات الآيات وفواصل السور؟ إن من له أدنى نصيب من العقل والبصيرة ، ومن له التصاق بالقرآن وتلاوته والتلذذ بآياته ومعانيه، ليجزم بأنها ليست ناشزة بين فواصل سورة هود فقط ، بل بين فواصل سور القرآن كلها، ومن ناحية أخرى ، نلاحظ أن القصص الأربع في هذه الآية، جاءت بهذا الترتيب أيضا في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم، فجاء ذكرها في سورة

---

[1] ينظر ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة الفرنسية ص ٣٢٦ والمستشرقون والقرآن ص ٤٣.

[2] تفسير ابن كثير ٢/٥٣٩.

الأعراف وذلك من قوله عز وجل ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ الأعراف ٥٩ ، إلى قوله سبحانه ﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَـٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَـٰفِرِينَ ﴾ الأعراف ٩٣ ، وفي سورة الحج في قوله تعالى ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَـٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَـٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ ﴾ الحج ٤٢ – ٤٤ ، وفي سورة الشعراء من قوله تعالى ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ الشعراء ١٠٥ إلى قوله تعالى ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ الشعراء ١٩١، فلماذا تجاهل مونتيه هذه المواضع، ولم يتطرق لها وهي ذات صلة بالموضع الذي أثار فيه شبهته، ولم يدلي ولو بتعقيب عليها، وأين مواضع تشكيكاته إذا؟ .

قلت إن هذا ليدل دلالة قاطعة لا يشوبها شك ولا ريب، على أن ما أثاره هذا المستشرق هو مجرد شبهة مضمونها افتراء وكذب وتشكيك في مضامين هذا الكتاب العزيز، من قصص وحوادث ووقائع، ولقد تبين من خلال الرد على هذه الشبهة بطلانها، لافتقادها لأبسط معالم البحث العلمي الصحيح، وتجرد صاحبها من الموضوعية، وخلو ترجمته من العدل والحيادية والإنصاف، إذا أن ما أثاره من فرية مناقض تماما لحقائق القرآن الكريم الموافقة للعقل والنقل ومواكبة للزمان والمكان. ولو كان مونتيه منصفا وأقرب للموضوعية لبين لنا أين التناقض المزعوم في الآيات، ولكن لعجزه عن الإتيان بمثل ذلك، الذي عجز عنه غيره، لجأ إلى الدسائس وتحميل النصوص ما لا تحتمل، صدا عن الإسلام والقرآن، وتشويه معالم الدين والقرآن، فتساؤله لم يكن مقتصرا على هذه القصة فحسب ، وإنما طعن في كل قصص القرآن وآياته في ترجمته، وهذا دليل على أن أهدافه لا تعدوا عن كونها تشويه لصورة الإسلام والقرآن والطعن في صدق النبي الكريم عليه الصلاة والسلام، وما جاء به من عند الله تبارك وتعالى، وصدق الله حين قال ﴿ وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ۖ ﴾ النساء ٨٩ وقوله عز

وجل ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ
وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ البقرة ١٢٠ .

الشبهة السابعة

أولا: عرض الشبهة وتوثيقها.

يقول أحد تلامذة المستشرقين وهو مُحَّد أركون[١] " إن تأثير هذا القصص على وعي سامعي القرآن مختلف بحسب طريقة التلقي، أي أنها إما تتلقى عن طريق الوعي الأسطوري الدوغمائي[٢] (الأصولي المنغلق)، أو عن طريق الوعي التاريخي"[٣].

ثانيا: الرد على الشبهة ردا إجماليا.

لم يأت هذا المستشرق بشيء جديد، ولم يتجاوز ما قاله أسلافه من كفار قريش، وإن اختلفت العبارات والمصطلحات، فهو يردد ما قد قيل في القرآن والإسلام من قبل، فحين نزل القرآن الكريم على النبي ﷺ ، قابلته قريش بأخبث النعوت، فقالوا كذب وسحر وشعر، وقالوا عنه أساطير الأولين كما يقوله هذا المستشرق ، وقد حكى الله عنهم وأخبرنا عما قالوا، وكأنه عز وجل ينبئنا أنه سيأتي أقوام يقولون مثل ما قال أولئك، فقال عز وجل ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ

---

[١] مُحَّد أركون 14 – 1928) سبتمبر 2010 م (مفكر وباحث أكاديمي ومؤرخ جزائري راحل، ولد عام ١٩٢٨ في بلدة تاوريرت ميمون (آث يني) الأمازيغية بالجزائر، وانتقل مع عائلته إلى بلدة عين الأربعاء (ولاية عين تموشنت) حيث درس دراسته الابتدائية بها. ثم واصل دراسته الثانوية في وهران لدى الآباء البيض ،يذكر أركون أنه نشأ في عائلة فقيرة، وكان والده يملك متجراً صغيراً في قرية اسمها (عين الأربعاء) شرق وهران، فاضطر ابنه مُحَّد أن ينتقل مع أبيه، ويحكي أركون عن نفسه بأن هذه القرية التي انتقل إليها كانت قرية غنية بالمستوطنين الفرنسيين وأنه عاش فيها "صدمة ثقافية"، ولما انتقل إلى هناك درس في مدرسة الآباء البيض التبشيرية، والأهم من ذلك كله أن أركون شرح مشاعره تجاه تللك المدرسة حيث يرى أنه (عند المقارنة بين تلك الدروس المحفزة في مدرسة الآباء البيض مع الجامعة، فإن الجامعة تبدو كصحراء فكرية)، ثم درس الأدب العربي والقانون والفلسفة والجغرافيا بجامعة الجزائر ثم بتدخل من المستشرق الفرنسي لوي ماسينيون (Louis Massignon) قام بإعداد التبريز في اللغة والآداب العربية في جامعة السوربون في باريس ، ثم اهتم بفكر المؤرخ والفيلسوف ابن مسكويه الذي كان موضوع أطروحته، ينظر مُحَّد أركون ناقد معاصر للعقل الإسلامي، للباحثة الألمانية أرزولا غونتر، دار النشر إيرغون، عام ٢٠٠٤م، قلت وكما لنا من ترجمته أنه متأثر بالفكر الاستشراقي والمنهج التبشيري، ومتأثر أيضا بأساتذته من المستشرقين ولذلك يُعد من تلامذتهم في الوطن العربي والإسلامي، ويردد ما أثاروه من الشبه والتهم حول الإسلام والقرآن فهو يسير في ذات الاتجاه.

[٢] الدوغمائية Dogmatism هي حيلة فكرية مخاتلة قائمة على تأكيد المرء لمعتقداته بأمر وسُلطان، ودون القبول بأنها قد تحتمل شيئًا من النقص أو الخطأ أو أن تطويرها لازم وضامن لاستمرار فاعليتها، ينظر موسوعة أندريه لالاند الفلسفية، تعريب: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، باريس ، ٢٠٠١م، ١/ ٢٩٧ – ٢٩٨.

[٣] الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، مُحَّد أركون، ترجمة هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، ١٩٩٨م، ص١٣٠.

إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ الأنعام ٢٥ وقال سبحانه ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ الأنفال ٣١، وقال تعالى ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ النحل ٢٤ ، وقال عز وجل ﴿ بَلْ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾ ﴾ الأنبياء ٥ ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ ﴾ الأنعام ٧، إلى غير ذلك من الآيات التي تخبرنا عن مضي هذه المقولات في أعداء الدين من الكفرة والمنافقين والمستشرقين وغيرهم من ملة الإلحاد والكفر على مر الأزمان والعصور، فليس غريبا إذاً أن نسمع هذا من أركون وغيره، ولكن الذي يُرد به عليه هو أن القصص القرآني قصص حق، لا يعتريه كذب ولا تدليس باق على أصله منذ أنزله الله تعالى على رسولهﷺ ، لم يعتريه تغيير ولا تبديل.

وأما ما أورده مُحَّد أركون في قضية تلقي القرآن، ووصفه لمن تلقاه بالأسطوري أو الأصولي المنغلق، فهذا نعت لا يقبل أبدا ولا يتسم بالموضوعية ولا العلمية الصحيحة، فلقد تلقى صحابة رسول الله ﷺ القرآن الكريم وما جاء به من القصص الحق ، تلقي المؤمن المصدق والمقتنع قناعة تامة بما فيه من العلوم والأخبار والمعارف ، ونقلوه لمن بعدهم من التابعين وهكذا حتى بلغ الآفاق، ولم يكونوا منغلقين على أنفسهم كما قال أركون، فما العلوم التي بأيدي الغرب الآن إلا من بركات وثمرات ما جاء به الرسولﷺ من القرآن والسنة، ولكن أركون هو الذي أغلق قلبه وسمعه وبصره عن مضامين كتاب الله تعالى، وعن النور والهدى الذي جاء به هداية ونورا للناس، فالناس في سماع القرآن الكريم أصناف وأنواع، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله- "أصل السماع الذى أمر الله به هو سماع ما جاء به الرسول رسول اللهﷺ سماع فقه وقبول ولهذا انقسم الناس فيه أربعة أصناف :

الأول : صنف معرض ممتنع عن سماعه .

الثاني : صنف سمع الصوت و لم يفقه المعنى .

الثالث : صنف فقه المعنى ولكنه لم يقبله .

الرابع : الذى سمعه سماع فقه وقبول .

فالصنف الأول: صنف معرض ممتنع عن سماعه كالذين قال الله فيهم ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾ فصلت ٢٦.

والصنف الثاني: مَنْ سمع الصوت بذلك لكن لم يفقه المعنى كما قال تعالى ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ البقرة ١٧١، وقوله تعالى ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ الأنعام ٢٥.

والصنف الثالث: من سمع الكلام وفقهه لكنه لم يقبله ولم يطع أمره كاليهود الذين قال الله فيهم ﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ النساء ٤٦، وقوله تعالى ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ البقرة ٧٥.

والصنف الرابع: الذين سمعوا سماع فقه وقبول فهذا هو السماع المأمور به كما قال تعالى ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ المائدة ٨٣، وقوله عز وجل ﴿ قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾ ﴾ الجن ١ – ٢.[1]

[1] مجموع الفتاوى ١٦/٨.

ثالثا: الرد عليها ردا تفصيليا.

قبل الشروع في الرد على هذه الفرية ردا تفصيليا، نريد إلقاء الضوء على شيء من فكر هذا المستشرق مُحَّد أركون، وموقفه من القرآن الكريم ومضامينه من قصص وغيره، ومدى تأثره بالفكر الاستشراقي.

إن الناظر إلى فكر مُحَّد أركون وموقفه من القرآن الكريم وتأثره بالمنهج والفكر الاستشراقي، ليجد الغموض والاضطراب تكتنف كتاباته وآرائه، ففي الوقت الذي يثير فيه الشبهات والشكوك حول صحة القرآن الكريم وقصصه واكتمال نزوله على النبي ﷺ ونعته بأوصاف الانتقاص، كالأساطير وغيرها ، إلا أنه يبتعد عن قضية التصريح بما يصرح به كثير من المستشرقين، في نفي أن المصدر الوحيد للقرآن الكريم هو الله عز وجل وأنه كلامه الذى أوحاه إلى رسولهﷺ ، ومع ذلك كله يبقى موقفه في الطعن والتشكيك غير المباشر في مصداقية الوحي هو الأخطر، لما فيه من التلبيس والتدليس على عموم القراء من المسلمين، ولذلك أود نقل بعضا من مواقفه تجاه كتاب الله تعالى من خلال كتاباته وتصريحاته في مؤلفاته، ليتضح منهجه الذي يستحق النقد والرد، وهذه بعض من مواقفه تجاه القرآن الكريم:
أولا: نعته للقرآن الكريم بأنه نصا تاريخيا فحسب.

يرى مُحَّد أركون أن القرآن الكريم مجرد نصوص تاريخية- على حد زعمه- وأنه جزء من التراث الذي لا بد من إخضاعه للنقد، وإخضاعه أيضا لمحك النقد التاريخي المقارن وللتحليل الألسني التفكيكي[1]، يقول عن المنهج التفكيكي في دراسة القرآن الكريم مسوغا لآرائه "لننتقل الآن إلى ما يدعوه الناس عموما بالقرآن، إن هذه الكلمة مشحونة إلى أقصى حد بالعمل اللاهوتي، والممارسة الطقسية الشعائرية الإسلامية منذ مئات السنين، إلى درجة أنه يصعب استخدامها كما هي، فهي تحتاج إلى تفكيك سابق، من أجل الكشف عن مستويات من المعنى والدلالة كانت قد طُمست، وكُتبت ونُسيت من قبل التراث التقوي الورع، كما من قبل

[1] ينظر تاريخية الفكر العربي الإسلامي، مُحَّد أركون، ترجمة: هاشم صالح، مركز الإنماء القومي، بيروت، ١٩٩٦م، ص ١٢٣-١٢٤.

المنهجية الفيولويجية (اللغوية) النهائية، أو المغرقة في التزامها بحرفية النص"[1]

ويعمد مُحَّد أركون إلى التأكيد بأن هناك فرق في فهم القرآن الكريم بين ما كان مقروءا زمن نزوله على النبي ﷺ ، وبين المكتوب بين دفتي المصحف، ولكي يتحقق الفهم الصحيح للقرآن يلزم قراءته على أنه نص تاريخي، بدراسة الظروف التاريخية المحيطة به في كل عصر، فالفهم المعاصر للقرآن يختلف عن التفسير والفهم السابق حين نزوله، إذ يجب تسخير المناهج الحديثة كمناهج العلوم الإنسانية والاجتماعية، ومنهج التاريخ المقارن للأديان لفهم النص القرآني في الوقت المعاصر –على حد زعمه– ومن جهة أخرى يعمد إلى نفي قدسية القرآن الكريم زاعما أن هناك نوعين من النص القرآني في العهد النبوي وفي العصر الحالي، نافيا الأصالة والقداسة عن القرآن في زمننا الحاضر، فيقول "ويمكنني أن أقول بأن المقدس الذي نعيش عليه أو معه اليوم لا علاقة له بالمقدس الذي كان للعرب في الكعبة قبل الإسلام، ولا حتى بالمقدس الذي كان سائداً أيام النبي"[2] .

وفي موقف آخر له ، يدعي مُحَّد أركون أنه من الصعب جدا وفي الوقت المعاصر فهم آيات القرآن الكريم، كما يستحيل تطبيق مضامينه وتشريعاته في الوقت الحاضر، ولا يصلح إلا للزمن القديم جدا، وذلك لأنه من الضروري ربطه بوحدة نصية مرتبطة بسلوك النبي ﷺ وعلاقة فهم العبارة والتصرف المباشر لقائلها[3] ، وهو بهذا يريد أن يؤصل ويؤكد نتيجة– على حد زعمه– وهي صعوبة فهم النص القرآني في الزمن الحاضر، بحجة أنه لم يكن موجودا حال زمن النبيﷺ ليرى الكيفية والهيئة التاريخية لنطق النبيﷺ وقراءته لنصوص القرآن، وحتى تُفهم نصوص القرآن الكريم–على حد زعمه– في هذا العصر، لا بد من تجريدها عن مصدرها (يقصد بهذا نفي مصدرية القرآن الكريم وأنه ليس من عند الله) ودراستها على أنها نصوص أدبية فحسب، تطبق في دراسة النصوص الأدبية والتاريخية، يريد بذلك إثبات الفرق بين القرآن والظاهرة القرآنية، وهذا واضح من قوله " أما التمييز بين القرآن الكريم والظاهرة القرآنية فأقصد به الفرق بين تغذية الروح الإسلامية بكلام الله تعالى، ودراسة النصوص القرآنية كما ندرس

[1] الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، مُحَّد أركون، ترجمة هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، ٢٠٠٢م، ص٢٩.
[2] مجلة مواقف، مُحَّد أركون، مقال الإسلام والحداثة، عدد٥٩-٦٠ سنة ١٩٨٩م.
[3] ينظر الفكر الإسلامي، مُحَّد أركون، ترجمة هاشم صالح، مركز الإنماء القومي، بيروت، ١٩٩٦م، ص١٨.

الظاهرة الفيزيائية أو البيولوجية أو الاجتماعية أو الأدبية"[1].

ثانيا: نعته للقرآن الكريم بالأسطورة وادعاء مشابهته للإنجيل.

ويحاول محمد أركون ويبذل ما في وسعه، لكي يؤصل ويوجد الصلة بين القرآن الكريم والتوراة، ماضيا في نفس الاتجاه والطريق الذي مضى فيه أساتذته من المستشرقين ، ويردد أقوالهم دون أن يعي ويدرك خطورة ما يقول، فمن أقواله "من الواضح تاريخيا أن التوراة والأناجيل والقرآن كانت قد رسخت شهادات حية خاصة بأحداث ذات أهمية مثالية نموذجية للوجود البشري تحولت هذه الأحداث إلى نصوص، وأصبحت هذه النصوص تقرأ فيما بعد من قبل الأمة المؤمنة ليس كوثائق تاريخية تخص أمم الأزمنة الغابرة، وإنما ككلام حي باستمرار"[2] ، وفي نفس الاتجاه يستخدم أركون مصطلح [الخطاب الأسطوري] وذلك للربط بين القرآن الكريم والتوراة- على حد زعمه- فيقول" إن الحكايات التوراتية والخطاب القرآني هما نموذجان رائعان من نماذج التعبير الأسطوري"[3]، ولم يقتصر أركون في ربطه بين القرآن الكريم والتوراة، بل ربط أيضا بينه وبين الإنجيل، فيقول " إن القرآن كالأناجيل ليس إلا مجازات تتكلم عن الوضع البشري، إن هذه المجازات لا يمكن أن تكوِّن قانوناً واضحا" [4]، بل وبلغ به الحد والجرأة تجاه كتاب الله تبارك وتعالى في تقديمه لترجمة [كازيمرسكي[5]] معجم اللغة الفرنسية لمعاني القرآن الكريم أن قال " إن القرآن مدعاة للنفور بعرضه غير المنتظم، واستخدامه غير المعتاد للخطاب، وكثرة إيحاءاته الأسطورية"[6] ، بل والأخطر من ذلك أن يتجرأ وينكر أن القرآن الكريم كلام الله المباشر والمنزل على رسولهﷺ ، وبطريقة ماكرة فيقول " هكذا تشتغل (سيادة الله العليا) بالكثير من النشاط والفعالية على مستوى المخيلة الفردية والجماعية، ما من

---

[1] الفكر العربي و الفكر الاستشراقي بين د. محمد أركون و د. ادوارد سعيد، د. نعمان عبد الرزاق السامرائي، دار صبري للنشر، الرياض ،١٤١٠هـ ، ص ٥٨.

[2] تاريخية الفكر العربي الإسلامي، ص١٢٥.

[3] المرجع السابق ، ص٢١٠.

[4] المرجع السابق ص٢٩٩.

[5] بيبرشتاين كازيمرسكي B Kazimirski (١١٩٤ - ١٢٨٢ هـ / ١٧٨٠ - ١٨٦٥ م) هو مستشرق بولوني، أخذ العربية عن دي ساسي، استوطن فرنسا وله معجم كبير أسماه، «كتاب اللغتين العربية والفرنساوية» ترجم معاني القرآن الكريم إلى اللغة الفرنسية، ينظر الأعلام للزركلي ٨٠/٢.

[6] مطاعن المستشرقين في ربانية القرآن، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، الكويت، السنة الرابعة، العدد ٣٨، ربيع الآخر، ١٤٢٠هـ، أغسطس ١٩٩٩م، ص١١٩.

أحد يقلق أو يتساءل عن شروط إمكانية وجود الوحي ولا عن صحته أو ظهوره أو نقله"[١].

ثالثا: نفي المصدرية التشريعية للقرآن الكريم.

وكعادة أركون في محاولة إقصاء القرآن الكريم عن الحياة البشرية العامة ونفيه عن كونه كلام الله الحق، فالقرآن في نظره مجرد مجازات أدبية وحكايات أسطورية ليس لها صلة بالواقع – على حد زعمه– فيقول " إن القرآن –كما الأناجيل – ليس إلا مجازات عالية تتكلم عن الوضع البشري لا يمكن أن تكون قانوناً واضحا"[٢]، ويقول في موطن آخر حول هذا المعنى " إن المعطيات الخارقة للطبيعة والحكايات الأسطورية القرآنية سوف تُتلقى بصفتها تعابير أدبية، أي تعابير مُحوَّرة عن مطامح ورؤى، وعواطف حقيقية، يمكن فقط للتحليل التاريخي السيسيولوجي (الاجتماعي) والبسيكولوجي (النفسي) اللغوي – أن يعيها ويكشفها"[٣] ، ولم يكتف هذا المستشرق بوصف القرآن الكريم بالخطاب الأسطوري والأدبي المجازي، بل فصل بينه وبين الشريعة، فيقول " إنه وهم كبير أن يتوقع الناس علاقة ما بين القرآن والشريعة "[٤] .

رابعا: إثارة الشكوك حول القصص القرآني.

ويستمر أركون في سرد مزاعمه، والقول بأسطورية القرآن الكريم والقراءة الإسلامية للتاريخ، ويجعل من قصص الأنبياء مثالا فيعلق على قوله عز وجل ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ هود ١٢٠ فيقول "هناك مفهومات خمسة تتيح لنا أن نوضح كيف أن هذه الآية تحيل إلى نوع من الاستخدام الأسطوري للتاريخ، واستخدام تاريخي للأسطورة"[٥]

ومن ينظر إلى شبهات ومزاعم مُحَمَّد أركون ليرى التشابه الطردي بينه وبين كفار قريش، بوصف القرآن الكريم بالأسطورية، أو الفكر المتسم بالأسطورية، كما بين الله تعالى ذلك في

---

[١] تاريخية الفكر العربي الإسلامي، ص١٨٨.

[٢] المرجع السابق، ص٢٩٩.

[٣] الفكر الإسلامي، ص١٩١.

[٤] تاريخية الفكر الإسلامي، ص٢٩٩.

[٥] الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، ص١٣٠.

القرآن الكريم في قوله عز وجل ﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴾ الفرقان ٥ ويعني في كتاباته بالأسطورية، أي الأخبار والوقائع والقصص التي لا أصل لها، وهذا ما يؤكده في قوله "إن اشتداد الضمير غير المجزأ وجهد العقل الذي يرفده مقابلة الإيمان لإنفاذ الشروط النظرية لإحياء التعاليم الصحيحة للرسالة الإلهية والرجوع إليها، ويبقى أن هذا الجهد قد عمل على استمرار الرؤية الأسطورية، على حساب معرفة وضعية بالإنسان وبالتاريخ" [١]، ويقول في موضع آخر "فلا يمكن نقل كلام ذي بنية أسطورية إلى مجرد كلام دال، بدون افتقار قصي لجملة معقدة من المفاهيم، ومن الضروري المرور بالتحليل الأدبي، الذي يفترض هو ذاته دراسة علمية لدلالات كلام ديني" [٢]

ويقول أيضا "إن تأثير هذه القصص على وعي سامعي القرآن مختلف بحسب طريقة التلقي أي أنها إما تتلقى عن طريق الوعي الأسطوري الدوغمائي (الأصولي المنغلق)، أو عن طريق الوعي التاريخي" [٣]، وهذه المقولة هي التي أوردناها بداية كشبهة مثارة حول القرآن الكريم، وسيتم الرد عليها في موضعها بإذن الله تعالى.

وفي موقف الثناء والإطراء الذي يثني به بعض المستشرقين وتلامذتهم على بعض، نرى أركون يثني على أحد تلامذة الإستشراق وهو مُحَّد أحمد خلف الله[٤] وذلك لإعجابه بكتابه المعنون بالفن القصصي في القرآن الكريم، على ما يحمل من انحرافات في فهم القصص القرآني

---

[١] الفكر العربي والفكر الاستشراقي، ص٩٦.

[٢] المرجع السابق، ص٤٣.

[٣] الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، ص١٣٠.

[٤] مُحَّد أحمد خلف الله (١٩٠٤-١٩٨٣)، أديب مصري وعالم باللغة العربية، تخرج في مدرسة دار العلوم العليا١٩٣٨، ثم درس الفلسفة وعلم النفس بجامعة لندن، وعاد إلى مصر ليشتغل بالتعليم، وتدرج في المناصب الجامعية حتى صار رئيساً لقسم اللغة العربية بكلية الآداب بجامعة الإسكندرية ١٩٤٧، فعميداً للكلية ١٩٥١ ثم وكيلاً لجامعة عين شمس ١٩٦١، وبعد بلوغه سن التقاعد عين مديراً لمعهد البحوث والدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربية. وكان عضواً بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، ومجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، والمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية. عرف في شبابه بنظم الشعر الجيد، والبراعة في الخطابة. وله مؤلفات وبحوث عديدة، نال جائزة الدولة التقديرية في الآداب ١٩٧٠، ينظر الموسوعة الحرة ويكيبيديا.

[1]، ولم يكن أركون في منأى عن المد والمنهج والموقف الاستشراقي من قصص القرآن الكريم، فيردد أقول أسلافه من المستشرقين بأن القصص القرآني منقول عن النصرانية واليهودية على حد سواء، وذلك من خلال قوله " ننتقل الآن إلى النقطة الثالثة من موضوعنا، وهي التداخلية النصرانية بين القرآن والنصوص الأخرى التي سبقته، وهنا نريد أن نقوم بقراءة تاريخية أفقية للخطاب القرآني، وذلك ضمن منظور المدة الطويلة جداً، بحسب تعبير المصطلح الشهير للمؤرخ الفرنسي [فيرنان بروديل[2]]، وهذه المدة الطويلة جداً سوف تشمل ليس فقط التوراة والإنجيل، وهما المجموعتان النصيتان الكبيرتان اللتان تتمتعان بحضور كثيف في القرآن، أو في الخطاب القرآني، وإنما ينبغي أن تشمل كذلك الذاكرات الجماعية الدينية الثقافية للشرق الأوسط القديم، وبهذا الصدد يمكن القول إن سورة الكهف تشكل مثلاً ساطعاً على ظاهرة التداخلية النصرانية الواسعة الموجودة أو الشغالة في الخطاب القرآني، فهناك ثلاث قصص هي: أهل الكهف، وأسطورة غلغاميش [يقصد به الخضر] ورواية الإسكندر الأكبر [ويقصد به ذي القرنين] وجميعها تحيلنا إلى المخيال الثقافي المشترك والأقدم لمنطقة الشرق الأوسط القديم" [3]

خامسا: الطعن في منهج السلف في التفسير.

والملاحظ على هذا المستشرق في كتاباته وحديثه عن القرآن الكريم وقصصه، أنه يحاول أن يُسوغ تجاهله لدلالات اللغة وضوابطها، وما أسسه الأصوليون من القواعد الشرعية في دراساتهم لتلك الدلالات حسب المفهوم اللغوي بدعوته إلى منهج جديد، فيقول" إن القرآن لا يمكن اعتباره مجرد وثيقة أدبية وتاريخية، هذا يعني أنه يتوجب علينا بالضرورة قلب المنهج الذي عرف حَظْوة على يد الأصوليين القدامى والشراح والمحدثين" [4]

ويدل كلامه على أن يُفسر القرآن الكريم وتُفهم النصوص حسب ما تقتضيه الأهواء

---

[1] ينظر الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، ص٢٠٢.

[2] فرناند بروديل (٢٤ أغسطس ١٩٠٢ – ٢٧ نوفمبر ١٩٨٥) مؤرخ فرنسي وزعيم من زعماء مدرسة أنال في التاريخ، ركزت دراساته على ثلاثة مشاريع رئيسية، تمثل كل منها عدة عقود من الدراسة المكثفة: البحر الأبيض المتوسط (١٩٢٣-١٩٤٩ ومن ثم ١٩٤٩-١٩٦٦) والحضارة والرأسمالية (١٩٥٥-١٩٧٩) والهوية الفرنسية غير المكتمل (١٩٧٠-١٩٨٥)، ينظر الموسوعة الحرة ويكيبيديا و فرناند بروديل، طموحات مؤرخ وأشكال قلقه، ايف لوموان، ميشيل دومول باريس، ٢٠١٠ ، المقدمة.

[3] تاريخية الفكر العربي الإسلامي، ص٢٢٠ – ٢٢١.

[4] الفكر العربي والفكر الاستشراقي ص١٣٢.

والنزوات، لا حسبما نُقل عن النبي ﷺ وأصحابه والتابعين من العلماء والمفسرين، فكلامه يدل على إعجابه برأيه، وأنه يريد تفسيرا لا يتقيد بلغة ولا دلالات نصية، ولا أصول فقهية، ولا يتقيد بأي حال بما وضعه العلماء والأصوليون من ضوابط ومعايير في فهم الآيات والنصوص، والتفريق بين الخاص والعام ، والمطلق والمقيد.[1]

يقول د. التهامي نقرة في رده على من يمثلون هذا الاتجاه الذي يمثله المستشرق أركون " لقد اشتمل القرآن الكريم على صور تمثل الرمزية العربية في الإيجاز والتعبير غير المباشر الذي قد يخفى على غير الأذكياء لا الرمزية التي يتحدث عنها المجددون بأنها فيض من مشاعر ذاتية، شبيهة بالتهويمات والرؤى والأحلام، والغموض، هذه المشاعر كثيراً ما تتحول إلى ألغاز وطلاسم، لا يملك مفاتيحها غير أصحابها، والناس يختلفون في فهم ما تدل عليه الرموز باختلاف مشاعرهم ونوازعهم" [2]

والملاحظ أيضا في موقف أركون من القرآن الكريم وتفسيره وقصصه أنه يمجد أصحاب الفكر الباطني، أو من ينهجون منهج التفسيرات الباطنية، فيقول " نجد بهذا الصدد أن القراءات الرمزية للصوفيين[3]، والقراءات المجازية للغنوصيين[4] الباطنيين هي أكثر خصوبة بالمعلومات والدروس تجسيد أو تحيين العجيب المدهش المحتمل وجوده في القرآن" [5]

وفي معرض كلامه عن الجهاد، ووصفه للمسلمين أنهم منقسمون في ذلك ما بين مؤيد للجهاد ومعارض له ، يقول "إنهم جميعا ينكرون تاريخية النص القرآني وتاريخية عصرنا الراهن ويشوهون بواسطة الحركة نفسها من القراءة والممارسات التاريخية كل الشروط الواقعية

[1] ينظر الإحكام في أصول الأحكام، أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن مُحَمّد بن سالم الثعلبي الآمدي ، دار الصميعي، الرياض، ١٤٢٤هـ، ٢٤٠/١ – ٣٥٠، وينظر، تأويل مشكل القرآن، أبو مُحَمّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، دار التراث، القاهرة، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م، ص٢٨١ – ٢٨٢.

[2] سيكولوجية القصة في القرآن الكريم، ص١٧٥.

[3] هي لغة اصطلاحية خاصة عند الصوفية منذ القرن الثالث والرابع اتفقوا عليها فيما بينهم، ولا يعرفها سواهم، ينظر الرسالة القشيرية، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، دار المعارف، القاهرة، ٢٠٠٤م، ٣٠/١ .

[4] الغنوصية Gnose كلمة يونانية تعني المعرفة، اصطلح الدارسون على استخدامها لوصف عدد من الحركات الدينية في فترة سيطرة الإمبراطورية الرومانية، كثيرٌ منها لا صلة له على الإطلاق بالمسيحية. وهي تيار ومذهب فكري مُعقّد ذو فلسفات باطنية، ينظر الموسوعة الحرة ويكيبيديا.

[5] الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، ص١٩٩.

والموضوعية لدمج الحقيقة في أزمنة متنوعة ومتغايرة" [1]، وفي تعليق لهشام صالح المترجم لكتب مُحَّد أركون على منهجية أركون، ويصفها بالمنهجية السيميائية، أي الدلالية ويبين للقارئ هدف أركون من ورائها، فيقول" يهدف أركون عن طريق استخدام المنهجية السيميائية (الدلالية) والألسنية في الصفحات التالية إلى تحرير القارئ المسلم من هيمنة النصوص المقدسة"[2].

قلت وكلام هشام صالح صحيح فأركون كما هو منهجه يميل في كثير من أحيانه إلى المراوغة، بل والتناقض، بهدف إبعاد المسلم عن المنهجية القرآنية، وعن القصص القرآني الذي يبعث في قلبه الصمود والثبات على دينه في مواجهة التحديات، وإلا فالجهاد فريضة تاريخية منذ نزل القرآن الكريم وله شروطه وأركانه ودواعيه، ومرتبط مباشرة بولي الأمر في الدعوة إليه متى ما رأى ذلك بمشورة أهل العلم والفضل، وقد نص عليه القرآن الكريم والسنة الشريفة، بالأدلة المعلومة، وليس هذا موطن سردها، وفي كلام أركون تناقض واضح ، فهو يقول أن المسلمين منقسمين حول فرضية الجهاد، ثم يعود ويقول جميعهم ينكرون تاريخية النص القرآني، ويجهلون الواقع المعاصر، والمقصود أن مُحَّد أركون يهدف إلى تحرير المسلمين من سلطة وهيمنة النصوص القرآنية، وعدم اعتبارها في الواقع المعاصر.

سادسا: التشكيك في قضية جمع القرآن الكريم.

يتجلى موقف مُحَّد أركون من جمع القرآن الكريم في كلامه عن الروايات الإسلامية، حول كتابة القرآن الكريم في العهد النبوي، وكذلك طريقة جمعه في عهد الخليفتين الراشدين أبو بكر الصديق وعثمان بن عفان رضي الله عنهما ، ويعترف بعدم تسليمه بهذه الروايات ولا بالثابت في طرق جمع وكتابة القرآن الكريم، بل والأدهى من ذلك في موقفه أنه يؤيد ما كتبه المستشرقون المنتقدون لصحة جمع القرآن الكريم، أمثال نولدكه وشوالي وبيرغستراسير وريجيس بلاشير.[3]

سابعا: الطعن والتشكيك فيما ورد من أخبار الغيب في القرآن الكريم.

يستعرض في ذلك ما ورد في سورة التوبة من الأمر بجهاد المشركين وما أعدَّه الله من

---

[1] الفكر الإسلامي نقد واجتهاد ، ص٩٣.

[2] المرجع السابق ص٩٣.

[3] المرجع السابق ، ص٨٦.

النعيم في الجنة للمجاهدين في سبيل الله، ويدلي باقتراحات لقراءة السورة قراءة جديدة-على حد زعمه- فيقول" هكذا نجد أن كل الخطاب القرآني يوضع داخل التاريخية الأكثر اعتيادية ويومية، ولكن هذه التاريخية تحور وتُحول إلى نوع من تاريخ الخلاص الأخروي" [1]، ويقول أيضا " ولكن ظاهرة أن الخطاب القرآني قد استطاع بهذه الطريقة (ولا يزال) خلع القدسية والتعالي على التاريخ البشري الأكثر مادية ودنيوية والأكثر عادية وشيوعاً ينبغي ألا تنسينا تلك الآتية والاعتباطية الجذرية للأحداث" [2] .

وحول قول الله تبارك وتعالى في سورة التوبة ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ التوبة ٧٢ ، يقول: "ليس الوجه الديني للتوبة إلا عبارة عن مجموع الصور أو التصورات التي تشكل مخيالا كونيا: أقصد الأنهار التي تجري، والمساكن الطيبة الموجودة في جنات، تستحيل في الزمان التجريبي المحسوس الذي نعيشه" [3] .

وهذا الجانب الإنكاري من أركون لعلم الغيب الذي جاء به القرآن الكريم، والذي اختص الله بعلمه، يؤكده المترجم لكتبه هاشم صالح بقوله " يقصد أركون بذلك أن وعينا الحديث الراهن يعجز عن تصديق وجود مثل هذه الجنات بشكل مادي محسوس، هذا في حين أن وعي الناس في زمن النبي كان منغمساً بالخيال، ولا يجد أية صعوبة في تصور ذلك، واعتباره حقيقة واقعة، لقد كان الوعي آنذاك غير قادر على التفريق بين الأسطورة والتاريخ أو بين العوامل المثالية التصورية والعوامل الواقعية المادية" [4] .

قلت ويتبين لنا مما سبق استعراضه وذكره، الموقف الطاعن والمشكك لمحمد أركون، وعداوته المطردة لكتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ ، والمشكك في مصدرية القرآن الكريم ومضامينه من قصص وغيره ، واستخدامه لأساليب وحيل عدة ، داعما بذلك الموقف الاستشراقي عامة، ومؤيدا لمواقف المستشرقين من الإسلام والقرآن ، ناصرا لأعداء الإسلام

---

[1] الفكر الإسلامي نقد واجتهاد ، ص٩٢ .

[2] المرجع السابق ، ص٩١ — ٩٢.

[3] المرجع السابق ، ص٩٩.

[4] المرجع السابق ، ص٩٩ .

على الإسلام والمسلمين، فقد حقق نجاحا في التلمذة الاستشراقية لأساتذته من المستشرقين، نجاحا كاد أن يكون به متفوقا على أساتذته وفي الإطار العام للمنهج الاستشراقي، وإذا كان المستشرقون قد أعلنوا تصريحا نفي المصدرية الإلهية للقرآن الكريم، فإن أركون وصل إلى نفس النتيجة، ولكن بأساليب ماكرة، استخدم فيها أساليب التعريض تارة والتصريح تارة أخرى، ومع هذه العداوة البغيضة للقرآن والإسلام، إلا أن القرآن الكريم يبقى شامخا وصامدا لا تضره العواصف الهوجاء، ولا الحرب النكراء، وصدق الله عز وجل حين قال ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ الأنفال ٣٠ .[١]

وبعد هذا الاستعراض العام لموقف محمد أركون من القرآن الكريم ، نتعرض للرد على فريته وبيان عوارها وبطلانها، ولقد تبين لنا من الاستعراض السابق ما يدل على بطلان هذه الشبهة، إذ أن كتاباته وشبهه في عمومها يشوبها الغموض والتناقض، بل وتفتقد إلى أبسط معالم البحث العلمي الصحيح، وكونه يصف القرآن الكريم بالأسطوري أو السرد التاريخي، فهذا هو منهجه وموقفه من كتاب الله تبارك وتعالى، أما القرآن الكريم بمضامينه وقصصه، فهو كلام الله على وجه الحقيقة، لا مجازا ولا خيالا، كما قال عز وجل ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ يوسف ١١١ ، وقوله عز وجل ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ آل عمران: ٦٢ . وللقرآن الكريم تأثيره غير المحدود، التأثير الإيجابي، لا كما يدعيه أركون، فلقد أثر في الملائكة وفي والجن والرسل والمؤمنين به وأهل الكتاب وغيرهم بل لو نزل القرآن الكريم على جبل لتأثر بالقرآن ولتصدع من قوة هذا القرآن العظيم، وخشية للمتكلم به عز وجل كما بين الله ذلك بقوله ﴿ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ الحشر ٢١ وكان أول المتأثرين به من

---

[١] ينظر الموقف الاستشراقي في موقف محمد أركون من القرآن الكريم، د. محمد السرحاني، مجمع الملك فهد لطباعة المصاحف، المدينة المنورة،١٤٢٧ هـ ، ص ٣٠-٣٢.

البشر رسول الله ﷺ بكاءه عليه الصلاة والسلام متأثرا بالقرآن ، فعن مطرف عن أبيه قال : أتيت النبي ﷺ وهو يصلي ولجوفه أزيز كأزيز المرجل يعني يبكي"[١]، وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: " قال لي النّبيّ ﷺ : اقرأ عليّ قلت: أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: فإنّي أحبّ أن أسمعه من غيري فقرأت عليه سورة النّساء، حتّى بلغت ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾ النساء ٤١ قال: أمسك، فإذا عيناه تذرفان"[٢]، فهو عليه الصلاة والسلام كان من أقوى الناس وأكثرهم تأثرا بكلام الله تبارك وتعالى.

وكذلك تأثر الملائكة الكرام بالقرآن الكريم، وهذا ظاهر وثابت في استماعها لقراءة القرآن والتنزل عند القراءة، فعن عبد الله بن خباب رضي الله عنه أن أبا سعيد الخدري رضي الله عنه حدثه أن أسيد بن حضير رضي الله عنه "بينما هو ليلة يقرأ في مربده إذ جالت فرسه، فقرأ ثم جالت أخرى فقرأ ثم جالت أيضا قال أسيد فخشيت أن تطأ يحيى فقمت إليها فإذا مثل الظلة فوق رأسي فيها أمثال السرج عرجت في الجو حتى ما أراها قال فغدوت على رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله بينما أنا البارحة من جوف الليل أقرأ في مربد إذ جالت فرسي. فقال رسول الله ﷺ «اقرأ ابن حضير، قال: فقرأت ثم جالت أيضا. فقال رسول الله ﷺ اقرأ ابن حضير، قال: فقرأت ثم جالت أيضا، فقال رسول الله ﷺ اقرأ ابن حضير، قال: فانصرفت، وكان يحيى قريبا منها خشيت أن تطأه فرأيت مثل الظلة فيها أمثال السرج عرجت في الجو حتى ما أراها فقال رسول الله ﷺ تلك الملائكة كانت تستمع لك ولو قرأت لأصبحت يراها الناس ما تستتر منهم"[٣].

والجن لهم نصيب من التأثر بكلام الله عز وجل، والإيمان به وتصديقه، وقد اسلم الكثير منهم نتيجة التأثر بالقرآن الكريم، وكان منهم دعاة إلى الله تعالى في أقوامهم، ولم يكونوا منغلقين وهم من الجن، كما يدعي أركون، قال سبحانه وتعالى ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا

---

[١] رواه النسائي ، باب البكاء في الصلاة، ١٣/٣، الحديث ١٢١٤و أحمد ٢٥/٤ الحديث ١٦٣٥٥وقال شعيب الأرنؤوط صحيح على شرط مسلم.

[٢] رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن ، باب قول المقرئ للقارئ حسبك، ١٩٢٥/٤ الحديث ٤٧٦٣.

[٣] رواه مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب نزول السكينة لقراءة القرآن، ٥٤٨/١ الحديث ٢٤٢.

﴿٢﴾ ﴾ الجن ١ – ٢ ، وقوله عز وجل ﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴾ الجن ١١ ، ويتبين هذا التأثر من خلال لقاءهم به عليه الصلاة والسلام حين رجع من دعوته بالطائف، فقد جاء في السيرة النبوية أنهﷺ لما انصرف من الطائف عائدا إلى مكة ، حين يئس من خبر ثقيف، حتى إذا كان بنخلة، قام في جوف الليل يصلي، فمر به النفر من الجن الذين ذكرهم الله تعالى، وكانوا سبعة نفر من جن أهل نصيبين، فاستمعوا لتلاوة الرسول صلى الله عليه وسلم، فلما فرغ من صلاته، ولَّوا إلى قومهم منذرين، قد آمنوا وأجابوا إلى ما سمعوا، فقص الله تعالى خبرهم على النبي ﷺ ، بقوله تعالى ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ الأحقاف ٢٩ – ٣٠.[١]

ففي الآية الكريمة دلالة على تأثر الجن بالقرآن الكريم، فاصبحوا دعاة لأقوامهم إلى الله تبارك وتعالى، ليس تلقيا وتأثرا أسطوريا منغلقا كما يدعيه هذا المستشرق، بل انفتحوا على أقوامهم داعين لهم إلى الله وإلى النجاة من النار.

ولقد تعدى تأثير القرآن الكريم إلى الكفرة المشركين من قريش وغيرهم، وإلى زمننا هذا ولا زال القرآن الكريم القوة المؤثرة في إسلام الملايين من الكفرة والمشركين، فمن النماذج المتأثرة بالقرآن الكريم الوليد بن المغيرة واعترافه بذلك، فعن ابن عباس رضي الله عنهما "أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي ﷺ فقرأ عليه القرآن فكأنه رق له فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال: يا عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالاً قال: لم؟ قال: ليعطوكه فإنك أتيت مُحَمَّداً لتعرض لما قبله قال: قد علمت قريش أني من أكثرها مالا قال: فقل فيه قولا يبلغ قومك إنك منكر له أو إنك كاره له قال: وماذا أقول فو الله ما فيكم من رجل أعلم بالأشعار مني ولا أعلم برجزه ولا بقصيدة مني ولا بأشعار الجن والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا والله إن لقوله الذي يقول حلاوة وأن عليه لطلاوة وأنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله وأنه ليعلو وما يعلى وأنه ليحطم ما تحته

[١] ينظر السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث دروس وعبر، د. علي مُحَّد الصلابي، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ١٤٢١هـ–٢٠٠٠م، ١/٣٧٥.

قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه قال: فدعني حتى أفكر فلما فكر قال: هذا سحر يُؤْثر يأثره عن غيره فنزلت ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴾ المدثر ١١ "[١] .

وهذا نموذج آخر وهو عتبة بن ربيعة[٢] جاء إلى النبي ﷺ فقرأ عليه النبي ﷺ أوائل سورة فصلت، فرجع إلى قريش قائلاً: "إني واللهِ قد سمعت قولاً ما سمعتُ بمثلِه قط، والله ما هو بالشعر ولا السحر ولا الكهانة، يا معشر قريش: أطيعوني واجعلوها بي، خلّوا بين هذا الرجل وبينَ ما هو فيه، فو الله ليكونن لقوله الذي سمعتُ نبأ"[٣] ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت:لما ابتلي المسلمون خرج أبو بكر مهاجراً نحو أرض الحبشة حتى إذا بلغ برك الغماد[٤] لقيه ابن الدغنة[٥] وهو سيد القارة فقال: أين تريد يا أبا بكر؟ فقال أبو بكر: أخرجني قومي فأريد أن أسيح في الأرض وأعبد ربي، قال ابن الدغنة: فإن مثلك يا أبا بكر لا يخرج ولا يخرج إنك تكسب المعدوم وتصل الرحم وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق فأنا لك جار ارجع واعبد ربك ببلدك، فرجع وارتحل معه ابن الدغنة فطاف ابن الدغنة عشية في أشراف قريش فقال لهم: إن أبا بكر لا يخرج مثله ولا يخرج أتخرجون رجلا يكسب المعدوم ويصل الرحم ويحمل الكل ويقري الضيف ويعين على نوائب الحق، فلم تكذب قريش بجوار ابن الدغنة وقالوا لابن الدغنة: مر أبا بكر فليعبد ربه في داره فليصل فيها وليقرأ ما شاء ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن به فإنا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا، فقال ذلك ابن الدغنة لأبي بكر فلبث بذلك

---

[١] المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ، بيروت، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م، كتاب التفسير، باب تفسير سورة المدثر، ٥٥٠/٢ الحديث ٣٨٧٢، وقال فيه هذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري و لم يخرجاه تعليق الذهبي في التلخيص على شرط البخاري.

[٢] هو عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، أبو الوليد، كبير قريش وأحد ساداتها في الجاهلية، كان موصوفاً بالرأي والحلم والفضل، خطيبا، نافذ القول، نشأ يتيما في حجر حرب بن أمية، قاتل مع المشركين يوم بدر وقتله على بن ابي طالب رضي الله عنه ، ينظر الأعلام للزركلي ٢٠٠/٤.

[٣] ينظر تهذيب سيرة ابن هشام، عبدالسلام هارون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦م، ١/ ٨١ ، ودلائل النبوة للبيهقي، الإمام البيهقي، تحقيق د. عبد المعطى قلعجى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م ، ٢/ ٢٠٥.

[٤] موضع من وراء مكة بخمس ليال بناحية الساحل وتتبع إداريا منطقة عسير جنوب المملكة العربية السعودية.

[٥] هو الحارث بن يزيد وقيل اسمه مالك والدغنة اسم أمه وهو من قبيلة القارة وكان سيد الأحابيش، ينظر فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٧٩هـ،٢٨١/١.

يعبد ربه في داره ولا يستعلن بصلاته ولا يقرأ في غير داره ثم بدا لأبي بكر فابتنى مسجدا بفناء داره وكان يصلي فيه ويقرأ القرآن فينقذف عليه نساء المشركين وأبناؤهم وهم يعجبون منه وينظرون إليه وكان أبو بكر رجلا بكاء لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن وأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين فأرسلوا إلى ابن الدغنة فقدم عليهم فقالوا: إنا كنا أجرنا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه في داره فقد جاوز ذلك فابتنى مسجداً بفناء داره فأعلن بالصلاة والقراءة فيه وإنا قد خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا فانهه فإن أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه في داره فعل وإن أبى إلا أن يعلن بذلك فسله أن يرد إليك ذمتك فإنا قد كرهنا أن نخفرك ولسنا مقرين لأبي بكر الاستعلان" [1].

وبتأثير القرآن الكريم حين سماعه، أسلم ثلة من الكافرين تأثرا، ومن ذلك قصة إسلام عمر بن الخطاب ﷺ، و الطفيل بن عمرو الدوسي وغيرهما ، فهل انغلقوا على أنفسهم كما يدعيه أركون، أم أنهم قاموا بنشر هذا النور العظيم الذي تلقوه في مشارق الأرض ومغاربها، فكان من بركة القرآن والإسلام تلك النهضة العلمية الكبيرة في شتى أنواع العلوم والمعارف، مما كان له الأثر الكبير في انفتاح الغرب على العلوم الإسلامية في الأندلس وغيرها ، ونشروا سماحة الإسلام وأخلاقه في التعامل مع أهل الديانات الأخرى، وكان ذلك سببا في تقدم الغرب وظهور حضارته، فأين الوعي الأسطوري والتاريخي المنغلق الذي يدعيه هذا المستشرق؟ إن من ينظر إلى كلامه لا يعدوه عن كونه فرية واتهاما للإسلام والقرآن الكريم بما لا يمت للصحة بصلة.

[1] رواه البخاري، كتاب فضائل الصحابة ، باب هجرة النبي ﷺ ، ٣/١٤١٧ الحديث ٣٦٩٢.

الشبهة الثامنة

أولا: عرض الشبهة وتوثيقها.

يقول المستشرق مُحَّد أركون" إن سورة الكهف تشكل مثلا ساطعا على ظاهرة التداخلية النصرانية الواسعة الموجودة أو الشغالة في الخطاب القرآني، فهناك ثلاث قصص هي: أهل الكهف وأسطورة غلغاميش(يقصد الخضر) ورواية الإسكندر الأكبر(يقصد ذي القرنين) وجميعها تحيلنا إلى المخيال الثقافي المشترك والأقدم لمنطقة الشرق الأوسط القديم"[1] .

ثانيا: الرد عليها ردا إجماليا.

سورة الكهف من السور العظيمة في القرآن الكريم، وفيها من القصص الحق الشيء الكثير، فقد تحدثت عن قصة أصحاب الكهف، وصاحب الجنتين، وعن موسى والخضر، وعن ذي القرنين، ولقد تعرض لها المستشرقون بالشبه والافتراءات، والتشكيك والتكذيب بما جاء فيها من القصص الحق، ومن هؤلاء المستشرقين مُحَّد اركون، الذي اتسم منهجه بالتناقض والغموض والاضطراب في تحليلاته وأفكاره، ميالا للاستشراق الغربي، مواكبا لأهدافه وطموحاته.

وحقيقة أن الأمر مختلف تمام الاختلاف ، فالقصص القرآني ليس متشكلا من مخيال اجتماعي، ولا صورة أثرت في المجتمع بشكل أو بآخر ، ولا تعبير ينم عن عاطفة اختلجت نفوس المجتمع، ومن هنا نخرج النص القرآني من منهج السيسيولوجي ومنهج علم النفس الاجتماعي، أو المناهج المتخصصة في النقد الأدبي، إذ لا يمكن بحال إسقاط هذه المناهج أو قواعد القصة الأسطورية على القصص القرآني، سواء كان لمعرفة مصدره أم أصله، كما لا يمكن مقارنة الوحي والقصص القرآني وكلام الله تبارك وتعالى، بالفنون والأساطير البشرية.

والواقع أن استدلالات المستشرقين على بشرية القرآن الكريم وأسطوريته، مع انتفاء الأدلة النقلية والعقلية على ما يقولون، لهو دليل قاطع على أن القرآن الكريم كلام الله الحق وليس من كلام البشر، وأن النبي ﷺ لم يطلع على الكتب التي يدعون أنه أخذ القرآن وقصصه منها، بل إن ما جاء في القرآن من قصص جاء تصحيحاً لما في الكتب السماوية، أي أنه جاء شاهداً عليها،

---

[1] تاريخية الفكر العربي الإسلامي ص ٢٢٠-٢٢١.

يقول الله تبارك وتعالى حاكيا عن موقف القصص القرآني الشاهد على بني إسرائيل ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ النمل ٧٦ ، ومعنى ذلك أن قصص القرآن الكريم حقيقة لا خيالا ولا مجازا، ولا حتى من تقريب الخيال الشخصي، فالقصص القرآني من هذا المنطلق يعتبر وثائق لحقائق ووقائع وحوادث تاريخية، لا بد من قراءتها وفهمها الفهم الصحيح، وتأويلها التأويل المتوافق مع ما تحمل في مضامينها من معان حقيقية، كما قال عز وجل في سورة الكهف ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴾ الكهف: ١٣ ، وقوله عز وجل ﴿ نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ القصص ٣ .

ثالثا: الرد عليها ردا تفصيليا.

إن من ينظر إلى قراءة محمد أركون لقصص سورة الكهف، ليقسمها إلى جوانب عدة، يتبين معها الانحراف الفكري لدى هذا المستشرق، ومن تلك الجوانب:

أولا: يزعم أركون أن جمهور المفسرين للقرآن الكريم عامة وقصصه خاصة، يضعون المرويات الاسرائيلية، والروايات الواهية عن القصص القرآني، موضع النصوص القرآنية ذاتها، وكأنه يجزم بأنهم فعلوا ذلك ثم ينتقدهم فيه، فهو يتحدث عن كتب التفسير القديمة بأنها– على حد زعمه– حولت النص التلميحي الإيحائي المجازي الرمزي، إلى شيء عادي جدا ، عن طريق تفسيره بشكل واقعي صرف أو تحويله إلى خطاب عادي حيث تتراكم أسماء الأعلام والأشخاص والأماكن، وحيث تكثر روايات الأحداث المهووسة بالتفاصيل الصغيرة، حتى إنها تحدد هويات أصحاب الكهف بأسمائهم الإغريقية، وتحدد كهفهم وكلبهم وقريتهم وملكهم.[1]

ومن جانب آخر يدعي آركون بأن مقتضى قوله تعالى ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴾ الكهف ١٣ ، هو التصديق بأن" شخصيات القصة، وتصرفاتهم، والأماكن الوارد ذكرها، والأقوال المتبادلة، كلها أشياء صحيحة

[1] ينظر القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، محمد أركون، تحقيق هاشم صالح، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت، ٢٠٠١م، ص ١٦١–١٦٢.

بحرفيتها، فالله لا يمكنه أن يستخدم الخرافات أو القصص الخيالية لكي يكشف عن أسراره ويبلغ أوامره للبشر"[1]، ويذكر أيضا بأن المسلمين يتجهون لغربلة هذا الركام بتأثير العلم الأرسطوطاليسي[2]، وبالتالي فإنه يصف" التفسير الإسلامي التقليدي بأنه تاريخوي علموي بل وحتى مادي"[3].

من الملاحظ على هذا الأسلوب الذي ينتهجه اركون، أنه يستخدم مصطلحات غالبها تبدو غريبة، يستخدمها المستشرقون الغرب أنفسهم، وقد تبدو مبهمة لدى القارئ والناقد وغير واضحة ، وهذا يدل كما ذكرت من قبل في أن منهجه يتسم بالغموض وعدم الوضوح. ولما عجز أركون ' أن يبرهن على تاريخية القرآن وأسطوريته، واتضح فشله، حَوَّل مساره ووجهته إلى كتب التفسير ليجد ضالته فيها، بل ويصف النص القرآني بكونه تلميحيا إيجازيا مجازيا رمزيا، مع أن القرآن الكريم خلاف ذلك تماما، فهو كله حقيقة بما في ذلك ما ورد فيه من قصص.

إن من أعظم خصائص القرآن الكريم وأسراره، وعلى وجه الخصوص فيما يتعلق بالقصص، أنه لا يعرّف بالشخصيات التي يدور حولها الكلام، كما أن النص يتجرد من الزمان والمكان، بالإضافة إلى أسلوب الإيجاز التام الذي لا نجد له نظيراً في كتب وآثار الأمم الأخرى التي بين أيدينا، وهذا ما لم يصل إليه مُحَمَّد أركون في دراسته، ويتوج ذلك كله وحدة الغاية في كل ما ورد في القرآن من أخبار وأنباء[4]، لكن بعض المفسرين وإن كانوا يذكرون تلك التفصيلات، نقلاً عن أهل الكتاب، ومما اصطنعه القصاص والوضاعون، فإنهم لا يغفلون لفت انتباه القارئ إلى ضرورة تجاهل كل ما تجاهله القرآن مما لو كان فيه خيرا لنا في الدنيا والآخرة ، لذكره الله في القرآن الكريم، أو ذكره النبيﷺ في الصحيح من سنته، وهذا يعني أن المفسرين لم ينظروا إلى هذه الروايات نظرتهم إلى آيات القرآن والحق الذي تمثله، كما يزعم أركون، ونضرب بعض الأمثلة على ذلك:

١) في قوله تعالى ﴿ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ هود ٤٠ ، نلاحظ الإمام الطبري–رحمه الله–

[1] ينظر القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص ١٦٢.

[2] جاء معناها في قاموس المعاني بمعنى مذهب أرسطو، ولم أجد لها تفسيرا غير هذا.

[3] القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، ص ١٦١-١٦٣.

[4] ينظر القصة القرآنية، فتحي رضوان، دار الهلال، القاهرة، ١٩٧٨ م، ص ٨٨.

يورد أقوالا في تحديد العدد، ثم يعلق بالقول " والصواب من القول في ذلك أن يقال كما قال الله ﴿ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾[1] هود ٤٠ ، فوصفهم بأنهم كانوا قليلا، ولم يحد عددهم بمقدار ولا خبر صحيح عن رسول اللهﷺ ، فلا ينبغي أن نتجاوز في ذلك حد الله، إذ لم يكن لمبلغ عدّ ذلك حد من كتاب الله، أو أثر عن رسول الله . وكذلك فعل الطبري في مواضع كثيرة منها عدد الدراهم التي بيع بها يوسف[2]، وتحديد الشجرة التي نهى آدم وزوجه عنها[3] ، ويقول الفخر الرازي " اختلف الناس في زمان أصحاب الكهف وفي مكانهم، وأقول العلم بذلك الزمان وبذلك المكان ليس للعقل فيه مجال، وإنما يستفاد ذلك من نص، وذلك مفقود فثبت أنه لا سبيل إليه"[4]، فلم يجزم هنا بمكان ولا زمان معين، والمعول على العظة والاعتبار من القصة، ولا فائدة ترجى من ذكرهما.

والاقتصار على هذين التفسيرين في الاستشهاد دون غيرهما وذلك لأن أركون اختارهما ، عند قراءته سورة الكهف، ليؤكد من خلالهما عدم أهلية التفسير الموروث، وبالتالي تسويغ القطيعة معه، ليقفز بعدها إلى فرض آراءه وافتراضاته المسبقة على القرآن الكريم، ورداً على دعواه وشبهته وإبطالها.

وفي سياق قراءة أركون لسورة الكهف واستمراره في شبهته، يتحدث عن القصص الثلاث الواردة في السورة وهي قصة الكهف وأصحاب الكهف، وقصة ذي القرنين وقصة موسى مع الخضر، زاعما أن القرآن استقاها مما يسميه المخيال الثقافي المشترك والأقدم لمنطقة الشرق الأوسط القديم، ويذكر في كتاب آخر حيث يقول " إن أساطير غلغامش (يقصد به الخضر)، والإسكندر الكبير(يقصد به ذي القرنين)، والسبعة النائمين في الكهف، تجد لها أصداء واضحة في القرآن"[5]، ويقول أيضا "لكن هذه القصص جميعها، ممزوجة أو متداخلة في سورة واحدة من سور القرآن لكي تدعم وتجسد نقل الشيء ذاته، وهو الرسالة الإلهية الخالدة،

[1] تفسير الطبري ٤٣٣٩/٦.
[2] تفسير الطبري ٤٤٨٨/٦.
[3] المرجع السابق ٣٣٦/١-٣٤٠.
[4] مفاتيح الغيب ، ٤٥٤/٢١.
[5] الفكر الاسلامي ، ص ٨٤.

إن كل واحدة من هذه القصص مركبة على قاعدة البنية السيميائية[1] ، وفي كل واحدة منها نلاحظ انبثاق البطل الذي سيتلقى الرسالة ويستخدم المعرفة المتضمَنة فيها لكي يغير مجرى الوجود البشري ومعناه النهائي باعتباره مرتبطاً بالله وتعاليمه"[2].

ومن خلال ما سبق يتضح لي أن أركون يقر ويعترف بما نفاه من قبل عن العلاقات والتناسب والتماسك بين قصص السورة الكريمة فهي حسب كلامه " ممزوجة متداخلة في سورة واحدة كي تدعم وتجسد الشيء ذاته "بعبارته هو وبإقراره ، فهو كما ذكرنا من قبل يتقلب ويتلون في آرائه ، فينسى ما يقوله في مكان ليقول عكسه في مكان آخر، ، بل إنه لا يجد غضاضة في تبني الشيء ونقيضه في آن، وهذا هو منهجه الذي لا يثبت على حال واحدة، بل التناقض والغموض هو سيما هذا المنهج.

٢) يُشْعِر سياق الآيات في هذه السورة أن قصتي أصحاب الكهف ، وقصة ذي القرنين كانتا معلومتين إجمالا زمن النزول ويظهر ذلك في قوله عز وجل ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴾ الكهف ٩ ، وقوله سبحانه ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴾ الكهف ٢٢ ،وقوله تعالى ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴾ الكهف ٨٣ ، ولكن القرآن يؤكد أن قصصه وروايته حق لا شك فيه ولا ريب، كما جاء في قوله عز وجل ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴾ الكهف ١٣ ، وفي قوله تعالى ﴿ نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ القصص ٣، وقوله سبحانه ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ آل عمران ٦٢ ،

[1] يقصد بها (التداخلية النصية) والتي تعني أن نصا كالقرآن مثلا، قد يتأثر بزعمه بالعديد من النصوص كالتوراة والإنجيل، وتتداخل معه حتى تصبح جزءا لا يتجزأ منه، المرجع السابق ص ٤٠.

[2] القرآن من التفسير الموروث، ص ٤٠-٤١.

وبالنظر من الزاوية الأخرى نلاحظ أن القرآن الكريم يلفت النظر في روايته إلى الاهتمام بأمور ويتجاوز عن أخرى، ففي قصة الكهف مثلا ينكر القرآن الكريم الانشغال بعدد الفتية كما قال عز وجل ﴿ قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا قَلِيلٞۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمۡ إِلَّا مِرَآءٗ ظَٰهِرٗا وَلَا تَسۡتَفۡتِ فِيهِم مِّنۡهُمۡ أَحَدٗا ﴾ الكهف ٢٢ ، وفي قصة ذي القرنين، لا ينشغل بالتفاصيل التي سألوا عنها بل يلفتهم إلى الدروس المطلوب تذكرها ومن هنا قال ﴿ قُلۡ سَأَتۡلُواْ عَلَيۡكُم مِّنۡهُ ذِكۡرًا ﴾ .

٣) يتصف أسلوب أركون ومنهجه بالتذبذب والتناقض وعدم الثبات على مبدأ معين، فسرعان ما يتراجع في القول أو الرأي ، ففي دعواه أن القرآن الكريم أخذ قصصه في سورة الكهف من ملحمة جلجامش ورواية الإسكندر الكبير، نراه يتراجع، حيث يستدرك بقوله" الواقع إن القرآن لا يستمد قصصه أو حكاياته بشكل مباشر من ذلك المركب المعقد والعتيق لأساطير وادي الرافدين، والأساطير الحثية والأناضولية والأوغاريتية والكنعانية والمصرية كما هي الحال بالنسبة للعهد القديم"[١]، ثم نراه في موطن آخر يتبنى آراء السيدة فرانسواز سميث فلورنتان، التي تكتب له مقترحة صيغة أخرى تمثل (تزاوجا) بين تراثين يهودي مدراشي ومسيحي مما ساد في أديرة الرهبان، لكن يظل أركون غير واثق من هذا الاقتراح، حيث يقول:" ينبغي أن نضيف إلى كل ذلك ما يلي، حتى لو توصلنا بشكل دقيق إلى الكشف عن جميع التراثات الثقافية القديمة التي أثرت في القرآن، فإننا لن نستطيع أن نفسر آلية الاشتغال الدلالية أو السيميائية للخطاب القرآني الذي يستخدم أسماء الأعلام والقصص والكلمات النادرة من أجل تدشين انطلاقة جديدة للشيفرة المنطقية- المعنوية في اللغة العربية"[٢] .

من الواضح أن أركون يصر على مراده فهو يستبق النتائج قبل المقدمات ولا يهمه أن تؤدي المقدمات إلى نتائج مغايرة ، فمع أنه مقر ومعترف بأن القرآن الكريم لم يستمد قصصه مباشرة كالعهد القديم من ذلك المركب من الأساطير، وبالرغم أيضا من أن الاقتراحات المطروحة سابقا ولاحقا غير مقنعة، وبالرغم أيضا من استحالة تفسير آلية الاشتغال الدلالية أو

---

[١] القرآن من التفسير الموروث، ص ١٦٧.

[٢] المرجع السابق ص ١٦٧-١٦٨.

السيميائية للخطاب القرآني، حتى على فرض التوصل إلى التراثات التي أثرت في القرآن –على حد زعمه– ، فإن أركون غير مستعد للتعاطي مع الاحتمال الذي رفضه منذ البداية وهو ربانية هذا الكتاب العزيز وأنه كلام الله وليس كلام بشر.

وللمنهج والتجربة الاستشراقية الغربية أثر كبير في أساليب ومنهجية أركون، فبعد اطلاعه على كتب دانيال روس، على سبيل المثال، التي طبق فيها اللسانيات على الأناجيل تَساءَل قائلا" ألا يمكن أن نفعل شيئا مشابها فيما يخص القرآن؟ وما هي النتيجة التي سنتوصل إليها إذا ما قارنّا بين الإنجيل والقرآن بهذه الطريقة"[١] ، وواضح من خلال كلام أركون أنه لا يريد الحقيقة حين طبق اللسانيات وغيرها على القرآن الكريم، بل إنه يفتخر بإعادة وتكرار مقولات المستشرقين الغربيين عن كتبهم الدينية ملصقا إياها بالقرآن زورا وبهتانا، ودلالة ذلك ما نقله لنا من كلام المثقفين الفرنسيين ، وهم غير مكترثين لكتاباته فيقول" يقولون لي بشكل انتقادي ومعاكس، ما الذي تفعله أنت؟ أنت تردد بشكل ناقص الأفكار والمواقع والانتقادات نفسها التي كنا نحن الغربيين قد بلورناها تجاه تراثنا الديني منذ زمن طويل، أنت لم تأت بشئ جديد، كل ما تفعله شيء تافه، مللنا منه، عفا عليه الزمن"[٢]

ومع انهم صدقوه ، إلا أنه مصر على إيجاد ما وجدوه في كتبهم المقدسة في القرآن الكريم، ولو وجدوا ذلك في القرآن الكريم، ما تركوه يسبقهم إليه . ولذلك فمن الطبيعي أن ينتاب أركون الشعور بالإخفاق والفشل من تجاوب المحيط حوله مع آرائه وأفكاره وأطروحاته، فالمسلمون على دراية ويقظة بما يكتب ويحلل ويؤَوِّل ويطرح من أفكار هو ومن هم على طريقته ومنهجه من المحدثين والمؤولين[٣]، والمستشرقون متجاهلون ما يكتب ويجري من أبحاث.

ويتبين مما سبق بطلان هذه الشبهة شكلا ومضمونا، وذلك أن أركون لم يدلل أو يثبت ولو بأدنى الحقائق على صدق شبهته، كما أن كلامه يعتريه التناقض والاضطراب، فيثبت في مكان وينفي في آخر، ثم يتراجع عما يقول ويثبت ما ثبت للقرآن الكريم وقصصه على وجه الحقيقة، وهذا برهان على عجزه وفشله، فالقرآن الكريم قد أعجز أهل اللسان من العرب أن

---

[١] الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، ص ٢٦٦.

[٢] قضايا في نقد العقل الديني، محمد أركون، ترجمة هاشم صالح، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٨م، ص ٢٣.

[٣] القرآن من التفسير الموروث، ص ١٦١.

يجدوا فيه مطعنا أو يأتوا ولو بآية من مثله، كما قال عز وجل ﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَـٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ القصص ٤٩، وقال سبحانه ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴾ النساء ٨٢.

الشبهة التاسعة

أولا: عرض الشبهة وتوثيقها.

يقول المستشرق أرنت جان فنسنك[1] " النبي كان يبشر بدين مستمد من اليهودية والنصرانية، ومن ثم كان يردد قصص الأنبياء المذكورين في التوراة والإنجيل، لينذر قومه بما حدث لمكذبي الرسل قبله، وليثبت أتباعه القليلين من حوله"[2].

ثانيا: الرد عليها ردا إجماليا.

خرج هذا المستشرق قليلا عن سابقيه عن حدود العهد القديم، فيورد مقولته السابقة، وكلها مزاعم يتناقلها المستشرقون، لا تنطوي إلا على بث السموم والشكوك حول هذا الدين، وحول القرآن العظيم، بهدف الصد عنه، وإخراج أهله منه. ولا شك أن هذه الشبهات وتلك الأباطيل ما هي إلا امتداد لأصولها في قريش ومشركي مكة حول أصالة القرآن الكريم وقصصه وحقائقه التي لا تقبل الكذب ولا الشكوك، وهذا واضح وجلي وذلك من خلال رصد خصائص الجدل التنصيري في مرحلة بداياته المشرقية.

ولقد تصدى القرآن الكريم لهذه المزاعم ، وذلك من جوانب عدة، نذكر منها:

أولا: عن طريق التحدي، وهو طريق الردع لذوي اللجاجة والمراء في الجدل الذين لا ينقادون إلى أمور ومسلمات وحقائق مسلم بها ولا تقبل الجدل، والرافضين لكل برهان يقينيّ ودليل إلزامي وحجة دامغة، فقال عز وجل ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ الإسراء: ٨٨، يقول الشيخ

---

[1] أرند جان فِنْسِنْك (١٢٩٩ - ١٣٥٨ هـ / ١٨٨٢ - ١٩٣٩ م) هو مستشرق هولندي، تتلمذ على يد المستشرق هوتسمان و دي خويه وسنوك هورخرونيه وسخاو .حصل على الدكتوراه في بحثه (مُحَمَّد واليهود في المدينة) عام ١٩٠٨. بدأ في عمل معجم مفهرس لألفاظ الحديث الشريف مستعيناً بعدد كبير من الباحثين وتمويل من أكاديمية العلوم في أمستردام ومؤسسات هولندية وأوروبية أخرى. وأصدر كتاباً في فهرسة الحديث ترجمه فؤاد عبد الباقي بعنوان (مفتاح كنوز السنة) أشرف على طباعة كتابات سنوك هورخرونيه في ستة مجلدات. له مؤلفات عديدة منها كتاب في العقيدة الإسلامية نشأتها وتطورها التاريخي، ينظر موسوعة المستشرقين ص ٤١٧-٤١٨.

[2] العقيدة الإسلامية نشأتها وتطورها التاريخي، أرنت فنسنك، جامعة كمبريدج، لندن، ١٩٣٢م، ص٣ والغارة التنصيرية على أصالة القرآن الكريم، ١/٦١-٦٣.

العلامة عبدالرحمن السعدي-رحمه الله- " تحدى الله الجن والإنس أن يأتوا بمثله، وأخبر أنهم لا يأتون بمثله، ولو تعاونوا كلهم على ذلك لم يقدروا عليه"[1].

وإذا كان النبيﷺ قد استطاع – على حد زعمهم – أن يأتي بالقرآن الكريم من تلقاء نفسه ، وبمساعدة أهل الكتاب، فليحاول أهل الكتاب أنفسهم ويؤازرهم في ذلك الثقلين من الجن والإنس أن يأتوا بمثله، أو على أقل تقدير بآية من مثله، إن كانوا صادقين في دعواهم. وهذا التحدي المعجز لأولئك المجادلون والمشككون، دليل قوي جدا تبطل معه كل مزاعمهم وشبهاتهم، إذ به ظهر وتحقق فشلهم وبطلان دعواهم.

ثانيا: إن من ينظر ويتأمل ويتفكر في قصص القرآن الكريم وآياته، سوف يقوده ذلك حتما إلى نتيجة مؤداها تنزيه القرآن عن الاختلاف والتناقض، وهذا مما تميز به كلام الله عز وجل ، وفيه دلالة على بطلان القول ببشرية القرآن الكريم، أما غيره من الكتب المحرفة وكلام البشر، فيشتمل على وجوه من الاختلاف والتضاد والتضارب، كما قال جل وعلا ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴾ النساء ٨٢.

ثالثا: اثبت القرآن الكريم حقيقتين علميتين تاريخيتين وهما أمية الرسولﷺ وعدم معرفته بالقراءة والكتابة، وذلك في قوله عز وجل ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَـٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ العنكبوت ٤٨، وعجمية من ادعو أنه علم الرسولﷺ القرآن الكريم، وأنى لعقل بشري أن يصدق أن الرسول عليه الصلاة والسلام أخذ القرآن الكريم من لسان أعجمي لا يحسن العربية ولا يتحدث بها، والقرآن الكريم لسان عربي مبين أعجز أهل الفصاحة والكلام من العرب، كما بين ذلك ربنا جل وعلا في القرآن الكريم بقوله ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَـٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾ النحل ١٠٣.

ثالثا: الرد عليها ردا تفصيليا.

إن من يستعرض دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام التي وردت في ثنايا القرآن الكريم،

---

[1] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٣/١٣٠.

سيجد أن دعوتهم واحدة، ودينهم واحد، وهو الإسلام، كما قال عز وجل ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِنـدَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ ﴾ آل عمران ١٩ ، فالإسلام في لغة القرآن الكريم ليس اسما لدين خاص بقوم معينين، بل اسم لدين مشترك دعت إليه كل الرسل والأنبياء، فهو شعار عام تدعو إليه الرسل منذ أقدم العصور التاريخية إلى عصر النبي مُحَمَّد ﷺ . وعلى هذا فالإسلام جاء من المصدر الذي جاءت منه الكتب والديانات السابقة، وعلى وجه الخصوص اليهودية والمسيحية، فالمصدرية واحدة، والأساس واحد، وهي من عند الله تبارك وتعالى، ولكنه لحكمة بالغة أوكل حفظ المسيحية واليهودية، ورسالات التوراة والإنجيل إلى البشر، ولكنهم على مر العصور حرفوا وبدلو في مضامينها، وأخرجوها عن أساسها الذي نزلت به، فلم تعد هي الكتب الأصلية التي نزلت من عند الله تبارك وتعالى.

أما القرآن الكريم فقد تولى الله بقدرته وعنايته حفظه من أن تطاله أيد الطائلين المحرفين، فلم يستطع أحد بلغ ما بلغ من العلم والقدرة والذكاء أن يبدل منه ولو حرفا واحداً، وهذا من الإعجاز الإلهي الذي تمتع به القرآن وتميز به عن الكتب السابقة، كما قال عز وجل ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾ الحجر ٩ ، فالرسالات التي جاء بها الأنبياء جميعا منزلة من عند الله العليم الحكيم الخبير، ولذلك فإنها تمثل صراطا واحدا يسلكه السابق واللاحق وهو الإسلام، كما قال تعالى ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَـٰسِرِينَ ﴾ آل عمران ٨٥ .

فالإسلام هو فعل ما أمر الله به وترك ما نهى عنه وزجر وهو أيضا الاستسلام لله تعالى بالتوحيد والانقياد له بالطاعة، ولذلك فإن كل رسول وكل نبي يتبعه قومه فيما أنزل الله عليه من الرسالة والتكليف، ففي عهد نوح عليه السلام يكون الإسلام باتباع ما جاء به نوح عليه السلام، وفي عهد موسى عليه السلام يكون باتباع شريعة موسى، والإسلام في عهد عيسى عليه السلام يكون باتباع الإنجيل، والإسلام في عهد مُحَمَّدﷺ يكون بالتزام ما جاء به الرسول الكريم ﷺ.

وتجتمع كل هذه الرسالات في قالب واحد وجوهر واحد وهدف واحد وهو الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ونبذ ما يعبد من دونه، ولهذا أكد القرآن الكريم هذه القضية في

مواضع متعددة، فتارة يذكر دعوة الرسل، كدعوة نوح عليه السلام ، بقوله جل وعلا ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ الأعراف ٥٩ ، وتارة ينص على أنه أرسل الرسل جميعهم للهدف ذاته فقال عز وجل ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ الأنبياء ٢٥ ، وتارة يُجمل سيرة الأنبياء وأتباعهم في منظومة واحدة ، ليكونوا أمة واحدة لها إله واحد وخالق واحد ومشرع واحد، كما قال عز وجل ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾ الأنبياء ٩٢ ، وتارة يجمع الدين والملة في الاستجابة لله وتحقيق العبودية له ، ومن سلك خلاف ذلك فقد حكم على نفسه بالسفه والضلال، فقال سبحانه ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِۦمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ البقرة ١٣٠ ، والملة التي دعا إليها إبراهيم عليه السلام، هي التي بينها الله بقوله عز وجل ﴿ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ الأنعام ٧٩ ، وتارة يذكر أنها من الوصايا التي أوصى بها الأنبياء والرسل من بعدهم ، فقال تعالى ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ البقرة ١٣٣ ، وتارة أخرى ينص على وحدة الدين الذي شرعه للأنبياء والرسل ، فقال عز وجل ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾ الشورى ١٣.

وتأخذ مسائل التوحيد والعقيدة حيزا كبيرا في دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام منذ نوح عليه السلام وحتى نبينا محمدﷺ التي تتضمن الإيمان بالله والملائكة والرسل والكتب

السابقة والإيمان بالقدر واليوم الآخر والبعث، ولذلك كان نوح عليه السلام يذكر قومه بالبعث والنشور ، كما ذكر الله سبحانه بقوله ﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا ﴿١٨﴾ ﴾ نوح ١٧ - ١٨ ، وحدثهم عن الملائكة والجن وغيرها من الغيبيات، وغير هذا من الكثير في آيات القرآن الكريم على لسان جميع الرسل الذين أرسلوا لهداية الناس إلى طريق الله عز وجل، كما قال عز وجل ﴿ تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۖ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ هود ٤٩ ، وجميع الرسل عليهم الصلاة والسلام أنذروا قومهم من فتنة المسيح الدجال، فعن ابن عمر رضي الله عنه قال: ثم قام النبي ﷺ في الناس فأثنى على الله بما هو أهله ثم ذكر الدجال فقال " إني أنذركموه وما من نبي إلا قد أنذره قومه لقد أنذره نوح قومه ولكن سأقول لكم فيه قولا لم يقله نبي لقومه تعلمون أنه أعور وأن الله ليس بأعور "[1].

ومن جانب آخر فالكتب السماوية كلها تتفق في منظومة القواعد العامة التي تحكم البشر، من العمل بمبدأ العدل بين الناس، وتجنب الظلم والجور والعدوان ، وكلها تتفق على وجود مبدأ الثواب والعقاب، فكل إنسان سيحاسب على عمله، فإن كان خيرا فلنفسه، وإن كان شرا فعليها، كما قال سبحانه ﴿ أَمۡ لَمۡ يُنَبَّأۡ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعۡيَهُۥ سَوۡفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجۡزَىٰهُ ٱلۡجَزَآءَ ٱلۡأَوۡفَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ النجم ٣٦ - ٤١ وبذلك تزكوا النفوس، وتنشرح الصدور، وتستنير القلوب، وتتجه إلى خالقها وبارئها، كما قال عز وجل ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴿١٦﴾ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾ الأعلى ١٤ - ١٩ ، ويؤكد هذا المبدأ رسول الله ﷺ (إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بني بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له، ويقولون:

[1] رواه البخاري، كتاب الجهاد والسير ، باب كيف يعرض الإسلام على الصبي، ١١١٣/٣ الحديث رقم ٢٨٩٢.

هلا وضعت هذه اللبنة"؟ قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين)[1]. والحديث يوضح لنا بشكل واضح لا شك فيه أن جميع الرسل يدعون إلى مبادئ واحدة وإلى إله واحد لا شريك له، مما ينفي فكرة تناقض الأديان من حيث مصدريتها والمبادئ التي تدعو إليها[2].

إن موقف الإسلام من الديانات والرسالات التي سبقته، هو موقف التصديق لأصلها قبل التحريف والهيمنة عليها، فالتشابه الحاصل بين بعض التشريعات الإسلامية وبين تشريعات الديانات الأخرى، هو تشابه إسمي فقط، مع الاختلاف البين في المضامين، يقول د. عمر سليمان الأشقر "إذا كان الدين الذي جاءت به الرسل واحدا وهو الإسلام، فإن شرائع الأنبياء مختلفة، فشريعة عيسى عليه السلام تخالف شريعة موسى عليه السلام في بعض الأمور، وشريعة مُحَّد ﷺ تخالف شريعة موسى وعيسى عليهما السلام في أمور، قال الله عز وجل ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ المائدة ٤٨ ، والشرعة هي الشريعة وهي السنة، والمنهاج والطريق والسبيل"[3].

والاختلاف بين هذه الشرائع، ليس اختلافا كليا، فهي متفقة اتفاقا تاما في القواعد الأساسية كالعقيدة والتوحيد وعبادة الله وحده لا شريك له، ولكن الاختلاف إنما هو في بعض التفاصيل، فأعداد الصلوات وشروطها وأركانها، ومقادير الزكاة، ومواضع النسك، ونحو ذلك قد تختلف من شريعة إلى شريعة، وقد يحل الله أمرا في شريعة لحكمة، ويحرمه في شريعة أخرى لحكمة، أما ما يتوهمه بعض المستشرقين أمثال فنسنك ويزعمه من أن القرآن الكريم وقصصه مستمد من الكتب السابقة كالتوراة والإنجيل، وأن مُحَّداً ﷺ كان يبشر بدين وقرآن استمده من اليهودية والنصرانية، فهذا زعم باطل، وشبهة مفتراة أريد من ورائها زعزعة الثقة بهذا الدين وبمن جاء به وهو نبيناﷺ لصد الناس عنه وطمسه من حياة البشرية، ولم يستند الزاعمون إلى دليل نقلي أو عقلي صحيح، وإنما أوهام وتناقضات تفتقر إلى أبسط القواعد العلمية البحثية الصحيحة، أما عن الشرائع التي ظن بعض المتوهمين أن الإسلام أخذها من الديانات السابقة، فهذا زعم باطل لا يقوم على دليل واضح.

---

[1] رواه البخاري، كتاب المناقب ، باب خاتم النبيين، ١٣٠٠/٣ الحديث رقم ٣٣٤٢.

[2] ينظر الرسل والرسالات، ص ٢٤١– ٢٤٨.

[3] المرجع السابق، ص ٢٥٣ .

لقد كرر الله سبحانه وتعالى ذكر الكثير من الأنبياء وقصصهم في كثير من آيات وسور القرآن الكريم مثل قصة موسى عليه السلام فقد ذكرت في كثير من سور القرآن الكريم منها سورة البقرة والمائدة والأعراف ويونس وهود وطه والقصص والشعراء والنمل وغافر والنازعات ، كما نجد أنه قد تكرر آيات بعينها لغايات مقصود بها ، وهذا التكرار لم يكن بمحض الصدفة، أو لمجرد العبث، وليس تكرارا للقصة بعباراتها وآياتها كما يزعمه "فنسك" وغيره من المستشرقين، ولكن هذا التكرار القصصي هو لسبب وغاية مقصودة، وذلك بذكر جانب أو أكثر من القصة في موضع لمناسبة، وذكر جانب آخر أو أكثر في غيره لمناسبة أخرى ، مع تباين واختلاف هذه الجوانب بعضها عن بعض ، وبعبارة أخرى نجد أن القصة إذا قُرأت في مكان آخر فإنها تذكر في هذا الموضع جانبا لم يذكر في الموضع الأول، وذلك إكمالا للصورة والمنظومة القصصية العامة التي يقررها القرآن في قصصه .

وفي هذا التكرار للقصة االقرآنية وثيق صلة بمنهجه القصصي، إذ أنه يخدم غرضين مقصودين في وقت واحد، ومنها الغرض الأسلوبي، ويتمثل في تجدد أسلوبها إيرادا وتصويرا، والتفنن في عرضها إيجازا وإطنابا، والتنوع في أدائها لفظا ومعنى، ومنها الغرض النفسي بما له من تأثير في النفوس ، لأن المكرر ينطبع في تجاويف الملكات اللاشعورية التي تختمر فيها أسباب أفعال الإنسان ودوافعها كما هو مقرر في علم النفس[١] .

وتكرار قصص الأنبياء في القرآن الكريم حقيقة موجودة ولكل تكرار ما يبرره ويدعو إليه، بحسب المناسبات والوقائع، ، ولذلك كانت فرصة مواتية لأهل الأهواء وأعداء الإسلام من المستشرقين، الذين جانبوا العدل والإنصاف في بحوثهم وتساؤلاتهم، ليبثوا من خلالها سمومهم وأفكارهم وشبهاتهم وافتراءاتهم بغيا وعدوا، للطعن في كتاب الله وقصصه وأخباره، والنيل من بلاغته وإعجازه، متكئين على حجج باطلة وأدلة واهية، كما هو الحال عند فنسنك، لا ترقى أبدا لمستوى البحث العلمي الصحيح، وهي قولهم أن ترداد قصص الأنبياء في القرآن الكريم المأخوذة من التوراة والإنجيل، فيها اضطراب وسآمة وتناقض يقول د. عبدالكريم الخطيب " ولو أنهم رزقوا شيئا من هذا لما طاوعتهم ألسنتهم أن ينطقوا بهذا البهتان العظيم الذي لم يقع في حسبان قريش ولم تقل به، مع أنها كانت تتصيد التهم والمفتريات على القرآن

[١] ينظر سيكولوجية القصة في القرآن الكريم ص ١١٥ .

الكريم، حتى لقد بلغ بها الأمر أنها لو وجدت زورا من القول لقالته فيه ورمته به، ولكن الزور نفسه أعياها أن تتمسك به في وجه هذا الحق المشرق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه"[1] .

إن الترداد والتكرار في قصص القرآن الكريم لم يكن لمجرد التكرار والترداد، بل هو تجديد للمعاني وليس ترديدا كما يدعيه فنسنك ، إذ الفرق بين التجديد ومجرد الترديد، أن الترديد يكون تكرارا لا غاية لها أو يكون لمجرد التأكيد، أما التجديد في تكرار اللفظ فإنه يكون لغاية بعده لا تتم إلا به[2] ، يقول الإمام السيوطي" والتكرير أبلغ من التأكيد وهو من محاسن الفصاحة ومن فوائده التقرير، وقد قيل الكلام إذا تكرر تقرر، وقد نبه سبحانه علي السبب الذي لأجله كرر الأقاصيص من الإنذار في القرآن بقوله "﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾ طه ١١٣ "[3] .

والخلاصة فيما سبق أن ما أورده هذا المستشرق من الفرية والشبهة، محض افتراء وكذب ، إذ لم نجد في كلامه ولو دليلا واحداً يثبت به ما يزعمه، وكلامه لا يعدوا عن كونه ترداد لكلام من سبقه من المستشرقين، ويسير على هذا من بعده، مرددين كلام اسلافهم دون دليل ولا حجة ولا برهان، ولقد تبين بالدليل القاطع، والحجة الدامغة ما يرد شبهته ، ويبطل فريته، فالنبيﷺ جاء بالقرآن الكريم من عند الله عز وجل فيه أخبار السابقين من الأمم منذ آدم عليه السلام ، مبينا ما حصل للرسل السابقين مع أقوامهم ، وما حل بالمكذبين المكابرين والعصاة المجرمين من العقوبات التي قطع الله بها دابرهم ونصر به أولياءه من الرسل عليهم السلام ومن آمن معهم، ليحذر أمة نبينا ﷺ وليأخذوا العظة والعبرة مما حل بالمكذبين، فالقرآن الكريم يقص أخبار السابقين، ليلفت نظر الأمة إلى أن هذه العقوبات ستجري في كل من سار في مسارهم، وسلك منهجم في العناد والتكذيب، فهي سنة مطردة في كل من خالف

---

[1] القصص القرآني مفهومه ومنطوقه ، د. عبد الكريم الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م، ص ٢٣١.

[2] المعجزة الكبرى القرآن ، الشيخ محمد أبو زهرة -رحمه الله-، دار الفكر العربي، بيروت، ١٣٩٠ هـ-١٩٧٠ م، ص ١٩٤.

[3] الإتقان في علوم القرآن ١/ ٦٢ .

أمر الله وعصى رسله، فلم يكن قصص القرآن الكريم ترداداً لقصص التوراة والإنجيل التي طالها التحريف والتبديل، بل هو قصص حق خاليا من كل خيال وكذب وشكوك. وصدق الله عز وجل حين قال ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ آل عمران ٦٢ .

الشبهة العاشرة

أولا: عرض الشبهة وتوثيقها.

" زعمهم وقولهم أن في قصة إبراهيم عليه السلام، حسب القرآن وأقوال المفسرين، ألقى نمرود بإبراهيم في النار، وليس من المعقول أن يكون نمرود حيا في زمن إبراهيم عليه السلام"[1].

ثانيا: الرد عليها ردا إجماليا.

في قصص القرآن الكريم عن إبراهيم الخليل عليه السلام ، مشاهد عديدة، منها معجزة نجاته من التحريق بالنار، بعد أن حطم أصنام قومه التي يعبدونها من دون الله، وكذلك محاجة إبراهيم عليه السلام للملك (نمرود) في سورة البقرة ، ولم يرد في القرآن الكريم اسما معينا معلوما لذلك الملك، لكن التفاسير تناقلت روايات مختلفة تحكي أسماء مختلفة ومنها الاسم نمرود، وذلك لأن القرآن الكريم يهدف من القصص مضمون المحاجة، للعظة والعبرة، وذِكْر اسم الملك لا يقدم ولا يؤخر في حصول العبرة والعظة. وليس هناك دليل صحيح ثابت على أن اسم الملك هو نمرود، ومن هنا لا يصح أن نورد مالم يثبت فيكون شبهة تمتطى وتلصق بالقرآن والإسلام، ومن ناحية أخرى، ورد اسم (نمرود) في التفاسير كابن كثير وغيره بحرف الدال، وليس بحرف الذال كما ورد في الشبهة في دائرة المعارف وغيرها.

وأما قصة إبراهيم عليه السلام مع الملك، فمختلفة تماما عن قصته مع أبيه وقومه عبدة الأصنام، وكذلك قصة وضعه في النار، وقد أورد ابن كثير –رحمه الله– حول قول الله عز وجل ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ البقرة ٢٥٨ قوله" وقد ذكر السدي أن هذه المناظرة كانت بين إبراهيم عليه السلام ونمرود بعد خروج

---

[1] حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص ٢٩١-٢٩٣، و الكتاب المقدس، سفر التكوين، ٨/ ١٠- ١١و ١٠/٢٢-٢٥و١/ ١٣- ٢٦ و دائرة المعارف الإسلامية ١/٩٩٧٥-٩٩٧٧.

إبراهيم من النار، ولم يكن اجتمع بالملك إلا في ذلك اليوم، فجرت بينهما هذه المناظرة"[1]، وهذا يبطل ما ورد في الشبهة من النفي لحياة نمرود زمن إبراهيم عليه السلام.

ثالثا: الرد عليها ردا تفصيليا.

قصص إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم كثيرة ومتنوعة، سواء كانت مع أبيه وقومه من عبدة الأصنام والأوثان، أو مع الملك(نمرود) أو مع الملائكة المرسلة لإهلاك قوم لوط عليه السلام، أو غير ذلك، ففي قصته مع أبيه وقومه يبين الله ذلك في قوله عز وجل ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ الأنعام ٧٤ وقوله سبحانه ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ (٥١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ (٥٢) قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ (٥٣) قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ (٥٤) قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ (٥٥) قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ (٥٦) وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ (٥٧) فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ (٥٨) ﴾ الأنبياء ٥١ – ٥٨، وفي قصة مرور الملائكة الكرام عليه في طريقهم لإهلاك قوم لوط عليه السلام يقول تعالى ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ (٦٩) فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ (٧٠) ﴾ هود ٦٩ – ٧٠، وفي قصته مع الملك (نمرود) يقول سبحانه ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ البقرة ٢٥٨.

[1] تفسير ابن كثير ٢٧٥/١.

إن قصة إبراهيم عليه السلام مع الملك نمرود ثابتة بكلام الله عز وجل في القرآن الكريم، دون أن يصرح باسمه، وذلك لأن القرآن الكريم يهدف من القصص مضمون المحاجة، للعظة والعبرة، وذِكْر اسم الملك لا يقدم ولا يؤخر في حصول العبرة والعظة، وليس هناك دليل صحيح ثابت على أن اسم الملك هو نمرود، ومن هنا لا يصح أن نورد مالم يثبت فيكون شبهة تمتطى وتلصق بالقرآن والإسلام.

ومن ناحية أخرى، ورد اسم (نمرود) في التفاسير كتفسير ابن كثير والطبري وغيرها بحرف الدال، وليس بحرف الذال كما ورد في الشبهة في دائرة المعارف وفي الكتاب المقدس ، أو في الكتب التي تصدت للرد على هذه الشبهة.

وقد دارت تلك المناظرة بين إبراهيم عليه السلام وبين الملك، وذلك أن الله عز وجل يخاطب نبيه مُحَمَّد ﷺ بقوله الم تر أي بقلبك يا مُحَمَّد إلى الذي حاج إبراهيم في وجود الله عز وجل، إذ أنه أنكر أن يكون هناك إله غيره، وهذا يذكرنا بما قاله فرعون لقومه ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي ﴾ القصص ٣٨ ، وهذا الذي فعله نمرود ما هو إلا لعناده وتكبره وتجبره ، وغروره بطول مكوثه في ملكه، وقد طلب من إبراهيم عليه السلام أن يعطيه دليلا مقنعا على وجود الرب جل وعلا ، فقال إبراهيم ﴿ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ﴾ البقرة ٢٥٨ ، أي إنما الدليل على وجوده ، حدوث هذه الأشياء المشاهدة بعد عدمها، وعدمها بعد وجودها ، وهذا دليل على وجود الفاعل المختار، لأنها لم تحدث بنفسها، فلا بد لها من موجد أوجدها، وهو الرب الذي أدعوا لعبادته وحده لا شريك له، ولذلك كابر النمرود وقال ﴿ أَنَا۠ أُحْيِۦ وَأُمِيتُ ﴾ وذلك أني آتي بالرجلين ، قد استحقا القتل فآمر بأحدهما فيقتل، وآمر بالعفو عن الآخر فلا يقتل، فذلك معنى الإحياء والإماتة، يقول ابن كثير –رحمه الله– " والظاهر والله أعلم أنه ما أراد هذا لأنه ليس جوابا لما قال إبراهيم، لأنه غير مانع في وجود الصانع، وإنما أراد أن يدعي لنفسه هذا المقام عنادا ومكابرة ويوهم أنه الفاعل لذلك ، وأنه الذي يحي ويميت، ولهذا قال له إبراهيم ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَ ﴾ أي إذا كنت كما تدعي من أنك تحي وتميت، فالذي يحي ويميت هو الذي يتصرف في الوجود في خلق ذواته وتسخير كواكبه وحركاته، فهذه الشمس

تبدو كل يوم من المشرق، فإن كنت إلها كما ادعيت، فأت بها من المغرب؟ فلما علم عجزه وانقطاعه وأنه لا يقدر على المكابرة في هذا المقام، بُهِت، أي خرس فلا يتكلم وقامت عليه الحجة"[1] ، يقول العلامة عبدالرحمن السعدي-رحمه الله- " يقص الله علينا من أنباء الرسل والسالفين، ما به تتبين الحقائق، وتقوم البراهين المتنوعة على التوحيد، فأخبر تعالى عن خليله إبراهيم عليه السلام، حيث حاج هذا الملك الجبار، وهو نمرود البابلي المعطل المنكر لرب العالمين"[2].

وأما قصة إلقائه في النار عليه السلام فقد أوردها الله تعالى في كتابه الكريم بقوله عز وجل ﴿ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾ الأنبياء ٦٨ - ٧٠ ، يقول الإمام الطبري -رحمه الله-" قال بعض قوم إبراهيم لبعض، حرقوا إبراهيم بالنار، إن كنتم ناصريها ولم تريدوا ترك عبادتها"[3] ، وقال في موضع آخر "أجمع النمرود وقومه فقالوا ﴿ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴾ الأنبياء ٦٨ أي لا تنصروها منه إلا بالتحريق بالنار إن كنتم ناصريها"[4] ، وقال في موضع آخر عن ابن عباس رضي الله عنهما" وأخرجوا إبراهيم ، فأدخلوه على الملك (نمرود)، ولم يكن قبل ذلك دخل عليه"[5].

ومن خلال استعراض القصتين السابقتين لإبراهيم عليه السلام مع الملك نمرود، وقصة إلقائه في النار ونجاته بقدرة الله عز وجل، يتبين لنا جليا، أن الملك نمرود كان حيا وموجودا زمن إبراهيم عليه السلام، وأنه ناظره وجادله وأقام عليه الحجة والبرهان، بآيات محسوسة، وبراهين ملموسة، عجز النمرود عن الصمود أمامها، وانقطعت حججه وبراهينه الواهية، وأن لقاء إبراهيم عليه السلام به لقاء حيا حقيقيا بنص القرآن الكريم، وكلام العلماء والمفسرين المعتبرين، وبهذا تبطل الشبهة التي أثارها المستشرقون، بقولهم أن النمرود لم يكن حيا زمن إبراهيم عليه السلام، وتهاوت فريتهم أمام الأدلة العقلية والنقلية، يقول الإمام الطبري-رحمه

---

[1] تفسير ابن كثير ٢٧٥/١.

[2] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٢٠٥/١.

[3] تفسير الطبري ٥٧١٢/٧.

[4] المرجع السابق ٥٧١٣/٧.

[5] المرجع السابق ٥٧١٣/٧.

الله– أن إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام ولد في زمان الملك نمرود وأنه صاحبه الذي أراد إحراقه .[1]

ومن العجيب أن نرى هؤلاء المستشرقين ، لا يرون من المعقول أن يكون نمرود حيا زمن إبراهيم عليه السلام، بينما نجدهم في دائرة المعارف يثبتون أن إبراهيم ولد زمن الملك نمرود، وأنه دارت بينهما مناظرة فشل فيها الملك نمرود وأنه أمر بإلقائه في النار وحرقه والقضاء عليه ولكنه نجا منها ولم يصبه منها شيء، فهذا التناقض العجيب يثبت لنا تخبط هؤلاء في بحوثهم ونظرياتهم ، وأنها لا تخضع للموضوعية والمصداقية وقواعد البحث العلمي الصحيحة، وبهذا تكون البهة مردودة على أصحابها من المستشرقين، بقوة الدليل وبلاغة الحجة، وصدق الله حين قال ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ﴿٤١﴾ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴿٤٢﴾ ﴾ فصلت ٤١ – ٤٢ .

[1] ينظر تاريخ الأمم والملوك، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ١٤٠٧ هـ، ١٢٢/١.

الشبهة الحادية عشرة

أولا: عرض الشبهة وتوثيقها.

يقول مُحَّد خلف الله[1] أحد تلامذة المستشرقين " عجز الفكر الإسلامي عن فهم الأسرار التي من أجلها كان التكرار في قصص القرآن يرجع إلى اعتماد المذهب التاريخي في فهمه ولو أنه أقام هذا الفهم على أساس فني أو أدبي لما وقف موقف الحيرة ولما عد القصص القرآني من المتشابه"[2].

ثانيا: الرد عليها ردا إجماليا.

فارق الصواب د. مُحَّد خلف الله عندما فهم التكرار في قصص القرآن الكريم هذا الفهم، وذلك لأنه أخضع القرآن الكريم كلام الله عز وجل لموازين النقد الأدبي البشري الحديث، التي لا تليق أبدا بمقام كلام الله عز وجل، وأوله ودرس مضامينه على ما تقتضية الدراسة الأدبية، ناسيا أو متناسيا أنه كلام الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأنه كتاب مقدس جمع الصدق في طياته، والجمال في آياته، بما لا يكون في كتب الفن ولا الأدب، و لا يليق بكتاب بهذه المكانة والرفعة، أن يُنْزل منازل التقييم والنقد الفني الأدبي.

يقول د. التهامي النقرة "وغني عن البيان أن المقدمة التي بنى عليها د. خلف حكمه في عدم التزام القرآن للحق والواقع في قصصه غير صحيحة، والمقدمة تتمثل في إقراره بوجود مفارقات بين ما يكرر من أحداث القصة الواحدة"[3]. وحقيقة أن هذه الشبهة مردودة شكلا ومضمونا، إذ لا يبررها أبدا ما يقتضيه العمل الفني والأدبي، من التصرف غير المقبول في عناصر القصص وأحداثه وشخصياته، وإذا كان هذا الأمر مستساغا عند د. خلف الله في القصص الأدبي التاريخي، فلا يمكن بحال إسقاط هذا القياس على القصص القرآني، والله جل

---

[1] سبقت ترجمته ص ٢٧٦.

[2] الفن القصصي في القرآن الكريم، مُحَّد أحمد خلف الله، ص ٣٢ وما بعدها .

[3] سيكولوجية القصة في القرآن ص ١٤٨ .

وعلا قد قال ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ يوسف ١١١، فصدق الرواية، وإبداع العرض، وجمال الأداء، من المرتكزات التي يعتمد عليها القرآن الكريم.

يقول الباقلاني " إن إعادة القصة الواحدة بألفاظ مختلفة تؤدي معنى واحدا، من الأمر الصعب الذي تظهر فيه الفصاحة وتبين البلاغة "[١]، ويقول في موطن آخر " وأعيد كثير من القصص في مواضع مختلفة علي ترتيبات متفاوتة ونبهوا – أي العرب – بذلك علي عجزهم عن الإتيان بمثله مبتدأ به ومكرراً " [٢]، وللتكرار في قصص القرآن الكريم سر عجيب يكشفه لنا الإمام الزركشي ويبين أن القصة إذا كررت فإنما تكرر لفائدة خلت عنه في الموضع الآخر، وذكر كذلك الأمور التي لأجلها تكررت القصة في القرآن الكريم [٣].

ولقد أشار مصطفى الرافعي إلى أسرار تكرار القصص في القرآن الكريم ، فيقول "وهو التكرار الذي يجيء في بعض آيات القرآن فتختلف في طرق الأداء وأصل المعنى واحد في العبارات المختلفة كالذي يكون في بعض قصصه لتوكيد الزجر والوعيد وبسط الموعظة وتثبيت الحجة ونحوها. أو في بعض عباراته لتحقيق النعمة وترديد المنة والتذكير بالمنعم واقتضاء شكره إلي ما يكون من هذا الباب"[٤]

ومن خلال ما سبق ، يتبين لنا الأسرار والفوائد التي تمخضت عن هذا الإعجاز الإلهي لقصص القرآن الكريم، ومنها:

١) وصول البلاغة أعلى مراتبها، فتكرار القصص نتج عنه التحدي والإعجاز وذلك بالتصرف في البلاغة بالزيادة والنقصان، والتقديم والتأخير والإجمال والبيان، في مواضع مختلفة وأساليب

---

[١] إعجاز القرآن ، أبو بكر الباقلاني مُحَمَّد بن الطيب، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف ، مصر، ١٩٩٧م، ٦١/١.

[٢] المرجع السابق ٦١/١.

[٣] ينظر البرهان في علوم القرآن، بدر الدين مُحَمَّد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، تحقيق مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب، بيروت، ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧ م، ٢٧١/١.

[٤] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي، دار الكتاب العربي ، بيروت، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٥ م ، ص ٢٥٥.

متباينة من القصص القرآني . ولو قُدر أن القرآن الكريم سلك أسلوبا وطريقا واحدا في سرد القصص لقال الذين كفروا نحن نقدر على الإتيان بمثله، فقطع الله عليهم كل سبيل وأعياهم بكل دليل للاعتراض وأورد في القرآن أنواعا مختلفة وترك لهم حرية اختيار ما يشاؤون منها، لكنهم عجزوا فدل عجزهم على صدق القرآن وأنه وحي منزل من الله [١] .

٢) ومن ذلك توجيه الأسماع، واستمالة القلوب، وجذب النفوس إلى سماع القصة بالمغايرة بين أساليب القصة الواحدة وبذلك تظهر خاصة للقرآن الكريم لم تكن في غيره من الكلام، وهي أنه بتكرار المعنى الواحد منه بأساليب مختلفة، لا يزداد عند السامع إلا قبولا ولا يعتري قائله ملل ولا سآمة، بخلاف غيره إذا كرر مهما تنوعت أساليبه سئمته الأسماع وملته الأفواه، ومجته القلوب، وهذا من إعجاز القرآن الكريم وتأثيره في النفس الإنسانية، وذلك أن النفوس تميل إلي التنوع في الأساليب من تقديم وتأخير وزيادة ونقصان وتتعدد بذلك الصور التي تستلذها النفس ويميل إليها القلب فلا يحدث الملل من أسلوب واحد ، وفي هذا التنويع تجديد للكلام وتطرية له.[٢]

٣) ومنها أيضا شحذ الهمم، وإيقاظ النفوس، بشحن العظة والعبرة فيها، فبالتكرار يتنبه الغافل ، ويزداد اليقظ إدراكا وتعمقا ، وذلك لأن بعض القلوب لا تتنبه إلا بتكرار القصة والخبر ويتفاوت الناس في الفهم وإدراك العواقب.[٣] يقول د. عبدالباسط بلبول "إن الله تبارك وتعالى يكرر القصة حتي يستفيد في المرة الثانية والثالثة من لم يمكنه الاستفادة في المرة الأولي، وفي ذلك تعميق للعظة والعبرة"[٤]

٤) في تكرار القصص في القرآن الكريم فائدة عظمى وهي تسلية للنبي ﷺ وتثبيت لقلبه، وقلوب أصحابه رضوان الله عليهم، وذلك بسرد أخبار الأولين من الأنبياء والمرسلين ، وما لاقوه من الأذى والضيم في سبيل نشر دين الله والدعوة إليه، وكيف أنهم ثبتوا وصبروا ولم يضرهم شيئا، بل زادهم علوا ورفعة، ونشر الحق في كل مكان، فكانت العاقبة لهم والدائرة على أعدائهم، فصبروا على أذى المشركين كما صبر غيرهم من الرسل ، فتكرار القصة في عدة

---

[١] ينظر قصص القرآن، د. عبد الباسط بلبول، مكتبة أصول الدين، بالقاهرة، بدون تاريخ نشر.

[٢] ينظر اللآلىء ا لحسان في علوم القرآن، د. موسى شاهين لاشين، دار الشروق، القاهرة، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، ص ٢٩٧.

[٣] ينظر المرجع السابق ص ٢٩٧ .

[٤] قصص القرآن، ص ٣٢٨ .

سور بأساليب مختلفة إنما يهدف إلي تمكين هذه السنن في النفوس وتثبيتها في القلوب، حتي تقوى داعية الصلاح والإصلاح عند الداعية والمصلح، فلا يجد اليأس إليه سبيلا، وقد كان من تربية الله لنبيهﷺ أن قص عليه من سير الأنبياء ما يسليه، ويقويه على مجابهة الباطل وأهله، كما قال عز وجل ﴿ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴾ فصلت ٤٣.

٥) حظيت القصة المكررة في القرآن الكريم بمزيد عناية ورعاية من الله جل وعلا، فكان تكرارها لهدف سام، وغاية شريفة، وذلك إما لدلالتها على جانب العقيدة والتوحيد، كما في قصة إبراهيم الخليل عليه السلام، ومعاداته للأصنام والأوثان وعابديها، وإما لدلالتها على النصر المؤيد من الله عز وجل لأنبيائه ورسله وأولياءه على أعدائه، كما في قصة موسى عليه السلام مع فرعون، وإما لأمور أخرى يستكشفها من يتلو القرآن ويتدبره، ويتفكر في مضامين القصص وأسرارها.

٦) من القصص ما يطول سرده، ويتعلق بجوانب كثيرة، ولهذا فالله عز وجل يذكر جانبا من القصة في موضع مناسب، ويذكر جانبا أو جوانب أخرى في موضع آخر لذات الهدف، ولكي تتم جوانب القصة كلها، وتكتمل صورتها العامة، وينجلي الهدف العام من سردها ولعل هذا النوع يتجلى في قصة نوح عليه السلام مع قومه.[1]

٧) من الفوائد والمقاصد من تكرار القصص في القرآن الكريم، ترهيب الجاحدين وإنذارهم بما جرت عليه سنن الله بعقاب المكذبين لرسله، ولا أدل على صدق هذه السنن الإلهية من حدوثها مرارا وفي ظروف مماثلة وأزمان متباعدة، كما بين ربنا عز وجل ذلك بقوله ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ العنكبوت ١٤ – ١٥.[2] وقوله سبحانه ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱرْجُواْ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ

[1] ينظر قصص القرآن ص ٣٣٤ .

[2] ينظر سيكولوجية القصة في القرآن الكريم ص ١٣١ .

فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ العنكبوت ٣٦ – ٤٠

٨- ومن فوائد وأسرار تكرار القصة في القرآن الكريم أيضا بيان وحدة الأديان في أصل العقيدة، ووحدة الدعوة إليها من الرسل وتشابه أقوامهم في موقفهم منها كما قال تعالى ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ الأنبياء ٢٥، ويتجلى ذلك في سرد القرآن الكريم لبعض قصص الأنبياء متتابعة تروي كل ذلك.

ومما تجدر الإشارة إليه ، أننا نلاحظ في عرض قصص الأنبياء التزام القرآن لصيغة واحدة فيما حكاه من دعوة هؤلاء الرسل إلى الله فقد كان كل رسول ونبي يقول لقومه ﴿ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ الأعراف ٥٩ يقول د. التهامي النقرة "وقد كان له أن يتصرف في حكاية كلامهم بصيغ متنوعة تؤدي نفس المعني لأنهم كانوا يتكلمون بغير لغة القرآن. ولكنه قصد هنا التكرار في اللفظ والمعني معا للإشعار بأن كلامهم إنما صدر عن واحد وهو الله واتجه إلى غاية واحدة وهي التوحيد"[١]

ومما يحسن التنويه إليه أيضا، أن القرآن الكريم قد يحكي تارة عن قوم معينين بأنهم كذبوا الرسل مع أنهم لم يرسل إليهم إلا رسول واحد ليوحي التعبير بأن تكذيب الرسول الواحد هو بمثابة تكذيب الرسل كلهم ، لأنهم كلهم يقولون ذات الشيء بلا تغيير فمن كذب واحدا منهم فقد كذبهم جميعا ، وتارة يقول عن أقوام متعددين أنهم عصوا رسول ربهم فيوضح ذلك أن كل أمة كذبت رسولها، ويوحي في ذات الوقت أنه كأنما هو رسول واحد الذي بعث إلي هذه

---

[١] سيكولوجية القصة في القرآن الكريم ص ١٣٦.

الأقوام جميعاً . لأنهم – على اختلاف أقوامهم وأزمانهم وأماكنهم ولغاتهم – قد قالوا ذات الكلمة، وعرضوا ذات القضية، ومن هنا فالرسل جميعا كأنهم رسول واحد يتكرر لكل قوم من الأقوام .[1]

٩) تأكيد الجانب الغيبي وتثبيته في القلوب بحيث يصير جزءا من حياة السامع أو القارئ، فالحديث عن الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر تجده في خلال قصص القرآن الكريم جميعا، ويندر أن تخلو قصة من قصص القرآن الكريم عن ذكر جانب أو جوانب من هذه الأمور الخمسة ، ومن هنا يتبين جليا الأهداف المتعددة لتكرار قصص القرآن الكريم، فليس ترفا ولا عبثا أن يأتي القرآن بمثل هذا الإعجاز الإلهي، وليس فهمه اعتمادا على المذهب التاريخي كما يدعيه ويفتريه مُحَمَّد خلف الله.

يقول د. التهامي النقرة "إن ما تكرر من قصص القرآن ليس من التكرار الآلي الممل، الذي يخل بالفن ويعيبه النقاد، لأن الحقيقة الواحدة يطالعنا بها القرآن في مواطن مختلفة، ولكن في أثواب جديدة، مع تصرف بارع في صيغة التعبير وطرق الأداء ، وإعادة الكلام في الموضوع الواحد من التنويع والطرافة والتجديد من بلاغة القرآن وإعجازه"[2] . ويقول في موضع آخر " كما أنه من النادر أن يعرض القرآن باسترسال وفي موضوع واحد قصة متكاملة مترابطة الأجزاء متسلسلة الحلقات مثل قصة سيدنا يوسف لأن القصة لم ترد لذاتها ولم تتناول أخبار الماضين كما تناولها الكتاب المقدس وكتب التاريخ، وإنما استخدمت كوسيلة من وسائل التأثير في غرس العقيدة، لذلك جاءت القصة الواحدة موزعة في عدة سور بحسب المناسبات، وكلما تكررت المناسبة أعيد ذكر ما يقتضيه الحال منها".[3]

وقد يقول قائل، لكننا لا نجد ظهورا لذلك في سورة يوسف، حيث لم نجد لقصصها تكرارا في مواضع أخرى كغيرها، وللجواب على هذا التساؤل نقول:

إن عدم وجود التكرار لقصص سورة يوسف عليه السلام في القرآن الكريم، له بيان من عدة وجوه، ومنها:

---

[1] ينظر دراسات قرآنية، مُحَمَّد قطب، دار الشروق، القاهرة، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، ص ١٠٢.

[2] سيكولوجية القصة في القرآن الكريم، ص ١٣٨ .

[3] سيكولوجية القصة في القرآن الكريم، ص ١٣٩ .

أولا: ورد في قصص السورة ذكر للنساء وشؤونهن مبنية على الستر، ففيها امرأة العزيز تراود سيدنا يوسف عليه السلام عن نفسه وتغلق الأبواب وتقول هيت لك ويولي يوسف عليه السلام هاربا وتمسك بقميصه فتشقه ويشهد شاهد من أهلها على براءته، وإطالة الكلام في مثل هذه الأحوال لا يليق عادة، والإنسان يمتنع حياء من ذكرها ولو مرة واحدة فكيف يكررها أكثر من مرة.[1]

الثاني: جاءت السورة للتحدي، فإذا كان القصص الآخر كرر بعضه فهذه إحدى القصص الذي لم يكرر، وكأنه جل وعلا يقول فأتوا بما ترون من أي نوع من هذه القصص ، يقول الإمام السيوطي " القرآن جاء بالنوعين المكرر وغير المكرر وذلك للتلوين في الأسلوب والتنويع في الكلام والتفنن في العبارات وكل ذلك لبيان عجز العرب عن معارضة القرآن "[2]

الثالث: طلب الصحابة قصة يوسف من رسول اللهﷺ ترويحا عن نفوسهم، فنزل بها جبريل عليه السلام كاملة العناصر متسلسلة الأجزاء مرتبة ترتيبا زمنيا كما وقعت.[3]

الرابع: أن القصة خلت من عبرة المكذبين لأنبيائهم وهلاكهم، ولذا لم تكرر.

ثالثا: الرد عليها ردا تفصيليا.

إن من ينظر إلى القصص القرآني بعين الإنصاف والعدل متجردا عن الهوى والعداء وحظوظ النفس، سيصل ولا محالة إلى أن القصص القرآني كله حق وصدق، لا كذب فيه ولا افتراء، ولا مجال فيه للخيال أو الوهم لأنه من كلام الحكيم الخبير الذي قال فيه ﴿ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ البقرة ٢٥٢ ، وقال تعالى فيه ﴿ نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ القصص ٣ ذلك أن من القصص البشري ما يحكي واقعا ويصور حقائق ثبت وجودها ومنه ما هو نسج خيال مؤلفه. والقصص الخيالي إنما يلجأ إليه من أعوزته الحقائق أو عجز عن تصويرها تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا[4] .

---

[1] ينظر البرهان في علوم القرآن ،٢٩/٣ .

[2] الإتقان في علوم القرآن ٦٢/١ .

[3] ينظر تفسير ابن كثير ٤٢٥/٢.

[4] ينظر اللآلي الحسان في علوم القرآن ص ٣١١.

والحق الذي لا يختلف عليه اثنان أن القصة في القرآن الكريم أُسست على قواعد ثابتة ومحكمة، خالية من زخرف القول وباطله ونسج الخيال الذي لا يثبت أبدا على حال، كم أنها أُسست على الحق والصدق والواقع، الذي لا يعتريه كذب ولا زيف ولا افتراء، كما قال جل وعلا ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ آل عمران ٦٢، فهي قصة وقعت في غابر الأزمان بأشخاصها وأحداثها وزمانها ومكانها وملابساتها ثم يجئ القرآن الكريم فيقصها أحسن القصص، أسلوبا محكماً، وعرضا معجزاً، وحقا ثابتا. ويصور الحقائق بصدق مُصَفى من كل شائبة فيها تغيير أو تحريف للحقيقة والواقع، كما قال عز وجل ﴿ وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ الإسراء ١٠٥.[١]

ولذلك حاول أعداء الإسلام والمشككون والمستشرقون وتلامذتهم أمثال د. مُحَمَّد خلف الله، أن يشككوا في صدق القصص القرآني وأنه مخالف للتاريخ، وأوردوا شبهات واعتراضات لا أساس لها ولا دليل عليها يدفعهم لذلك الحقد والتعصب لمعتقداتهم محاولين بذلك زعزعة ثقة المسلمين في كتابهم المعجز ومصدر دينهم، لقد نحى خلف الله حقيقة القرآن الكريم وقصصه الحق، ومصدريته الإلهية جانباً وساق القرآن سوقا ودفعه دفعا إلى ساحة الفن وحكَّم فيه مقاييس الفن وأخذه بمعاييره كأي كلام أدبي يصدر من كاتب أو خطيب أو شاعر، فقد استولت عليه هذه الدراسة الفنية للأدب العربي فخيل إليه أنه يستطيع أن يدخل بها على القصص القرآني، وأن يعرضه عرضا فنيا، فأخطأ المنهج وضل الطريق وقال في قصص القرآن الكريم أقوالا تنزع عنه المصداقية والعدل والإنصاف، بل وتجاوز الحد إلى القول بأسطورية القرآن الكريم كما قالها أساتذته من المستشرقين ومن سبقهم في الزمن الغابر من قريش وغيرها، ونسي الرجل أو تناسى أنه أمام كتاب إلهي لا يمكن بحال إخضاعه لأي من المقاييس الفنية والأدبية وغيرها من المقاييس البشرية التي لا تخلو من الخلل والزلل والكذب.

ومن هنا ذهب مُحَمَّد خلف الله إلى نفي الصدق التاريخي في أخبار القرآن الكريم

---

[١] ينظر الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، د. مُحَمَّد محمود حجازي، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٣٩٠هـ- ١٩٧٠م، ص ٣٠٦.

وقصصه، ومن ثم كما ورد في شبهته "يصبح العقل الإسلامي غير ملزم بالإيمان برأي معين في هذه الأخبار التاريخية الواردة في القصص القرآني، وذلك لأنها لم تبلغ على أنها دين يتبع وإنما بلغت على أنها المواعظ والحكم والأمثال التي تضرب للناس، ومن هنا يصبح من حق العقل البشري أن يهمل هذه الأخبار أو يجهلها، أو يخالف فيها أو ينكرها"[1]، وبناء عليه فإن هذا المستشرق لا ينفي وجود القصة الأسطورية في القرآن الكريم، ويعتبرها تجديدا في الحياة الأدبية المكية جاء به القرآن الكريم حين بنى القصص الديني على بعض الأساطير.

ومن يتتبع كلامه ومضامين شبهه يتبين له عدم وجود أي دليل صحيح مقنع يتكئ عليه مُحَمَّد خلف الله في كلامه، وليس هنا أبدا ما يدعم آرائه ومعتقداته تجاه القصص القرآني، وبل وتجاه القرآن الكريم جميعه، فهو لم يعرض بصورة جلية نماذج من القصص القرآني الذى انتفت عنه الواقعية التاريخية،– على حد زعمه– ويثبت له خصائص القصة الأسطورية – إن كان لهذا النوع وجود في القرآن الكريم – بل اقتصر على القول جزافا بأن القرآن نفسه، لم يحرص على أن ينفي وجود الأساطير فيه وإنما حرص على أن ينكر أن تكون هذه الأساطير هي الدليل على أنه من عند مُحَمَّد ﷺ وليس من عند الله، يقول في ذلك "وإذا كان هذا ثابتا فإنا لا نتحرج من القول بأن في القرآن أساطير، لأنا في ذلك لا نقول قولا يعارض نصا من نصوص القرآن"[2].

وكما سبق القول من قبل من أن التناقض والتضاد وقلب الحقائق ، منهج يسير عليه أغلب المستشرقين وتلامذتهم إن لم يكونوا كلهم، فنراهم يوردون شبها وكلاما في مكان ، ويناقضونه في مكان آخر وبكلام آخر، وهنا مثال على ذلك، وهو أن مُحَمَّد خلف الله يصور موقف المفسرين بما يسميه بالقصة في القرآن الكريم، تصويرا متعارضا ، ويكفينا هنا أن نورد له عبارتين لتوضيح وإثبات هذا التعارض والتضاد، ففي عبارة يقول "لم يقل واحد من المفسرين بوجود القصة الأسطورية في القرآن الكريم، بل على العكس نرى منهم كما نرى من بعض المحدثين نفورا من لفظ الأسطورة ومن القول بأنها في القرآن ولو إلى حد ما"[3]، وفي عبارة أخرى يقول "القصة الأسطورية إذا من القصص الأدبي الذى نجد من المفسرين من أجاز أن يكون

[1] الفن القصصي في القرآن الكريم ص ٤٥.

[2] الفن القصصي في القرآن الكريم ص ١٨٠.

[3] الفن القصصي في القرآن الكريم ص١٧١.

موجودا في القرآن الكريم".[1]

ويستدل د. محمّد خلف الله على ما يسطر من شبه وافتراءات على القرآن الكريم وقصصه، بآيات من القرآن الكريم تبين أن مشركي مكة وصفوا قصص القرآن الكريم بأنه أساطير الأولين، ومن هذه الآيات استدلالا لا حصرا قول الله تبارك وتعالى ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا ۚ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ الأنعام ٢٥، وقوله سبحانه ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا ۙ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ الأنفال ٣١، وقوله تعالى ﴿ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾ ﴾ الفرقان ٥ - ٦ ،وقوله عز وجل ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ النحل ٢٤، والملاحظ على هذا المستشرق عند سوقه واستشهاده بهذه الآيات ، قطع بين الآية وما قبلها وما بعدها من آيات تتصل بموضوع المقولة التي يقولها الكفار في القرآن بأنه أساطير الأولين.

وقولهم بأن القرآن الكريم " أساطير الأولين " لا يقصدون منها القصص القرآني خاصة وإنما يقصدون القرآن الكريم كله، بل لقي القرآن الكريم منهم ما هو أقبح من ذلك، فقالوا فيه ﴿ فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ ﴾ المدثر ٢٤ – ٢٥، وقالوا في الحبيب ﷺ ﴿ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ۗ ﴾ النحل ١٠٣، وقالوا أيضا في القرآن الكريم ﴿ بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ ﴾ الأنبياء ٥، أليست هذه المقولات وأمثالها تصدر عن موقف واحد إزاء القرآن الكريم كله، لا القصص وحده، ونجد أيضا د. محمّد خلف الله في الآية الثالثة من الآيات التي استدل بها، أنه انتزع الآية انتزاعا من بين الآيات دون ذكر ما قبلها ولا ما بعدها ، ولو قرأناها كلها في سياق واحد،

---

[1] الفن القصصي في القرآن الكريم ص ١٨٠.

لرأينا انسجام الآية مع السابق واللاحق، ولرأينا أيضا أنها ترد عليه ولا تؤيد قوله، وهي كما قال عز وجل ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾ ﴾ الفرقان ١ – ٦ ، هل قولهم ﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ ﴾ ثم قولهم ﴿ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا ﴾ متجها إلى القصص القرآني وحده ، أم إلى القرآن كله ، وهو الفرقان الذي بدأت به السورة.

وقول الذين كفروا في الآية الآنفة الذكر، يأتي التعقيب عليه بأن الذي أنزل القرآن هو الذي يعلم السر في السموات والأرض، وما من شاك أبدا أن ثبوت نسبة القرآن الكريم إلى الله تبارك وتعالى، ينفي عنه تماما أن يكون في قصصه أساطير أو خرافات وخيالات، وهذا من أبلغ القول الذي جاء به القرآن الكريم لنفي زعم الأسطورة عنه، لأن الذى يعلم حقائق الأمور في كل شيء أيجوز له أن يحكى في كتابه المنزل الأساطير والأباطيل على أنها هي الحق الذى لا يأتيه الباطل، إنما يقع في هذا العلم والمعرفة من البشر الذين لا علم لهم بحقائق وأسرار الكون، ولهذا كان القصص القرآني بعيدا تمام البعد عن الخيالات والخرافات التي يدعيها محمد خلف الله وغيره من المستشرقين ، وبعيدا عن الخيالات التي تظهر في الأساطير الشعبية لدى الأمم الأخرى، كأساطير اليونان والهنود والفراعنة، فلم يكن العرب يعرفون الأسطورة بهذا المعنى حتى يحمل عليه ما حكاه القرآن عنهم.[١]

ويكفينا في رد هذه الفرية على صاحبها د. محمد خلف الله قول الله تبارك وتعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا

[١] سيكولوجية القصة في القرآن الكريم ص١٦٣.

مِنْ خَلْفِهِۦۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ فصلت ٤١ – ٤٢ ، وزعمه أن القصص القرآني يتضمن محتوى تاريخيا باطلا ، زعم باطل ترده عليه هذه الآية الكريمة، وتعارض قوله وتنفي شبهه، وتنفي إمكان أن يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وفي قوله تعالى ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾ ﴾ السجدة ١ – ٣ ، رد على دعوى الافتراء بإثبات أنه هو الحق من الله، فهل يتمشى مع منطق العقل، أو أساليب البيان أن يكون حقا قد احتوى باطلا؟ وهل يصدق عليه وصف "الحق" حينئذ؟ ومن هنا يجدر بنا توجيه سؤال إلى د. محمد خلف الله إذا كان الأديب تلجئه الفكرة وضرورات الفن إلى مجاوزة الصدق في رواية التاريخ فهل يجوز ذلك على الإعجاز القرآني؟ أليس في القرآن ما يدل على القصد إلى الإخبار التاريخي؟ وكيف يفسر المؤلف تلك الآيات التي يبدو فيها القصد إلى الإعجاز التاريخي واضحا ، ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَاۖ فَٱصْبِرْۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ هود ٤٩ ،وقوله عز وجل ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴾ الكهف ١٣، وقوله سبحانه ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ آل عمران ١٠٨ ، وقوله تعالى ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾ آل عمران ٣ ، وقوله تعالى ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ الفرقان ٣٣ ، وقوله جل وعلا ﴿ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴾ الأحزاب ٤ ، وقوله سبحانه ﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ يوسف ١١١ .

لا نرى عند د. محمد خلف الله جوابا لهذه الأسئلة، فقد تكلف أدلة لا تبرهن على صدق أقواله ، ليزعم أن اختلاف جزئيات القصة الواحدة في عدة مواضع تفيد الانطلاق من

تحري الصدق، وهو غير صحيح، لأننا لا نرى تعارضًا بين هذا الاختلاف الجزئي وبين الصدق التاريخي، فالتفصيلات كلها قد حدثت وإنما يختار القرآن ما يتصل بالمشهد التي ترد فيه.[1]

وهذه الآيات التي أورتها وغيرها كثير في القرآن الكريم، قد أثبتت أن القرآن الكريم كلام الله الحق المنزل على رسولهﷺ نزل به جبريل عليه السلام، وآياته وقصصه وأخباره كلها حق، لأن الله تعالى لا يقص إلا بالحق، وهو يقص علينا قصة أهل الكهف بالحق ونبأ موسى وفرعون بالحق ووحيه كله حق وكتابه حق لا يصل إليه الافتراء والكذب بأي وجه من الوجوه كما قال تعالى ﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ يونس ٣٧.

وقد اعتمد د. مُحَّد خلف الله على الحكم التاريخي فيما جاء به القرآن الكريم من قصص وأخبار، فلما تبين له التعارض بين التاريخ والقرآن ، لجأ إلى نفي الصدق التاريخي عن القرآن الكريم، ولو نظر هذا وأمثاله إلى ما كتبه العلامة ابن خلدون في مقدمته عن آفة التواريخ من خلط الحقائق بدسائس الباطل، حيث قال "وهموا فيها وابتدعوها وزخارف من الروايات الضعيفة لفقوها ووضعوها واقتفى تلك الآثار الكثير ممن بعدهم واتبعوها وأدوها إلينا كما سمعوها".[2] فالتواريخ القديمة هذا هو شأنها، ليست بالانضباط الكافي، يعتريها الإهمال والنسيان والتحريف والتوهم.

ولقد وجدت كلاما جميلا لسيد قطب حول هذا الموضوع، تجدر الإشارة إليه بطوله للفوائد المرجوة من خلاله ، ومن خلاله يتعاضد الرد في إبطال شبهة مُحَّد خلف الله، يقول " إن الباحث المنصف – على فرض أنه – لو نظر إلى القرآن الكريم وجرده من كل قداسة دينية، ثم ينظر إليه كمصدر تاريخي بحت فماذا يجد؟؟ يجد أننا لا نملك كتابًا آخر، ولا أثرًا تاريخيا آخر في تاريخ البشرية كلها توافرت له أسباب التحقيق العلمي البحتة كما توفرت لهذا الكتاب، فإنه من البديهي، أننا لا نملك في إثبات صحة الحوادث التي تحدث عنها القرآن أو عدم صحتها، إلا وسيلتين اثنتين، ولكن واحدة منهما ليست قطعية وليس لها من قوة الثبوت ما للقرآن،

---

[1] اتجاهات التفسير في العصر الحديث، د. عفت الشرقاوي، مطبعة الكيلاني، القاهرة، ١٩٧٢ م، ص٢٩٦.

[2] مقدمة ابن خلدون ، عبد الرحمن بن مُحَّد بن خلدون ولي الدين، تحقيق عبد الله مُحَّد الدرويش، دار يعرب، دمشق، ١٤٢٥ هـ– ٢٠٠٤م، ١/ ١٢-٥٤.

إحدى الوسيلتين اللتين في أيدينا، الأسانيد التاريخية الأخرى فإذا نحن جردنا القرآن من قداسته –كما قلت – فإنه ككتاب تاريخي يكون أقوى إسنادًا من الوجهة العلمية البحتة من كل مرجع تاريخي آخر في الوجود، فراوي هذا الكتاب هو "مُحَمَّد بن عبد الله وهو رجل يعترف خصومه قديما وحديثا بأنه رجل صادق، وقد جمع هذا الكتاب بطريقة علمية لا يطعن فيها أحد إلا أفاك متعصب، ومثل هذا التحقيق العلمي لم يتهيأ لكتاب آخر، لا من الكتب المقدسة ولا من الكتب التاريخية، ولا من الآثار التاريخية أيضًا، فالكتب المقدسة الأخرى قد انقضت فترات طويلة بين حياة أصحابها وعصر تدوينها ولم ترو بالإسناد الذى روى به القرآن، والكتب التاريخية والآثار التاريخية لا ترتفع فوق مستوى الشبهات، وليست هناك حادثة تاريخية واحدة في تاريخ البشرية تعد يقينا علميا خالصًا، إذن لا تجوز محاكمة القرآن – ككتاب تاريخي بحت – إلى أي كتاب تاريخي آخر أو أي سند تاريخي ليس له من قوة الثبوت ما لكتاب القرآن، والوسيلة الأخرى التي بين أيدينا هي العقل، ولست أتردد في التصريح بأن احترام العقل البشرى ذاته يوجب عليه أن يفسح للمجهول مجاله وأن يحسب له حسابه، لا عن طريق الإيمان الديني، ولكن عن طريق التفكير العقلي، وإن العقل البشري ليسقط احترامه حين يدعى أنه يعلم كل شيء، وهو لا يعلم نفسه ولا يدرى كيف يدرك المدركات".[1]

وعلى هذا فلا يستطيع أحد على وجه الأرض سواء كان من المستشرقين أو من غيرهم مهما علت مرتبته، وتسامت قوته العلمية أن يطعن في هذا الكتاب العزيز، ولا في شيء من مضامينه من قصص وغيره ، أما الأوهام غير المثبتة التي تعتري أولئك الذين يطردون السراب فإننا ننزه القرآن الكريم عن أوهامهم وأباطيلهم، وعن أن يقارن بها أو يحتكم إليها في شيء مما ورد به، فالقرآن الكريم كلام الله نزل بلسان عربي مبين، وشخصيات قصصه لم يكن لسانهم عربيا كنوح وإبراهيم وفرعون، وأصحاب الكهف، ويوسف وإخوته، وامرأة العزيز ، إلى غير ذلك مما ورد في القرآن الكريم من الشخصيات، وأوردها بلسان عربي مبين.

فعلى سبيل المثال لا الحصر، نطق القرآن الكريم عن فرعون، بكلام كثير، كقوله ﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَـٰذِهِ ٱلْأَنْهَـٰرُ تَجْرِي مِن

[1] التصوير الفني في القرآن الكريم، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، ص٢٠٥، ٢٠٦.

تَحْتِيٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ ﴾ الزخرف ٥١ – ٥٢، وقوله ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًاۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ غافر ٣٦ – ٣٧

وقوله لموسي عليه السلام ممتنا عليه ﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴾ الشعراء ١٨، وغيرها كثير مما ورد في القرآن الكريم، ولا يشك أحد أبدا في أن فرعون لم ينطق بذلك باللغة العربية الفصحى، وإنما الذى نطق به هو ما تحمله هذه الكلمات من معنى وكذلك كل ما نطق به الأنبياء وأقوامهم، والأبعد من ذلك هذه الجمادات والحشرات والطير وغيرها ينطقها القرآن الكريم بلغة عربية فصحى واضحة بينة، كما قال تعالى ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾ فصلت ١١ ، وقوله عز وجل ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ النمل ١٨ – ٢٤.

والذى يجب أن يعلم في هذا أن القرآن الكريم في قصصه يحكي مقولات المتحاورين والمجادلين والناطقين في الحدث الذى يقصه – يحيكها – كما هي في مضمونها ومفهومها،

وإن جاءت بلسان غير لسانهم وبلغة غير لغتهم فالقرآن إذ يحكي عن قوم كانوا يتكلمون بالسريانية – مثلا – وينقل أقوالهم ومجادلاتهم فإنه يعرب عن معاني ألفاظهم ومضامين كلامهم باللغة العربية في ترجمة أمينة صادقة، كاملة لا نقص فيها ولا زيادة، وهى ترجمة دقيقة لا تحريف فيها ولا تبديل، لأنها من خالق اللغات ومن العليم بدقائق الكون وأسرار الكائنات.

وخلاصة القول في الرد على هذه الشبهة، أن تكرار القصص في القرآن الكريم ظاهرة مقبولة، وأسلوب دقيق وصحيح، ولأهداف سامية، يتبينها من يقرأ ويتدبر ، ويمعن النظر في مكنون الآيات والأخبار والقصص ، فالفكر عند كل منصف وعند كل مسلم، إذا ما أراد الوصول إلى الحق والهداية، فبتدبره لهذا الكتاب العظيم سيصل إلى أسراره ومكنوناته، وإن لم يصل إليها كلها، ولكنه سيصل بلا شك إلى ما يريده ويمكنه من الوصول إلى من أنزل هذا الكتاب العظيم، فتحصل له الهداية، وتُنتَفى عنده الشبه والأباطيل، فالحق أبلج، والباطل أزهق، ومضمون الشبهة مردود على صاحبها، باطلة من أصلها، مردودة بسيوف الأدلة النقلية، والبراهين العقلية، ولم يعد لها قرار ولا مكان، وأهل الباطل المشككون، أعداء الملة والدين، قد أفِل نجمهم، وخاب ظنهم، وتهاوت دعاويهم، فالإسلام صامد، والقرآن ثابت، قصصه حق، وخبره صدق، لا تهزه الأباطيل، ولا تعجزه الردود، ولا مجال فيه للخيال والافتراء والأساطير وصدق الله عز وجل إذ يقول ﴿ قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَـٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴾ سبأ ٤٩، وقوله سبحانه ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ الإسراء ٨١.

الشبهة الثانية عشرة

أولا: عرض الشبهة وتوثيقها.

يقول المستشرق ريجيس بلاشير [١] " وهذه القصص التي نقرؤها في مصحف عثمان بوصفها سلسلة متصلة تقريبا ، إنما تفصلها في الواقع مسافات زمنية طويلة أو قصيرة ، إن مُحَّدا – باختصار – يخضع هنا للقانون الذي يسري على كل خطيب شعبي، فإنه لكي يقنع سامعيه ولكي يغلغل دروس الماضي في عقولهم، كان لا بد أن يلجأ إلى التكرار"[٢].

ثانيا: الرد عليها ردا إجماليا.

من خلال القراءة لهذا المستشرق ريجيس بلاشير، تتضح جليا أخطائه التي لا حصر لها تجاه الإسلام والقرآن ، بل وتجاه نبينا ﷺ وسنته، وخصوصا فيما يتصل بقصص القرآن الكريم، حيث إنه لا يحترم أمانة العلم والبحث العلمي الصحيح، فيما يختص بالنص القرآني، فيترجم القرآن ويفسره ويقدم ويؤخر في الآيات والسور حسب ما يملي عليه الهوى وحظوظ النفس. وقد اتضح الأمر جليا من خلال شبهه التي أثارها حول القرآن الكريم وقصصه ، ومن ذلك ما أورده من الشبهة أعلاه، بقوله "وهذه القصص التي نقرأها في مصحف عثمان بوصفها سلسلة متصلة تقريبا ، إنما تفصلها في الواقع مسافات زمنية طويلة أو قصيرة ، إن مُحَّدا – باختصار – يخضع هنا للقانون الذي يسري على كل خطيب شعبي، فإنه لكي يقنع سامعيه ولكي يغلغل دروس الماضي في عقولهم، كان لا بد أن يلجأ إلى التكرار" ، وحقيقة أنني قد بينت في الشبه التي قبلها موضوع التكرار في القرآن الكريم وما فيه من فوائد ومحاسن ذكرها العلماء، بما يدحض فريته، وفيه غنية عن التكرار في هذا الموضع.

وقصص القرآن الكريم منذ أنزله الله على رسولهﷺ سواء كان في مصحف عثمان بن عفان ﷺ أم في غيره من المصاحف، فكلها وإن تعددت وتنوعت فهي في الأصل كتاب

---

[١] سبقت ترجمته ص ١٠٨.

[2]" Histoire de la litterature Arabe لـ" Regis Blachere .ط) Librairie d' Amerique et d' Orient , Paris , 1964. ١٩/٢ وما بعدها

واحد ، وقرآن واحد، وقصص واحد، لم يتغير أو يتبدل، وتكرار القصص كما ذُكر سابقا هو ظاهرة موجودة في كل المصاحف ، إذ يتكرر حسب ما يقتضيه الموقف الذي نزلت فيه، وقد شهد بذلك المستشرق الانجليزي الكبير وليم موير[1] حيث يقول " المصحف الذي نسخه عثمان قد تواتر إلينا بدون أي تحريف على الإطلاق في النُسخ التي لا حصر لها المتداولة في البلاد الإسلامية الواسعة، فلم يوجد إلا قرآن واحد لجميع الفرق الإسلامية المتنازعة، وهذا الاستعمال الإجماعي من الجميع للنص المقبول نفسه حتى اليوم يُعد أكبر حجة ودليل على صحة النص المنزل الموجود معنا"[2] .

ثالثا: الرد عليها ردا تفصيليا.

إن من يتتبع شبه ومغالطات بلاشير يلاحظ أنها ليست المرة الأولى التي يتهم فيها القرآن الكريم، ويلقي بالشبه جزافا دون أن يُخضع أقواله لميزان البحث العلمي الصحيح، ويتجرد من كل هوى وعداوة للإسلام وأهله، فتكرار القصص في مصحف عثمان بن عفانﷺ هو نفسه التكرار الموجود في القرآن الكريم منذ أنزله الله على رسولهﷺ ، وموجود في كل المصاحف محفوظ بحفظ الله إلى أن يأذن الله برفعه، كما قال عز وجل ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ الحجر ٩ ، وعندما يتعرض القرآن الكريم للتكرار في القصص مع نبي من الأنبياء مع قومه في أكثر من موضع ، ليس هو التكرار الحقيقي الذي يعنيه بلاشير، إنما هو استشهاد بالقصة لأهداف وأغراض سامية ومتعددة، والدليل على ذلك أن القصة لا يعيدها القرآن كما هي، وإنما يأتي بالجزء المناسب للغرض والهدف الذي اقتضى الاستشهاد وعلى وجه سريع، أما كيان القصة كلها فلا يكرر إلا فيما ندر ولهدف مقصود، وذلك لاستنباط دروس واقعية يؤخذ منها العظة والعبرة ، بهذا ينتفى التكرار بالمعنى الحقيقي الذي عناه بلاشير.

ونضرب لذلك أمثلة حية ومنها قصة آدم عليه السلام وردت في ستة مواضع، بغرض إثارة العبرة حول خطر اتباع الهوى ومخالفة أوامر الله تعالى، وبيان ضعف الإنسان وسرعة

---

[1] ويليام موير (بالإنجليزية: William Muir) (جلاسجو ٢٧ أبريل ١٨١٩ — نيبال ١١ يوليو ١٩٠٥) مستشرق أسكتلندي وليد في جلاسجو، قام بعمل دراسات حول حياة النبي مُحَّد والخلافة الإسلامية المبكرة. وتولى إدارة جامعة إدنبرة، ينظر موسوعة المستشرقين ص ٥٧٨.

[2] علوم القرآن، د. نور الدين عتر، مطبعة الصباح، دمشق، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م، ص ١٧٧.

عودته واستغفاره وإنابته إلى الله وتوبته وقبولها وغير ذلك. ومنها أيضا قصة إبراهيم عليه السلام في نحو عشرين موضعا، مثيرة عظة وعبرا في العقيدة والتوحيد، وتأسيس البيت الحرام والأذان بالحج وغير ذلك. ومنها أيضا قصة موسى عليه السلام مع فرعون وقصة شعيب وغيرها من القصص التي تهدف في تكرارها أخذ دروس من الحيطة والحذر والعظة والعبر بأحوال الغابرين.

ولم يقتصر القرآن الكريم على تكرار القصص فحسب ، بل حصل التكرار في العبارات أيضا وذلك لذات الهدف والمقصد، وهذا دليل على قوة الأسلوب والإعجاز التي يتمتع بها القرآن الكريم، ففي بعض الأحيان يكرر جملة أو عبارة كاملة بنصها دون أي تغيير، وذلك لغرض التهويل أو التأكيد أو التصوير، وذلك لتعميق المعنى في النفس وردها عن الاستمرار في الغي والإعراض، ويتجلى هذا الأمر بوضوح من خلال سورة الرحمن وذلك في تكرار قوله تعالى ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ الرحمن ١٣ ، هذه السورة التي عددت للمنكرين نعم الله عليهم، التي توجب عليهم الانقياد له والإيمان به وشكر نعمه، لكنهم بدلا من أن يكونوا كذلك، كفروا وتنكروا واستعملوا النعم في غير موضعها، وجحدوا المنعم بها جل وعلا وأشركوا معه غيره وعبدوا الأصنام والأوثان، فأتت هذه السورة فحاجتهم وأقامت عليهم الحجة والبراهين، وتصدت لعنادهم وإعراضهم ، ورسخت في أعماق النفوس الشعور بشكره تبارك وتعالى، فعقب على ذكر كل نعمة من النعم بهذه الآية العظيمة ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ الرحمن ١٣ .

وأحيانا يأتي التكرار مع اختلاف في نظم الجملة، أو إيجاز أو إطناب أو غير ذلك، وهذا يُظهر لنا سرا عجيبا من أسرار إعجاز القرآن الكريم، وهو التعبير عن معنى واحد بأكثر من أسلوب دون أن يمس تكرار المعنى من سمو الأسلوب وإعجازه، وهذا لا يتوافر ولا يكون في كلام البشر أبدا. وهذا الجمال والإعجاز من جملة تصريف البيان الذي ذكره القرآن في مناسبات عديدة ، كما قال عز وجل ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ الأنعام ١٠٥ ، وكقوله تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾ طه ١١٣ .

وحقيقة هذا التصريف كما يقول الإمام الزركشي " إعادة اللفظ أو مرادفه لتقرير المعنى،

خشية تناسي الأول لطول العهد به"[1] ، ولذلك حقق القرآن الكريم من خلال هذا التصريف في الآيات أهدافا عظيمة ، في مخاطبة الناس كافة، فمن كفته الإشارة والإيجاز من القول كفى، ومن احتاج التفصيل لسد فهمه فَصَّل، وهذا التنوع العجيب في بلاغة القرآن الكريم، لا يمكن توافرها في أي كتاب آخر.

وبهذا التصريف البلاغي الذي لا نظير له، يوجه القرآن الكريم إليه أنظار الحكماء والبلغاء، يقول د. نور الدين عتر " وقد لفت هذا التصريف المعجز أنظار البلغاء فراحوا يكشفون ما في كل موقع من سر بلاغي، وإعجاز بياني حتى في الكلمة الواحدة تختلف بها العبارة من موقع إلى موقع، ونشأ عن هذا الغرض الأخير فن جليل دقيق هو " متشابه القرآن اللفظي" [2] .

ومن الأمثلة الحية على هذا من القرآن الكريم، قول الله عز وجل ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ ﴾ الأنعام ١٥١ ، وقوله سبحانه ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ ﴾ الإسراء ٣١ ، وهنا سؤال عن سبب تقديم ضمير المخاطب في ﴿ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ ﴾ وتقديم ضمير الغائب في ﴿ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ ﴾ ، ولذلك يجاوب على ذلك الخطيب الإسكافي[3] بقوله " الآية الأولى تحرم قتل الأولاد الذي يدفع إليه الفقر النازل فعلا بالآباء كما قال ﴿ مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ ﴾ فناسب ذلك تقديم ذكر الآباء لأنهم هم الذين يعانون الفقر فعلا، وهو يدفع بعضهم للتخلص من أعز شيء عليه ، فكان الملائم للمقام هنا ذكر الآباء، أما الآية الثانية فتحرم قتل الأولاد الذي يدفع إليه خوف الفقر في المستقبل ﴿ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ ﴾ لتضاعف مسؤوليات النفقة بسبب الأولاد ، فناسب لذلك

---

[1] البرهان في علوم القرآن ١٠/٣.

[2] علوم القرآن، ص ٢٥٠-٢٥١.

[3] هو الخطيب الإسكافي (... - ٤٢٠ هـ = ... - ١٠٢٩ م) مُحَمَّد بن عبد الله الخطيب الإسكافي، أبو عبد الله: عالم بالأدب واللغة، من أهل أصبهان. كان إسكافيا، ثم خطيباً بالري. من كتبه (مبادئ اللغة - ط) و (نقد الشعر) و (درة التنزيل وغرة التأويل - ط) في الآيات المتشابهة، و (غلط كتاب العين) و (الغرة) في بعض ما يغلط به أهل الأدب، و (لطف التدبير - ط) ببغداد، في سياسة الملوك، ينظر الأعلام للزركلي ٢٢٧/٦.

تقديم ذكر الأبناء﴿ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ ﴾ لضمان مستقبلهم من الله لإزاحة هذا التخوف وهذا الوسواس الذي تحرك في القلب بسببهم"[1].

فتكرار القصص في القرآن الكريم جاء لأهداف وغايات عظمى، لربط البشرية بالله عز وجل وتذكيرهم بما حل بغيرهم لأخذ العبرة والحيطة والحذر، تدبير إلهي، فلم يكن من صنع النبيﷺ ولا من تأليفه ليستعطف به قلوب الناس لاتباعه كم زعم بلاشير، بل كلام الله وقصصه هو المؤثر في القلوب، وكونه يتهم النبيﷺ ويتنقصه بقوله " خطيب شعبي" فهذا أمر مردود عليه، فالنبي ﷺ رسول من عند الله إلى الناس كافة، لا يقول إلا حقا ولا يبلغ عن الله إلا حقا، أرسله الله لينقذ الناس من الهلاك ، وليخرجهم من الظلمات إلى النور، وليربطهم بخالقهم ورازقهم ومحييهم ومميتهم تبارك وتعالى، كما قال عز وجل ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ سبأ ٢٨ ، أما "بلاشير" ونظراؤه الذين يفعلون الشيء ذاته في أبحاثهم وكتبهم، من الخداع والتدليس على الناس والكذب والافتراء بحيل ومكر واستمالة للناس للباطل، فهم من صفوة الكتاب والمفكرين، ولم يعلم هذا ونظراؤه أننا لو خلصنا الحياة مما فيها من تكرار لانتهى عمر كل منا في ساعات، ولقد شهد الكثير من المستشرقين المنصفين وغيرهم بقوة خطابه وخطابته عليه الصلاة والسلام، وقوة تأثيره في النفوس والقلوب، وهذا لا يكون إلا لخطيب منح كل مقومات الخطابة العلمية والسياسية والاقتصادية العظيمة، ومثل هذا لا ينطبق عليه وصف " الخطيب الشعبي" الذي أطلقه عليه بلاشير، يقول يوهان رايسكه[2] Johann Jakob Reiske " إن ظهورَ مُحَمَّد – ﷺ- وانتصار دينِه هما من أهمِّ أحداث التاريخ الذي لا يستطيع العقل الإنساني إدراك مداها، ويدل ذلك على تدبير قوة إلهية قديرة"[3].

إن لاعب الكرة على سبيل المثال، يظل في كل تدريب يتدرب مثلاً على ضربة الجزاء

---

[1] درة التنزيل وغرة التأويل، مُحَمَّد بن عبد الله الخطيب الإسكافي، تحقيق مُحَمَّد مصطفى آيدين، معهد البحوث العلمية، مكة المكرمة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ص ٣٣٩.

[2] يوهان ريسكه (١١٢٨ - ١١٨٨ هـ / ١٧١٦ - ١٧٧٤ م) هو مستشرق ألماني، نشر بالعربية (بالاشتراك مع أدلر) ، «تاريخ أبي الفداء» مع ترجمة إلى اللاتينية، ينظر موسوعة المستشرقين ص ٢٩٨.

[3] شبكة الألوكة الاكترونية،www.alukah.net، الدخول يوم الخميس ١٤٣٦/٦/٢٠هـ، الساعة السادسة مساء.

حتى يتقنها، والتلميذ في المدرسة يدرس في المرحلة المتوسطة ما درسه في المرحلة الابتدائية مع شيء من التوسع والتفصيل، ثم يعيد دراسة ذلك في المرحلة الثانوية، ثم يكرره في الجامعة بمزيد من التفصيل وإدخال عناصر جديدة في كل مرة ، وهل بين الكتب السماوية كتاب يخاطب العقل ويحاوره بالمنطق المبين، ويعمد إلى التكرار لمصلحة راجحة وأسلوب فريد كما يفعل القرآن؟ .

إن القرآن جميعه يدعو إلى استخدام العقل والتفكير، فالتفكر فريضة يدعو إليها الإسلام والقرآن كما قال عز وجل ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَأَجَلٖ مُّسَمّٗىۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمۡ لَكَٰفِرُونَ ﴾ الروم ٨، وقوله عز وجل ﴿ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴾ الأنعام ١١، وقوله سبحانه ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ الزمر ٤٢، فتكرار القصص في القرآن الكريم لم يأتي عبثا بل أتى للتفكر والتدبر لما حل بالسابقين، وأن سنن الله لا تتغير ولا تتبدل في كل من أعرض ولم يؤمن بآيات ربه.

وخلاصة القول أن هذا الادعاء الذي اختلقه وألفه بلاشير لا يمكن القبول به لافتقاره إلى الحياد والموضوعية والإنصاف وقواعد البحث العلمي الصحيحة، والقصص المتكرر في مصحف عثمان بن عفانرضي الله عنه لا يختلف عن المصاحف الأخرى التي دونها الصحابة رضي الله عنهم فهي على أصل واحد كما أُخذت من النبيﷺ ، وهي كما بينا سابقا تكررت لأهداف وغايات عظيمة، والنبي ﷺ منزه عن الألقاب التي لا تليق به، ووصفه بوصف لعامة الخطباء العاميين أو الشعبيين، لا يمكن قبوله بحال، فهو رسول الله ، علمه ووجهه وجعله على خلق عظيم، وقد شهد له القاصي والداني من المنصفين الغربيين، يقول العالم الأمريكي مايكل هارث " "إن محمدًا – ﷺ – كان الرجل الوحيد في التاريخ الذي نجح بشكل أسمى وأبرز في كلا المستويين الديني والدنيوي ، إن هذا الاتحاد الفريد الذي لا نظير له للتأثير الديني والدنيوي معًا يخوّله أن

يعتبر أعظم شخصية ذات تأثير في تاريخ البشرية"[1] ، وبهذا تكون الشبهة الآنفة الذكر باطلة من أصلها، ومردودة على صاحبها، كما قال عز وجل ﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ الرعد ١٧.

[1] المئة الأوائل، مايكل هارث، صحيفة عكاظ، العدد ٤٩٤٨ تاريخ ١٤٣٦/٣/١٢هـ بقلم أسامة خياط إمام المسجد الحرام بمكة المكرمة.

الشبهة الثالثة عشرة

أولا: عرض الشبهة وتوثيقها.

" إتهام القصص القرآني بالتشويش والاضطراب"[١]

ثانيا: الرد عليها ردا إجماليا.

من الأمور المسلم بها أن الله تبارك وتعالى أنزل القرآن الكريم لهداية الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور، وإخبارهم بما حصل للأقوام قبلهم ممن أعرضوا وصدوا عن الحق والقبول به، وحاربوا رسل الله عليهم السلام وكذبوهم وآذوهم، لأخذ العظة والعبرة، والامتثال لأمر الله وتحقيق عبادته وطاعته كما قال عز وجل ﴿ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴾ النمل٦٩، وقوله سبحانه ﴿ أَوَلَمۡ يَهۡدِ لَهُمۡ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ يَمۡشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍۚ أَفَلَا يَسۡمَعُونَ ﴾ السجدة ٢٦ وقوله تعالى ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴾ إبراهيم ١، وقد نزل هذا الكتاب العزيز لأغراض دينية ، واقتضى نزوله أن يكون منجما حسب الوقائع والحوادث التي تَعْرض للرسولﷺ .

وما ادعاه أعداء الإسلام وافتروا به على كتاب الله من الاضطراب والتشويش ، لا يقوم به دليل لا عقلي ولا نقلي، ولا تقبله أدنى مقومات البحث العلمي الصحيحة، ومثل هذا الاتهام الباطل سرعان ما يتهاوى أمام قوة القرآن الكريم وحجته وبلاغته وإعجازه. فالقصص في القرآن الكريم مختلف عنه في الكتاب المقدس، ففي القرآن الكريم يهتم القصص بأمر الأنبياء وما يدعون إليه، ويمتاز عن غيره بمنطقية القص ، وتسلسل الأحداث وترابطها، وإحكام الأسلوب، كما يمتاز بأنه حق ولا مجال فيه للخيال والكذب، بينما يكون في الكتاب المقدس الذي تولى البشر تحريفه وتبديله بعهديه القديم والجديد ، إذ يجري فيها التنقص والازدراء

---

[١] شبهات المعترضين ومفترياتهم حول صدق نبوة مُحَمَّد ورسالته، ماهر عبدالوهاب مُحَمَّد حجاج، الاتحاد الأخوي، القاهرة، ١٩٩٨م، ودفاع عن السنة، د. مُحَمَّد أبو شهبة، مكتبة السنة، القاهرة، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م، و موقع بيان الإسلام للرد على شبهات حول الإسلام ١٨٣/٧.

للأنبياء والرسل، والقصص فيهما كله خيال وكذب واضطراب وتناقض.
ثالثا: الرد عليها ردا تفصيليا.

أعتقد أن هؤلاء المفترين على كتاب الله عز وجل، لو نظروا إليه بموضوعية وحيادية، نظرة منصف عادل، ودققوا في معانيه، وتدبروا آياته، لاختلفت آراءهم، وتغيرت نظراتهم، و لقالوا غير ما قالوا، فإن القرآن الكريم كما حكى الله عنه بقوله ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ ﴾ الإسراء ٩ – ١٠، يقول ابن كثير – رحمه الله- " يمدح تعالى كتابه العزيز الذي أنزله على رسولهﷺ ، وهو القرآن بأنه يهدي لأقوم الطرق وأوضح السبل، ويبشر المؤمنين به الذين يعملون الصالحات على مقتضاه، أن لهم أجرا كبيرا، أي يوم القيامة، وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة ، أي ويبشر الذين لا يؤمنون بالآخرة أن لهم عذابا أليما، أي يوم القيامة كما قال تعالى ﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ آل عمران ٢١ "[١].

إن هؤلاء المغالطون المغايرون للحقائق العلمية لم يأتوا بجديد فيما قالوا بل هو ترديد لما قاله أسلافهم منذ عهد الرسالة، ولذلك من حقنا أن نسائلهم فنقول أين الاضطراب وأين التشويش الذي تزعمون أنه في القرآن الكريم؟ ﴿ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ البقرة ١١١، هاتوا ولو مثالا واحد صحيحا على ما تدعون؟ هل التشويش في إعجازه ونظمه، أم هو في قوة بلاغته وأسلوبه؟ أم هو في قوة تأثيره في القلوب والنفوس؟ أم هو في سلاسة قصصه بتكراره الهادف، وغايته العظمى ؟ يتكرر حسب ما يقتضيه السياق، وتجر إليه المصلحة ، وهذا مما زاده سموا ورفعة، أم هو في السوق الحقيقي الذي لا يخالجه كذب ولا خيال للوقائع التاريخية والقصص الحقيقية التي لا تصادم العقل، ولا تخالف النقل؟ أم هو في شموليته المطلقة حينما يخاطب النفوس، على اختلاف طباعها وميولها ووجهاتها ومكنوناتها ؟ أم هو في تنويع الوسائل والأساليب الملائمة لكل جنس وصنف من الناس؟ إنهم حتما لا يملكون جوابا ولا برهانا ، ولكنها ترسبات قديمة ، وعداوة مستعرة، ونفوس حاقدة، قد كشفها

---

[١] تفسير ابن كثير ٣/٢٦.

الله في القرآن، وفضح أهدافها وغاياتها بقوله عز وجل ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ التوبة ٣٢ .

إن من أهداف القصص القرآني العظمى، وغاياته الأسمى، هداية البشرية، وتذكيرها بأسلافها وما حل بهم من النكبات بسبب الإعراض والتكذيب كما قال عز وجل في قصة قوم نوح عليه السلام ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ الفرقان ٣٧ ، ولكي تتحقق هذه الأهداف لابد أن يُعْرض القصص في حلقات تقتضيها هذه الأهداف، فمثلا آخر حلقة تُعرض – بحسب ترتيب السور– تتفق مع أظهر غرض ديني صيغت من أجله تلك القصة، ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر، قصة موسى عليه السلام ، وردت أول حلقة لها في سورة البقرة التي جاء فيها قصة البقرة وذبحها وكثرة أسئلة بني إسرائيل الذين شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم، كما في قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُواْ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُواْ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُواْ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَْٰٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ البقرة ٦٧ - ٧٣ ، ثم جاءت حلقة أخرى للقصة في سورة المائدة التي عُرض فيها موضوع التيه لبني إسرائيل، حيث أسبل عليهم النعم، وشملهم برحمته، ثم ما يلبثون أن يتنكروا لنعمه، ويعصوا أمره وأمر رسوله بدخول الأرض

المقدسة، فيعاقبهم الله بالتيه أربعين سنة لا مرشد لهم.[1]

كل تلك الحلقات من القصص تجري في أسلوب معجز ورائع، ومواقف متنوعة، لم يضعف بها السياق، علاوة على ما تتميز به القصة من تناسب واقعي لأحداثها، وتخريج فني رائع في سياقاتها المتكررة والمتنوعة، وبهذا الوصف الحقيقي لقصص القرآن الكريم، يتبين لنا بطلان تلك الشبهة، وضعفها وتهاويها، وما هي إلا سهام ركيكة وضعيفة رُدت في نحور أصحابها.

وحول حقيقة القصص القرآني ووضوحه وقوة دلالته ومصداقيته يقول د. إبراهيم خليفة[2] ردا على هذه الشبهة وتلك الفرية " وقد أخطأ بعض الباحثين عندما يطلبون في القصص القرآني أن يستكمل أركان القصة بالمعنى الحديث ، التي هي مستمدة من الخيال ومبنية على قواعد فنون الكتابة، وذلك أنهم لم يفرقوا بين القصة بمعنى الحكاية، والقصة بمعنى الخبر المحدث به على وجهه، والثاني هو المراد في القصص القرآني، لأن الأشخاص والزمان والمكان ، ليست بالضرورة أركانا للخبر المحدث به، فقد يُبهم الزمان والمكان، كما في قوله عز وجل ﴿ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴾ يوسف ١٦، وقد يبهم الزمان كما في قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ يوسف ٩٩ ، وقد يبهم الشخص أو الأشخاص كما في قوله تعالى ﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُواْ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴾ القلم ١٧.

فالذي يجب وجوده في القصص القرآني هو الحدث والعبرة، أما بقية عناصر القصة فإنما توجد بحسب الحاجة إليها وأهميتها فيها، فلو كان للشخصية مدخل كبير فإنها تذكر، كمريم عليها السلام في قصتها، والهدهد في قصة سبأ، وكثيرا ما تأتي الشخصية بصورة التنكير كما في قصة النملة، وسماع سليمان عليه السلام، وقد يهتم بإبراز الزمان كما في قصة أصحاب

[1] ينظر موسوعة بيان الإسلام ص ١٨٣-١٨٤.

[2] هو د. إبراهيم خليفة عبداللطيف خليفة، أستاذ مشارك، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم العقيدة ، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

الكهف كما في قوله تعالى ﴿ وَلَبِثُواْ فِي كَهۡفِهِمۡ ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ سِنِينَ وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا ﴾ الكهف ٢٥ ، وكذلك في قوله تعالى ﴿ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٖ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ﴾ البقرة ٢٥٩ ، فالزمان المذكور إنما يذكر بمقدار ما يحتاجه الحدث ، وكذلك المكان كمصر والأحقاف والكهف، وهذه تُعد الميزة الأولى في القصص القرآني التي تميزه عن سائر القصص"[1] .

فالأماكن وهوية الأشخاص وتواريخ الوفيات والمواليد، ليست هي بذات الأهمية هنا، كما أن اسم وهوية ذي القرنين والرجل الذي جاء من أقصا المدينة يسعى، لا تعنينا هنا ، إنما الذي يهمنا ويعنينا هو تحقيق الأهداف والغايات المرجوة من وراء القصص، يقول الشيخ مُحَّد الغزالي–رحمه الله– " ليس المهم تحديد مولد أو وفاة، ليس المهم تحديد موقع، أو حتى تحديد الشخص، فما يعنينا أن نعرف هوية ذي القرنين، أو الرجل الذي جاء من أقصى المدينة يسعى، المهم تقديم الشفاء النفساني والاجتماعي من خلال تاريخ صادق وقصص حق"[2] .

وقصص القرآن الكريم خال من التشويش والاضطراب الذي يدعيه هؤلاء المستشرقون، لأنه قصص حق، يحكي وقائع تاريخية حقيقية، وقد وصفه الله بهذا في قوله عز وجل ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡقَصَصُ ٱلۡحَقُّۚ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ آل عمران ٦٢، وكذلك وصفه بأحسن القصص بقوله سبحانه ﴿ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ﴾ يوسف ٣ ، ونَسَب تبارك وتعالى القصص إلى نفسه العظيمة، وأنه هو المتحدث به ومن كلامه فقال عز وجل ﴿ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ﴾ النساء: ٨٧ وقوله سبحانه ﴿ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ﴾ النساء ١٢٢، وإذا كان أولئك المكابرون المعاندون لا يملكون القناعة بهذا القصص الحق، ولا يعترفون بمصداقية القرآن الكريم، وأنه منزل من عند الله، ولا يؤمنون به وبمن جاء به وهو نبيناﷺ ، فإننا نطالبهم بإثبات دعواهم بإحضار الأدلة والبراهين على ما يدعون– وهم

[1] الموسوعة القرآنية المتخصصة، د. إبراهيم خليفة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٤٢٧هـ–٢٠٠٦م، ص ١٧٨–١٧٩.

[2] مائة سؤال عن الإسلام، مُحَّد الغزالي، دار نهضة مصر، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص ١٥٨.

بلا شك عاجزون- كما قال عز وجل ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾ البقرة: ٢٤ ، ولو كانت دعواهم صحيحة لأتوا لنا ولو بمثال واحد صحيح غير قابل للاعتراض والرد ، ولكنها مجرد دعاوى تنم عن حقد دفين وكراهية لكل ما له صلة بدين الإسلام، وإلا فلماذا لا يوجهون هذه السهام من التهم والانتقادات إلى كتابهم المقدس بعهديه، فهو مليء بالمغالطات الحقيقية، والكذب والتشويش والتناقض والتضارب؟ لماذا كل ذلك موجه للإسلام والقرآن فقط دون غيرهما؟ .

وإذا كان هذا القصص القرآني الحق مشوشا ومضطربا كما تدعون، فلماذا لم توجه إليه هذه الاتهامات من قبل قريش والعرب أهل اللسان والفصاحة، وإذا كنا مصدقين بأن الأهداف والغايات من سرد القصص في القرآن الكريم والكتاب المقدس ، هي العبرة والاتعاظ، فأي عظة وأي عبرة تُجنى من وراء قصص في الكتاب المقدس هو في الأصل خيالات وكذب وادعاء، فعلى سبيل المثال مما جاء في الكتاب المقدس :

"وجاء عن نوح عليه السلام فشرب الخمر وسكر وتعرى داخل خبائه، فأبصر حام أبو كنعان عورة أبيه، وأخبر أخويه خارجا، فأخذ سام ويافت الرداء ووضعاه على أكتافهما ومشيا إلى الوراء، وسترا عورة أبيهما ووجهاهما إلى الوراء، فلم يبصرا عورة أبيهما، فلما استيقظ نوح من خمره، علم ما فعل به ابنه الصغير، فقال(ملعون كنعان! عبد العبيد لأخوته)"[١] .

وجاء فيه أيضا عن لوط عليه السلام " وقالت البكر للصغيرة: (أبونا قد شاخ وليس في الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض، هلم نسقي أبانا خمرا ونضطجع معه، فنحيي من ابينا نسلا) فسقتا أباهما خمرا في تلك الليلة أيضا، ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها، وحدث في الغد أن البكر قالت للصغيرة(إني قد اضطجعت البارحة مع أبي ، نسقيه خمرا الليلة أيضا فادخلي اضطجعي معه، فنحيي من أبينا نسلا) فسقتا أباهما خمرا في تلك الليلة أيضا، وقامت الصغيرة واضطجعت معه، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها، فحبلت ابنتا لوط من أبيهما"[٢] .

---

[١] الكتاب المقدس، سفر التكوين ٩/٢١-٢٥.

[٢] المرجع السابق ١٩/٣١-٣٦.

وجاء عن موسى عليه السلام " وكلم الرب موسى في ذلك اليوم قائلا(إصعد إلى جبل عباريم هذا ، جبل نبو الذي في الأرض موآب الذي قبالة أريحا، وانظر إلى أرض كنعان التي أنا أعطيها لبني إسرائيل ملكا، ومت في الجبل الذي تصعد إليه، وانظم إلى قومك كما مات هارون أخوك في جبل هور وظم إلى قومه، لأنكما ختنماني في وسط بني إسرائيل عند ماء مريبة قادش في برية صين ، إذ لم تقدساني في وسط بني إسرائيل"[1] .

وجاء عن داود عليه السلام " وكان عند تمام السنة، في وقت خروج الملوك، أن داود أرسل يوآب وعبيده معه وجميع إسرائيل، فأخربوا بني عمون وحاصروا ربة، وأما داود فأقام في أورشليم، وكان في وقت المساء أن داود قام عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك، فرأى من على السطح امرأة تستحم ، وكانت المرأة جميلة المنظر جدا، فأرسل داود وسأل عن المرأة فقال واحد (أليست هذه بثشبع بنت ألعيام امرأة أوريا الحثي؟) فأرسل داود رسلا وأخذها فدخلت إليه، فاضطجع معها وهي مطهرة من طمثها ، ثم رجعت إلى بيتها، فحبلت المرأة فأرسلت وأخبرت داود وقالت (إني حبلى) فأرسل داود إلى يوآب يقول (أرسل إلى أوريا الحثي) ، فأرسل يوآب أوريا إلى داود ، فأتى أوريا إليه فسأل داود عن سلامة يوآب وسلامة الشعب ونجاح الحرب وقال داود لأوريا (انزل إلى بيتك واغسل رجليك) فخرج أوريا من بيت الملك، وخرجت وراءه حصة من عند الملك، ونام أوريا على باب بيت الملك مع جميع عبيد سيده، ولم ينزل إلى بيته، فأخبروا داود قائلين (لم ينزل أوريا إلى بيته) فقال داود لأوريا (أما جئت من السفر فلماذا لم تنزل إلى بيتك؟) فقال أوريا لداود (إن التابوت وإسرائيل ويهوذا ساكنين في الخيام ، وسيدي يوآب وعبيد سيدي نازلون على وجه الصحراء الصحراء، وأنا آتي إلى بيتي لآكل وأشرب وأضطجع مع امرأتي؟ وحياتك وحيات نفسك ، لا أفعل هذا الأمر) فقال داود لأوريا(أقم اليوم هنا أيضا، وغدا أطلقك) .

فأقام أوريا في أورشليم ذلك اليوم وغده، ودعاه داود وأكل أمامه وشرب وأسكره، وخرج عند المساء ليضطجع في مضجعه مع عبيد سيده، وإلى بيته لم ينزل، وفي الصباح كتب داود إلى يوآب مكتوبا وأرسله بيد أوريا، وكتب في المكتوب يقول(إجعلوا أوريا في وجه الحرب الشديدة، وارجعوا من ورائه فيضرب ويموت)، وكان في محاصرة يوآب المدينة أنه جعل أوريا في

---

[1] الكتاب المقدس، سفر التثنية ٣٢/٤٨-٥٢.

الموضع الذي علم أن رجال البأس فيه، فخرج رجال المدينة وحاربوا يوآب ، فسقط بعض الشعب من عبيد داود، ومات أوريا الحثي أيضا، فأرسل يوآب وأخبر داود بجميع أمور الحرب، وأوصى الرسول قائلا(عندما تفرغ من الكلام مع الملك في جميع أمور الحرب، فإن اشتعل غضب الملك وقال لك لماذا دنوتم من المدينة للقتال ؟ أما علمتم أنهم يرمون من على السور ؟ من قتل أبيمالك بن يربوشث؟ ألم ترمه امرأة بقطعة رحى من على السور فمات في تاباص؟ لماذا دنوتم من السور؟ فقل (قد مات عبدك أوريا الحثي أيضا).

فذهب الرسول وأخبر داود بكل ما أرسله فيه يوآب، وقال الرسول لداود(قد تَجَبر القوم علينا وخرجوا إلينا إلى الحقل، فكنا عليهم إلى مدخل الباب، فرمى الرماة عبيدك من على السور، فمات البعض من عبيد الملك، ومات عبدك أوريا الحثي أيضا). فقال داود للرسول (هكذا تقول ليوآب، لا يسؤ في عينيك هذا الأمر ، لأن السيف يأكل هذا وذاك ، شدد قتالك على المدينة وأخربها، وشدده).

فلما سمعت امرأة أوريا أنه قد مات أوريا رجلها، ندبت بعلها، فلما مضت المناحة، أرسل داود وضمها إلى بيته، وصارت له امرأة ، وولدت له ابنا، وأما الأمر الذي فعله داود فقد قبح في عيني الرب"[1] .

إن من يقرأ هذا القصص ، وهذا السياق، وتلك العبارات والمفردات، ليحكم عليه دون تردد بالبطلان، والهراء والتدليس والكذب والافتراء على رسل الله، وأنه تأليف بشري بحت، ليس له صلة بالله عز وجل وليس من وحيه وكلامه، إذ يغلب عليه الجانب الجنسي المفترى على رسل الله، ووصمهم بأنهم أهل تعد وشهوة وظلم، وحاش أن يكونوا كذلك، فهم أرفع وأنبل من أن ينزلوا أنفسهم منازل البهيمية، ولكنه الإفك بعينه من المحرفين والمبدلين لرسالات الله الحقيقية، فأرباب الكنائس ورهبانها ومنهم مستشرقون، دأبوا على خداع الناس بهذا القصص الممجوج الذي لا يصدقه من عنده أدنى حظ من علم وعقل. قصص مبني على عبارات ركيكة، ومفردات عقيمة، وصورة مشوهة لأنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام، وأي عظة أو عبرة نخرج بها من هذا الهراء، هذا يدل دلالة قاطعة أنه ليس من عند الله ، وإنما

---

[1] الكتاب المقدس، صموئيل الثاني ١١/١-٢٧.

هو من وضع البشر المحرفين للكلم عن مواضعه، كما قال عز وجل ﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾ النساء ٤٦ .

أما القصص القرآني فقد جاء في أحسن صورة ، وأجمل قصص ، لا تمله الأسماع، ولا تمجه النفوس، قصص مبني على وحي ثابت منزل ومحفوظ بحفظ الله من التغيير والتبديل والتحريف، فلا تشويش في ولا اضطراب، بل يقصه الله على عباده ويبرهن عليه أحيانا بآثار موجودة وحقيقية على أرض الواقع، تشهد على صحته كما في قوله تعالى ﴿ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴾ الفجر ١٠ ، وقوله عز وجل ﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ الصافات ١٣٧ – ١٣٨.

ولا أدل على أن القصص القرآني منزل من لدن حكيم خبير، من إعجازه وبلاغته وقوته وبيانه، وشهادة مشركي قريش وغيرهم للنظم القرآني وهم أهل الفصاحة والبلاغة، لهي خير دليل على ربانيته وأنه كلام الله عز وجل كما شهد بذلك الوليد بن المغيرة[١] حيث قال فيه " والله إن لقوله الذي يقول حلاوة وإن عليه لطلاوة وإنه لمثمر أعلاه مغدق[٢] أسفله وإنه ليعلو وما يعلى، وإنه ليحطم ما تحته، وما هو بقول بشر"[٣] . إننا لو أردنا أن نجري مقارنة بين قصص القرآن الكريم وبين قصص الكتاب المقس، فإننا حتما سنجد الفرق الكبير ، والبون الشاسع بينهما، وستثبت لنا المقارنة ربانية القصص في القرآن الكريم، وبشرية القصص المحرف في الكتاب المقدس، وستكون هذه المقارنة حاسمة في بطلان القول بتشويش واضطراب القصص القرآني ، ولهذا سأورد مثالين بين القصص القرآني، والقصص الإنجيلي، لنقف على الفرق بين القصصين، وأيهما يكون كلام الله على وجه الحقيقة، وأيضا نرى أيهما عالج الموقف القصصي بحكمة ودقة ووضوح.

---

[١] الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر المخزومي القرشي ، أحد قادة قريش في العصر الجاهلي ووالد الصحابي خالد بن الوليد من أغنى أغنياء قريش، ينظر الأعلام للزركلي ١٢٢/٨.

[٢] الغَدَق: المطر الكثير العامّ، وقد غَيْدَقَ المطرُ: كثر، عن أَبي العَمَيْثَل الأَعرابي، والغَدَق أَيضاً: الماء الكثير وإِن لم يكُ مطراً ، ينظر لسان العرب لابن منظور مادة غدق، وفي التنزيل: وأَن لو استقاموا على الطريقة لأَسقيناهم ماءً غَدَقاً.

[٣] الرحيق المختوم، ٦١/١.

أولا: ذكر قصة إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم، وما فيها من العظات والعبر، وما أورده حولها الشيخ مُحَمَّد أبو زهرة حيث يقول " ذُكرت قصة إبراهيم عليه السلام في القرآن عدة مرات، لتعدد العبر فيها، وإن إبراهيم كان أبا العرب، فقصصه له مقامه عند العرب، ونذكر من قصصه بعضه لا كله، وأول ما نذكر من قصة إبراهيم عليه السلام، هو ما يربطه بالعرب، وما كان شرف العرب به وبناء الكعبة، فقد ذكر هذا البناء الذي قام به، وعاونه فيه ابنه إسماعيل عليهما السلام، وبإبراهيم وإسماعيل تشرف العرب أنهم من سلالتهما، وبالبيت الحرام الذي قام بأمر رباني، ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾ البقرة ١٢٤ - ١٢٩ ، ثم بين تعالى بعد ذلك بعث النبيﷺ وأنه كان استجابة لدعوة إبراهيم عليه السلام، ومن هنا تتبين الصلة بين الإسلام ودعوة إبراهيم عليه السلام، فإذا كان العرب يفتخرون بإبراهيم عليه السلام فهذه دعوته، قد استجيبت في مبعث نبينا مُحَمَّدﷺ .

نجد بعد هذه القصة قصة النفس البشرية في نبي الفطرة إبراهيم عليه السلام إذ النفوس ولو كانت مؤمنة تتمتع بكثرة الدليل لتزداد إيمانا، وإن كان أصل الإيمان قائما، فزيادة البينات تزيد المؤمن إيمانا، وتزيد الجاحد كفرا وعنادا، واقرأ قصة طلبه زيادة الإيمان ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ

أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ البقرة ٢٦٠ ، ومن قبل ذلك ذكر قصته مع الملك عندما ناقشه في إثبات وجود الله، وكيف استطاع إبراهيم عليه السلام أن يفحمه، إذ هو لا يؤمن إلا بالمحسوس، كما قال تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ البقرة ٢٥٨ .

وترى مع قصة إبراهيم عليه السلام مع الطير أنه صورة النفس الإنسانية، ولو كانت نفس نبي مؤمن، تدعو إلى تكشف المجهول، وتعرف المستور، والمؤمنون يهديهم الله تعالى، ومن لا يريدون الله يتركون في غيهم يعمهون. وفي قصة إبراهيم مع الملك نجد إبراهيم الأريب ، يأخذ الطريق الذي يحسم الخلاف دون الطريق الذي يحدث لجاجة دون إفحام، إذ الملك يفهم أن القتل إماتة وتركه إحياء، فلم يسترسل رسول الله الفطين الأريب في تعريف للموت والحياة، بل عمد إلى ما يفحمه حسيا، فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين. ومن هذا نرى أنه ليس ثمة تكرار في المعاني والعبر والعظات، وإن كان الموضوع في الأحوال الثلاث يتعلق بإبراهيم عليه السلام."[1] .

إن هذا الإعجاز المحكم لقصص القرآن الكريم، ليؤكد لنا ربانية القرآن الكريم وأنه ليس بكلام بشر، ولا يعتريه اضطراب ولا تشويش، بينما في المقابل نلاحظ الاضطراب والتشويش بعينه في القصص الإنجيلي وفي الكتاب المقدس الذي وضعه البشر، وحرفوا وبدلوا حسب ما تمليه أهواءهم ومصالحهم، تدليسا على الناس ونهبا لأموالهم وأعراضهم، تقول د. مريم زامل وهي تبين التناقض الحاد والاضطراب في قصص الكتاب المقدس " ونود في هذا الفصل أن نقدم بعض هذه النماذج التفصيلية لما قرره ابن تيمية في هذا المقام من التناقض الواقع بين الأناجيل، بل بين الإنجيل الواحد بعضه بعض استكمالا لدراسة ابن تيمية للأناجيل وما قرره

[1] المعجزة الكبرى القرآن، محمد أبو زهرة ص ١٥٠-١٥٢.

بشأنها من تحريف وتناقض، على سبيل المثال:

الاختلاف الواقع في الزمن في (قصة معجزة صيد السمك) بين إنجيلي لوقا ويوحنا، إذ يذكر انجيل لوقا أحداث القصة أنها وقعت اثناء رسالة عيسى –عليه السلام– في الجليل، أما إنجيل يوحنا فيذكر أحداثها بأنها وقعت بعد قيامه من الأموات، وهذا تناقض فاضح وظاهر ممن يدعون أنهم يكتبون بإلهام، فيحصل منهم هذا التقديم وهذا التأخير في توقيت الحوادث وتاريخ الوقائع.

الاختلاف الواقع بين إنجيل متى وبين إنجيل لوقا في مكان ظهور عيسى–عليه السلام– حيث يفهم من كلام متى أن أبوي المسيح– ويقصدان بهما يوسف النجار ومريم– كانا يقيمان في بيت لحم بعد ولادته ، وأن هذه الإقامة كانت لمدة سنتين تقريبا، وجاء المجوس إلى هناك يريدون أن يسجدوا للرب، ثم ذهب يوسف ومريم إلى مصر هربا من هيردوس، وأقاما فيها حتى وفاة هيردوس ثم رجعا وأقاما في الناصرة.

ويفهم من كلام لوقا أنهما ذهبا إلى أورشليم، بعد ولادة المسيح وقدما الذبيحة، وفي هذه الأثناء أخذ سمعان الممتلئ بروح القدس المسيح–عليه السلام– على ذراعيه في الهيكل أوصاه، وكذلك حنة النبية بنت فنوئيل، وقفت تسبح ربها في تلك الأثناء، وأخبرت جميع المنتظرين في أورشليم، ثم عاد أبواه بعد ذلك إلى الناصرة، واقاما فيها، وفي كل سنة من أيام العيد كانا يذهبان من الناصرة إلى أورشليم، وأن المسيح–عليه السلام– عندما بلغ الثانية عشرة من عمره أقام ثلاثة أيام بدون علم أبويه في أورشليم.

ويقول صاحب "إظهار الحق" تعليقا على ذلك، " لو كان هيردوس وأهل أورشليم معاندين للمسيح–عليه السلام– لما أخبر الرجل الممتلئ بروح القدس في الهيكل الذي كان مجمع الناس في كل حين، ولما أخبرت النبية بهذا الخبر في أورشليم، التي كانت دار السلطنة لهيرود، وقد سلم نورتن بهذا الاختلاف الحقيقي بين الإنجيلين، وحكم بأن بيان متى خطأ وبيان لوقا صحيح.

وقد اقر كولمان الدبلوماسي الألماني في كتابه (العهد الجديد) بهذا الاختلاف والتناقض بين إنجيلي متى ولوقا في مكان ظهور المسيح، والغريب أنهم يعترفون بالخلل والتناقض في كتبهم

، ومع ذلك فهم يعتبرونه من المسوغات التي تبعث على الثقة في الكتاب المقدس، يقول الأب روجي تعليقا على مكان ظهور المسيح عليه السلام، إن هذا التفكك وهذا الغموض وهذا الاختلال يبعث على الثقة عنده"[1] .

بعد هذا كله، لا يخالج من عنده عقل وعلم من الله تعالى شك في الفرق الواسع والبون الشاسع، بين قصص القرآن الكريم المحكم التنزيل، كلام العزيز العليم، الذي لا يشاطره تناقض ولا تشويش ولا اضطراب، ولو بذل الباذلون أعمارهم وأوقاتهم وإمكاناتهم ، لم يجدوا عليه مدخلا ولا ممسكا، بينما قصص الكتاب المقدس كما رأينا فيما سبق في ركاكة الأسلوب ، وضعف العبارات، وتناقض الأحداث، واضطراب الأقوال، وهشاشة التركيب، فيما لا يختلف عليه اثنان أنه كلام بشر، ومن وضع بشر، خطأه أكثر من صوابه.

وخلاصة القول ، أن اتهام القصص القرآني بالتشويش والاضطراب، اتهام باطل، وفرية متهاوية، لا تقوم على دليل، ولا تستند على حجة، فقد وصفه الله بأنه قصص حق، ووسمه بأنه أحسن القصص، كما قال عز وجل ﴿ **إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾** ﴾ آل عمران ٦٢ وقوله سبحانه ﴿ **نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾** ﴾ يوسف ٣ ، وبهذا تكون الشبهة باطلة من أصلها ، ومردودة على أصحابها.

[1] موقف ابن تيمية من النصرانية، د. مريم عبدالرحمن زامل، معهد البحوث بجامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٩٩٧م، ص ١٨٧ وما بعدها.

الشبهة الرابعة عشرة

أولا: عرض الشبهة وتوثيقها.

" دعوى أن القصص القرآني فني غير واقعي"[1]

ثانيا: الرد عليها ردا إجماليا.

يدعي بعض المتوهمين أن القصص القرآني نمط من أنماط القصة الفنية، التي لا يلتزم فيها المبدع الصدق أو نقل الواقع، بل له أن يبدع ما يشاء ويبدل ما يريد وفق الحبكة الفنية، ومن ثم فقد جاء القصص القرآني في ظنهم للعظة والتسلية، ولا يلزم منه تقرير حقيقة تاريخية، ويستدلون على ذلك بقصة أصحاب الفيل التي ينكرون حدوثها، وذلك بغية التشكيك في وقوع الحقائق التاريخية التي ينقلها القصص القرآني، ونسبته للأسطورية والخيالية.

وإن المتأمل المنصف المتدبر والمتفكر في قصص القرآن الكريم، يجد أنه قصص واقعي، وتعبير صادق، وتصوير يعبر عن وقائع وحوادث حقيقية، بعيدة كل البعد عن الخيال الكاذب، والتصوير الفني المزيف، ناهيك عن أن هذه الدعوى المغرضة لا تستند على دليل علمي صحيح، خالية من كل صفات البحث العلمي الصحيح. وقصة أصحاب الفيل الواردة في القرآن الكريم ، قصة واقعية حقيقية، تشهد بها كتب التاريخ والسير، واستخدمها العرب إذ ذاك كتاريخ يؤرخون بها أحداثهم ووقائعهم.

وإن الناظر بعين البصيرة إلى قصص القرآن الكريم، ليخلص إلى فارق كبير جدا بينه وبين القصص الأدبي ، لا في الطبيعة فحسب، بل وفي الأهداف أيضا، كما أن بينهما بون شاسع فيما يخص الفن الخيالي ، والتعبير القرآني، فالفن الخيال فن غير واقعي ولا حقيقي، يأخذ النفس البشرية إلى عالم من الخيالات الزائفة، بينما التعبير القرآني ينم عن قصص وأخبار ووقائع صحيحة وواقعية، كما قال تبارك وتعالى ﴿ **إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُۚ**

---

[1] موسوعة بيان الإسلام للرد على الافتراءات والشبهات، ٧/١٩٠-٢١٠.

﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ آل عمران ٦٢ .

ثالثا: الرد عليها ردا تفصيليا.

رغم ما يثيره المستشرقون وتلامذتهم في العالمين العربي والإسلامي، من شبهات حول قصص القرآن الكريم، إلا أنه يبقى على أصله وكما أنزله الله غضا طريا، مشتمل على قصص واقعي حقيقي، يتناول ما هو ثابت تاريخيا، ولا دور للخيال أو الأسطورة فيه. وقد زعم أهل الشرك والاستشراق منذ القدم بأن القصص القرآني مجرد أساطير الأولين، كما قال مشركو مكة ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ الأنعام ٢٥ ، وهذا الزعم يتجدد في كل زمان ومكان حسب ما يقتضيه الموقف، وبثوب عصري جديد، ويردده ما بين الفينة والأخرى المستشرقون وتلامذتهم من المستغربين في ديار العرب والإسلام، وعلى رأسهم د. مُحَّد خلف الله ، الذي كون رسالة في هذا المضمار عنونها بـ (الفن القصصي في القرآن) ، حيث ردد من خلالها مقولة سابقيه ووصم القرآن الكريم بأنه أساطير وخيالات، وأوهام تناقلتها الروايات القرآنية، دون أن يكون معه مستند ودليل صحيح واقعي على هذه المقولة، كما تناقلتها الذاكرة البشرية، وليس من الضروري أن تكون أحداثها قد جرت على أرض الواقع بالفعل.

ولقد قيض الله لهذا وأمثاله من يتصدى لهم ويفضح أهدافهم، ويظهر عوارهم، ويرد عليهم مكرهم وكيدهم، ومن هؤلاء الذين تصدوا لهم ، د. مُحَّد سعيد رمضان البوطي[1] حيث يقول "فما الأسطورة إذن، وقبل كل شيء؟ هي حصيلة الأخيلة الشعبية التي تروى غالبا على شكل قصص وحكايات، ولما كان الإنسان بفطرته الأصيلة يتمتع بخيال يتسع اتساع الطبيعة التي يعيش ويتقلب فيها، مقابل الواقع المحدود الذي يعيش محاصرا في أقطاره، فقد كان من شأن هذا الخيال أن يجمح بصاحبه إلى ما وراء ذلك الواقع المحدود، سابحا في أرجاء الطبيعة كلها دون أن تقيده شروط أو تصده حدود، ليكون ذلك عزاء وتعويضا له عن واقعه الضيق الذي حبس في داخله، ولولا إطلالة الإنسان من داخل واقعه الذي يعيش فيه على الطبيعة المحيطة به، من خلال نوافذ الخيال الذي متعه الله به، لتحول الواقع إلى سجن ضيق خانق، لا

---

[1] هو مُحَّد سعيد رمضان البوطي (١٣٤٧ - ١٤٣٤ هـ / ١٩٢٩ - ٢٠١٣ م) عالم سوري متخصص في العلوم الإسلامية، ومن المرجعيات الدينية المهمة على مستوى العالم الإسلامي، ينظر الموسوعة الحرة ويكيبيديا.

يورث صاحبه إلا الكمد والشقاء، مهما كان شأنه، ومهما كان نوع الحياة التي يعيشها.

إذن، فالأسطورة نسيج خيال تصاغ في داخله، وتروى على أساسه، ويتلقاها الناس جيلا بعد جيل، على هذا الأصل وبهذه الهوية، وما من شعب من الشعوب إلا يحافظ من ثمرات خياله على قسط وافر من الحكايات والقصص الأسطورية المتنوعة، تأخذ لون الحضارة والثقافة اللتين تميز بهما، وقد ظلت هذه الحكايات معروفة محتفظة بطابعها الأسطوري، وتروى بدءا من مصدرها الأول موسومة بهذا الطابع، ولم نسمع قط في تاريخ الأدب الأسطوري، أو ما يسمى بأدب الشعوب أن أسطورة من الأساطير انفصلت عن نسبها الموصول إلى جذور الأخيلة والوهم، ثم تسربت إلى قناة الأحداث والوقائع التاريخية، واتخذت طابع الحقيقة الراسخة.

لماذا يكون خبر الله الموحى به إلى رسله وأنبيائه عن كيفية نشأة الإنسان وتكاثره، وعن كيفية خلق الله – عز وجل – لآدم – أسطورة من الأساطير، ولا يكون خبر مارك وداروين عن الموضوع نفسه هو الآخر أسطورة من الأساطير؟ لماذا؟ وما الفرق؟ لماذا يعد خبر الله الموحى به إلى كثير من رسله وأنبيائه عن طوفان نوح وسفينته أسطورة من أساطير التاريخ، ولا يكون خبر علماء التاريخ الطبيعي عن الانفجار العظيم أسطورة من أساطير التاريخ أيضا؟ إن كان الفرق أن في الناس من لا يصدق الوحي الإلهي ولا يلقي إليه بالا، فإن في الناس كثيرين ممن لا يصدقون تصورات داروين، ولا يقيمون وزنا لقصة "الانفجار العظيم" أو "النظرية السديمية" كتفسير لكيفية تشكل الكون والأرض أو ما يشبههما.

ومع ذلك، فإننا لا نسمي – من الناحية العلمية – شيئا من نظريات التطور أو نظريات الباحثين في التاريخ الطبيعي أسطورة، مهما كانت بعيدة عن المنطق أو العلم، لأن مقومات هذه التسمية غير موجودة، ومن أهمها أن تكون موضوعة من قبل أصحابها على أنها أسطورة، فلماذا لا يفقه كثير من أدعياء الثقافة والعلم هذه الحقيقة العلمية الواضحة بصدد نظرتهم إلى أخبار الوحي الإلهي؟ إن لهم ولغيرهم أن يصدقوا أو لا يصدقوا شيئا من أخبار الوحي الإلهي، بل لهم أن لا يؤمنوا بحقيقة الوحي ذاته، غير أن عليهم أن يعلموا أن عدم فهمهم أو تصديقهم لذلك ليس هو برهان كونه أسطورة وهمية كاذبة"[1]

[1] هذه مشكلاتهم، د. مُحَمَّد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩٠م، ص ١١٣– ١١٥.

وللتفريق بين القصص القرآني الحقيقي والواقعي، وبين القصص الروائي الأدبي والفني يقول الشيخ مُحَّد الغزالي "إن القصص القرآني سرد واع موجه للتاريخ الإنساني، ليس الغرض منه الإلهاء والتشويق، بل الغرض منه التربية والتوعية، وتجديد المعاني بعد انتهاء أهلها لتكون عظة دائمة، وقد شاع أدب القصة في عصرنا شيوعا يستحق الدهشة، وامتلأت الأيدي بروايات يقرؤها حاملوها ليقطعوا الوقت أو يتلذذوا بحسن العرض، وجملة هذه الروايات من نسج الخيال، وقد تكون ذات مغزى جيد، وقد تكون إثارة وضيعة، والبون شاسع بين هذه الأقاصيص، وبين التاريخ الذي يجسده القرآن الكريم، ويغزو به الألباب والبصائر، ليمحو الغفلة، ويرفع المستوى، ويضيء السبل، البون بعيد بعيد، عندما يقول الله لنبيه ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ هود ١٢٠ ، فهو يقول ذلك في أعقاب سرد لواقع لا ريب فيه، فقد ذكر في هذه السورة قصص نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى، مع أممهم التي ظهرت في عصور متعاقبة، وانتظمتها أدواء التكذيب والمكابرة، حتى أهلكتهم أمة بعد أخرى، وهو يحكي ذلك إرهابا للعرب المستكبرين وتسلية للنبي وتسرية له ﷺ وفي موضع آخر يقول له ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ الأنعام ٣٤ ، فأين موضع الخيال في هذه الوقائع؟.

وبعد أن قص الله – عز وجل – قصة يوسف، وشرح أطوار حياته منذ ألقي في الجب إلى أن صار ملك مصر، قال عنه وعن غيره من المسلمين ﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ يوسف ١١١ ، فأين موضع الخيال هنا؟ إن اتهام القرآن بأنه يعرض خيالات فنية أو يمزج في سياقه بين الواقع والخيال – اتهام لا مسوغ له، وهو في نظرنا بلاهة نشأت عن اتباع المستشرقين، والمستشرقون يحسون ما في كتبهم من غثاثة وعوج وبعد عن الحق، ويريدون الإيهام بأن القرآن لا يزيد على غيره! وهذا كذب لا

يروج عند عاقل"[1].

وللتأكيد على بطلان شبهة القول بعدم واقعية وحقيقة قصص القرآن الكريم، والقول بأسطوريته، نورد مثالا تطبيقيا من القصص القرآني ، وهذا المثال هو تحليل لقصة أصحاب الكهف، التي عقب بها د. عبدالجواد المحص، على مزاعم د. مُحَمَّد خلف الله، فيقول " لقد كان حريا بالدكتور خلف الله ومن جرى مجراه أن يكونوا موضوعيين في دراساتهم وبحوثهم، فلا يدعون اشتمال القرآن الكريم على القصص الأدبي الأسطوري، لأن الأساطير هي الأحاديث التي لا نظام لها، وهي الأباطيل والأحاديث العجيبة التي لم تقع في التاريخ ولا يقبلها العقل، حتى إن الناس اليوم إذا أرادوا نفي وجود شيء قالوا: إنه أسطوري، يعنون بذلك: أنه من الخيال المحض القائم على التلفيق والاختراع، فالأساطير قصص خيالية صرفة تبعد عن التاريخ أكثر مما يبعد الوهم عن الحقيقة، وكل ذلك لم يشتمل عليه القرآن الكريم – كتاب العربية الأكبر، لأنه كتاب لا مكان للخيال القصصي فيه، ولا صلة للأساطير والخرافات به، بل إنه كان حريصا على نفي الخيال القصصي عن قصصه، فقرر في مواضع عديدة منه أن قصصه ينبئ عن الحق، وأن هذا القصص ليس حديثا يفترى، وأنه من وحي الله إلى نبيه ﷺ ومن هذه المواضع قول الحق سبحانه وتعالى عن أهل الكهف ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴾ الكهف ١٣، إننا إذا رحنا نبحث – مثلا – عن الأسطورة في هذه القصة القرآنية لم نجد لشيء من ذلك أثرا، وإنما نجد هذه الآية القرآنية التي تنص نصا صريحا وحاسما على أن القصة من واقع التاريخ الحق، لا صلة للأساطير بها، فمن المدهش حقا أن يصف القرآن الكريم هذه القصة بهذا الوصف الصريح الحاسم، ثم يظهر في البيئة العربية الإسلامية من يتجاهل ويتعامى عن هذه الحقيقة، ويسلم قياده للمستشرقين فيدعي ما يدعون، ويزعم أن القرآن الكريم في ذلك قد سلك سبيل الآداب العالمية والأديان الكبرى، وأن القرآن الكريم لا يعيبه أن يشتمل على الأساطير، لأنه بذلك قد قعد القواعد وسن السنن.

لقد اشتملت قصة أهل الكهف – بالذات – على أمور تدل دلالة قوية على عدم صلتها بالأسطورة:

---

[1] مائة سؤال عن الإسلام، مُحَمَّد الغزالي، ص ١٥٥-١٥٦.

أولها: التقديم القرآني الرائع الذي يسبقها في السورة القرآنية التي احتوتها ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝٧ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ۝٨ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ۝٩ ﴾ الكهف ٧ - ٩ ، فنجد أن المولى – عز وجل – يقول لمن يتعجب من هذه القصة، ويستبعد عقله وقوعها، ويرى فيها لونا من الاعتماد على الأسطورة في الوصول على قلوب الناس وعقولهم، يقول لهؤلاء ومن جرى مجراهم: إن آية أصحاب الكهف والرقيم ليست بأغرب ولا أعجب من صنع الله في الأرض، وتزيينه لها ولأهلها بما أوجد فيها من أسباب الحياة ومظاهر النعم، ثم تحويل ذلك كله إلى حال أخرى يتبدل فيه منظر الأرض حين تصبح صعيدا جرزا، وأرضا بيضاء لا نبات فيها ولا شجر، ولا حيوان ولا ثمر، فلو أن عاقلا تفكر في هذا الذي يطرأ على الأرض وتراه العيون فيها يوما بعد يوم، لما وجد في قصة أصحاب الكهف عجبا، ولما وصل به التعجب إلى اعتقاد أنه أمام قصة مخترعة، يتخذ من الأسطورة متكأ.

وثانيها: أن الحق – سبحانه وتعالى – لم يذكر أن أصحابها قد بعثوا من موت – وإن كان البعث من الموت ليس على الله بمستغرب، كما في قصة العزير وحماره مثلا – وإنما الذي أوضحته القصة أنهم بعثوا من نوم عميق طويل غشي عيونهم، بعد أن سلبوا أسباب التنبه والاستيقاظ، وضرب الله على آذانهم في الكهف سنين عددا، وفضلا عن هذا، فإن القرآن الكريم قد أشار إلى أمر آخر مهم، هو أنهم قد أحيطوا بسائر أسباب الحفظ والصون، بحيث لم يتسرب إلى أجسادهم شيء من المتلفات أو المنبهات، من ذلك ما جاء في قوله تعالى ﴿ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾ الكهف ١٧.

وكان الحق – سبحانه وتعالى – يقلبهم ذات اليمين وذات الشمال، وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد، حتى ليحسبهم الإنسان أيقاظا وهم رقود، ولو اطلع عليهم لولى منهم فرارا ولملئ منهم رعبا، إلى آخر ما تحتويه هذه القصة من وقائع وأحداث تؤكد – بما لا يدع مجالا لشك – أنها تقوم على الحقائق، وترد على المستشرقين ومن نحا نحوهم مزاعمهم الكاذبة، من

الواقع الفني الذي يعززه الإعلان والتنبيه.

وثالثها: ما يلفت النظر ويؤكد صدق هذه القصة، أننا نراها في كل جزئية من جزئياتها تصور الأمر كأنه مرئي بالحس، لا مذكورا بالخبر وحده، فالقصة وإن كانت تتناول موضوعا ماضيا، فإنها تذكره في القرآن الكريم بطريقة معجزة فريدة، تجعل الإنسان – حين يقرؤها أو يستمع إليها – يشعر كأنه يعاين وقائعها، فيفهم مغزاها بدون التباس وبغير ارتياب.

لقد استهل القرآن الكريم القصة بقوله سبحانه وتعالى ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾ الكهف ١٣ ، فهذا الاستهلال الرائع يجمع في لفظة واحدة بين الإيغال في الماضي والحضور في الذهن؛ لأن الابتداء بضمير الغائب في ﴿ إِنَّهُمْ ﴾ يشدنا من أقصى الحاضر إلى الماضي، فإذا بنا نرى هؤلاء المتحدث عنهم في حالتهم التي هم عليها ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾، وبعد هذا الاستهلال الرائع يعرض القرآن الكريم القصة في مشاهد تتوالى كأنها ترى، فهؤلاء هم أصحاب الكهف قد آووا إلى الكهف راجين الرحمة والرشاد، مبتعدين عن الوثنية وآثامها، وساروا في غيبوبة كأنهم الموتى، وليسوا أمواتا، وتحسبهم أيقاظا وهم رقود، ويقلبهم الله ذات اليمين وذات الشمال، وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد، وترى الشمس إذا طلعت تزاور[1] عن كهفهم ذات اليمين وذات الشمال، وهم في فجوة من الجبل الذي فيه الكهف، وها هم بعد ثلاثمائة وتسع سنين يستيقظون من سباتهم العميق، ويتساءلون، كم قضوا من العمر في هذا الكهف؟ إلى آخر ما تضمنته القصة من أحداث، صورها القرآن الكريم تصويرا محكما، نلحظ – ونحن نقرؤه – كأنه ماثل أمام أبصارنا في مشاهد واضحة بينة، تدل على عظمة القرآن الكريم في عرضه القصصي الفريد.

ورابعها: ما يلفت النظر في هذه القصة: أنها كانت مظهرا واقعيا لصورة من صور التحدي القرآني لأعداء سيدنا مُحَمَّد ﷺ فقد كان النبي ﷺ يقص على العرب ما ينزل الله – عز وجل – عليه من غير اقتراح ولا طلب من أحد، ثم حدث أن طلب المشركون – بإغراء من اليهود – أن يقص عليهم الرسول نبأ أهل الكهف وما انتهي إليه أمرهم، وكذلك نبأ رجل طاف العالم

[1] تزاور: تطلع على كهفهم ذات اليمين وذات الشمال فلا تصيبهم. الملتحد: الملجأ، لأن اللاجئ يميل إليه، ينظر تفسير بن كثير ٣/ ٧٢-٧٦.

وأظهر فيه بعض العجائب في قومه ومظهره وهدايته، فكان هذا الطلب من المشركين بمثابة امتحان للنبيﷺ نجح فيه النبي نجاحا باهرا، وكان برهانا صادقا على أنه نبي صادق لا يقص عليهم إلا ما يوحى إليه من الله عز وجل.

فقد قص عليهم ما طلبوا بأدق تفاصيل وأصدق بيان، ودل على تمام صدقه أنه كان قد وعدهم بأنه سيجيبهم غدا؛ ثقة منه بأن الله الذي يعلمه كل شيء سيوحي إليه سريعا، لكن الوحي أبطأ عليه حتى شق ذلك على النبي ﷺ وكذبته قريش، ثم نزل الوحي بقصة أهل الكهف وقصة ذي القرنين، وفي ثنايا القصة الأولى قول الله سبحانه وتعالى ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ ﴾ الكهف ٢٣ – ٢٤ ، وقبل القصة الثانية جاء ذكر قصة سيدنا موسى مع العبد الصالح في تصوير قرآني محكم دقيق.

وخامسها: ما يلفت النظر في قصة أصحاب الكهف، أن القرآن قد اتبع في عرضها طريقة التلخيص الإجمالي أولا، ثم العرض التفصيلي أخيرا، فهي تبدأ هكذا ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِي ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾ ﴾ الكهف ٩ – ١٢، فهذه الآيات الكريمة تلخيص يجمل القصة، ويرسم خطوطها الرئيسة العريضة، ويشير إلى أنها آية عجيبة من آيات الله، لكنها – مع غرابتها – ليست بأعجب آيات الله، ففي صفحات كونه الممتد من العجائب والغرائب ما يفوق قصة أصحاب الكهف.

وبعد هذا التلخيص المشوق للقصة، يجيء التفصيل مبتدئا ببيان أن ما سيقصه الله منها هو فصل الخطاب في الروايات المتضاربة في عددهم ومدة نومهم، وغير ذلك من الحق اليقين في أحداثهم، ثم يعقب القرآن الكريم على القصة بإعلان الوحدانية ظاهرة الأثر في سير القصة وأحداثها ﴿ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ الكهف ٢٦ ،

وبتوجيه النبي ﷺ إلى تلاوة ما أوحاه ربه إليه، وفيه فصل الخطاب – وهو الحق الذي لا يأتيه الباطل – والاتجاه إلى الله وحده، فليس من حمى إلا حماه، وقد فر إليه أصحاب الكهف؛ فشملهم برحمته وهدايته ﴿ وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدٗا ﴾ الكهف ٢٧.[١]

وهكذا تنتهي القصة، تسبقها وتتخللها وتعقبها أمور عديدة تشهد بأنها قصة واقعية لا صلة للأساطير بها، فكيف يدعي المستشرقون ومن نحا نحوهم من العرب المستغربين أنها قصة أسطورية؟، وقد أشار د. عبد الله العمراني في مقال له بعنوان "النيام السبعة وأهل الكهف" إلى أن دائرة الآثار الأردنية قد اكتشفت في عام ١٩٦٢ م موقع كهف أهل الرقيم في قرية أردنية تسمى الرميم على بعد سبع كيلو مترات جنوب العاصمة الأردنية عمان، إذ تم العثور داخل الكهف على نقوش وحلي ونقود بيزنطية تعود للقرن الثالث الميلادي، مصداقا لقول الله سبحانه وتعالى ﴿ فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ ﴾ الكهف ١٩ ، كما تم العثور على سبع جماجم بشرية في سبعة قبور بداخل الكهف، وعلى جمجمة كلب، وتم العثور أيضا على أعمدة المسجد الذي أقيم فوق الكهف، وكذلك على الفجوة التي بداخل الكهف، وتبلغ مساحتها على وجه التقريب نحو أربعة أمتار في ثلاث، بل ثبت أن الشمس تمر فعلا عند طلوعها أمام الكهف، وتنحرف عنه عند غروبها، فأشعتها لا تنفذ داخل الكهف، كما أخبر القرآن الكريم قبل هذا الاكتشاف العصري.

ويقول د. عبد العليم خضر في شأن قول الله سبحانه وتعالى ﴿ وَلَبِثُواْ فِي كَهۡفِهِمۡ ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ سِنِينَ وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا ﴾ الكهف ٢٥ ، هذا خبر من الله تعالى لرسوله ﷺ بمقدار ما لبث أصحاب الكهف في كهفهم منذ أن أرقدهم الله إلى أن بعثهم الله، وأعثر عليهم أهل ذلك الزمان، وأنه كان مقداره ثلاثمائة سنة تزيد تسع سنين بالهلالية، وهي ثلاثمائة سنة بالشمسية، فإن تفاوت ما بين كل مائة سنة بالقمرية إلى الشمسية ثلاث سنين، فلهذا قال بعد الثلاثمائة وازدادوا تسعا.

[١] الملتحد: الملجأ، لأن اللاجئ يميل إليه، ينظر لسان العرب لابن منظور مادة لحد.

هكذا أخبرنا محمد ﷺ عن الفرق بين التقويم الشمسي والتقويم القمري، فالشمسي ما كان يسير عليه الناس زمن حكم الرومان، وهو زمن وقوع القصة، والقمري ما سار عليه العرب، وكانت الهجرة فيما بعد عليه دليلا، وكأن الله - سبحانه وتعالى - يقول: أيها الناس، هذا النبي الأمي الذي لم يقرأ ولم يكتب، ولم يدرس علم الحساب ولا الهندسة ولا الفلك من أين جاء له أن كل مائة سنة شمسية تزاد ثلاث سنين قمرية، وكل ثلاث وثلاثين سنة شمسية تزيد سنة قمرية وكل سنة شمسية تزيد نحو أحد عشر يوما؟ ليس لذلك أي معنى سوى الإعجاز القرآني، وحسبنا في الرد على المستشرقين ود. خلف الله هذا القدر من الردود الداحضة لمزاعمهم الباطلة"[1]

إن من يثيرون مثل هذه الأباطيل والافتراءات، لا يملكون إلا حججا واهية، وأدلة متهالكة، وهي الادعاء العقيم بأن حقيقة هذا القصص وواقعيتها تتنافى مع الروح العلمية، وتصادم الواقع العلمي، ولا تواكب ولا تساير المناحي والتطورات العلمية ، وهذا كلام لا يُقبل بحال ، لأنه يخالف المنطق العلمي في الأصل، بل ويخالف الحقائق العلمية والتاريخية لهذا القصص، ولذلك نعيد التعريج على قصة أهل الكهف مرة أخرى، لنورد تحليلا علميا صحيحا، يشتمل على الإعجاز العلمي لهذه القصة، لنبطل أوهام الأدلة التي يدعيها أولئك.
يقول د. عبد الحافظ سلامة "وفي قصة أهل الكهف - على سبيل المثال - أوحى اليهود لمشركي قريش أن يسألوا محمدا ﷺ عن أهل الكهف لمعرفة إن كان صادقا أم كاذبا، والقصة ملخصة أن مجموعة من الفتية المؤمنين بالله هربوا بدينهم من ملك كافر طاغية ومتسلط، خوفا من القتل، فأنامهم الله في الكهف لمدة ثلاثمائة سنة، ثم أيقظهم بقدرته وجعلهم آية للناس على مر العصور، تشهد بقدرة الله - عز وجل - وفي القرآن لا تسرد هذه الحكاية فقط، لكنها احتوت العديد من الآيات العلمية التي لا يمكن أن يصوغها بشر بهذه الكيفية"[2]

ويقول في موضع آخر "فقد ذكر في القصة العوامل التي تؤثر على الإنسان النائم الحي وليس الميت، وهذه العوامل هي أثر الصوت - وليس الضوء - على النائم، والتهوية الجيدة، والتعقيم وقتل الميكروبات التي تحلل الجسم وتقليب جسم الإنسان، وأخيرا الفرق بين السنة

---

[1] أباطيل الخصوم حول القصص القرآني، د. عبد الجود المحص، ص١٤٦- ١٥٢.

[2] يقولون عن الإسلام، د. عبد الحافظ سلامة، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، ٢٠٠٧م، ص٥٢.

الشمسية والقمرية حسابيا، وهذه الآيات هي:

١) تأثير الصوت على الإنسان النائم ﴿إِذۡ أَوَى ٱلۡفِتۡيَةُ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةٗ وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدٗا ﴿١٠﴾ فَضَرَبۡنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمۡ فِي ٱلۡكَهۡفِ سِنِينَ عَدَدٗا ﴿١١﴾﴾ الكهف ١٠ – ١١، أول أثر على النائم لإيقاظه هو الصوت وليس الضوء، ولذلك أول آية في هذه القصة ذكر فيها أنه ضرب على آذانهم بمعنى جعلهم صما لا يحسون بأية أصوات خارج الكهف، كصوت الريح والرعد وخلافه، حتى لا يستيقظوا من نومهم، فالإنسان لا يستيقظ عند إنارة النور وهو نائم، ولكن يستيقظ عند حدوث صوت كجرس الساعة مثلا، أو النداء عليه بصوت مرتفع، أو أية ضوضاء خارجية، ولذلك قال الله – سبحانه وتعالى – في آية علمية ﴿ فَضَرَبۡنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمۡ فِي ٱلۡكَهۡفِ سِنِينَ عَدَدٗا ﴾.

٢) أثر التهوية وأشعة الشمس على تنظيف الكهف من الميكروبات ﴿ وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمۡ فِي فَجۡوَةٖ مِّنۡهُۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِۗ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا ﴾ الكهف ١٧، سبحان الله، لإثبات أن الضوء لا يؤثر على النائم ذكر الله – سبحانه وتعالى – أن الشمس تدخل الكهف في الشروق، وتمر عليهم عند الغروب﴿ تَّقۡرِضُهُمۡ ﴾ أي: تمر عليهم مبينا عدم تأثير الضوء على النائم، وكما نعلم في علم الميكروبولوجيا أن أشعة الشمس في الشروق وفي الغروب تحتوي على الأشعة فوق البنفسجية التي تؤدي إلى قتل الميكروبات، ليس هذا فحسب، فقد فتح الله – سبحانه وتعالى – طاقة أو فجوة في الكهف للآتي:

أ) إحداث تيار هوائي لتجديد الهواء الملاصق لهم وهم نائمون.

ب) دخول أشعة الشمس في الشروق والغروب لقتلها الميكروبات وتعقيم المكان ومن فيه، ومما يدعونا إلى تهوية المساكن وتعريض الفرش لأشعة الشمس، علاوة على أثر أشعة الشمس على الإنسان، حيث إنها مفيدة في تكوين فيتامين (د) للجلد، وكذلك حتى يتقي الإنسان كثيرا من الأمراض، وأشد الأمراض اتصالا بعدم التهوية وعدم وجود الشمس هو مرض السل مثلا

﴿ وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمۡ فِي فَجۡوَةٖ مِّنۡهُۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِۗ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا ﴾ الكهف ١٧ سبحان الله! ذكر التهوية ودخول أشعة الشمس من آيات الله فعلا، فهي من آيات الله العلمية في القرآن الدالة على صدق رسوله، وأنه مبلغ هذا الكتاب، وليس مؤلفا، فكيف عرف أثر أشعة الشمس عند الشروق وعند الغروب في التعقيم وقتل الميكروبات، وكذلك أثر التهوية على صحة الإنسان، إذ إنهم نيام وليسوا أمواتا.

٣) تقليب أجسادهم حتى لا يصابوا بقرحة الفراش ﴿ وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا وَهُمۡ رُقُودٞۚ وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِۖ وَكَلۡبُهُم بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ بِٱلۡوَصِيدِۚ لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ فِرَارٗا وَلَمُلِئۡتَ مِنۡهُمۡ رُعۡبٗا ﴾ الكهف ١٨ ، ﴿ وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِۖ ﴾ مع الآية رقم ١٧، حيث ذكر أن الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين، وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال، وهم في فجوة منه، حتى يتعرض الجانب من الجسم الملاصق للأرض أثناء الليل ذات اليمين إلى أشعة الشمس التي تزاور عن كهفهم ذات اليمين، فيحدث تهوية وتعقيم لهذا الجانب، ثم يقلبهم الله – سبحانه وتعالى – بقدرته إلى الشمال عند الغروب، حتى يتعرض جانب الجسم الملاصق للأرض أثناء النهار إلى أشعة الشمس التي تقرضهم ذات الشمال عند الغروب، وكذلك للتهوية حتى لا يحدث لهم التقرحات في أجسامهم، نتيجة نمو الميكروبات اللاهوائية عند عدم تقليب الجسد، وهو ما عرف حديثا بقرحة الفراش، والتي لم تعرف من قبل، وحتى منتصف الخمسينيات من القرن العشرين"[1].

فأنى للنبي ﷺ أن يعرف هذه الوقايات الصحية والطبية العجيبة، من أثر التهوية وأشعة الشمس وقرحة الفراش على الإنسان النائم منذ هذا الزمن – أربعة عشر قرنا – وفي بيئة صحراوية، حيث أتت في سورة واحدة؟ وهذا دليل قاطع من الواقع على أن القرآن الكريم ليس بكلام بشر ، وإنما وحي من الله تعالى إلى رسوله ﷺ.

[1] يقولون عن الإسلام، ص ٥٣.

وحول الفرق بين السنة الشمسية والسنة القمرية، يقول د. حافظ سلامة عند قول الله تعالى" ﴿ وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا ﴾ الكهف ٢٥ ، عندما نكتب مثلا ٣٠٩ سنة بالحروف العربية تكون ثلاثمائة وتسع سنين، ولكن أن يكتب ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا شيء آخر، لأنه ربط السنين الشمسية بالسنين القمرية، فإذا أردت أن تحسب زمن نومهم بالسنين الشمسية فهي ثلاثمائة سنة شمسية، وعند حساب نفس المدة بالسنين القمرية تكون ثلاثمائة سنة وازدادوا تسعا، لأن الفرق بين السنة الشمسية والقمرية أحد عشر يوما تقريبا، فعندما نضربها في عدد ٣٠٠ سنة، نجد الفرق هو تسع سنوات بالضبط، ومن ثم يصبح محمد ﷺ عالما في الصوتيات والطب وفي الفلك، ويضع هذه العوامل جميعها أثناء كتابة قصة مجموعة من الفتيان نامت مدة ثلاثمائة سنة ثم أيقظهم الله"[١].

وورد اختلاف في عدد الفتية الذين ضرب الله على آذانهم في الكهف كما في قوله سبحانه وتعالى ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّيٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴾ الكهف ٢٢ ، يقول د. حافظ سلامة "فإذا عرفت أن السائلين هم اليهود وهم أهل جدال، وقد عرف الله – عز وجل – أنهم سيكذبون رسوله مهما قال لهم الحقيقة، ولقد أبلغهم الله بما كانوا متفقين عليه، ولذلك قال سبحانه وتعالى (سيقولون) ويختلفون في أعدادهم، لأنهم لا يعرفون الحقيقة، فقالوا: إن قال محمد، ثلاثة ورابعهم كلبهم، نقول، لا ليس صحيحا هم خمسة وسادسهم كلبهم، وهكذا، ولذلك أمر الله رسوله أن لا يجادلهم إلا فيما قالوا هم، ولا يدخل في التفاصيل، ولا يناقش، ولا يسأل أحدا منهم"[٢].

ونردف المثال الأول بمثال آخر، يؤكد واقعية القصص القرآني ، وحقيقة مضامينه، وذلك من خلال قصة أصحاب الفيل، التي جاء ذكرها في القرآن الكريم، وسمى الله سورة كاملة بسورة الفيل، وهي قول الله تعالى بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ

[١] يقولون عن الإسلام، ص ٥٣-٥٤.

[٢] المرجع السابق ص ٥٤.

ٱلْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾ ﴾ الفيل ١ – ٥.

وردت قصة أصحاب الفيل موثقة في كتاب الله وسنة رسولهﷺ ، وتواترت في إيرادها المصادر التاريخية، وتناقلها المحدثون بسندها، وأنصف في إثباتها المنصفون من الغربيين، سواء كانوا مستشرقين أم من غيرهم، إلا أننا نجد جحافل المشككين من المستشرقين أو من تلامذتهم من المستغربين في العالمين العربي والإسلامي، ينكرون وبكل ما أوتوا من إمكانات علمية ومادية واقعية القصص القرآني ومصداقيته، وتعليل هؤلاء هو أن حادثة الفيل لم ترد في الروايات اليونانية المعاصرة ويظنون – على حد زعمهم – أن حملة أبرهة لم تكن موجهة إلى البيت الحرام بمكة المكرمة، وإنما كانت موجهة لبلاد فارس ، وكذلك يتعللون بأن المصادر المسيحية لم يرد فيها ذكر أن أبرهة بنى كنيسة في صنعاء، وهدم العبة التي تنافس تلك الكنيسة ، وعلى الرغم من وجود قلة من المسيحيين في صنعاء فإنهم غير راضين عن بناء كنيسة في صنعاء، وذلك لعدم حاجتهم لها لقلتهم .

وهذه الشبهة من ظاهرها باطلة، لمصادمتها للواقع لهذه القصة ، ولمعارضتها للقرآن والمصادر التاريخية، وقد ذكر د. عبدالجواد المحص ، أن إنكار المستشرقين لقصة أصحاب الفيل من أشد الأباطيل غرابة، فهم لا يهدفون من وراء هذا الإنكار إلا شيئا خبيثا واحدا، هو إيهام قراء مادة أصحاب الفيل في الحوليات الإسلامية بأن في القرآن الكريم أخطاء من أخطاء التاريخ، حيث أورد قصة لم تحدث – على حد زعمهم - تاريخيا! متناسين أن حادث الفيل قد وقع في السنة التي ولد فيها النبيﷺ.

فقصة أصحاب الفيل قد نزلت على النبيﷺ وكان في مكة جمع من الناس عايشوا هذه الحادثة بأنفسهم، أو على أقل تقدير سمعوا بها، وبعضهم من أعداء النبيﷺ ،وهذه بذاتها سند حي يؤكد صحة وحقيقة القصص القرآني ، وأنه ليس بخيال ولا كذب، فقد عرضت هذه السورة العظيمة حيثيات القصة في إيجاز بليغ وموجز يعجز العقل البشري مهما أوتي من طاقة الإتيان بمثله، فلو لم تكن هذه القصة حقيقية، لظهر من العرب من يسارع إلى تكذيب هذه السورة ويعلن ذلك على رءوس الأشهاد، وينتهزها فرصة في الكيد للنبيﷺ والطعن فيه، ولا سيما أنهم كانوا وقتئذ يتمنون أن يروا له سقطة أو عثرة أو كذبة، فلولا أنه ذكرهم أمرا لا

يتدافعونه، ولا يستطيع العدو إنكاره، للذي يرى في إطباق الجميع عليه، لوجدوا أكبر المقال في تكذيبه والتشنيع عليه، لكن شيئا من ذلك لم يحدث، وإنما نزلت سورة الفيل على النبي ﷺ في مكة المكرمة، فتلقاها الجميع بالقبول، لأنها تقص عليهم حقيقة معروفة عندهم لا شك فيها، ولا يستطيع أحد إنكارها.[١]

يقول د. مُحَمَّد رجب البيومي: "سجل القرآن الكريم حديث أصحاب الفيل في سورة مستقلة، وقد أجمع مؤرخو العرب والمنصفون من كتاب أوربا على وقوع حادث الفيل بين حكام اليمن ومكة، على نحو تؤيده الرواية الصحيحة، ويمليه منطق الأحداث، وفيهم من سلسل الأدوار التاريخية لهذا الحادث مرتبة على نسق مقنع يرضي الباحث المحايد، ولا يجد ذرة من الشك لديه، ومؤرخو العرب في هذا النطاق أولى من سواهم، لأن هذا الحادث الكبير بمغزاه وفجاءاته قد وقع في أرض عربية، ذاع ذكره على ألسنة، صناعتها البيان والإفصاح، فسجلته الرواية المسندة، وصوره الشعر العربي في أكثر من قصيدة"[٢]

ولذلك كان لهذه الحادثة ردة فعل قوية لا على المكيين خاصة، بل على الحجازيين والعرب كافة، وذلك لأن البيت الحرام يعد خطاً أحمراً عند العرب عامة، وما غزو أبرهة له إلا محاولة لانتهاك هذا الخط وتمزيقا للوحدة العربية ، ولهذا بلغت ردة الفعل من ذلك الغزو أن هتف شعراء الحجاز بالقصيد يصبون جام غضبهم على المعتدي الأثيم، ويهزجون بأهازيج النصر، وهذا هو الوجه السياسي الذي حمل أبرهة على التفكير في هدم الكعبة.

أما الهدف الديني من هذا الغزو الآثم الذي باء بالخذلان، فهو محاولة أبرهة لتحويل أنظار الناس إلى كنيسته التي بناها في اليمن، وزينها بالذهب والفضة والوان الصلبان والزين، فلم يُرى مثلها في زمنه ، وصرفهم عن الكعبة المشرفة، وكان من ثمار ذلك أن أعظمت العرب قريشا وقالوا: هم أهل الله، قاتل الله عنهم، وكفاهم مئونة عدوهم، فقالوا في ذلك أشعارا يذكرون فيها ما صنع الله بالحبشة، وما رد عن قريش من كيدهم.

وكان ممن نظم من الشعراء في هذه الحادثة ، مؤيدا ومؤكدا حقيقة القصص القرآني وأنه

---

[١] أباطيل الخصوم حول القصص القرآني، ص ٨٤-٩٣.

[٢] المرجع السابق ص ٨٤-٩٣.

قصص واقعي ، عبد الله بن الزبعري[1]، وكان مما قال من الأبيات:

تَنَكَلوا عن بَطْنِ مَكَّةَ إنَّها كَانَت قَدِيمًا لا يُرَامُ حَرِيمُها
لَم تُخْلَقِ الشِعرى ليالي حُرِّمت إذ لا عزيزَ من الأنامِ يَرُومُها
سائِل أميرَ الجيشِ عنها ما رأى وَلَسَوفَ يُنْبِي الجاهلينَ عَلَيمُها

ومما يؤكد حدوث قصة أصحاب الفيل وأنها حقيقة لا مرية فيها، ما أرخه المؤرخون والمفسرون، من أن أبرهة الحبشي حينما وصل ديار خثعم مريدا هدم الكعبة المشرفة، اعترضه نفيل بن حبيب الخثعمي في قومه شهران و ناهس[2]، فقاتلوه ليصرفوه عن هدم الكعبة، فقد رأى نفيل أن جهاده هذا الطاغية حق مقدس في عنقه، إلا أن أبرهة هزمهم وأسر نفيل بن حبيب، فلما هم أبرهة بقتله قال له نفيل، لا تقتلني أيها الملك، فإني دليلك بأرض العرب، فعفا عنه أبرهة واستصحبه معه ليدله على الطريق في بلاد الحجاز.[3]

يقول ابن كثير – رحمه الله– " عن نفيل هذا شيئا عجيبا، هو أن الأحباش لما وجهوا الفيل نحو مكة، أقبل نفيل حتى قام إلى جنبه، ثم أخذ بأذنه وقال: ابرك محمود – وهذا اسم الفيل – وارجع راشدا من حيث جئت، فإنك في بلد الله الحرام، ثم أرسل أذنه فبرك الفيل، وخرج ابن حبيب يشتد حتى أصعد في الجبل، وضربوا الفيل ليقوم فأبى، وكان ما كان من أمر هلاكهم.

ولما فاجأتهم تلك الغارات الجوية الإلهية أخذوا – من شدة الهول والفزع – يسألون عن نفيل ليدلهم على الطريق إلى اليمن، ونفيل على رأس الجبل مع قريش وعرب الحجاز ينظرون

---

[1] هو عبد الله بن الزبعرى بن عدي بن قيس بن عدي بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي القرشي ، أبو سعيد. شاعر قريش في الجاهلية. كان يحارب المسلمين في شعرة حتى فُتحت مكة، فهرب إلى نجران، ثم عاد إلى مكة، واعتذر للنبي محمد، ومدحه، فأمر له بحلّة، ينظر الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل ، بيروت، ١٤١٢هـ،٨٧/٤.

[2] قبيلتي شهران وناهس قبائل خثعمية كهلانية من قبائل شبة الجزيرة العربية تستوطن جنوب غرب المملكة العربية السعودية، بين جبال الحجاز وجنوب نجد، ويتواجدون كذلك في قطر والإمارات، ينظر نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، تحقيق إبراهيم الإبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت،١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠ م ، ص ٢٢٩.

[3] ينظر أباطيل الخصوم حول القصص القرآني، ص ١٥٢–١٥٨.

ماذا أنزل الله بأصحاب الفيل من النقمة، وجعل نفيل يقول:

أين المفر والإله الطالب والأشرم المغلوب ليس الغالب

ويقول أيضا:

ألا حييت عنا يا ردينا نعمناكم مع الإصباح عينا

ردينة لو رأيت فلا تريه لدى جنب المحصب ما رأينا

إذن لعذرتني وحمدت أمري ولم تأسى على ما فات بينا

حمدت الله إذ أبصرت طيرا وخفت حجارة تلقى علينا

وكل القوم يسأل عن نفيل كأن علي للحبشان دينا[١]

وبعدما أهلك الله ذلك الطاغية أبرهة وجيشه، وحمى بيته، أدرك أبو قيس ابن الأسلت القيمة الكبرى لهذه النعمة التي أنعم الله بها عليهم، فقام يدعو العرب لشكر الله على هذه النعمة:

فقوموا فصلوا ربكم وتعوذوا بأركان هذا البيت بين الأخاشب

فعندكم منه بلاء مصدق غداة أبي يكسوم هادي الكتائب

فلما أجازوا بطن نعمان ردهم جنود الإله بين ساف وحاصب

فولوا سراعا نادمين ولم يؤب إلى أهلهم بالجيش غير عصائب

هذه النماذج التي ذكرناها من الشعر الجاهلي في حادثة وقصة الفيل، تؤكد مصداقية القرآن الكريم ، وواقعية قصصه، وتنفي وتبطل شبهة المشككين، وإذا كان الشعر الجاهلي قد سجل حادثة الفيل، فمن السهل جدا الرمي بالانتحال لدى هؤلاء الذين يتشككون حيث يحلو لهم التشكيك، إذ يجدونه سهل المؤنة يسير التسطير، يقول د. عبدالجواد المحص " وقد قالوا فيما يأفكون به، إن الأشعار التي قيلت في حادثة الفيل نظمت تأييدا للإسلام، وهنا موضع العجب حقا، لأن الإسلام لم يعتمد في انتشاره على حادث الفيل، وقد كان الوثنيون يرونه مدعاة فخر لأصنامهم، إذ يزعمون لها من القدرة ما أحبطت به كيد أبرهة، فهو – إذن – أحد مفاخر الجاهلية التي جاء الإسلام ليعفي على خوارق أصنامها الموهومة، فكيف ينظم المسلمون بعد الإسلام شعرا يؤيدون به حادثة الفيل ليكون تقوية لدينهم الجديد؟! وقد كان

---

[١] تفسير ابن كثير ٥٠٢/٤.

الحادث قبل البعثة النبوية، وفي العام الذي ولد فيه النبي – ﷺ – إذ ذكر المؤرخون أن أصحاب الفيل جاءوا إلى مكة في المحرم، ثم ولد النبي بعد ذلك بخمسين يوما.

لقد قالوا: إن حملة الحبشة كانت موجهة إلى بلاد فارس لا إلى البيت بمكة، والادعاء بأن المسيحيين في صنعاء كانوا قليلين بحيث لا يحتاجون إلى كنيسة يشيدها أبرهة الحبشي، ويحاول أن يعارض بها البيت الحرام بمكة، ليصرف العرب عن الحج إليه، وفاتهم أن في القرآن الكريم دليلا من أقوى الدلائل على أن الحملة الحبشية كانت موجهة إلى الكعبة في مكة، فقد جاء في المصحف الشريف بعد سورة الفيل مباشرة سورة قريش، التي يقول الحق تبارك وتعالى فيها ، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾﴾ قريش ١ – ٤.

وهذه السورة تبدو امتدادا لسورة الفيل قبلها من ناحية موضوعها وجوها، وإن كانت سورة مستقلة مبدوءة بالبسملة، والروايات تذكر أنه يفصل بين نزول سورة الفيل وسورة قريش تسع سور، ولكن ترتيبهما في المصحف على التوالي يتفق مع موضوعيهما القريبين بعضهما من بعض، ويوضح في الوقت نفسه أنهما ما تكونان بالسورة الواحدة، لا سيما أن سورة قريش تبدأ بقوله تعالى ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾ قريش ١ ، وهو جار ومجرور لا بد له من فعل يسبقه ويتعلق به.

فإذا ما نظرنا إلى آخر سورة الفيل نجد الحق عز وجل يقول عن أصحاب الفيل، ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ الفيل ٥ ، وهذا يفيد أن الله فعل ما فعل بأصحاب الفيل لإيلاف قريش، فإن الحق سبحانه وتعالى لو ترك بيته الذي في مكة لما كان يريده الأحباش من هدمه لسقطت مهابة قريش في الجزيرة العربية، فإن وجودهم بجوار هذا البيت وخدمتهم لحجاجه من العرب هو الذي ربى لهم هذه المهابة، وجعل القبائل لا تجترئ على تجارة قريش ورحلتها الشتوية إلى اليمن والصيفية إلى الشام، ومن هنا أرشد الحق سبحانه وتعالى قريشا إلى شكر نعمته عليهم حين حبس عن مكة الفيل، وأهلك أهله فقال سبحانه وتعالى ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾

﴾ قريش ٣ – ٤، على أن هناك مظهرا إعجازيا آخر يلفت النظر في هاتين السورتين، فقد فصل بين نزولهما تسع سور – كما سبقت الإشارة، وفي الوقت نفسه نجد سورة الفيل مكونة من خمس آيات وسورة قريش من أربع آيات، أي تتكون السورتان معا من تسع آيات، فهل أدرك المستشرقون مثل هذه التوافق العددي المعجز؟"[1].

والقصص القرآني كلام الله عز وجل ، أتى به الصادق المصدوق محمدﷺ ، تتهاوى شبهات وافتراءات أعداء الإسلام والمسلمين من المستشرقين وغيرهم، تحت حججه القوية، وأدلته الدامغة، ومهما استمر هؤلاء في تكذيب الحقائق الواردة فيه ، فلن ينالوا منه شيئا أبدا، لأنه قصص حق لا مجال فيه للخيالات ولا الأوهام ، ومصدر رئيس للتاريخ القديم، تصدقه شهادة علماء الآثار، وما يكتشفه العلم الحديث في كل يوم من آفاق جديدة تضيء الطريق إلى الله تبارك وتعالى، وتكشف زيف ما يدعيه هؤلاء الأعداء الذين يخالفون التحقيق العلمي في صميمه، وهم يزعمون أنهم يستندون إلى البحث العلمي الصحيح، لتمحيص تلك الأخبار وذلك القصص الديني، فأخطأوا بإنكارهم لذلك في حق العلم وحق الدين معا.[2]

والخلاصة التي يمكن القول بها فيما سبق ، أن القصص القرآني بريء تماما عما زعمه المستشرقون وتلامذتهم من المتغربين في بلاد الإسلام ، فبفضل الله تعالى ومنته أن حفظ القرآن الكريم، فلم يجدوا فيه مدخلا للتشكيك، بل رجعت سهامهم في نحورهم بقوة حجته، وبلاغة منطقه، فليس فيه إطلاقا مثقال ذرة من أخطاء التاريخ، ولعله تأكد لدينا الآن بعد هذه المناقشة أن القصص القرآني تاريخي واقعي لا يمسه الخيال، ولا تمازجه الأسطورة كما زعم المبطلون بغرض التشكيك، وزعزعة الثقة في كتاب المولى الذي يحفظه، فلن ينالوا إربهم ولو رغمت أنوفهم وصدق الله عز وجل حين قال ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ الحجر ٩، وحين قال ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ فصلت ٤٢، فالقصص القرآني مخالف تماما للقصص الفني البشري، وهذا أمر طبيعي، إذ لكا بيان خصائصه التي تسري من خلاله، وسماته التي تتراءى بين ثناياه، بحيث يتميز كل بيان عن غيره، ومن ثم فلا يصح أبدا أن نخضع القصص القرآني للمقاييس النقدية والظواهر القصصية

---

[1] أباطيل الخصوم حول القصص القرآني، ص ١٥٢–١٥٨.

[2] ينظر أباطيل الخصوم حول القصص القرآني، ص ٨٤–٩٣.

المتعارف عليها، لأنه نسيج وحده في الشكل والمضمون على حد سواء، ولا صلة للأساطير والخرافات به، وبهذا تكون الشبهة المثارة باطلة ومتهاوية من أصلها أما كل ما سبق ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ يوسف ٢١.

الشبهة الخامسة عشرة

أولا: عرض الشبهة وتوثيقها.

" ادعاء أن الآيات التي تحكي قصة مجيء إبراهيم عليه السلام إلى مكة مفتعلة- أي افتعلها النبيﷺ - "[1]

ثانيا: الرد عليها ردا إجماليا.

يزعم بعض المغالطين من المستشرقين افتراءً على القرآن الكريم، أن الآيات التي تحكي مجيء إبراهيم عليه السلام إلى مكة المكرمة، واستيطان ذريته بجوار البيت بعد ما بناه هو وابنه إسماعيل عليهما السلام مفتعلة أي أن الذي افتعلها هو النبيﷺ ، ليتألف اليهود وليتقرب إليهم ، وليثبت الصلة بينهم وبين العرب، ويمثلون لذلك بما ورد في قول الله تبارك وتعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ البقرة ١٢٦ ، بهدف اتهام القرآن الكريم بحكاية لم تقع، ومن ثم الطعن في سلامته. وللرد عليها نقول إن من المسلم به قطعا عند أمة الإسلام ، أن القرآن الكريم نزل على نبيناﷺ غضا طريا بعقيدة صافية لا لبس فيها ولا تحريف، مما مكنها أن تكون مخالفة لعقائد اليهود والنصارى وغيرهم من الملل والعقائد. وإبراهيم عليه السلام بدأ في مكة المكرمة في أعماله وزياراته وبناء البيت والدعوة إلى الحج، وتمت اتصالاته بالعرب في مكة ، لا في المدينة كما يزعم البعض، ولم يكن في مكة يهود إذ ذاك. والمستشرقون يعرفون جيدا أن كتابهم العهد القديم يذكر قدوم إبراهيم عليه السلام إلى مكة المكرمة، ولم يكن للمدينة، فلا ندري لماذا يقرون ذلك في كتبهم ولا يقرونها في القرآن الكريم! .

وما أثاره المغالطون من أن النبيﷺ كان يتودد لليهود بإبراهيم عليه السلام، حيث كان يهوديا، فهذا مخالف للواقع والتاريخ والقرآن، فقد ذكر القرآن أن إبراهيم لم يكن يهوديا ولا نصرانيا، بل كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين، وكان يوصي أبناءه بالحنيفية السمحة،

---

[1] موسوعة بيان الإسلام ٧/ ٢١٠-٢١٢، و قصص الأنبياء، عبدالوهاب النجار، مكتبة دار التراث، القاهرة، ١٩٨٥م، ص ٧٠-٧٩.

كما قال عز وجل ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ آل عمران ٦٧ وقوله سبحانه ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ البقرة ١٣٢ .

ثالثا: الرد عليها ردا تفصيليا.

جاء القرآن الكريم بالتوحيد خالصا ، وبالعقيدة صافية من جميع الشوائب، وأبطل كل أنواع الكفر والشرك والنفاق، ووجه العباد بتوجيه العبادة والطاعة خالصة لله تبارك وتعالى، وهذا مناف تماما لما عليه النصارى من عقيدة التثليث الفاسدة، وما عند اليهود من الشرك بالله تعالى مالم ينزل به سلطانا، وما عند غيرهم من العبادة والقربى لغير الله عز وجل . وإذا كان النبيﷺ يريد تأليف اليهود على ما هم عليه من الكفر كما زعم المغالطون، فكيف يدعوهم إلى ما يخالف عقيدتهم الباطلة، وكان من الممكن أن ينتظر ويختبر هؤلاء اليهود ليرى هل سيناصرونه ويؤازرونه وإن كانوا على الكفر أم يخذلونه، وإلا فكيف يعلن جوهر الرسالة ولبها وهو التوحيد الذي يعارض بشكل مباشر عقائدهم، ثم بعد هذا التصريح الصارخ بدعوة التوحيد يأتي فيمالأهم ويداهنهم بافتعال قصة إبراهيم عليه السلام لاستمالة قلوبهم ، والظفر برضاهم عنه، مع أن هذا أمر يعتبر من الثانويات ، أو من نوافل العمل في رسالته، وليس من أساسيات العقيدة لا عندهم ولا عنده عليه الصلاة والسلام ، فهل يصدق عليه أن يخالفهم في الأصل والجوهر والأساس ، و يتآلفهم في الفرع والعرض؟!.

لاشك أن هذا أمر لا يقبله منطق ولا عقل، ولا ينضوي عليه نظر صحيح. ومن المقرر في القرآن الكريم وفي كتب التفسير والتاريخ والسِير، أن الاتصالات التي قام بها إبراهيم عليه السلام مع العرب، وما قام به من أعمال في مكة المكرمة مثل بناء البيت الشريف، والنداء بالحج وغيرها، كانت في مكة ولم تكن في المدينة المنورة كما يزعم المستشرقون، ولم يكن هنا يهود في مكة، وإنما كانوا في المدينة المنورة، ففي سورة إبراهيم وهي من السور المكية يقول الله تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾ إبراهيم ٣٥ ، وفي آية البقرة يقول عز وجل ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا

﴿ ثُمَّ أَضۡطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ البقرة ١٢٦ ، فالبلد المقصود في هاتين الآيتين بلا شك هو مكة المكرمة، فكيف يقال إن آية سورة إبراهيم التي يزعم المغالطون أنها مَدَنِية ، ولا تعني مكة المكرمة؟ يقول ابن كثير-رحمه الله- " يذكر تعالى في هذا المقام محتجا على مشركي العرب بأن البلد الحرام مكة، إنما وضعت أول ما وضعت على عبادة الله وحده لا شريك له، وأن إبراهيم الذي كانت عامرة بسببه آهلة، تبرأ ممن عبد غير الله، وأنه دعا لمكة بالأمن ﴿ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا ﴾ إبراهيم ٣٥ ."[1]

لقد أثبت العهد القديم في الكتاب المقدس قدوم إبراهيم عليه السلام إلى مكة المكرمة ، فلماذا يأتي هؤلاء المكذبون فيكذبون القرآن الكريم وكتابهم يشهد له؟ لا شك أنها قمة السفه والجهل بكتاب الله عز وجل . وقد جاء في التوراة بأن إبراهيم عليه السلام حين خرج من مصر الى جنوب كنعان أي جنوب فلسطين اخذ يرتحل من جنوب فلسطين _ محاذاة شمال الحجاز _ الى الجنوب أي الحجاز (خرج إبراهيم من مصر هو وامرأته وكُل ما كان لهُ. وأخذ يرتحل من الجنوب إلى بيت إيل (أي بيت الله) إلى المكان الذي كان بيته فيه في البداءة) أي إلى أول بيت وضع لعبادة وطاعة الله.[2]

وهذا مطابق لواقع الطريق من بلاد الشام إلى المدينة ومكة، حيث كما هو معروف أن جنوب كنعان (أي جنوب فلسطين) هي امتداد طبيعي لصحراء شمال ووسط الحجاز، هذا الامتداد الصحراوي الطبيعي ما بين جنوب كنعان وشمال الحجاز يقعان على نفس خط الطريق الطبيعي والمؤدي الى مكة، الذي أصبح فيما بعد الخط التجاري من مكة الى بلاد الشام.

وهذا القول يدعمه ما ورد أيضا في التوراة من استمرار ارتحال إبراهيم نحو الصحراء في الجنوب وهو خارج من جنوب أرض الكنعانيين (ثم أخذ يرتحل جنوباً نحو صحراء الجنوب) ، وسياق لفظة في التكوين ثم أخذ يرتحل جنوباً (هـ - نجب) أي استمراره في الارتحال نحو صحراء الجنوب في الحجاز إلى حيث قال إبراهيم (ربنا إني أسكنتُ من ذريتي بوادٍ غير ذي

---

[1] تفسير ابن كثير ٢/٤٩٥.

[2] الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر التكوين ١٣ / ١- ٢.

زرع عند بيتك المحرم) ، إلى مكان أول بيت وضع للناس لعبادة وطاعة الله، أي استمراره في الارتحال إلى (بيت إيل) بيت الله الذي وضع له في البداءة، أي إلى (أول بيت وضع للناس للذي ببكة) .[1]

هذه الشواهد من الكتاب المقدس، تثبت ما جاء به القرآن الكريم وقصصه، من أن إبراهيم عليه السلام قدم إلى مكة واتصل بالعرب منها وبنى مع ابنه إسماعيل البيت وأذن فيها بالحج، وليس في المدينة كما زعمه المستشرقون، ثم إن إبراهيم عليه السلام لم يكن يهوديا ولا نصرانيا كما يدعيه أولئك المغالطون ، بل كان حنيفا مسلما ولم يكن من المشركين، وذا ما يؤكده القرآن الكريم في حواره مع اليهود والنصارى ، وأن التوراة والإنجيل لم تنزل إلا من بعده، فشحذ مدارك عقولهم في الحوار لعلهم يؤوبون لرشدهم ويعقلون الحق، والحجة الدامغة، كما قال تبارك وتعالى ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ آل عمران ٦٧ ، وقوله سبحانه ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ البقرة ١٣٣، وقوله عز وجل ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ آل عمران ٦٥ .

يقول العلامة عبدالرحمن السعدي –رحمه الله– " كانت الأديان كلها، اليهود والنصارى، والمشركون، وكذلك المسلمون كلهم، يدعون أنهم على ملة إبراهيم، فأخبر الله تعالى أن أولى الناس به، محمدﷺ وأتباعه، وأتباع الخليل، قبل محمدﷺ كما قال عز وجل ﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ آل عمران ٦٨، واما اليهود والنصارى، فإبراهيم بريء منهم، ومن ولايتهم، لأن دينه الحنيفية السمحة، التي فيها الإيمان بجميع الرسل، وجميع الكتب، وهذه خصيصة المسلمين، وأما دعوى اليهود والنصارى أنهم على ملة إبراهيم، فقد علم أن اليهودية والنصرانية، التي هم يدعون أنهم

[1] الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر التكوين ٩/١٢.

عليها، لم تؤسس إلا بعد الخليل إبراهيم، فكيف يحاجون في هذا الأمر، الذي يُعلم به كذبهم وافتراؤهم"[1].

كما أن هناك من الآيات ما يثبت إسلامية إبراهيم عليه السلام، وأن دينه الإسلام ، كما قال جل وعلا ﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ البقرة ١٣١، وقوله سبحانه ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِۦمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ البقرة ١٣٢، وقوله تعالى ﴿ وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِۦمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ البقرة ١٣٥. فهل بعد هذه الأدلة والبراهين والحجج الدامغة ، يتأتى لعاقل أن يصدق أن النبي ﷺ كان يتودد إلى اليهود بإثبات أنه زار مكة المكرمة، والقرآن قد أثبت أنه لم يكن يهوديا ولا نصرانيا، ولكن كان حنيفا مسلما، ألم يكن من الأولى_ إن كان النبيﷺ يداهنهم كما يزعمون- أن يخفي حقيقة أن إبراهيم كان حنيفيا مسلما؟ وكيف يثبت القرآن الكريم أنه لا علاقة بين إبراهيم عليه السلام واليهود، ثم يدعون في الوقت ذاته أن النبيﷺ يتألف قلوبهم بذكره.

وخلاصة القول في هذه الفرية وتلك الشبهة، أنها باطلة من أصلها ولا تستند إلى دليل علمي صحيح، ولا إلى مرجعية تاريخية موثقة، وإنما أوهام وخيالات وكذب وافتراء بغية التشويش والتشكيك، والصد عن الإسلام والقرآن، ولقد استبان فيما سبق أن القرآن الكريم جاء بعقيدة صافية صحيحة، وجاء الإسلام بالحنيفية السمحة، وهي مخالفة تماما لعقائد اليهود والنصارى وغيرهم من أهل الأديان والملل، وكيفة يتأتى للحبيب المصطفىﷺ أن يمالئهم في أمر فرعي، وهو يناقضهم في الجوهر والأصل.

كما أن الاتصال الذي كان بين إبراهيم عليه السلام والعرب والزيارة ، لم يكن ذلك في المدينة المنورة، وإنما في مكة المكرمة، ولم يكن في مكة إذ ذاك أحد من اليهود. كما أن إنكارهم لحقيقة القصص القرآني بقدوم إبراهيم عليه السلام إلى مكة، مع إثبات كتابهم العهد القديم لذلك، يعد إنكارا للقرآن ذاته، ورد له ورفضه، وإلا كيف يقرون في كتابهم بذلك ثم ينكرونه في القرآن؟ .

[1] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ١/٢٥٠-٢٥١.

والقرآن الكريم قد صرح بما لا يشوبه شك ولا ريب، بأن إبراهيم عليه السلام لم يكن على ملة اليهود ولا النصارى ، وإنما على ملة الإسلام وعقيدة القرآن ، ولم يكن من المشركين، وقد أوصى بنيه من بعده بهذه الوصية الخالدة، وهي الانقياد لله عز وجل والاستسلام وعبادته وحده لا شريك له، ونبذ كل ما عاداه وصادمه من الملل والنحل.

الشبهة السادسة عشرة

أولا: عرض الشبهة وتوثيقها.

" دعوى خطأ القرآن في قصة موسى والخضر"[1]

يدعي بعض المغالطين أن القرآن أخطا عندما ذكر التقاء موسى بالخضر، معتمدين على قول بعض المفسرين: إن الخضر هو "إليا" النبي، وأن ذا القرنين هو الاسكندر الأكبر، وأن الكنز الذي كان أسفل الجدار هو صحيفة مكتوب عليها (لا إله إلا الله مُحَّد رسول الله) ويتساءلون: كيف يلتقي موسى الذي عاش في مصر (١٥٠٠ق.م) بالنبي إليا الذي عاش في فلسطين زمن الاسكندر الأكبر (١٣٣٢ق.م)، واين هؤلاء من الشهادة لمحمد الذي ظهر في بلاد العرب في القرن السابع بعد الميلاد؟ وهم يرمون من وراء ذلك إلى اتهام القصص القرآني بالخرافة، والطعن في حقائق هذا القصص ووصمه باللامنطقية.

ثانيا: الرد عليها ردا إجماليا.

لدينا منهج علمي نرجع إليه ونتحاكم إليه حال الاختلاف في أي مسألة من المسائل، وهو المنهج الذي نص عليه كتاب الله وسنة نبيهﷺ ، وهو الرجوع إلى الكتاب والسنة، ففيهما الفيصل العدل ، والرضاء التام عند الاختلاف، كما قال عز وجل ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ النساء ٥٩ ، ومن المعلوم أن القرآن الكريم والسنة الشريفة لم يذكرا بعض الأسماء كاسم الخضر وذي القرنين وأصحاب الكهف وغيرهم، كما لم يتعرض القرآن الكريم لتواريخ وأزمنة معينة للقصص والوقائع التي وردت، وما يتناقله المفسرون من أسماء وتواريخ هي محض اجتهاد يؤخذ منه ويرد، كما لا يوجد هناك ما يدل على التقاء موسى والخضر بذي القرنين في زمن أو مكان محدد.

وعلى افتراض أن الصحيفة التي كانت تحت الجدار مكتوب عليها" لا إله إلا الله مُحَّد رسول الله" فهذا أمر غير مستغرب، ويمكن قبوله عقلا، وذلك لأن الكتب السابقة كالتوراة والإنجيل قد بشرت بالنبيﷺ وبالرسالة المحمدية، فهذا يقبل من قبيل المبشرات، ومن هنا يتبين

---

[1] موسوعة بيان الإسلام للرد على شبهات حول الإسلام ٢١٣/٧.

هشاشة هذه الشبهة وبيان فشلها وبطلانها.

ثالثا: الرد عليها ردا تفصيليا.

من الأمور المسلم بها أن القرآن الكريم لم يصرح باسم الخضر، ولم ينعته إلا بأنه عبد من عباد الله، آتاه رحمة من عنده وعلما، كما قال سبحانه ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ الكهف ٦٥، وإنما الخضر اسم تناقلته التفاسير دون أدنى تأكيد أنه الاسم الحقيقي له، كما اختلفت في قضية هل هو نبي أم ولي، وهل هو حي أم ميت، وما عليه الجمهور أنه عبد صالح آتاه الله علما ورحمة، وأنه قد مات لقول الله عز وجل ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴾ الأنبياء ٣٤، يقول عبد الوهاب نجار نقلا عن الطبري أن الخضر عمر طويلا ثم مات بعد لقائه بموسى عليه السلام.[١]

وأما قصة ذي القرنين فهي كما ذكرها الله عز وجل في القرآن الكريم بقوله ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُواْ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴾ الكهف ٨٣، فلم يذكر القرآن الكريم اسما معينا لذي القرنين، بل اكتفى بأن لقبه بذي القرنين، والمفسرون على اختلاف بينهم في مسألة اسمه، ولكنها أقوال غير معصومة من الخطأ، فالمفسرون منهم المصيب ومنهم المخطئ، أما نصوص القرآن فقطعية لا لبس فيها، وكذلك ما ثبت في صحيح السنة الشريفة، فلم يذكر القرآن لنا أن ذي القرنين هو اسكندر الأكبر أو غيره، كما لم يذكر لنا أن الخضر هو النبي "إليا" ، فكيف يُحْكم بخطأ القرآن ويقال إن القرآن أخطأ حينما جعل موسى عليه السلام يلتقي بالنبي إليا وبينهما سنينا طويلة من الزمان؟ وإن كان لا بد من خطأ أحد الإثنين القرآن، أو التاريخ كما يزعمون ، فلماذا يكون القرآن بالذات؟ هذا فضلا عن أن القرآن لم يذكر من بعيد ولا من قريب عن التقاء موسى عليه السلام بذي القرنين سواء كان ذي القرنين الاسكندر الأكبر أم غيره.

كما لم يذكر أيضا ولو بالإشارة إلى التقاء الخضر بذي القرنين، حتى يقول هؤلاء كيف يلتقي موسى والخضر ذا القرنين وبينهما كذا وكذا من السنين؟ والقرآن الكريم كتاب الله عز

---

[١] ينظر قصص الأنبياء، عبدالوهاب النجار، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ، ص ٣٥٧.

وجل وكلامه ولم يعتريه أي تغيير أو تحريف أو تبديل، وثبت للملأ إعجازه في كل فن وعلم، فلو افترضنا جدلا أن الخضر هو النبي "إليا" وأن ذي القرنين هو الاسكندر الأكبر ، وذكر القرآن الكريم التقاءهم وعين بالتصريح أسماءهم، فإن ذلك يكون صحيحا ولا صحيح غيره، لبقاء القرآن على أصله دون تحرف ولا تغيير، كما حصل للكتب الأخرى، التي اعتراها التحريف فلا يوثق بما جاء فيها من أسماء وتواريخ وأحداث شابها التحريف والخلط والاضطراب، فلا نأمن سلامة هذه الأحداث والوقائع والتواريخ، لفقدان العصمة لمصادرها ومنابعها، ولا ترقى هذه الكتب والمصادر إلى مستوى أن تكون هي الفيصل حال الاختلاف.

ومن ناحية أخرى لم يرد في القرآن الكريم ولا في السنة المشرفة ما يدل على أن موسى عليه السلام أو الخضر قد أدرك ذي القرنين، كما يزعم المغالطون من المستشرقين وغيرهم أن القرآن الكريم أخطأ خطأً تاريخيا في لقاء موسى والخضر بذي القرنين بسبب الفترة الزمنية التي تفصل بينهم جميعا، وبسبب اختلاف بلدانهم ومواطنهم ، فكيف يتقول هؤلاء على القرآن وينسبون إليه ما لم ينطق به أو يقوله، ثم يصدرون عليه الحكم بالخطأ التاريخي.[1] أما قضية أن الكنز الذي تحت الجدار الذي أقامه الخضر المنسوب للغلامين، وجد فيه صحيفة مكتوب فيها " لا إله إلا الله مُحَّد رسول الله" فهذا وإن صح فهو أمر طبيعي، وهو يدخل في طور المبشرات، فقد بشرت التوراة والإنجيل بمبعث نبينا مُحَّدﷺ .

وخلاصة القول فيما سبق من الرد على الشبهة ، أن الدعوى والفرية الآنفة الذكر تهاوت وبطلت أمام أدلة القرآن الكريم، وأمام النظر العقلي الصحيح، إذ لم يورد أصحابها ما يبرهن على صدق دعواهم، وكل ما قدموه لا يعدوا عن كونه أوهام وخيالات، وتسويغات لا يقبلها عقل ولا منطق، وكتاب الله وسنة رسولهﷺ هما الفيصل في الخلاف، وبهما يقوم الدليل، وتقام الحجة، وقد رأينا من خلال الردود على الشبهات، قوة الدليل، وإفحام الخصوم، وتهاوي الادعاءات، وأن روايات المفسرين وكتب التاريخ التي يتعلق بها المدعون، وقد شابها التحريف والتبديل والخلط والاضطراب، لم تعد موثوقة وغير معصومة فيما تنقل حيال القصص والأحداث والوقائع، فسبحان الذي أنزل هذا الكتاب الذي قال فيه ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ فصلت ٤٢ .

[1] ينظر موسوعة بيان الإسلام للرد على الشبهات حول الإسلام ٢١٤/٧.

الشبهة السابعة عشرة

أولا: عرض الشبهة وتوثيقها.

" دعوى اشتمال القرآن على قصة الغرانيق"[١].

ثانيا: الرد عليها ردا إجماليا.

يدعي بعض المغالطين من المستشرقين أن سورة النجم كانت تحتوي آيتين تمدحان " الغرانيق " أضافهما مُحَمَّد – ﷺ- بوحي من الشيطان ، لكسب ود قريش والتقرب إليهم، فعندما كان النبي ﷺ يقرأ قول الله تعالى ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ ﴾ النجم ١٩ – ٢٠ ، ألقى الشيطان في أمنيته " تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لَتُرْتَجى" ، فلما ختم السورة سجد، ففرح المشركون بذلك وسجدوا معه، ويرمون من وراء ذلك التشكيك في سلامة القرآن والطعن في حقيقة التوحيد.

من المسلم به أن صدر سورة النجم نزل في تسفيه آلهة المشركين وإبطالها كما قال عز وجل ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ ﴾ النجم ١٨ – ٢٣ ، وهذا لا يتفق أبدا مع المدح لتناقض الأمرين، والآيات التي يدعيها أولئك أنها من القرآن، لا أساس له من الصحة، ولا سند ولا دليل على ذلك، والرسولﷺ بشر ينسى كما ينسى البشر، ويتعرض له الشيطان كما يتعرض للبشر، وهذا ثابت عنه عليه الصلاة والسلام، فعن عبدالله قال: صلى بنا رسول الله ﷺ خمسا فقلنا يا رسول الله أزيد في الصلاة ؟ قال وما ذاك ؟ قالوا صليت خمسا قال إنما أنا

[١] موسوعة بيان الإسلام ٢١٥/٧ و قرآن أمريكي ملفق، د. إبراهيم عوض، زهراء الشرق، القاهرة، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، و نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق، مُحَمَّد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، ص ١٠.

بشر مثلكم أذكر كما تذكرون وأنسى كما تنسون"[1] .

ولكن الله بفضله ومنه يعصم رسوله من كيد الشيطان، فهو معصوم وخصوصا فيما يتصل بالرسالة والوحي، وتَلَمُس المغالطون للدليل لبث الشكوك هو تلمس الدليل فيما لا يصح أن يكون دليلا. والنبيﷺ أتى برسالة مرتكزها وأساسها التوحيد والعقيدة، تدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له ولا ند ولا مثيل، وتنبذ كل ما يضاد ذلك من عبادة الأصنام والأوثان، وكل ما يضاد عقيدة التوحيد من البدع والشركيات، وقد أدى عليه الصلاة والسلام هذه الرسالة وهذه الدعوة على أكمل وجه وأخلصه، وهذا بلا شك يُبطل هذه الدعوى وهذه الشبهة من أصلها.

ثالثا: الرد عليها ردا تفصيليا.

سورة النجم من السور المكية، نزلت على الرسولﷺ في مكة قبل الهجرة ، وقد بدأت السورة بالقسم بالنجم ، وهو مخلوق من مخلوقات الله، والله عز وجل يقسم بما شاء من مخلوقاته، وأما العبد فليس له أن يقسم إلا بالله جل وعلا، وجواب القسم أن النبيﷺ ما ضل وما غوى، وما نطق عن هواه أو من تلقاء نفسه، بل هو وحي أوحاه الله إليه، ولذلك جاءت بعض آيات السورة فيها ذم للشرك وأهله، وتسفيه للأصنام والأوثان التي تعبد من دون الله عز وجل، ثم جاء في ختامها بيان لتحمل الإنسان تبعات عمله، وأنه مسئول عن تصرفاته وأعماله، وهو محاسب عليها، وينبني أجره أو وزره على ما يُرى من عمله، كما قال عز وجل ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ النجم ٣٩ - ٤١ ، يقول الإمام الطبري-رحمه الله- " وأن عمل كل عامل سوف يراه يوم القيامة، من ورد القيامة بالجزاء الذي يجازى عليه، خيرا كان أم شرا لا يؤاخذ بعقوبة ذنب غير عامله، ولا يثاب على صالح عمله عامل غيره"[2] .

فلا يصدق على القرآن الكريم أبدا أن يمدح آلهة المشركين في معرض الآيات، وعلى وجه الخصوص الآيتان المزعومتان اللتان لا تمتان للقرآن الكريم بصلة لا من ناحية المعنى ولا

---

[1] رواه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب السهو في الصلاة، ٤٠٠/١، الحديث ٩٣.

[2] تفسير الطبري ٧٧١٤/٩.

المبنى ولا السياق، بل اختلاف واسع، وبون شاسع، ولذلك نستطيع إبطال هذا الزعم والافتراء من طريقين:

الطريق الأول: عن طريق سند هذه القصة، فإنها لم تثبت مطلقا بسند أو دليل صحيح، بل وردت في كتب التاريخ والتفسير من طرق متعددة ولكنها لا تصح، ولم يرد تصحيح لها عن طريق رجال وعلماء الحديث، كما يقرر ذلك البيهقي، وقال ابن خزيمة هي من وضع الزنادقة[1]، ويقول الإمام الألباني–رحمه الله– " تلك هي روايات القصة ، وهي كما رأيت مُعَلَّة بالإرسال والضعف والجهالة، فليس فيها ما يصلح الاحتجاج به ، لا سيما في مثل هذا الأمر الخطير، ثم إن مما يؤكد ضعفها بل بطلانها، ما فيها من الاختلاف والنكارة مما لا يليق بمقام النبوة والرسالة"[2].

ومن المعلوم أن الروايات إذا تناقضت فيما بينها سقطت ولم تصلح للاستدلال، ولم تعد لها قيمة في البحوث العلمية الجادة والنصوص الموثقة[3]. ثم إن هذه الرواية تناقض المنطق العقلي في مخالفتها لمضامين القرآن الكريم من ناحية المبنى والمعنى وحتى في سياق الآيات والسور، بل تخالف الرسالة التي جاء بها النبيﷺ من أساسها.

إن سورة النجم بكاملها من أولها إلى أخرها، ترفض هذه القصة شكلا ومضمونا، فمن يتدبر هذه السورة ويتمعن في آياتها سيجد أنها ضد المشركين على ما هم عليه من الباطل وعبادة الأصنام والأوثان، وتكذب كل ما لديهم من الحجج والأباطيل، وتقوله بأن آلهتهم بنات الله، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا، يقول الله تبارك وتعالى ﴿ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ ﴾ النجم ٢١ - ٢٢ أي قسمة جائرة، يقول ابن كثير –رحمه الله– " أي قسمة جور باطلة، فكيف تقاسمون ربكم هذه القسمة التي لو كانت بين مخلوقين كانت جورا وسفها"[4]، ولذلك كانت آلهتهم التي يعبدونها ويتقربون إليها ، لا تعدو عن كونها

---

[1] ينظر مفاتيح الغيب، ٢٣/٤٤.

[2] نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق، ص ٣٥.

[3] ينظر كتاب الرد على كتاب أخطاء إلهية في القرآن الكريم، مجمع البحوث الإسلامية، دار السعادة، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص ٣٥.

[4] تفسير ابن كثير ٤/٢٢٨.

مجرد أسماء يسمونها هم ومن سبقهم من آباءهم ، ليس لها في الواقع أي قيمة ولا وزن، وما أنزل الله بها من سلطان، إن يتبعون إلا الظنون والهوى، بعدما جاءهم النور والهدى على لسان الرسول الكريمﷺ ، ولهذا قال عز وجل مسفها لهم ﴿ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ﴾ النجم ٢١ – ٢٦.

ولذلك نسالهم ونقول هل هذا الكلام الذي ورد في هذه الآيات مدحا لآلهتكم أم ذما لها؟ وهل هذا الآيات سياقا ومعنى ومضمونا، تتفق مع ما ألقاه الشيطان- على حد زعمكم- على لسان محمدﷺ وهو" تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى"؟ لا شك أن الحجة فيما جاء به القرآن الكريم، وليس لدى القوم شيء يتشبثون به سوى الهوى واتباع الظنون والشيطان، وإلا أين الحضور من قريش لكي يسجدوا مع الرسولﷺ عندما سمعوا منه ما يرضي آلهتهم؟ وهل هم لا يفهمون ما يسمعون إن كان مدحا أو ذما؟ ألم يطلبوا من الرسولﷺ ويلحوا عليه في الطلب بأن يعبد آلهتهم شهرا ويعبدون إلهه شهرا، فرد الله عليهم رافضا طلبهم، كما قال عز وجل بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾ ﴾ الكافرون ١ – ٦ .

وأي عقل بشري يصدق بأن الرسولﷺ ينطق بهذه الكلمات " تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى" وحوله جمهور من صحابته، يسمعون ما ينطق به، ألا يحدوا بهم السؤال والاستفسار عن هذه الكلمات وعما ترمي إليه، أحرص الناس على العلم والفقه وأخذه من مضانه؟ ألا يكن فيهم من يستفهم أو يتعجب أو يستنكر أو ينقل ويروي ما يسمع؟ . إن ما ينطق به الرسولﷺ وهو بين أظهر أصحابه والناس من شأنه أن يُسمع وينتشر ويتناقله الناس ويسجل رواية متواترة، تتناقلها الأمة جيلا بعد جيل يُقطع بصحتها وتواترها، فأين ولو صحابي

واحد روى أو قال بهذه القصة التي أثارها المغالطون وقالوا إن الرسولﷺ نطق بها؟ ومن المعروف أن هذه القص المفتراة جاءت من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس وهي عند علماء الحديث سلسلة الكذب بالإجماع، وبهذا يثبت بطلانها سندا ومتنا.[١]

وعلى افتراض أننا تجاهلنا إنكار العقل لهذه الفرية، وافترضنا أن رسول اللهﷺ قد نطق بتلك الكلمات ليجامل بها المشركين _ كما يقال _ والثابت عن النبي ﷺ أنه لم يستمر في مجاملة القوم ، بل عاد عنها وأكد أن الشيطان ألقاها على لسانه، فأين ردة الفعل عندهم إذا؟ وأين الهجوم المتوقع منهم عليه واتهامهم له بالتقلب والمراوغة؟ ولماذا لم يدعموا عقائدهم الشركية ويؤيدوها بكلامه الذي أثنى به على آلهتهم- على حد زعمهم-؟ إنهم بالطبع لن يجدوا ما يقولون أو يؤيدون به ادعاءهم، وهذا بحد ذاته دليل على تهاوي شبهتهم وبطلانها.

أما قضية السجود الواردة في الشبهة من أن النبيﷺ سجد في ختام السورة، فهي ليست كما أوله المستشرقون، وليست هذه هي حقيقتها، وإنما حقيقة هذه السجدة وما عمله النبيﷺ فعلا، يرويها لنا البخاري-رحمه الله- في صحيحه، فعن ابن عباس رضي الله عنهما ، أن النبي ﷺ سجد بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والأنس "[٢] وقد جاء أيضا عن عبد الله ﷺ قال : أول سورة أنزلت فيها سجدة (والنجم) قال فسجد رسول الله ﷺ وسجد من خلفه إلا رجلا رأيته أخذ كفا من تراب فسجد عليه فرأيته بعد ذلك قتل كافرا وهو أمية بن خلف "[٣] ، ويتضح تماما فيما لا يشوبه الشك في رواية ابن عباس ورواية ابن مسعود رضي الله عنهما ، عدم وجود ذكر لقصة الغرانيق أبدا وثناء رسول اللهﷺ عليها.

ومن ناحية أخرى نقول إن الرسولﷺ بشر ويعتريه ما يعتري البشر من النسيان والمرض والتعب، غير أنه معصوم وخصوصا في رسالة الله إليه، وفيما أوحي إليه من القرآن الكريم، كما قال عن نفسه عليه الصلاة والسلام، فعن عبدالله قال: صلى بنا رسول الله ﷺ خمسا فقلنا يا رسول الله أزيد في الصلاة ؟ قال وما ذاك ؟ قالوا صليت خمسا قال إنما أنا بشر مثلكم أذكر

---

[١] ينظر نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق ص ٣٦.

[٢] رواه البخاري، كتاب الكسوف، باب سجود المسلمين مع المشركين، ٣٦٤/١ الحديث ١٠٢١.

[٣] رواه البخاري، كتاب التفسير، باب سورة النجم، ١٨٤٢/٤ الحديث ٤٥٨٢، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب سجود التلاوة، ٤٠٥/١ الحديث ١٠٥.

كما تذكرون وأنسى كما تنسون"[1] ، وكذلك يعتريه شيء من وساوس الشيطان ، كما قال عز وجل ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ الحج ٥٢ ، يقول الإمام الطبري-رحمه الله- " وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تلا كتاب الله، وقرأ، أو حدث وتكلم، ألقى الشيطان في كتاب الله الذي تلاه وقرأه أو في حديثه الذي حدث وتكلم، فيذهب الله ما يلقي الشيطان من ذلك على لسان نبيه ويبطله"[2] ، ولهذا احتج أصحاب الشبهة بهذه الآية الكريمة، وهو احتجاج باطل ، وتأويل فاسد، لا يتصل بالمعنى الحقيقي لها أبدا.

والآية نصت على الرسل قبل النبيﷺ ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ ﴾ ، يقول العلامة عبدالرحمن السعدي-رحمه الله- " أي يخبر تعالى بحكمته البالغة، واختياره لعباده، وأن الله ما أرسل قبل محمد(من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى) أي قرأ قراءته ، التي يُذكر بها الناس ، ويأمرهم وينهاهم"[3] ، فرسل الهه عليهم الصلاة والسلام بوصفهم بشر يجري عليهم ما يجري على البشر من خواطر النفس والنسيان وغير ذلك، غير أنهم معصومون في الوحي والشرع ومعصومون أيضا من الوقوع في المحرمات، ولذلك كانت خواطر النفس والوسوسة تجوز عليهم كغيرهم، ولكن الله جل وعلا بفضله ومنه يحميهم مما يلقيه الشيطان في تلاوتهم وحديثهم، ويحكم آياته.

ولذلك نتساءل ما وجه العلاقة بين المعنى الذي تتضمنه الآية الكريمة التي تتحدث عن الرسل الذين خلو قبل النبي ﷺ وبين أكذوبة اصطنعها المغالطون مفادها أن الشيطان ألقى على لسان محمدﷺ ثناءً على أصنام المشركين وإقرارا لما يعتقدونه أنها ستكون شفيعا عند الله؟ وبأي جانب من جوانب اللغة العربية حقيقتها أو مجازها، تكون هذه الآية دليلا على ذلك.[4]

لقد كانت دعوة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلامُ قبل النبيﷺ ، دعوة إلى التوحيد والعقيدة المنزلة من عند الله تبارك وتعالى، وإبطالا لما عليه المشركون من عبادة غير الله

---

[1] رواه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب السهو في الصلاة، ٤٠٠/١، الحديث ٩٣.

[2] تفسير الطبري ٥٨٧٩/٧.

[3] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٣٣٠/٣.

[4] ينظر لا يأتيه الباطل، محمد سعيد رمضان ، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٧م، ص ١٤٥-١٤٦.

، كعبادة الأصنام والأوثان، وإخلاص العبادة وإفرادها لله عز وجل، ثم جاء نبينا عليه الصلاة والسلام ليختم هذه الرسالات بما كانت تدعوا إليه من الدعوة إلى التوحيد، فكانت دعوته خاتمة للدعوة إلى هذا الأساس من الدين، ونبذ ما عداه من الشركيات وعبادة الأوثان، وهذا ما صوره لنا القرآن الكريم من معاداة المشركين لهذه الدعوة المباركة، واعتراضهم عليها، يقول الله تبارك وتعالى ﴿ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴾ ص ٤ ، وفي الجانب الآخر يؤكد لنا القرآن الكريم المحاولات المضنية المنتهية بالفشل الذريع، والتي حاول المشركون من خلالها إغراء النبي عليه الصلاة والسلام بألوان من الإغراءات لاجتذابه إليهم وإلى دينهم، وصرفه عما هو عليه من الحق، ولكنهم نهاية لم يظفروا بشيء منه، يقول عز وجل ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ ﴾ الإسراء ٧٣ - ٧٤ .

ولذلك فالرسول ﷺ قام بما أوكله الله إليه من أمانة التبليغ خير قيام، وعلى أكمل وجه، وذلك بشهادة القرآن له بذلك، فلم يلتفت عليه الصلاة والسلام إلى ما يريده المشركون منه، ولم يميل إلى مجاملتهم والرضا بما هم عليه من الشرك والكفر، ولم يمتدح آلهتهم ويمجدها، ولو فعل شيئا من ذلك لضج المشركون وفرحوا لذلك، ولهذا أجمع العلماء والمفسرون وعلماء الحديث على بطلان هذه الدسيسة وهذه الشبهة وتلك القصة، وأن الرسولﷺ لم ينطق بتلك الكلمات " تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى" عند تلاوته لسورة النجم، وكل ما ورد من أخبار فيها لا يصح أبدا.

ويدعم ذلك أيضا أن كلمة "الغرانيق" تعني عند العرب الطيور المائية، ولم يرد لا في شعرهم ولا نثرهم على أنها تخص آلهتهم أو تعنيها، فكيف يقال أن الشيطان ألقاها على لسان النبيﷺ على أنها اللات والعزى ومناة، وأنها تشفع عند الله، تعالى الله عما يقوله المبطلون علوا كبيرا. إن من ينظر ويتقصى منهجه عليه الصلاة والسلام، يجد أنه جاهد من أجل التوحيد والعقيدة وتبليها إلى الناس أجمعين، وأخلص لله فيها إخلاصا لم يعرف له مثيل على مر التاريخ، وقد شهد له القاصي والداني حتى من الكافرين أنفسهم، فكيف يتهم بعد ذلك كله بالتخلي عن الرسالة ومدح ما كان يناقضها من عبادة الأصنام والأوثان، هذه فرية لا يمكن

التسليم بها ولا قبولها، والذين افتعلوها لم يأتوا إلا بكذب وزور من غير مستند ولا دليل، وصدق الله حين قال ﴿ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَآئِهِمْۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ الكهف ٥ .

وخلاصة القول في هذه الشبهة ، هو بطلانها من أساسها، فسورة النجم نزلت في مجملها ذم للمشركين وأفعالهم وتسفيها لما هم عليه من عبادة غير الله من الأصنام والأوثان، وخُتمت بتحميل الإنسان تبعات أعماله، وموافاته بما عمل من خير أو شر وحسابه عليه، فليس من المقبول أبدا و في هذا المسار ، أن يمتدح النبيﷺ آلهة المشركين أو يمجدها، فوضع الآيات والسورة ومسارها لا يقبل بذلك. ورسل الله وأنبياءه عليهم الصلاة والسلام من البشر ويجوز عليهم ما يجوز على البشر مما هو من طبيعة البشرية كالنسيان مثلا، غير أنهم معصومين فيما يخص الوحي والشريعة وأحكام الدين، وكذلك عدم الوقوع في المحرمات، فحاشا وكلا أن يقربوها، ولما كانت خواطر النفس البشرية خارجة عن التكليف لا توصف بحل ولا حرمة، كانت جائزة عليهم كغيرهم، ولكن الله عز وجل بفضله يحميهم من خطرها وينسخها من أذهانهم.

إن رسالة نبينا مُحَمَّد ﷺ رسالة خالدة أساسها التوحيد والعقيدة، تنبذ كل ما يصادمها من عبادة الأصنام والأوثان، والبدع والخرافات والأضاليل، وهي رسالة خالصة قد أداها عليه الصلاة والسلام على أكمل وجه وأحسنه، وتحمل في سبيل نشرها وإيصالها للناس ألوان الأذى والضيم، وشهد له القرآن الكريم بذلك، وما نسب إليه من قصة الغرانيق لا يصح أبدا، وما ورد في هذه القصة من كلمات ما هي إلا من وضع الزنادقة أعداء الدين والملة.

والغرانيق كما هو معروف عند العرب هي الطيور المائية[١] ، فكيف يلقيها الشيطان على لسان النبيﷺ على أنها اللات والعزى ومناة؟ ولو افترضنا أن ذلك الدح حصل بالفعل، فإن من البديهي أن يكون للصحابة ﭫ تعليقا أو سؤالا واستفسارا من النبيﷺ للاستفهام، ويكون عليه الصلاة والسلام مواجها لحملة غضب لمراوغته، وهذا لم يحصل البتة، فأين هؤلاء المغالطون والمفترون من هذه النتيجة؟ وبهذا الاستنتاج يتبين جليا بطلان هذه الشبهة وردها

[١] ينظر لسان العرب لابن منظور مادة غرنق.

على أعقابها وصدق الله حين قال ﴿ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴾
الأنفال٣٠.

الشبهة الثامنة عشرة

أولا: عرض الشبهة وتوثيقها.

" يدعي بعض المشككين أن رواية القرآن الكريم لقصة سيدنا يوسف عليه السلام تتضمن أحداثا أسطورية لم ترد في التوراة، وأن صورة يوسف في التوراة تفضل صورته في القرآن، ويتساءلون كيف يدعي مُحَمَّد أن ربه قص عليه أحسن القصص، والقرآن يقول ﴿ **وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ** ﴾ الشورى ٥١"[١]

ثانيا: الرد عليها ردا إجماليا.

إن مما لا يختلف عليه اثنان، أن كتب التوراة الموجودة حاليا في أيدي اليهود ، كتبا محرفة ومصروفة تماما عن أصلها المنزل من عند الله تبارك وتعالى، ومملوءة بالافتراءات والشبهات والأباطيل، فلا يُسلم أبدا أن ما لم يُذكر في التوراة غير حقيقي، ولا يُسلم أيضا أن ما ذُكِر فيها حقيقيا. وإن المحاولة العقيمة من قبل هؤلاء المستشرقون لإخضاع كتاب الله عز وجل القرآن الكريم لمقاييس القصة الفنية، محاولة فاشلة وغير مقبولة أبدا، خصوصا إذا ما استلهمنا قواعد البحث العلمي الصحيحة، وذلك للاختلاف والبون الشاسع بين أهداف القصة في القرآن الكريم، وبين أهداف القصة الفنية عندهم. فأهداف القصة في القرآن الكريم تتركز على إظهار الحق والصدق، بينما تتركز أهداف القصة الفنية على استلهام الخيال لاستثارة اهتمام القارئ بها، وهذا لا يكون في قصص القرآن الكريم أبدا، إذا لا مجال فيه للخيالات والتكهنات ولا مكان فيه للتناقضات .

ما ورد في الشبهة من قول وافتراء حول قول الله عز وجل ﴿ **وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٞ** ﴾ الشورى ٥١ ، غير صحيح بل متجاف لمعناه الحقيقي تماما، إذ أن هذه الآية

[١] الشبهات المزعومة حول القرآن الكريم في دائرتي المعارف الإسلامية والبريطانية، مُحَمَّد السعيد بن السيد جمال الدين، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢١هـ، ص ٥٦٤-٥٦٥، وموسوعة بيان الإسلام للرد على الشبهات حول الإسلام، ٥/٣٠٠-٣٠٥.

تعني تقرير أنواع الوحي لرسل الله عليهم الصلاة والسلام جميعا، وليست مختصة بالنبيﷺ وحده، يقول ابن كثير–رحمه الله– " ينزل جبريل عليه الصلاة السلام وغيره من الملائكة على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام"[1] .

ثالثا: الرد عليها ردا تفصيليا.

يزعم ويتهم المغالطون من المستشرقين القصص القرآني بعدم الواقعية ، ويصفونه بالأسطورية، وخصوصا فيما دارت عليه قصة يوسف عليه السلام، حيث يصفونها بضرب من الخيالات والأساطير، وما من شك في بطلان هذه الاتهامات التي لا تستند على دليل نقلي أو عقلي صحيح، وحقيقة لقد سبقهم بهذا الزعم وهذه الفرية أسلافهم من المشركين حين نزل القرآن الكريم على رسول اللهﷺ ووصموه بالسحر والكذب والأساطير، وقد أخبرنا القرآن بذلك في قوله تعالى ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ الأنعام ٢٥ ، وقوله عز وجل ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ الأنفال ٣١ ، وقوله سبحانه ﴿ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ النمل ١٣ ، وقوله تعالى ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ سبأ ٤٣ ، إلى غير ذلك من الآيات التي تبين نعتهم للقرآن الكريم بما لا يليق به عدوانا وظلما، فمستشرقي اليوم وتلامذتهم في بلاد الإسلام يسيرون في نفس الاتجاه، ويكيلون بنفس مكيال أسلافهم، ولكن بأساليب عصرية، ومصطلحات حديثة، تحمل ثوبا جديدا، وتكتنف في طياتها عداوة موروثة كابرا عن كابر، ولن يقف هؤلاء عند حد، بل سيتوارثون الاتجاه ذاته، ويحملون العداوة نفسها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وإذا كانت كتبهم لم تتعرض لشيء من قصة يوسف عليه السلام، فهذا لا يعني أنها

[1] تفسير ابن كثير ١٠٩/٤.

قصة أسطورية، لأن الله وصفها بأنها قصص حق، كما قال عز وجل ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ آل عمران ٦٢، أما كتبهم المحرفة فهي التي تحمل الخرافات والأباطيل، وهي التي ينطبق عليها وصف الأساطير، ومن يقرأها يحكم عليها بلا تردد أنها تأليف بشر ولا يمكن أن تكون كلام الله على وجه الحقيقة الذي أنزله على رسله قبل محمدﷺ . فالتفاصيل التي جاءت بها سورة يوسف ، تفاصيلا حقيقية موافقة للواقع وللحقائق التاريخية ، بخلاف التفاصيل التي جاءت في التوراة، حيث جانبت فيها الحقائق، وصادمت الواقع التاريخي، وصورت يوسف نبي الله في أسوأ صورة، ، وذلك يتضح مما يلي:

أولا: أوردت التوراة أن يوسف عليه السلام عاش في زمن حكم فرعون الطاغية لمصر، وهذا مخالف للواقع التاريخي، فإن الذين حكموا مصر زمن يوسف عليه السلام هم الهكسوس[1] ، وليسوا المصريين الفراعنة، والقرآن الكريم لم يقع في هذا الخطأ الذي وقعت في التوراة، فلم يذكر "فرعون" في ثنايا القصة، بل ذكر "الملك"، كما قال عز وجل ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴾ يوسف ٤٣ ، وقوله سبحانه ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴾ يوسف ٥٠ ، وقوله تعالى ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾ يوسف ٥٤ ، وقوله جل وعلا ﴿ قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴾ يوسف ٧٢ ، فلم يأت لفرعون ذكر في هذه السورة، وهذا دليل قاطع على أن القرآن الكريم كلام الله لم يتبدل ولم يتغير على مر السنين والقرون، وأنه حق ، وما جاء به من القصص حق.

وفي قصته عليه السلام مع امرأة العزيز، عندما راودته عن نفسه، وأمسكت بثوبه، تذكر التوراة أنها قالت" اضطجع معي، فترك ثوبه في يدها وهرب وخرج إلى خارج، وكان لما رأت أنه ترك ثوبه في يدها وخرج إلى خارج، أنها نادت أهل بيتها وكلمتهم قائلة" أنظروا ! قد جاء

[1] الهكسوس ينظر ص ٢٢٩.

برجل عبراني ليداعبنا ! دخل إلي ليضطجع معي، فصرخت بصوت عظيم، وكان لما سمع أني رفعت صوتي وصرخت، أنه ترك ثوبه بجانبي وهرب وخرج إلى خارج ، فوضعت ثوبه بجانبها حتى جاء سيده إلى بيته"[1] .

إن من ينظر إلى هذا النص التوراتي الملفق، ليجد العجب العجاب من ركاكة الأسلوب، وهشاشة البناء اللغوي، والكذب القصصي الواضح، وكأن يوسف عليه السلام بهذا الهراء وهذه التلفيقات المكشوفة، يثبت على نفسه اقتراف الجريمة مع هذه المرأة، وأنها هي المعْتدى عليها وأنها بريئة كبراءة الذئب من دمه عليه السلام، فهل يا ترى يتفق هذا الكلام مع الواقع المحسوس لأحداث القصة؟ إن هذا لا يمكن يصدقه عقل بشري مهما قل نصيبه من العلم، لتضارب وتعارض الواقع مع هذا الكلام.

إن ما جاءت به التوراة في هذه القصة معارض تمام ومناقض لما جاء به القرآن الكريم، إذ أن ما جاء به القرآن الكريم موافق تماما لواقع الحال، ولمجرى أحداث القصة، بل موافق للواقع التاريخي ولمنطق العقل، فالله عز وجل يقول ﴿ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ يوسف ٢٥ - ٢٩ ، إن مما يتفق مع واقع الحال في هذا الحدث، أن يحصل بين يوسف وامرأة العزيز تجاذب وتدافع، وأن يفر يوسف عليه السلام من هذه الجريمة النكراء ، ويولي هاربا تجاه الباب ملاذه ومخرجه الوحيد من هذا الأمر الجلل، لائذا بالله تعالى ليعصمه من هذه المصيبة، وذلك بعدما أصابه الخوف والفزع من هذا الأمر ، كما قال عز وجل ﴿ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ يوسف ٢٣ ، وتسبقه هي إلى الباب

[1] الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر التكوين ٣٩/١٢-١٦.

مصرة على بلوغ ما تريد من الفاحشة، ويتدافع الاثنان وينتج عن ذلك تقطيعها لثوب يوسف عليه السلام من الدبر. وقطع الثوب من الدبر دليل قاطع على أنها هي المعتدية والمخطئة في حق يوسف عليه السلام ، وهذا هو الذي خلصوا إليه في الدعوى بين الاثنين، وثبتت ليوسف براءته ، وثبت الخطأ عليها، كما قال عز وجل ﴿ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا وَٱسْتَغْفِرِي لِذَنۢبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ يوسف ٢٨ – ٢٩ .

وهذا هو الذي حصل بالفعل في أحداث القصة، لا كما أوردته التوراة، وهذا يدل بلا ريب على صدق ما جاء به القرآن الكريم، وأنه حق وصدق، جاء به النبيﷺ ، فكل آية في هذه السورة وغيرها من سور القرآن الكريم تؤكد صدق النبي ﷺ وصدق ما جاء به من عند الله عز وجل.

وكتب التوراة المحرفة التي بأيدي المستشرقين والتي ينفثون سمومهم من خلالها، شوهت صورة وسيرة يوسف عليه السلام بكل ألوان التشويه والتنفير، وجعلت صورته قاتمة سوداء في أنظار الناس، بخلاف صورته البيضاء الناصعة في القرآن الكريم، ووصمته التوراة بالظلم لأخوته وأسرته، واتهمته بأنه حبس إخوته واتهمهم بالجاسوسية، حيث تقول " فتذكر يوسف الأحلام التي حلم عنهم ، وقال لهم جواسيس أنتم لتروا عورة الأرض جئتم" فقالوا له لا يا سيدي بل عبيدك جاءوا ليشتروا طعاما، نحن جميعنا بنو رجل واحد، نحن أمناء، ليس عبيدك جواسيس"[1] . والقارئ لهذا الكلام يرى الركاكة وسوء الأسلوب وقذف الكلام جزافا بما يخالف العقل والمنطق والعرف اللغوي، وهذا هو شأن الكتب المحرفة التي الفها وحرفها البشر، وشتان بين كلام البشر وكلام رب البشر عز وجل.

وفي موضع آخر تتهم يوسف عليه السلام بما هو بريء منه وتلفق عليه كيلا من التهم والأباطيل ظلما وزورا، كاتهامه بشرب الخمر والمسكر وغير ذلك، حيث تقول " ومنذ جاء يوسف صارت ضريبة الأطيان الزراعية الخمس، ومن الواضح أنه أعفى أهلها منها – تناقض عجيب – لأنه ابتداءً أقطع أهلها أرضا لم تكن لهم أصلا، وعينهم في الوظائف المختلفة

[1] الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر التكوين ٤٢/٩-١٧.

ليحكم قبضته بهم على البلد جميعها، ومن الغريب أن يوسف وهو المذكور في القرآن بأنه نبي كان يشرب الخمر طبقا لرواية التوراة – التوراة المحرفة بالطبع – فلما التقى إخوته واحتفى بهم ظل يشرب معهم حتى سكروا، وقال" قدموا طعاما" فقدموا له وحده، وقدموا لهم وحدهم، وقدموا للمصريين الآكلين وحدهم، لأن المصريين لا يقدرون أن يأكلوا طعاما مع العبرانيين، لأنه رجس عند المصريين، فجلسوا قدامه، البكر بحسب بكوريته، والصغير بحسب صغره، فبهت الرجال بعضهم إلى بعض، ورفع حصصا من قدامه إليهم، فكانت حصة بنيامين أكثر من حصص جميعهم خمسة أضعاف، وشربوا ورووا معه"[١].

هذا كلام لا يصدقه العقل، لما فيه من التناقضات والاختلافات في المعنى والمبنى، وكيف يصدق على نبي من أنبياء الله أنه يسكر ويشرب الخمر وهو يحمل رسالة إلهية، تحمل في طياتها شريعة ربانية، فيها هداية للناس ، وصرفهم عما يضرهم من الأمور المحرمة كالخمر وغيره، وكيف يصدق عليه أيضا أنه يظلم ويعتدي ويحرم الناس حقوقهم والله قد حرم الظلم وجعله بين عباده محرما، ونزه أنبياءه ورسله عن هذه الصفات الخبيثة، وأمرهم بالقسط والعدل؟ كما قال عز وجل ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾ النحل ٩٠.

إن مما يحاول المستشرقون فرضه على القرآن الكريم، هو المساواة بين قصصه التاريخي الحقيقي، وبين القصص الفني الخيالي البعيد عن الحقيقة ، مع أن البون شاسع ، والفرق كبير بين القصصين، فالقصص الفني الخيالي لا يتقيد بالحقائق التاريخية، بل نسج من الخيالات والأساطير وهذا هو حقيقة كتب التوراة والإنجيل المحرفة الموجودة بأيدي اليهود والنصارى اليوم، فكاتب القصة الفنية له الحق في استلهام وتضمين قصته بالأساطير والخيالات التي تثير اهتمام القارئ بما يريد، وبما يملكه من قوة وقدرة أدبية على التحليق بالقارئ في سماء الخيال الواسع الذي ينتهي بالقارئ في نهاية الأمر إلى الإفلاس الثقافي، فلا غبار عليه – حسب ما يعتقدون – إذا لم يتقيد بالحقائق التاريخية، ويلزم الصدق والواقع فيما يكتب، كما لا بأس عليه إذا ألف كلاما كله كذب وزور وعزاه إلى شخصيات تاريخية حتى ولو لم تقل به، أو أفعالا لم تقم بها،

[١] الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر التكوين ٤٣/٣١-٣٤، و موسوعة القرآن العظيم، د. عبدالمنعم الحفني، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص ٩٥٤.

وهذا كله من الحرية الفكرية والفنية التي لا تقيدها قيود، ولا تحكمها عدالة.

أما القصة في القرآن الكريم فإنها حقيقية ولا مجال ولا مكان فيها للخيالات ولا التناقضات ولا الأساطير، فكل قصص القرآن الكريم حقيقة لا شك فيه ولا مراء، وصدق خالص لن يجد فيه أحد مهما بلغ من القوة العلمي والفكرية أن يجد فيه مطعنا أو مدخلا لبث الشكوك ودس السموم، وذلك لأن القرآن الكريم كلام الله المحكم ﴿ لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ فصلت ٤٢، كتاب عظيم أنزله الله بالحق، وبالحق نزل كما قال تعالى ﴿ وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ الإسراء ١٠٥ ، لا يقبل بأية شبهة تثار حوله ولو قبل بها لانسحب ذلك على سائر مضامينه وقصصه، ولكن الله حفظه وسد كل أبواب الباطل وجعله سدا منيعا لا يمكن تجاوزه بحال، كما قال عز وجل ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ الحجر ٩.

وما دام القرآن بهذه الصفات وبهذه العناية الإلهية، فإن الأساطير والخيالات والتناقضات البشرية لن تجد إليه سبيلا ولا طريقا، فالقرآن الكريم وقصصه الحقيقي، والخيالات والأساطير ضدان متجافيان لا يمكن اجتماعهما أبدا كما لا يجتمع الماء والنار، والحق والباطل، يقول د. عبد الجواد المحص " هما ضدان لا يمكن اجتماعهما بحال من الأحوال، فإن الأسطورة حكاية تعيش منذ القدم، تقاليد قبيلة، أو جنس أو أمة، يتوارثها خلف عن سلف، وتدور حول الآلهة وأنصاف الآلهة والأحداث الخارقة، والأسطورة تنتمي إلى أشكال الحضارة القديمة، وترجع إلى مرحلة سابقة للعلم والفلسفة، فهي تفسر بمنطق العقل البدائي ظواهر الطبيعة والكون والإنسان ، ومما سبق يتبين لنا أن الزعم بأن قصة يوسف عليه السلام أو أن القرآن الكريم تضمن أحداثا أسطورية ، زعم لا دليل عليه"[1].

إن مما تميز به كتاب الله عز وجل القرآن الكريم أنه مصدر مهم وحقيقي من مصادر التاريخ الإسلامي، بل وتعدى ذلك لأن يكون مصدرا من أعظم مصادر التاريخ العالمي، فالقرآن الكريم لا يتحدث عن تاريخ الأنبياء الماضين السابقين وأقوامهم منذ خلق الله آدم عليه السلام وحتى مبعث نبينا مُحَمَّد ﷺ فحسب، بل إنه يعتني بأحداث تاريخية لا ترتبط بحال بتاريخ

[1] أباطيل الخصوم حول القرآن الكريم، ص ١٣٠-١٣١.

الأنبياء السابقين، ومثال ذلك عنايته بأول حادثة قتل عرفتها البشرية، والمتمثلة في قصة قابيل وهابيل ابني آدم ، كما في قوله تعالى ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ المائدة ٢٧، وكذلك قصة سبأ، وسيل العرم، كما قال سبحانه ﴿ لَقَدۡ كَانَ لِسَبَإٖ فِي مَسۡكَنِهِمۡ ءَايَةٞۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٖ وَشِمَالٖۖ كُلُواْ مِن رِّزۡقِ رَبِّكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥۚ بَلۡدَةٞ طَيِّبَةٞ وَرَبٌّ غَفُورٞ ﴿١٥﴾ فَأَعۡرَضُواْ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سَيۡلَ ٱلۡعَرِمِ وَبَدَّلۡنَٰهُم بِجَنَّتَيۡهِمۡ جَنَّتَيۡنِ ذَوَاتَيۡ أُكُلٍ خَمۡطٖ وَأَثۡلٖ وَشَيۡءٖ مِّن سِدۡرٖ قَلِيلٖ ﴿١٦﴾ ﴾ سبأ ١٥ - ١٦ ، وقصة أصحاب الكهف كما قال تعالى ﴿ أَمۡ حَسِبۡتَ أَنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡكَهۡفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنۡ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴾ الكهف ٩، وقصة أصحاب الأخدود كما قال جل شأنه ﴿ قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ﴾ البروج ٤ ، وكذلك قصة أصحاب الجنة في سورة القلم حيث أقسموا ليصرمنها[1] مصبحين، كما قال عز وجل ﴿ إِنَّا بَلَوۡنَٰهُمۡ كَمَا بَلَوۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ إِذۡ أَقۡسَمُواْ لَيَصۡرِمُنَّهَا مُصۡبِحِينَ ﴾ القلم ١٧ ، كل ذلك أورده القرآن الكريم عبر قصصه بكل صدق وواقعية تاريخية لم يعرف لها الكون مثيلا، بهدف استخلاص العبرة والعظة ، وأخذ الحيطة والحذر في كل زمان ومكان.

والقرآن الكريم بكامل مضامينه وقصصه قد سرد الأحداث التاريخية من خلال القصص بشكل إعجازي عظيم، لم يصل إليه كتاب قبله كان أو بعده، ومن أعظم ما يدل على ذلك أنه سلك منهجا خاصا ومستقلا، لا يخضع للمقاييس البشرية، ولا للخيالات الفنية، في كمال من الوضوح والبيان، منحة الصدارة والامتياز بأن يوصف بالكتاب المبين. يقول د. عبد الجواد المحص " إن القرآن الكريم وثيقة تاريخية من أعظم الوثائق، لأنه كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، والذي نخرج به أن القصص القرآني يخلو تمام الخلو من من سائر ما زعمه المستشرقون، فليس فيه-إطلاقا- مثقال ذرة من أخطاء التاريخ"[2] .

---

[1] ليصرمنها: أي يقطعون ثمارها ينظر الصحاح في اللغة للجوهري مادة صرم.

[2] أباطيل الخصوم حول القرآن الكريم، ص ١١٢-١١٤.

وأما زعمهم بأن الآية ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴾ الشورى ٥١ ، تعني أن الله كلم الرسولﷺ كفاحا دون وسيط، فهذا زعم باطل من أساسه، لا يدعمه دليل صحيح عند أهل التفسير، فالآية كما هو ظاهرها لا تعني الرسول ﷺ بصفة خاصة، بل تقرر أنواع الوحي للأنبياء والرسل جميعهم، يقول العلامة عبدالرحمن السعدي-رحمه الله- " لما قال المكذبون لرسل الله، الكافرون بالله ﴿ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ۗ ﴾ البقرة ١١٨ ، من كبرهم وتجبرهم، رد الله عليهم بهذه الآية الكريمة، وبين أن تكليمه تعالى، لا يكون إلا لخواص خلقه، للأنبياء والمرسلين، وصفوته من العالمين، وأنه يكون على أحد هذه الأوجه"[١] .

ومن هؤلاء الرسل عليهم الصلاة والسلام موسى عليه السلام فقد تحقق فيه كلام الله من وراء حجاب، وكلام الله لرسله من وراء حجاب هو لتنزيه الله تبارك وتعالى من أن يُرى بالأبصار في الحياة الدنيا، فهذه الآية الكريمة ليس فيها أي شبهة لتثار، ولكن هؤلاء المغالطون يتسمون بضيق الأفق الفكري، والعمى عن معرفة حقائق الأمور. إن من المقرر عند عامة المفسرين ، أن الآية الكريمة التي أورد المستشرقون فيها هذه الشبهة، تنص على أن الله تبارك وتعالى كلم من شاء من عباده على ثلاثة من الأوجه، وهي على النحو التالي:

الوجه الأول: عن طريق الوحي وهو الإعلام بطريقة سريعة وخفية، وذلك عن طريق الإلقاء في القلب سواء حال اليقظة أو حال المنام، وذلك يشمل الإلهام والرؤيا المنامية كما قال عز وجل ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ القصص ٧.

الوجه الثاني: الإسماع من وراء حاجز أو حجاب، وذلك أن يُسمع النبي أو الرسول كلاما دون أن يرى من يكلمه ويخاطبه، كما حدث مع موسى عليه السلام في قصة انكاك الجبل كما بين ذلك عز وجل بقوله ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ

[١] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٤/٤٣٤.

لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ الأعراف ١٤٣، وهذا هو المقصود بقوله تعالى ﴿ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ ﴾.

الوجه الثالث: أن يرسل رسولا أي ملكا ، ليبلغ الرسول ما أمره الله به أن يبلغه، وهذا هو المعني في قوله تعالى ﴿ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ ﴾.[1]

ومن خلال ما سبق يتبين لنا جليا، أن أنواع الوحي الثلاثة، هي كلام الله إلى عباده المصطفين من الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، وليست خاصة بنبيناﷺ بل لجميع الأنبياء والرسل، وأما قوله عز شأنه ﴿ أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ ﴾ ، فإن كان قد حدث للنبي مُحَمَّدﷺ فهو كلام الله لنبيه بالإسماع من وراء حاجز أو ستار، دون أن يرى المكَلّم من يكلمه، وهذا فيما نعلم لم يحصل إلا مع النبي مُحَمَّدﷺ ليلة الإسراء والمعراج، وسورة يوسف كانت وحيا من الله عن طريق إرسال جبريل عليه السلام، ولم تكن قصا مباشرا من الله إلى رسولهﷺ.

والخلاصة في الرد على هذه الفرية، أن قول المستشرقين وتلامذتهم في عالمنا العربي والإسلامي أن قصة يوسف عليه السلام في القرآن الكريم قصة أسطورية وخيالية، تهمة لا مستند عليها ولا دليل، ولا تتكئ على قاعدة علمية صحيحة، وما هي إلا مجرد إشاعة البلبلة والتشكيك حول القرآن الكريم وقصصه، والطعن في مصدريته، بهدف الصد عنه وعن انتشاره، والحد من تأثيره في الناس، وقد وردت هذه القصة بكامل تفاصيلها في القرآن الكريم بأجمل عبارة، وأوجز بيان، وأدق إعجاز، وردت على وجه الحقيقة، خالية من كل شك وريب وخيالات وتناقضات، تحكي واقعا ملموسا، وأحداثا حقيقية، دارت بين يوسف عليه السلام ووالده وإخوته، وامرأة العزيز، والملك وغير ذلك مما قصه الله علينا في أكمل صورة، لم يأت كتاب آخر بمثل ما أتى به القرآن الكريم، وصدق الله عز وجل حين قال ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ يوسف ٣، وحقا إنه أحسن القصص لما يُستخلص منه من العِبر والموعظ التي

---

[1] ينظر التفسير الوسيط، د. مُحَمَّد السيد طنطاوي، دار الرسالة، القاهرة، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، ٥٨/١٣-٥٩، و التحرير والتنوير، مُحَمَّد الطاهر عاشور، دار سحنون، تونس ، ١٩٨٤م، ١٤٠/١٢-١٤٥ ، و الجامع لأحكام القرآن، ٥٣/١٦.

تعود بالخير على المتدبر والمتفكر.

وإننا عندما نقارن بين كتب التوراة التي بين أيد اليهود اليوم وبين القرآن الكريم، لنجد أن التوراة هي بحق أساطير وكذب وخيالات موضوعة بأيدي البشر، ولم تعد بأي حال تلك التي نزلت صافية نقية مبشرة بمعجزة كبيرة وهي مبعث رسول الله ﷺ ، بل تناولتها الأيدي الآثمة بالتغيير والتبديل والتحريف، بينما القرآن الكريم خال تماما من هذه الأساطير والخيالات، بل يحكي عن حقائق يشهد لها التاريخ والواقع، ولم تستطع الأيدي البشرية أن تطاله بأي نوع من التحريف والتغيير، وذلك لأن الله أوكل حفظه إليه، فلم يستطع أحد أن يجد إليه مدخلا للتشكيك والتدليس، ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ الحجر ٩.

كما أن التوراة أوردت قصة يوسف عليه السلام في أسوأ حال وأبشع صورة، ووصمته بما لا يليق بنبي من أنبياء الله ورسله، بينما القرآن الكريم أعطاه الصورة الحقيقية التي تليق به، كنبي عصمه الله وصرفه عن كل فحشاء ومنكر. ثم إن الفرق شاسع بين القرآن الكريم كلام الله الحق، وبين القصص الفني المؤلَف من قبل البشر، فالقصص القرآني لا يأتي إلا بالحق والصدق والأحداث والصور كما هي، بينما القصص الفني يقلب الحقائق ويؤلف الخيالات ويتفنن في الكذب والافتراءات، ويحلق في كتاباته في بحر من المزايدات والمبالغات، بقصد جذب القارئ وإشغال وقته وفكره وعقله وتزويده فكريا بما لا ينتفع به ، فلا يجد فيها إلا غثاء فكريا بعيدا عن الحقائق العلمية الصحيحة.

وما جاء في قوله عز وجل ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ﴾ الشورى ٥١، فدلالته على تقرير أنواع الوحي، وليس مختصا بالنبيﷺ بل للأنبياء والرسل جميعهم، ولذلك كلَّم موسى عليه السلام ربه جل وعلا بدون واسطة ولكن من وراء حجاب، كما دلت عليه النصوص الأخرى كما في سورة الأعراف، بحيث لا يُرى المتكلم ولا المكَلَّم ، وبهذا يتبين بطلان هذه الشبهة كما وكيفا، وشكلا ومضمونا، وردا على أصحابها الذين ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ التوبة ٣٢ .

الشبهة التاسعة عشرة

أولا: عرض الشبهة وتوثيقها.

" زعمهم أن هذه الآيات ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ۝١٨ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٩ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ أَمۡ كَانَ مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ ۝٢٠ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابٗا شَدِيدًا أَوۡ لَأَاْذۡبَحَنَّهُۥٓ أَوۡ لَيَأۡتِيَنِّي بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ۝٢١ فَمَكَثَ غَيۡرَ بَعِيدٖ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ ۝٢٢ ﴾ النمل: ١٨ – ٢٢ ، اشتملت على أن النملة والهدهد تكلما بكلام لا يصدر ذلك الكلام إلا من العقلاء ، وذلك يجر إلي السفسطة ، فإنا لو جوزنا ذلك لما أمنا في النملة التي نشاهدها في زماننا هذا أن تكون أعلم بالهندسة من إقليدس وبالنحو من سيبويه ، وكذلك القول في القملة والصئبان ، ويجوز أن يكون فيهم الأنبياء والتكاليف والمعجزات ، ومعلوم أن من جوز ذلك كان إلى الجنون أقرب ، وأن سليمان عليه السلام كان بالشام ، فكيف طار الهدهد في تلك اللحظة اللطيفة من الشام إلى اليمن ، ثم رجع إليه، و كيف خفي على سليمان عليه السلام حال مثل تلك المملكة العظيمة مع ما يقال إن الجن والإنس كانوا في طاعة سليمان ، وأنه عليه السلام كان ملك الدنيا بالكلية ، وكان تحت راية بلقيس حال طيران الهدهد إلا مسيرة ثلاثة أيام ، ثم من أين حصل للهدهد معرفة الله تعالى ووجوب السجود له وإنكار سجودهم للشمس وإضافة ذلك إلى الشيطان وتزيينه "[١].

ثانيا: الرد عليها ردا إجماليا.

[١] الموسوعة الشاملة ٦/٣٨٥-٣٨٧.

يسعى الكثير من المستشرقين وتلامذتهم في العالمين العربي والإسلامي، إلى كل ما من شأنه الصد عن الإسلام والقرآن الكريم بإثارة الشُبه والأقاويل والشكوك، فلم يتركوا شيئا من مضامين القرآن الكريم إلا بثوا فيه سمومهم وخصوصا فيما يتصل بالقصص ، فالشبهة التي أثاروها هنا تجاه سليمان عليه السلام وبلقيس ملكة سبأ والنملة والهدهد، تتضمن فروعا يحتاج كل فرع منها ردا مستقلا، وقد رد العلماء والدعاة عليها ردودا منهم من أجمل ومنهم من فصل، ومن هؤلاء الإمام الرازي حيث قسم هذه الشبهة إلى عدة جوانب، ومنها:

أولا: أن هذه الآيات اشتملت على أن النملة والهدهد تكلما بكلام لا يصدر ذلك الكلام إلا من العقلاء ، وذلك يجر إلي السفسطة ، فإنا لو جوزنا ذلك لما أمنا في النملة التي نشاهدها في زماننا هذا أن تكون أعلم بالهندسة من إقليدس وبالنحو من سيبويه ، وكذلك القول في القملة والصئبان ، ويجوز أن يكون فيهم الأنبياء والتكاليف والمعجزات ، ومعلوم أن من جوز ذلك كان إلى الجنون أقرب .

ثانيا: أن سليمان عليه السلام كان بالشام ، فكيف طار الهدد في تلك اللحظة اللطيفة من الشام إلى اليمن ، ثم رجع إليه .

ثالثا: كيف خفي على سليمان عليه السلام حال مثل تلك المملكة العظيمة مع ما يقال إن الجن والإنس كانوا في طاعة سليمان ، وأنه عليه السلام كان ملك الدنيا بالكلية ، وكان تحت راية بلقيس حال طيران الهدهد إلا مسيرة ثلاثة أيام ؟.

رابعا: من أين حصل للهدهد معرفة الله تعالى ووجوب السجود له وإنكار سجودهم للشمس وإضافة إلى الشيطان وتزينه ؟[١] .

وقد أجاب جوابا في غاية القِصَر والاختصار، ولكنه لا يشفي ولا يكفي بحال لجميع فروع الشبهة، والتي تحتاج إلى شيء من الإسهاب وبسط الأدلة في الرد، فجوابه لا يرد الشبهة ويبطلها، بل قد يتيح للمغالطين الاستفادة من ذلك والاستمراء في بث السموم والنيل من الإسلام والقرآن، وكان مضمون جوابه وقوله كالتالي:

"والجواب على الأول : أن ذلك الاحتمال قائم في أول العقل ، وإنما يدفع ذلك بالإجماع .

وعن البواقي : أن الإيمان بافتقار العالم إلى المختار يزيل هذه الشكوك.[٢]

---

[١]مفاتيح الغيب ٢٤/١٩٠-١٩١.

[٢] المرجع السابق ٢٤/٩١٠.

هذا ما رد به الرازي على هذه الطعون ، وهو رد مجمل قاصر يكاد يُسَلِّم – بعد هذه الطعون الفصلة – بالعجز على الرد المفصل القوي ، مما يذكرنا بما قيل عن الرازي أنه – مع علمه وفضله – كان يذكر الطعون مفصلة ولا يورد معها – أحيانا – ما يكافئها من الجواب ، مما فتح مجالا أمام متبعي الشبهات للاستدلال على طعونهم بما أورده الرازي ولم يفلح – مع كبير علمه – في الرد المقنع عليه [1].

هذه الشبهة وتلك الطعون التي أثارها المستشرقون أمثال د. مُحَمَّد خلف الله، كلها افتراءات لا تقوم بها حجة، ولا يستقيم بها دليل، ولا تستند على أبسط قواعد البحث العلمي الصحيحة، مفتقرة إلى الحيادية والعدل والإنصاف، ولا يمكن بحال أن تطعن في مضامين الكتاب العزيز، ولكي نستطيع الرد برد مناسب يبطل مضامين هذه الفرية، لا بد أن نُجَزِئ ما جاء فيها من تهم ونرد عليها:

أولا: تعرض المغالطون لقضية أن النملة والهدهد تكلما بكلام لا يصدر ذلك الكلام إلا من العقلاء ، ولم يدركوا أن الله الذي خلق الهدهد والنملة بداية قادر على إنطاقهما بلغة يفهمها نبي الله سليمان عليه السلام، وهذا أمر يمكن وقوعه، وسياق الآيات يدل على وقوع ذلك كواقعا ملموسا، والله عز وجل يطلع رسله وأنبياءه على ما يشاء وبما يشاء، كما قال عز وجل ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ النمل ١٨ – ١٩ ، ولذلك فقد أصبح من المقطوع به الآن عند العلماء الذين يدرسون سلوك أنواع الطير والحيوان والحشرات ، أن لكل منها لغة تقوم مقام اللغة المعهودة عند البشر ، في التعبير ونقل الأحاسيس والمعارف ، على نحو ما ماتزال تفاصيله مجهولة من البشر ، لكن المقطوع به من شواهد كثيرة جداً أن لكل منها نوعاً من اللغة يتم به الاتصال بين أفراده ، وقد سجل بعض العلماء تسجيلات صوتية لأنواع من الطيور في حالة الفزع نقلت إليهم – في غاية من الوضوح – هذه المشاعر والمعاني ، وقد استخدم هذا تجريبيا

[1] ينظر المفصل في الرد على شبهات أعداء الإسلام، د. علي بن نايف الشحود، الموسوعة الشاملة ١٤٢٨هـ، ٣٨٥/٦.

في زجر الطير لاقط الحب عن أماكن هذه الحبوب بإذاعة تسجيلات التحذير والفزع، والعلماء الآن يحاولون التعرف على منطق بعض الطير .[1]

ومن هذا المنطلق العلمي، يتبين لنا أنه ما من شك في أن كل نوع من الأحياء له لغة خاصة بأفراده يتم التواصل والاتصال بها ، وهذا أمر واضح لكل من يراقب سلوك الطيور والحشرات ،بل لم يعد الأمر مقتصرا على الحيوانات، بل تعدى إلى الأشجار والنبات، إن بعض العلماء يذهبون إلى أن أنواع النبات هي الأخرى تملك لغة واتصالاً فيما بينها ، على نحو ما – مما لا يتسع المجال لتقرير القول فيه ، ولا يتطلبه.[2]

فما المانع إذا أن تتكلم النملة أو يتكلم الهدهد، بما يفهمه سليمان عليه السلام، وما الضير في ذلك، ففي الآيات التي سبقت قصة كلام النملة والهدهد، أخبرنا الله عز وجل أنه علم سليمان منطق الطير، وما تعنيه من الكلام فقال عز وجل ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴾ النمل ١٦، فهذا فضل من الله ومعجزة وهبها سليمان عليه السلام، لينبئنا عز وجل بقدرته المطلقة في فعل ما يشاء ولمن يشاء، وهذه من الدلالة القاطعة على صدق دعوة رسل الله ، يقول ابن كثير –رحمه الله– " أي أخبر سليمان بنعم الله عليه فيما وهبه له من الملك التام والتمكين العظيم، حتى إنه سخر له الإنس والجن والطير، وكان يعرف لغة الطير والحيوان أيضا، وهذا شيء لم يعطه أحد من البشر فيما علمناه، مما أخبر الله به ورسوله"[3].

ولقد أثبت القرآن الكريم أن جميع المخلوقات تحمل لغات تختص بها أودعها الله في فطرتها وخلقتها، ولا يفقه هذه اللغات إلا هو كما قال عز وجل ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ الإسراء ٤٤، يقول العلامة عبدالرحمن السعدي–رحمه الله– " (تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن، وإن من شيء) من حيوان ناطق ، وغير ناطق، ومن أشجار،

[1] ينظر المفصل في الرد على شبهات أعداء الإسلام، الموسوعة الشاملة ٣٨٦/٦.
[2] المرجع السابق ٣٨٦/٦.
[3] تفسير ابن كثير ٣٣٦/٣.

ونبات، وجامد، وحي وميت، إلا يسبح بحمده بلسان الحال والمقال (ولكن لا تفقهون تسبيحهم) أي تسبيح باقي المخلوقات، التي على غير لغتكم، بل يحيط بها علام الغيوب"[١].

ولقد أثبت العلم التجريبي صدق ما جاء به القرآن الكريم، فإن من يراقب سلوك الطير والحشرات فسوف يدرك بغاية من الوضوح أن سلوكهم يجرى على نظم من الوعى والتدبير والعمل من أجل غايات تهديهم إليها غرائزهم وفطرهم ، ومن ينكر شيئا من ذلك أو يرى الأمر غريبا فاليقرأ شيء عن سلوك الحشرات والطيور في كتب العلم التجريبي ، وسوف يذهله ما يقرأ ، وخير شاهد على ذلك ما نراه في مملكة النحل، مما حباه الله من نظام عملي دقيق، وتواصل حثيث بالصوت والكلام والرموز والحركات والتجمهر على الرحيق، التي لا يعلمها إلا الله عز وجل كما قال عز وجل ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ النحل ٦٨ - ٦٩ ، يقول البروفيسور فون فرش[٢] " أن للنحل نظاما دقيقا في تعامُله، يوازي النُّظم البشرية، ويتحداها في التنظيم وتوزيع الأعمال والأدوار، وحُسن التعاون، وقد بات معروفا الآن أمْرُ اللغة التي تتمُّ بين النحل داخل الخلية وخارجها، والمعروف أنَّ هذه الخلية تضمُّ الشغَّالات والملِكات، والذكور والجنود"[٣] .

أو ما نراه في عالم النمل وقراه التي ينشئها ، والنمل أنواع عديدة تربو على ستمائة نوع، وهو يعيش داخل أوكار يَبنيها بنفسه من الرمال، أو في شقوق حجرية، يُخزِّن فيها طعامه، ويتم التفاهم بين النمل بحاستي الشمِّ واللمس، أمَّا حاسَّة البصر، فهي ضعيفة لديه،

---

[١] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ١١١/٣.

[٢] كارل فون فريش (بالألمانية: Karl von Frisch) عالم سلوك حيواني نمساوي (٢٠ نوفمبر ١٨٨٦ - ١٢ يونيو ١٩٨٢) حائز على جائزة نوبل في الطب أو الفيزيولوجيا عام ١٩٧٣ مشاركة مع كل من لورنتس وتينبرغن، عمله تركز على التحقيقات في التصورات الحسية لنحل العسل، وكان واحدا من أول مترجمي معنى رقصة النحل الاهتزازية. كانت نظريته محل نزاع من قبل علماء آخرين وقبلت بارتياب في تلك الحقبة. مؤخرا فقط ثبت بشكل قاطع أنها تحليل نظري دقيق، ينظر الموسوعة الحرة ويكيبيديا.

[٣] Karl Von Frisch: Tanzsprache und orientierung der Bienen (Berlin Heideiberg. New York 1965

نظرًا لأنه يقضي معظم حياته في ظلام الوكر الدامس، وقد عوَّضه الله تعالى حساسية قوية في الشم، تستطيع تمييز رائحة الإفرازات التي فرَزها أفراد الوكر الواحد، يقوم النمل – في سبيل الحصول على الغذاء – برسم علامات وإشارات على الطريق؛ ليَسترشدَ باقي النمل إلى سلوك هذا الطريق الموصل إلى الغذاء، وهذا العلامات هي مواد كيميائيَّة تُفرزها غُدد خاصة في رأس النملة أو في شَرجها، وقد قام بعض العلماء مثل Wilson[1] بتجارب على النمل، أثبَتَت أن الغُدة المسماة "دوفور" في نمل الميرنيسين، تُفرز مادة قلوية ذات رائحة مميَّزة، تَخطُّها على الأرض إبرة في أسفل بطن النملة، وتتبادل النملات العاملات تخطيطَ الطريق، فترسم الواحدة خطًّا طوله قرابة نصف متر، وتتولَّى أخرى، وثالثة.[2] وما هذه المعجزات الإلهية إلا مصداقا لقول الله تبارك وتعالى ﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ طه ٥٠ ، وقوله سبحانه ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطۡنَا فِى ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَىۡءٍۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ ﴾ الأنعام ٣٨ ، وهو الذي تدل عليه بحق كافة مشاهدات العلماء المحققين ، والمتشكك في ذلك إنما هو المستحق لسخرية الساخرين ، فما العجب إذن في أن تتكلم نملة ويتكلم هدهد ؟ وما العجب في أن يفهم عنهما من عرف لغة كل منهما ؟ .

والقرآن الكريم لم يجر إلى شيء من السفسطة– كما يزعمه المغالطون– وما قال بشيء منها، إنما قال بحقيقة هذه الأنواع من الحيوانات، وهي أن لها منطقا وحركات واتصالات فيما بينها، بما لا يعرف مكنونها إلا من أكرمه الله بذلك مثل سليمان عليه السلام، والعلم التجريبي بالملاحظة والدراسة والمراقبة ، قد علم ما أشار إليه القرآن الكريم، أما علم الهندسة ، والنحو ، والتكاليف ، والمعجزات، فإنما هو من قول الملاحدة الذي يرد عليهم ، لأننا لا نحمل القرآن الكريم إلا ما نطق به لا ما قام في أوهام أولئك المغالطون.[3]

---

[1] إدوارد أوسبورن ويلسون (بالإنجليزية: Edward Osborne Wilson) عالم أحياء أمريكي ولد في برمنغهام، ألاباما، الولايات المتحدة في ١٠ يونيو ١٩٢٩، اشتهر ويلسون بعمله في مجالات التطور،وعلم الحشرات وعلم الاجتماع الحيوي. ويعد من أبرز المتخصصين في حياة النمل واستخدامه للفيرومونات كنوع من وسائل الاتصال، ينظر الموسوعة الحرة ويكيبيديا.

[2] ينظر شبكة الألوكة الالكترونية ، بقلم عيسى أمين الدخول الأحد ١٤٣٦/٧/٧هـ الساعة الخامسة مساء.

[3] ينظر المفصل في الرد على شبهات أعداء الإسلام، الموسوعة الشاملة ٣٨٧/٦.

وفي قضية طيران الهدهد من الشام إلى اليمن، يثير المستشرقون الشبهة حول مدة طيرانه ، ويقولون كيف يقطع هذه المسافة في مدة لطيفة من الشام إلى اليمن ويعود، فنقول هذا استفهام باطل وفي غير مكانه، إذ لو فهموا منطق القرآن الكريم على أصوله فهما صحيحا لزال اللبس، فالقرآن الكريم لم يذكر ويصرح بوقت معين لهذا الطيران، والذي ورد في القرآن الكريم عنه ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ ﴾ النمل ٢٢ ، ففي هذه الآية لم يحدد القرآن الكريم وقتا معينا بلحظة أو خلافها لطيران ومكوث الهدهد –كما يتوهمه المبطلون- ولا يفهم من " غير بعيد " في سياقها إلا مدة تكفي للطيران ، وقد قرئت هذه الآية على مسامع العرب من المشركين في عصر الرسالة – وهم أعلم باللغة ، وكانوا يعرفون اليمن والشام – فما أثاروا – فيما علمنا – هذا الاعتراض ، فعلم منه أن التعبير القرآني يخلوا عن دواعي اعتراض هؤلاء المشككون .

أما قولهم كيف خفي على سليمان عليه السلام حال مملكة سبأ ، فإن القرآن الكريم لم يصف سليمان عليه السلام بأنه كان يعلم الغيب ، وقد كان هذا غيبا بالنسبة إليه ، وفي علم الله الذي يعلم الغيب، وليس لأحد من عباده أن يعلم الغيب إلا أن يطلعه الله بقدرته عليه، كما هو حال الأنبياء والرسل، فيطلع الله من يشاء منهم على ما يريد وما تقتضيه الحاجة والمصلحة، كما قال عز وجل ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾ آل عمران ١٧٩ ، وقوله سبحانه ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ﴾ الأنعام ٥٩ ، وليس فيما وصف القرآن الكريم به سليمان عليه السلام إلا تسخير الرياح والشياطين وتعليم منطق الطير وإيتاء الملك الذي لا ينبغي لأحد بعده ، لكن ليس فيه شيء من وصفه بعلم غير ما علمه الله له ، كما قال تعالى ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ ﴾ ص ٣٥ - ٣٨ ، فما العجب في أن تكون في الأرض أشياء وممالك كان سليمان – مع عظمة ما أعطاه الله له

– يجهلها ؟ إن القرآن الكريم لا يذكر شيئا عن أن سليمان – عليه السلام – كان ملك الدنيا كلها بأكملها – كما يزعم هؤلاء الطاعنون – ولعل مستندهم في هذا إنما هو بعض المبالغات الإسرائيلية التي لم يرد لها ذكر في الوحي القرآني .

وإذا كانوا قد فهموا من قول الله تبارك وتعالى ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ النمل ١٧ ، فهم بطبيعة الحال لا يلمون باللغة العربية ، ولا يتقنون ويفهمون أساليبها ، فإن (من) في قوله تعالى ﴿ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ ﴾ للتبعيض ، وليس المعنى أن كل الأنس – دون استثناء – كانوا تحت ملكه ، ولعل مما حدا بأولئك الطاعنون إلى القول بهذا، هو أن ملكة سبأ كان تحت رايتها اثنا عشر ألف ملك، تحت راية كل ملك منهم مائة ألف، ولكن بالنظر إلى نصوص القرآن الكريم، لا نجد فيه نصا يشير من قريب أو بعيد إلى هذا الإحصاء، ثم إن العدد المذكور عندهم أكثر بكثير مما يمكن أن يكون موجودا في ذلك الوقت، وهذا يدل على تعلقهم وتشبثهم بالإسرائيليات المنقولة والموضوعة التي لا تصح، وهذا يذكرنا بالنقد التاريخي لابن خلدون للمبالغات التي يقع فيها المؤرخون القدماء ، والأخطاء التي تقع فيها الأمة عند كتابة تاريخها[١]، فلماذا نُحمل القرآن الكريم هذه الأخطاء وتلك المبالغات التي لم تعرض لها إطلاقاً ؟.

فكون سليمان عليه السلام يجهل أمر ملكة سبأ وما تملكه، رغم ما من الله به عليه من العلم والمعرفة والقوة والجنود من الجن والإنس وغيرهم، فهذا أمر طبيعي ولا عجب فيه، لأن الله جل وعلا لم يمكنه من كل ما في الأرض من العلوم والمعارف، التي لا يحيط بها إلا هو عز وجل، ولم تكن هناك اتصالات منتظمة بين الممالك بحيث تعرف كل منها الأخرى ، وتتصل بها على النحو الذي نعهده في عصرنا والذي حدث بعد ذلك بحكم التطور العمراني ، ولم تكن الجن التي سخرت لسليمان عليه السلام أيضا تعرف الغيب كما في قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴾ سبأ ١٤، يقول ابن كثير–رحمه الله– " يذكر تعالى موت سليمان عليه السلام، وكيف عمى الله موته على

[١] ينظر مقدمة ابن خلدون ص ٤.

الجان المسخرين له في الأعمال الشاقة ، فإنه مكث مكوثا على عصاه، وهي منسأته، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد والحسن وقتادة وغير واحد مدة طويلة، فلما أكلتها دابة الأرض ، وهي الأرضة، ضعفت وسقطت إلى الأرض، وعُلم أنه مات قبل ذلك بمدة طويلة، وتبينت الإنس والجن أيضا أن الجن لا يعلمون الغيب كما كانوا يتوهمون ويوهمون الناس ذلك"[١].

وأما بخصوص إنكار أولئك المبطلون معرفة الهدهد بالله ووجوب السجود له، وإنكاره للسجود لغير الله تعالى، وجعل ذلك-أي السجود لغير الله- من أعمال إبليس وجنوده، ، فالهدهد جعله الله مجندا لخدمة سليمان عليه السلام، ومسخرا له، والآيات تتحدث عن أمور غيبية لا يعلمها إلا الله، تختلف تماما عن معرفة البشر بأحوال الطيور والحشرات وغيرها، فجميع المخلوقات فطرها الله جل وعلا على فطر سليمة، وهذه الفطر تهديها إلى معرفة خالقها ووجوب السجود له وذكره والتسبيح له، وليس هناك ما يمنع حصول ذلك، والدليل على ذلك جاء في القرآن الكريم، كما قال عز وجل ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴾ النحل ٤٨ ، يقول العلامة عبدالرحمن السعدي-رحمه الله- " أي اولم يرى الشاكون في توحيد ربهم وعظمته وكماله، إلى ما خلق الله من جميع المخلوقات كلها ساجدة لربها، خاضعة لعظمته وجلاله"[٢] ، وقوله سبحانه ﴿ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴾ الرحمن ٦ ، وقوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ النور ٤١ ، يقول الإمام الطبري-رحمه الله- " أي ألم تنظر يا محمّد بعين قلبك فتعلم أن الله يصلي له من في السماوات والأرض من ملك وإنس وجن، ﴿ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ ﴾ في الهواء أيضا تسبح له، إن الصلاة لبني آدم والتسبيح لغيرهم من الخلق"[٣]، فما المانع بعد هذا كله أن يكون الهدهد من جند سليمان عليه السلام عارفا لوجوب السجود لله تعالى وحده منكرا السجود لغيره ؟.

---

[١] تفسير ابن كثير ٤٩٣/٣.

[٢] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٦٣/٣.

[٣] تفسير الطبري ٦٠٧١/٧.

إن القدرة العقلية والبدنية والتجريبية عند البشر، لا تصل إلى حد معرفة الأخبار الغيبية، وذلك لتجاوزها حدود العلم والمعرفة لدى البشر، يقول د. علي بن نايف الشحود " إن القضية فيما نرى قضية إخبار عن الغيب لا تصل معرفة البشر التجريبية أو العقلية إلى شيء يستند إليه إنكار هذا الإخبار الذي يجاوز حدود هذه المعرفة ، فالمؤمنون بالغيب وبصدق الوحي القرآني يؤمنون به ، والمكذبون ينكرون بكل ما لا يقع منهم تحت حس مباشر أو تجربة مادية ، لكنهم في مثل هذه القضايا الغيبية لا مستند لهم في إنكارهم إلا محض الشك والتكذيب وقياس الغائب على الشاهد وتحكيم عقولهم القاصرة فيما هو من علم الغيب ، ولسنا نملك لهؤلاء وسيلة تحملهم على الإيمان بالغيب وعدم قياس الأمور فيه على علم الشهادة البشرية ، ﴿ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾ المائدة ٤١.

والخلاصة في ذلك أن قصة سليمان عليه السلام وقصة الهدهد والنملة، كلها قصص حقيقي، تحكي أحداثا واقعية حصلت بالفعل بين يدي سليمان عليه السلام، وأن كلام النملة والهدهد باللغة التي فطرهما الله تبارك وتعالى عليها ، وتمكين سليمان عليه السلام من معرفتها وما ترمي إليه، أمر واقعي وطبيعي، فإن الخالق الدبر سبحانه وتعالى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، وخلق كل شيء ويسر له معاشه وحياته ونهايته كما قال سبحانه ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ﴾ القمر ٤٩ ، وقد أثبت العلم والبحوث العلمية التجريبية ما جاء به القرآن الكريم من الإعجاز العظيم، في قضية الاتصال والتواصل بين المخلوقات بداية من الإنس فالجن ثم بقية المخلوقات، وكل له لغته واتصالاته الخاصة، ومكن من يشاء من عباده كأنبيائه ورسله من معرفة كلام هذه المخلوقات، كما حصل لسليمان مع النملة والهدهد.

ويتبين للباحث أيضا أن ما أورده الملاحدة من المستشرقين وغيرهم ممن سار على منهجهم واتبع طريقهم وملتهم، من الطعون والشبه والافتراءات والإنكار، لما ورد في قصة سليمان عليه السلام وكلام النملة والهدهد وغيرها مما ورد في القصة ، طعون باطلة وشبه زاهقة وافتراءات قد تهاوت وتلاشت أما الأدلة النقلية والعقلية، واستبانت أهداف أصحابها من النيل

من الإسلام والقرآن والصد عن سبيل الله، غذ لم يأتوا بما يثبت دعواهم من دليل يستساغ الاعتماد عليه، وصدق الله حين قال ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ الإسراء ٨١.[١]

[١] ينظر مدخل إلى التفسير وعلوم القرآن، د. عبد الجواد خلف، دار البيان ، القاهرة، ٢٠٠٣ م، ص ٢٣٦.

الشبهة العشرون

أولا: عرض الشبهة وتوثيقها.

" يزعم المستشرقون أن شخصيّة ذي القرنين المذكورة في القرآن هي في الحقيقة شخصية الاسكندر الأكبر ، الاسم إسكندر نفسه لم يرد في القرآن ، و ذو القرنين كان شخصية معروفة جدا في آداب القاطنين الأول في جزيرة العرب في القرون الوسطى ، وهو مذكور في القرآن الكتاب المقدّس للإسلام، و يعتبر ذو القرنين عند بعض المسلمين نبيا، "[١] .

ثانيا: الرد عليها ردا إجماليا.

وردت قصة ذي القرنين في أوجز عبارة، وأجمل أسلوب، وأدق حدث، في القرآن الكريم، قصة واقعية، لا خيال فيها ولا زور ولا كذب، خالية من التناقض والتضارب، إذ أخبرنا الله تعالى عن بلوغ ذا القرنين مشارق الأرض ومغاربها، وبنائه لسد يأجوج ومأجوج، على أحدث بناء ، وأقوى مصد في ذلك الحين، وبشكل هندسي رائع بإلهام وتوفيق من الله عز وجل، لم تكن قصته من الأساطير كما يتأوله ويفتريه المغالطون من المستشرقين، بل هي من القصص الحق الذي تولى الله قصه على نبيهﷺ عن طريق جبريل عليه السلام، كما قال سبحانه ﴿ **إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡقَصَصُ ٱلۡحَقُّۚ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ** ﴾ آل عمران ٦٢ .

لقد كان ذو القرنين ملكا عادلا وصالحا ، بلغ ملكه المشرق والمغرب، وهبه الله تعالى القوة والقدرة على السير في الأرض وقطع مسافاتها شرقا وغربا، وقد روي عن ابن عباس، قال: "ملك الأرض مؤمنان: سليمان، وذو القرنين، وكافران: نمرود، وبختنصر"[٢] ، وقد وصفة القرآن بالإيمان والصلاح ، فقد كان مؤمنا موحدا لله تبارك وتعالى، ولم يحدد القرآن الكريم له

---

[١] موسوعة بيان الإسلام للرد على الافتراءات والشبهات، ج٧ ص ٢٧٥-٢٨١، والموسوعة الحرة ويكيبيديا ar.wikipedia.org/wiki الدخول الساعة الواحدة ظهرا من يوم الثلاثاء ١٤٣٦/٧/٩هـ.

[٢] تهذيب الأسماء والصفات، العلامة أبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي ، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٠م، ٣٢٩/١.

اسما معينا صريحا، بل لقبه بذي القرنين، كما قال عز وجل ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴾ الكهف ٨٣، وقوله تعالى ﴿ قَالُوا۟ يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴾ الكهف ٩٤، وليس هو الاسكندر الأكبر المقدوني كما يدعيه المستشرقون والمغالطون، فلم يثبت له عند العلماء المحققين ، ولا في السير والتاريخ اسما صريح وصحيحا، وما تداوله الباحثون والمستشرقون لا يقوم على دليل صحيح يُعتد به، ويُتكأ عليه.

ثالثا: الرد عليها ردا تفصيليا.

ذكر الله تعالى قصة ذي القرنين في القرآن الكريم، وبين أحواله، كما قال عز وجل ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ ﴾ الكهف ٨٣ – ٨٤، يذكر ابن كثير –رحمه الله– عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بعثت قريش النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار يهود بالمدينة، فقالوا لهم: سلوهم عن مُحَمَّد وصفوا لهم صفته وأخبروهم بقوله، فإنهم أهل الكتاب الأول، وعندهم علم ما ليس عندنا من علم الأنبياء، فخرجا حتى قدما المدينة فسألوا أحبار يهود عن رسول الله ﷺ ووصفوا لهم أمره وبعض قوله، وقالا: إنكم أهل التوراة، وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا، قال، فقالت لهم: سلوه عن ثلاث نأمركم بهن، فإن أخبركم بهن، فهو نبي مرسل، وإن لم يفعل، فالرجل متقول، فروا فيه رأيكم، سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان من أمرهم، فإنهم قد كان لهم شأن عجيب. وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها، ما كان نبؤه؟ وسلوه عن الروح ما هو؟ فإن أخبركم بذلك، فهو نبي فاتبعوه، وإن لم يخبركم فإنه رجل متقول، فاصنعوا في أمره ما بدا لكم، فأقبل النضر وعقبة حتى قدما على قريش، فقالا: يا معشر قريش قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين مُحَمَّد، قد أمرنا أحبار يهود أن نسأله عن أمور، فأخبروهم بها، فجاءوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا مُحَمَّد أخبرنا، فسألوه عما أمروهم به، فقال لهم رسول الله ﷺ أخبركم غدا عما سألتم عنه ولم يستثن، فانصرفوا عنه، ومكث رسول الله ﷺ خمس عشرة ليلة لا يحدث الله له في ذلك وحيا، ولا يأتيه جبريل عليه الصلاة والسلام، حتى أرجف أهل مكة وقالوا: وعدنا مُحَمَّد غدا واليوم خمس عشرة ليلة، وقد

أصبحنا فيها ولا يخبرنا بشيء عما سألناه، وحتى أحزن رسول الله ﷺ مكث الوحي عنه، وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة، ثم جاءه جبريل عليه الصلاة والسلام من الله عز وجل بسورة أصحاب الكهف، فيها معاتبته إياه على حزنه عليهم وخبر ما سألوه عنه من أمر الفتية، والرجل الطواف، وقول الله عز وجل ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ﴾ .[1]

وأثنى الله عليه بالصلاح والإيمان والعدل فقد كان مؤمنا موحدا لله جل وعلا كما قال عز وجل ﴿ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ الكهف ٨٧ – ٨٨، وبين لنا عز وجل أن ذا القرنين ملك الأرض من مشرقها لمغربها، فعن ابن عباس، قال: "ملك الأرض مؤمنان: سليمان، وذو القرنين، وكافران: نمرود، وبختنصر"[2] وأعطاه القدرة والقوة على المسير فيها وقطعها ، ملك الأقاليم والأمصار ، وقهر أهلها ، وحكم فيهم بالعدل والقسط، فكان ملكا من الملوك العادلين، وقد ذكر ابن كثير –رحمه الله– أثرا عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله " كان ذو القرنين ملكا صالحا ، رضي الله عمله ، وأثنى عليه في كتابه ، وكان منصورا ، وكان الخضر وزيره، وذكر أن الخضر ، عليه السلام ، كان على مقدمة جيشه وكان عنده بمنزلة المشاور ، الذي هو من الملك بمنزلة الوزير في إصلاح الناس اليوم ، وقد ذكر الأزرقي وغيره ، أن ذا القرنين أسلم على يدي إبراهيم الخليل ، وطاف معه بالكعبة المكرمة هو وإسماعيل ، عليه السلام "[3] .

وروي عن عبيد بن عمير ، وابنه عبد الله وغيرهما ، أن ذا القرنين حج ماشيا ، وأن إبراهيم لما سمع بقدومه تلقاه ودعا له ورضاه ، وأن الله سخر لذي القرنين السحاب يحمله حيث أراد . والله أعلم .[4] واختلف العلماء في كونه نبيا أو ملكا أو عبد صالحا، ولكن سياق الآيات يبين أنه ملكا صالحا ملكه الله المشارق والمغارب من الأرض، وعلمه مما يشاء من

---

[1] ينظر تفسير ابن كثير ٩٥/٣.

[2] تهذيب الأسماء والصفات، ٣٢٩/١.

[3] البداية والنهاية ٥٣٨/٢.

[4] ينظر المرجع السابق ٥٣٨/٢.

اللغات وغيرها، كما قال عز وجل ﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ شَيۡءٖ سَبَبٗا ﴾ الكهف ٨٤ ، يقول ابن كثير –رحمه الله– " أي أعطيناه ملكا عظيما مكناه فيه من جميع ما يؤتى الملوك من التمكين والجنود وآلات الحرب والحصارات، ولهذا ملك المشارق والمغارب من الأرض، ودانت له البلاد، وخضعت له ملوك العباد، وخدمته الأمم من العرب والعجم، وأعطي الألسنة، فكان لا يغزوا قوما إلا كلمهم بلسانهم"[١] .

وقد ذكر ابن حجر–رحمه الله– أنه كان من الملوك وعليه الأكثر.[٢] وقد روي عن ابن عباس، قوله "ملك الأرض مؤمنان: سليمان، وذو القرنين، وكافران: نمرود، وبختنصر"[٣] ، وأما اسم ذي القرنين فقد اختلف فيه العلماء والمفسرون أيضا فمنهم من قال هو الصعب بن ذي يزن الحميري ، وقيل هو المنذر ملك الحيرة، وقيل الصعب بن القرن من ملوك حِمْير، وقيل هو الاسكندر الأكبر، وذكر ابن حجر في الفتح أن الأول هو الأشبه المذكور في القرآن الكريم بدليل ما ذُكر من ترجمة الخضر ، حيث جرى ذكره في قصة موسى أنه كان على مقدمة ذي القرنين ، وقد ثبتت قصة الخضر مع موسى، وموسى كان قبل زمن عيسى.[٤]

والحقيقية أنه لم يقم دليل من القرآن الكريم ولا من صحيح السنة الشريفة فيما نعلم يثبت لنا اسما صريحا معينا لذي القرنين، ولا يخفى أن تلك التفسيرات لم يقم على واحد منها دليل يجب الأخذ به وبذلك يبقى الأمر أمرا غيبيا يكون علمه عند الله عز وجل. وأما السبب في تلقيبه بذي القرنين، فقيل في ذلك أيضا أقوالا وتفسيرات للعلماء والمفسرين، فمنهم من قال لأنه بلغ قرن الشمس من مطلعها، وقرنها من مغربها، فسمي لذلك ذا القرنين وقيل لأنه كان له ضفيرتان من شعر، والضفائر تسمى قرونا، وقيل كان له قرنان تحت عمامته، وقيل غير ذلك[٥]، وهذا كسابقه أيضا يبقى من الأمور الغيبية التي لا يعلمها إلا الله تبارك وتعالى، فنسلم

---

[١] تفسير ابن كثير ٩٥/٣–٩٦.

[٢] ينظر فتح الباري، شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٧٩هـ، ٣٨٣/٦.

[٣] تهذيب الأسماء والصفات ٣٢٩/١.

[٤] ينظر المرجع السابق ٤٤٢/٦–٤٤٣.

[٥] ينظر سبل الهدى والرشاد في هدي خير العباد، مُحَمَّد بن يوسف الصالحي الشامي، دار الكتاب المصري، القاهرة، = ١٤٠٧هـ–١٩٨٦م، ٤٦٤/٢٢.

بما ورد في القرآن ولا نتجاوزه إلا بدليل صحيح يدل عليه، ولم يرد فيما نعلم دليل يصلح للاحتجاج يبين سبب تلقيبه بذي القرنين.

وقد أخبر الله تبارك وتعالى أنه مكن لذي القرنين في الأرض ، وآتاه ملكا عظيما ، ووسع له مملكته وهيأ له من الأسباب والوسائل والجند ما يعينه على إدارة هذه المملكة الكبيرة، واقام به العدل ، كما قال سبحانه وتعالى ﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴾ الكهف ٨٤ ، يقول العلامة عبدالرحمن السعدي –رحمه الله– " أي ملكه الله تعالى، ومكنه من النفوذ في أقطار الأرض، وانقيادهم له، وأعطاه الله من الأسباب الموصلة له، لما وصل إليه، ما به يستعين على قهر البلدان، وسهولة الوصول إلى أقصى العمران"[1].

فهل يصدق عاقل أن الله تبارك وتعالى يعطي هذا الملك وذاك التمكين والنصر والتسخير وقوة السيطرة والنفوذ لرجل مشرك أو كافر به جل وعلا ثم يأتي فيمدحه في القرآن؟ هذا أمر لا يُصدق أبدا، فمن المسلم به جدلا أن الله قد توعد الملوك الذين يخالفون أوامره ويصدون عباده عن طاعته وعبادته كفرعون والنمرود وغيرهم، وهذا واضح وموجود في القرآن الكريم ، كما قال عز وجل ﴿ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ يونس ٩٠ – ٩٢.

ويتبين مما سبق بطلان ما يدعي المغالطون والمستشرقون، وأن ذا القرنين ملك مسلم، صاحب عقيدة إيمانية صافية، وأنه حقق العدالة ورفع الظلم، ودعا الناس إلى عبادة الله عز وجل في كل البلاد التي وصلها وفتحها، فكيف يدعون أولئك أن القرآن أخطأ في عقيدته واسمه ومكانته. ومن المعلوم أن هذا الخطأ الذي وقعوا فيه ، هو بسبب الخلط المتعمد بين ذي القرنين الملك الصالح، وبين الاسكندر الأكبر المقدوني الذي تؤرخ به الروم.

---

[1] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ١٨١/٣.

إن الاسكندر الأكبر المقدوني، ليس هو ذي القرنين، والفرق بينهما واضح، وقد فرق العلماء وأهل السير بينهما، وقد ذكر ابن كثير –رحمه الله– أن الاسكندر الأكبر المقدوني فهو اسكندر بن فيلبس بن مضريم بن هرمس بن هردس بن ميطون بن رومي بن لنطي بن يونان بن يافت بن نونة بن سرحون بن رومة بن ثرنط بن توفيل بن رومي بن الأصفر بن اليفز بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم الخليل، هكذا نسبه ابن عساكر في تاريخه، المقدوني اليوناني المصري باني الاسكندرية الذي يؤرخ بأيامه الروم، وكان متأخرا عن الأول بدهر طويل، كان هذا قبل المسيح بنحو من ثلاثمائة سنة، وكان أرسطو طاليس وزيره، وهو الذي قتل دارا بن دارا، وأذل ملوك الفرس وأوطأ[1] أرضهم، وإنما نبهنا عليه لأن كثيرا من الناس يظن أنهما واحد– أي ذو القرنين والاسكندر الأكبر– فيقع بذلك خطأ كبير وفساد عريض طويل كثير، فإن الأول – أي ذو القرنين– كان عبدا مؤمنا صالحا، وملكا عادلا، وكان وزيره الخضر، وأما الثاني – أي الاسكندر المقدوني– فكان مشركا وكان وزيره فيلسوفا، وكان بين زمانيهما أزيد من ألفي سنة، فأين هذا من هذا؟ لا يستويان ولا يشتبهان إلا على غبي لا يعرف حقائق الأمور.[2]

يقول ابن القيم –رحمه الله– " ومن ملوكهم الاسكندر المقدوني وهو ابن فيلبس ، وليس هو ذي القرنين، الذي قص الله نبأه في القرآن، بل بينهما قرون كثيرة ، وبينهما في الدين أعظم تباين، فذو القرنين كان رجلا صالحا موحدا لله تعالى، يؤمن بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وكان يغزوا عباد الأصنام، وبلغ مشارق الأرض ومغاربها، وبنى السد بين الناس وبين يأجوج ومأجوج، وأما هذا المقدوني فكان مشركا يعبد الأصنام هو وأهل مملكته، وكان بينه وبين المسيح نحو ألف وستمائة سنة، والنصارى تؤرخ له وكان أرسطاطاليس وزيره، وكان مشركا يعبد الأصنام".[3]

وإن مما يؤكد ما أوردناه من الأقوال، ما قاله الفخر الرازي في تفسيره، إن في كون الاسكندر ذا القرنين إشكالا قويا، وذلك أنه كان تلميذ أرسطا طاليس الحكيم وكان على

---

[1] أي دخل أرضهم ينظر الصحاح في اللغة مادة وطأ.

[2] ينظر البداية والنهاية لابن كثير ٤٥٢/١.

[3] إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ابن القيم الجوزية، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٥هـ–١٩٧٥م، ٢٦٣/٢.

مذهبه، فتعظيم الله إياه يوجب الحكم بأن مذهب أرسطا طاليس حق وصدق ، وذلك مما لا سبيل إليه.[1] وأورد الحافظ ابن حجر-رحمه الله- أن هناك عدة قرون بين ذي القرنين العبد الصالح الذي ذكر في القرآن الكريم ، وبين الاسكندر الأكبر المقدوني اليوناني، فقال أنه-أي ذا القرنين الصالح الأول- كان من الملوك الصالحين، وفي إيراد المصنف ترجمة ذي القرنين قبل إبراهيم عليه السلام إشارة توهين قول من زعم أنه الاسكندر اليوناني، لأن الاسكندر كان قريبا من زمن عيسى وبين زمن إبراهيم وعيسى عليهما السلام أكثر من ألفي سنة، والذي يظهر أن الاسكندر المتأخر لقب بذي القرنين تشبيها بالمتقدم لسعة ملكه، وغلبته على البلاد الكثيرة، أو لأنه لما غلب على الفرس وقتل ملكهم انتظم له ملك المملكتين الواسعتين الروم والفرس فلقب ذي القرنين لذلك، والحق أن الذي قص الله نبأه في القرآن هو المتقدم، والفرق بينهما من أوجه، أحدها ما ذكرته، وثانيها قول الفخر الرازي في تفسيره كان ذو القرنين نبيا على اختلاف في ذلك ، وكان الاسكندر كافرا وكان معلمه أرسطا طاليس، وكان يأتمر بأمره وهو من الكفار بلا شك، وثالثا كان ذو القرنين من العرب ، وأما الاسكندر فهو من اليونان، والعرب كلها من سام بن نوح باتفاق، واليونان من ولد يافت بن نوح على الراجح فافترقا.[2]

وقد دلل ابن حجر-رحمه الله- على عروبته بأبيات من كلام العرب، قيل والذي يقوي أن ذي القرنين من العرب كثرة ما ذكروه في أشعارهم، قال أعشى بن ثعلبة:

والصعب ذو القرنين أمس ثاويا   بالحنو في حَدَثٍ هناك مقيم

وقال الربيع بن ضبيع:

والصعب ذو القرنين عُمر ملكه   ألفين أمس بعد ذاك رميما

ويقول القس بن ساعدة:

والصعب ذو القرنين أصبح ثاويا   باللحد بين ملاعب الأرياحِ

وقال تبع الحميري:

---

[1] مفاتيح الغيب ١٧٢/٢١.

[2] المرجع السابق ١٧٣/٢١.

قد كان ذو القرنين قبلي مسلما مَلِكا تدين له الملوك وتحشد

من بعده بلقيس كانت عمتي ملكتْهُم حتى أتاها الهدهد

ويؤخذ من أكثر هذه الشواهد أن اسمه الصعب، ووقع اسم ذي القرنين في شعر امرئ القيس وأوس بن حجر وطرفة بن العبد وغيرهم.[١] ويعاضد كلام ابن حجر ما ذكره تقي الدين المقريزي من أن التحقيق عند علماء الأخبار أن ذا القرنين الذي ذكره الله عز وجل في القرآن هو الصعب بن الحارث، وساق نسبه إلى قحطان بن هود بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام ، وأنه ملك من ملوك حمير وهم العرب العاربة، ويقال لهم أيضا العرب العرباء، وقد غلط من قال أن الاسكندر الأكبر هو ذو القرنين الذي بنى السد، فإن لفظة "ذو" عربية، وذو القرنين من ألقاب ملوك اليمن، والاسكندر الأكبر يوناني رومي.[٢]

ويتضح من خلال ما أوردناه من أقوال المفسرين والمحدثين والمؤرخين، أن ذا القرنين مختلف تمام الاختلاف عن ذلك الاسكندر المقدوني اليوناني، فذو القرنين ملكا وعبدا مؤمنا صالحا، أقام العدل ونشر الدين والخير، بينما الاسكندر المقدوني كان سكّيرا خاليا من كل رحمة متجبرا متسلطا مستعبدا البشر، وقد ذكر المؤرخون أن كان يسكر لدرجة أنه قتل صديقه كليتوس في نوبة غضب، ثم ندم بعدما أفاق، وقد استطاع خلال حياته تأسيس مدينة الاسكندرية على نهاية نهر النيل عام ٣٣٢ والتي أصبحت بعد ذلك مركزا ثقافيا وتجاريا وعلميا للعالم اليوناني، ومما يدل على أنه كان سيء الخلق لا يمكن بحال أن ينطبق عليه وصف القرآن الكريم بأنه مؤمنا عادلا ، أنه مات بعد سقوطه مريضا في فراشه، وقد سلم خاتمه لقائد جيشه وهو في فراش الموت، وكان الكل حوله ناقمين عليه بسبب تصرفاته السيئة ، وكان الكل يتربص به لما لقي الجميع منه من عنف وغلظة وشدة، وكان يكثر من شرب الخمر حتى مات مسموما كما ذكرت المصادر التاريخية، فهل يقول عاقل أو يعتقد أن القرآن الكريم يصف مثل هذا بأن مؤمن وعادل وصالح؟.[٣]

---

[١] ينظر فتح الباري شرح صحيح البخاري ٦/٤٤٠-٤٤١.

[٢] ينظر سبل الهدى والرشاد في هدي خير العباد ٢/٤٦٥.

[٣] ينظر موسوعة بيان الإسلام للرد على شبهات أعداء الإسلام ٧/ ٢٨٠-٢٨٢.

يقول د. جواد علي " وأورد أريان في كتابه قصة أخرى، خلاصتها أن العرب كانوا يتعبدون لإلهين هما أورانوس، وديونيوس وجميع الكواكب وخاصة الشمس، فلما سمع الاسكندر بذلك أراد أن يجعل نفسه الإله الثالث للعرب"[1] . فهل من المعقول أن هذا الذي ينصب نفسه إلها من دون الله ، أن يذكره الله في القرآن الكريم ويثني عليه بالخير؟ لا شك أن هذا لا يمكن أبدا ولا يصدقه عاقل. إن هذا الوضع الذي يصوره لنا العلماء والمفسرون والمؤرخون عن الاسكندر المقدوني ، من سكر ومكر وكفر وسوء معاملة لأتباعه وقومه لتؤكد الفرق الكبير والبون الشاسع بينه، وبين ذا القرنين الرجل الصالح المؤمن العادل الذي ذكره الله في القرآن الكريم.

وخلاصة القول إن ذا القرنين ملك من الملوك ، ملكه الله مشارق الأرض ومغاربها، ووصفه في القرآن الكريم بالمؤمن الموحد العادل، وأعطاه القدرة على السير من مشارق الأرض إلى مغاربها، وهيأ له جميع الأسباب لتوطيد هذا الملك ونشر الإسلام والخير والهدى، كما قال عز وجل ﴿ **وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾** ﴾ الكهف ٨٣ – ٨٩ إلى آخر الآيات مما أخبر الله عنه، ولم يخطئ القرآن الكريم عندما وصف دين وعقيدة ذو القرنين بأنه مؤمن موحد ، وعبد صالح، لأنه كلام الله الحق، الذي لا يعتريه شك ولا ريب، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، كما قال عز وجل ﴿ **وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾** ﴾ النساء ١٢٢ ، وقوله سبحانه ﴿ **وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا** ﴾ النساء ٨٧ ، والذي يظهر من سياق أقوال العلماء والمؤرخين أن سبب تسمية الاسكندر الأكبر المقدوني بذي القرنين المذكور في القرآن الكريم، هو تشبيها بذي القرنين، وذلك لأن ممالك المشرق والمغرب

[1] المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي، جامعة بغداد، العراق، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م، ٦/٢.

دانت له بعد أن قضى على الفرس، وذلك سنة ٣٣٦ق.م ، ومن هنا جاء الخلط بينهما، وإثارة الشبه والافتراءات من قبل المشككين .

وقد تبين لنا مما سبق من أقوال العلماء والمفسرين والمؤرخين، ما يبطل هذه الشبهة من أصلها، أنهم فرقوا تماما بين ذي القرنين المذكور في القرآن الكريم، وبين الاسكندر الأكبر المقدوني، فالأول كان ملكا مؤمنا صالحا يعمل على نشر دين الله عز وجل، والثاني كان مشركا بالله عابدا للأصنام هو وقومه، والأول كان في زمن إبراهيم عليه السلام وحج معه، والثاني كان قبل بعثة عيسى عليه السلام بثلاثمائة وست وثلاثين سنة، وهذا يعني أن بينهما ألفي عام، والأول على أصح الأقوال كان عربيا، وهذا ظاهر في أقوال الشعراء العرب فيه، والثاني كان يونانيا مقدونيا انحدر إلى الشرق بعدما استولى على أملاك الدولة الفارسية، فأين الشبه والتقارب إذا بين الاثنين كما ذكر ابن وابن حجر؟.

ومن ناحية أخرى كان الاسكندر المقدوني قائدا عظيما فتح البلاد شرقا وغربا، ولكنه كان سِكِّيرا يشرب الخمر، وكان يبطش بقواده، وقد كان هذا من الأسباب التي جعلتهم يحقدون عليه ويكرهونه، ويحاولون التآمر عليه، بينما ذا القرنين المذكور في القرآن الكريم كان عادلا صالحا يخدم الناس ، ويقوم على مصالحهم، والدليل على ذلك بناءه للسد بينهم وبين يأجوج ومأجوج عندما طلبوه ذلك.[1]

---

[1] ينظر موسوعة بيان الإسلام للرد على شبهات أعداء الإسلام ٧/ ٢٨٠-٢٨٢.

الشبهة الحادية والعشرون

أولا: عرض الشبهة وتوثيقها.

" يقول د. مُحَمَّد أحمد خلف الله أن القصص القرآني أساطير لا حقيقة لها"[1] .

ثانيا: الرد عليها ردا إجماليا.

لم يأت د. مُحَمَّد خلف الله بجديد، وإنما يردد أقوال وافتراءات أسلافه من مشركي مكة وغيرهم، كما يردد كلام أساتذته من المستشرقين، وإخوانه من تلامذة المستشرقين أمثال مُحَمَّد حامد الجابري و نصر حامد أبو زيد ومُحَمَّد أركون وغيرهم من تلامذة المستشرقين وسفراءهم في العالمين العربي والإسلامي. فقد كان مشركي مكة عندما نزل القرآن الكريم على رسولهﷺ اتخذوه هزوا ووصموه بالأساطير والخرافات والسحر وغير ذلك ، كما قال تعالى ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا ۚ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ الأنعام ٢٥ ، وقوله سبحانه ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا ۙ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ الأنفال ٣١ ، وقوله عز وجل ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ النحل ٢٤ ، وقوله تعالى ﴿ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ ﴾ الفرقان ٥ ، وغيرها من الآيات التي تبين أن هؤلاء المغالطون المفترون وإن تجددت بهم الأزمان وتغيرت العصور، أن مقولتهم واحدة ومنهجهم واحد، وإن تغيرت الأساليب والوسائل والأوصاف، يبقى المضمون والأهداف متحدة متواترة بين معاشر الكافرين والمشركين والملحدين من المستشرقين وغيرهم.

[1] الفن القصصي في القرآن الكريم ، ص ٤٥ و ١٧١.

ولذلك كان للمستشرقين الغرب عبر الأزمان تأثير قوي ،وكانت كتاباتهم تحظى باهتمام بعض أهل الأهواء من بني جلدتنا، ثم تراهم يجترون شبهات القوم للتشكيك في القرآن العظيم والسُّنة النبوية، وفي تاريخ الأمة وتراثها العلمي، وكان بعضهم يعرض ذلك الغثاء بحجة البحث العلمي، والحرية العلمية، كما فعل مُحَمَّد أحمد خلف الله في رسالته عن الفن القصصي في القرآن، وكما فعل أبو ريَّة[1] في تدوين السُّنة النبوية وغيرهم كثير.

ولذلك حظيت هذه الشبهات وتلك الافتراءات برواج عند بعض المنتسبين للأحزاب الشيوعية والتيارات الإلحادية يتلقفون تلك الشبهات، ويثيرونها في وسائل الإعلام وفي منتدياتهم الثقافية والفكرية لإسقاط حجية الشريعة ومحاربة دين الإسلام، ولا سيما فيما يتصل بالقصص القرآني وحقيقته، ولقد قيض الله من أهل الغيرة من أهل الإسلام من يتصدى لتلك الحملات الاستشراقية المسعورة والمغرضة، ويكشفوا زيف وتحريف تلك المشاريع التي تدَّعي الحياد العلمي في البحث، وتزعم استخدام الأدوات المعرفية المعاصرة في النقد والتحليل، ويبطلوا مزاعمها وشبهاتها بقوة الدليل وحجية العقل.

ثالثا: الرد عليها ردا تفصيليا.

إن المتأمل العاقل المنصف الملتزم بمنهج الموضوعية والحيادية في الحكم، الناظر إلى قصص القرآن الكريم نظرة تدبر وتأمل ليجد أنه قصص حق يحكي واقعا وأحداثا حقيقية، تحمل في طياتها العظة والعبرة لمن نشد النجاة في الدنيا والآخرة، ومن هنا يتبين الهدف الأسمى للقصص القرآني، بخلاف القصص الفني المزيف المبني على الخيالات المجانبة للحقيقة والذي لا يرجى من ورائه إلا الضياع. ولقد امتدح الله القصص القرآني وبين أنه حق، وأنه أحسن القصص، لا يعتريه كذب ولا تناقض ولا اختلاف، كما قال عز وجل ﴿ **إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا**

[1] محمود أبو رية، من أعلام حركة إصلاح التراث الإسلامي، ولد في كفر المندرة، مركز أجا، محافظة الدقهلية في ١٥ ديسمبر عام ١٨٨٩ م٢١ ربيع الثاني ١٣٠٧هـ.ق، جمع بين الدراسة المدنية والدينية بالمدارس الابتدائية والثانوية والمعاهد الدينية، قضى أكثر أيام عمره في مدينة المنصورة حتى وفد إلى الجيزة عام ١٩٥٧ م وبقي فيها إلى حين وفاته، وقد اشتهر بنقده للسنّة القولية، وانتقاده لبعض المحدّثين، وهو أحد أركان المدرسة الإصلاحية التجديدية التي بدأت أنوارها مع الأستاذ الإمام مُحَمَّد عبده. توفي في ١١ كانون الأول ديسمبر ١٩٧٠ م في الجيزة، ينظر مع رجال الفكر، مرتضى الرضوي، دار الهادي للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٣م، ١٢٣٢/١.

مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ آل عمران ٦٢ ، وقوله سبحانه ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ يوسف ٣ ، وهذا دليل على خلو القرآن الكريم وقصص مما يزعمه أولئك المغالطون بما يسمونه الخيال الفني أو الأساطير أو عدم الواقعية، هذا الزعم الذي لا يستند على دليل صحيح معتبر.

ولقد دأب د. مُحَمَّد أحمد خلف الله من خلال كتابه(الفن القصصي في القرآن الكريم) على بث السموم والشكوك حول قصص القرآن الكريم، وإلباسه ثوب القصص الفني الخيالي البشري البعيد كل البعد عن الواقعية والحقيقة، إحياءً لشبهات سابقيه وبأسلوب يتسم بالهجومية والاستفزازية في بعض الأحيان، ولقد ذكرت سابقا المنهج الاستشراقي الذي يسير عليه د. مُحَمَّد خلف الله الذي أظهر فيه التضاد والتناقض في الأفكار والرؤى، فتارة يأتي بكلام في موضع ويناقضه في موضع آخر ، وليس هذا حال خلف الله وحده بل حال أكثر المستشرقين وتلامذتهم، وأكثر هؤلاء لا يزيد دورهم عن اجترار تلك الشبهات وإعادة استنساخها وصياغتها، والنتيجة النهائية الناتجة واحدة، فإذا كان مُحَمَّد خلف الله وأركون وعزيز العظمة يزعمون أن القصص القرآني أساطير لا حقيقة لها، فإن الجابري يزعم أن سياق القصص في القرآن الكريم لم يقصد به التدوين التاريخي، وإنما هي أمثال مضروبة يراد منها العظة والعبرة، ويزعم أنه "كما يضرب القرآن المثل برجلين أو بجنتين من غير تحديد، وكما يُجرِي حواراً بين أهل الجنة وأصحاب النار والقيامةُ لم تقم بعد، فكذلك الشأن في قصص الأنبياء التي يذكرها، إنها للذكر ، أي للموعظة والعبرة.

وهكذا فكما أننا لا نسأل عن صحة القصة التي وراء الأمثال التي تُضرَب لموقفٍ أو حالٍ، لأن المقصود بالمثل ليس أشخاصه بل مغزاه، فكذلك القصص القرآني في نظرنا، والصدق في هذا المجال – سواء تعلق الأمر بالمثل أو بالقصة – لا يُلتَمس في مطابقة أو عدم

مطابقة شخصيات القصة والمثل للواقع التاريخي، بل الصدق فيه مرجعه مخيال المستمع ومعهوده"[1].

هذا الهيجان المسعور من التضليل والتحريف والخداع، حدا بهؤلاء من أهل الأهواء وأدعياء الفكر والثقافة إلى قلب الحقائق وطمس الهوية والتمرد على الثوابت والتطاول على الحرمات الشرعية، والنقد المتطرف والمتشنج لكل ما له صلة بالتراث الإسلامي من قصص وغيره مما لا يقبل المساومات ولا النقد، وقد زاد من حدَّة هذا الهيجان ذلك الفضاء الواسع الذي فتحته وسائل الاتصال والتواصل من شبكات الإنترنت والفضائيات وغيرها، حيث أصبحت بعض المنتديات مرتعا حواريا فكريا تقذف بشباكها ليتساقط فيها بعض العوام والبسطاء المبهورين والمنخدعين ببريق الحرية المزيفة، وبعض أرباع المثقفين الذين غرهم تعالُم بعض المتفيقهين، فتحولت العقلية الانهزامية الهشة بعد الاغترار بتلك الشبهات إلى عقلية متشنجة تدَّعي الشجاعة والجرأة في نقد ثوابت الأمة، فكثير من هؤلاء المتطاولين بلغوا من سوء الأدب والفجور الفكري ما تجاوزوا فيه أسيادهم المستشرقين، خاصة في بعض مواقع الإنترنت التي يتستر فيها بعضهم بأسماء رمزية.[2]

ولذلك نرى د. مُحَمَّد خلف الله عبر ما يبثه من شُبه وافتراءات ينفي المصداقية التاريخية للقرآن الكريم وما جاء فيه من قصص حق، ومن هذا المنطق يرى أن العقل الإسلامي غير ملزم بالإيمان برأي معين في هذه الأخبار التاريخية الواردة في القصص القرآني حتى وإن ثبتت مصداقيتها، وذلك أنها لم تبلغ– على حد زعمه– على أنها دين يتبع وإنما بلغت على أنها المواعظ والحكم والأمثال التي تُضرب للناس، ومن هنا يصبح من حق العقل البشري أن يهمل هذه الأخبار أو يجهلها، أو يخالف فيها أو ينكرها.[3] وعلى هذا فهو يؤكد فريته بوجود القصة الأسطورية في القرآن الكريم، ويعتبرها تجديدا في الحياة الأدبية المكية جاء به القرآن الكريم حين بنى القصص الديني على بعض الأساطير. ومع علمه أنه لا يملك أدلة علمية مقنعة يبرهن بها

---

[1] مدخل إلى القرآن الكريم، مُحَمَّد عابد الجابري، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، ٢٠٠٦م، ١/ ٢٣٨.

[2] ينظر السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، د. مصطفى السباعي، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م، ص ٣٥٣.

[3] الفن القصصي في القرآن الكريم ص ٢٠٩.

على ما يقول، ويدعم بها رأيه، إلا أنه لم يأت وبشكل واضح مثالا أو نموذجا من القصص القرآني الذي انتفت عنه الواقعية التاريخية، ويثبت له- على حد زعمه — الخصائص الأسطورية -إن كان لهذا النوع وجود في القصص القرآني- بل يكتفي ويتعلق بأوهام مفادها أن القرآن الكريم نفسه لم يحرص على نفي الأساطير فيه، وإنما حرص على أن ينكر أن تكون هذه الأساطير هي الدليل على أنه من عند مُحَمَّد ﷺ وليس من عند الله، ولهذا يقول "وإذا كان هذا ثابتًا فإنا لا نتحرج من القول بأن في القرآن أساطير، لأنا في ذلك لا نقول قولا يعارض نصا من نصوص القرآن"[1] .

وكما ذكرت في ردود سابقة في الشبهة الحادية عشرة وغيرها، المنهجية المتناقضة والمتعارضة التي يسير عليها د. مُحَمَّد خلف الله في طعنه في قصص القرآن الكريم، ففي حديثة عن أسطورية القرآن الكريم وتصويره لموقف المفسرين مما يسميه بالقصة الأسطورية في القرآن الكريم، يظهر لنا جليا التعارض والتناقض الذي لا يثبت فيه على حال، فمرة يقول " لم يقل واحد من المفسرين بوجود القصة الأسطورية في القرآن الكريم، بل على العكس نرى منهم كما نرى من بعض المحدثين نفورًا من لفظ الأسطورة ومن القول بأنها في القرآن ولو إلى حد ما"[2] ، وتارة يقول "القصة الأسطورية إذا من القصص الأدبي الذى نجد من المفسرين من أجاز أن يكون موجودًا في القرآن الكريم"[3] ، وهذا تناقض واضح وفي موضع واحد، وإلا فكتابه مملوء بالمتناقضات التي لا تقف عند حد، وكلها تدل على بطلان وتهاوي كل الشبه التي أثارها حول القصص القرآني، بينما القرآن الكريم لا يمكن أن يجد فيه ولو اليسير من التناقض، بل كله حق ولا يقص إلا حقا، ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴾ النساء ١٢٢ .

وكل ما يملكه خلف الله من الأدلة التي استدل بها من القرآن الكريم، هي في الحقيقة ضده وليست معه ولا تقوم دليلا لصالحه على ما ذهب إليه، ومن ذلك استدلاله بما وصف مشركو مكة قصص القرآن الكريم بأنه أساطير الأولين، كما في قوله تعالى ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا

[1] الفن القصصي في القرآن الكريم ص ٧٤.

[2] المرجع السابق ص١٧١.

[3] المرجع السابق ص ١٨٠.

﴿ يُؤۡمِنُواْ بِهَاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ الأنعام ٢٥، وقوله تعالى ﴿ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا قَالُواْ قَدۡ سَمِعۡنَا لَوۡ نَشَآءُ لَقُلۡنَا مِثۡلَ هَٰذَآ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ الأنفال ٣١ ، وقوله سبحانه ﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةً وَأَصِيلًا ﴾ الفرقان٥ ، وقوله عز وجل ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ النحل ٢٤، ولكنه حل استدلاله بهذه الآيات يعمد إلى بتر الآية عما قبله وما بعدها وهذا بتر لسياق المعنى، فإن آيات القرآن الكريم سواء في السورة الواحد أو القصة الواحد متصلة ببعضها لتمام المعنى، فاستدلاله مبتور ولا يؤيد ما ذهب إليه، ومن جهة أخرى ، ما قاله المشركون في القرآن الكريم بأنه أساطير الأولين، هذا في القرآن كله، وليس في قصصه على وجه الخصوص، فإن سياق الآيات وما ورد في معانيها أن قولهم ذلك إنما هو في جميع القرآن، ثم إن مقولتهم لم تقتصر بالقول بالأساطير، بل تعدى ذلك إلى وصف القرآن الكريم بأنه سحر، وأضغاث أحلام، وشعر ، وكذب وغير ذلك من الألقاب والأوصاف التي لا تليق بكتاب يحمل كلام الله ما بقيت السموات والأرض، ﴿ كَبُرَتۡ كَلِمَةً تَخۡرُجُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ الكهف ٥ ، أليست هذه الأوصاف والمقولات في القرآن كله ، لا القصص وحده؟ أم أن الأمر غاب عن فهم د. مُحَمَّد خلف الله!.

ولكي نؤكد بتره للآيات ليأخذ ما يؤيد شبهته ، نرى أنه في استدلاله بقول الله تبارك وتعالى ﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةً وَأَصِيلًا ﴾ الفرقان٥، ترك سياق المعنى في الآيات التي سبقتها ، والآيات التي تبعتها، وانتزع هذه الآية انتزاعا ليؤيد بها رأيه وشبهته، ومن المعلوم أن الآية متصلة ومنسجمة معنى ومبنى مع ما قبلها وما بعدها، وبهذا الاتصال تكون ردا عليه ولا تؤيده فيما ذهب إليه، كما قال سبحانه وتعالى ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدًا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرًا ۝٢ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗ لَّا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ وَلَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ ضَرّٗا

وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾ ﴾ الفرقان ١ – ٦، فهل سياق هذه الآيات ومعناها في قول المشركون ﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ ﴾ و قولهم ﴿ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا ﴾ تعني القصص القرآني خاصة ، أم أنها في عموم القرآن الكريم وقد سماه الله الفرقان؟.

ثم يأتي التعقيب لتعقب على مقولة الذين كفروا لتنسفها من أساسها، بأن الذي أنزل هذا الفرقان–أي القرآن الكريم سمي فرقانا لأن الله فرق به بين الحق والباطل– هو الذي يعلم السر في السموات والأرض ، وثبوت نسبته إلى الله تعالى قطعا سينفي عنه أن يكون أساطير أو خيالات، وهذا من أقوى البراهين في دحر شبهة الأسطورة التي ادعاها مُحَمَّد خلف الله وغيره من المبطلين. وذلك لأن الله الذي يعلم سر السموات والأرض وما فيهن ومن فيهن، لا يمكن بحال أن يجعل في كتابه أساطير وخيالات وأباطيل، وقد نفى الله ذلك عنه بقوله عز وجل ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ فصلت ٤٢.

ومن جهة أخرى نلاحظ أن كلمة (أساطير الأولين) التي قالها المشركون في مضامين القرآن الكريم، تحمل معنى آخر وهو أن أساطير تعني سطر أو أسطر، وهو الخط والكتابة، كما في قوله عز وجل ﴿ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴾ الإسراء ٥٨، أي مكتوبا، فتفسر على القرآن الكريم – على حد زعمهم– كتبه وسطره الأولون، والذين قالوا بذلك هم مشركو العرب، والعربي كان يتصور الأشياء كما يتوهم عقله، ولكنه لا يخترع الأساطير حولها مهما كانت عنده هذه الأشياء غامضة معقدة، ومن هنا جاء قصصه بعيدًا عن الخيالات التي تبدو في أكثر القرآن الميثولوجي[1] والأساطير الشعبية لدى الأمم الأخرى، كأساطير اليونان والهنود

[1] الميثولوجي Mythology هو العلم الذي يبحث في أساطير الأولين، أو علم الأساطير، ينظر قاموس المعاني مادة ميثولوجيا.

والفراعنة، فلم يكن العرب يعرفون الأسطورة بهذا المعنى حتى يحمل عليه ما حكاه القرآن عنهم"[1].

إن القرآن الكريم كلام الله عز وجل غني بالرد المفحم والمقنع لأمثال د. مُحَمَّد خلف الله، فآية واحدة كافية في الرد كقوله سبحانه ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ﴿٤١﴾ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴿٤٢﴾ ﴾ فصلت ٤١ – ٤٢، فإذا كان المضمون التاريخي في القصص القرآني – كما يزعم – باطل في الحقيقة ، ألا يكون هذا معارض معارضة صريحة لمضمون هذه الآية التي تنفي إمكان أن يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؟ وكيف يرد أيضا ويجابه قول لله تعالى ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۚ بَلۡ هُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴿٣﴾ ﴾ السجدة ١ – ٣، وقد رد الله على هذه الافتراءات التي اجترها خلف الله وغيره من المستشرقين، وأثبت أنه حق وقصصه حق نزل من عند الله عز وجل، فأنى لكتاب بهذا الوصف أن يحوي باطلا أو خيالات أو أساطير.

وكذلك يكون الرد على خلف الله أنه إذا كانت الفكرة والضرورات التي يضطر لها الأديب تضطره إلى العدول عن الصدق وممارسة الكذب، فهل من العقل أن نجاوز ذلك على القرآن الكريم كلام الله الحق، ألم يأت القرآن الكريم بما يدل على الحق والصدق من القصص والأخبار التاريخية، وكيف يتصدى خلف الله لكل الآيات التي تثبت صدق هذا الكتاب العزيز، كما قال عز وجل ﴿ تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۖ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ هود ٤٩، وقوله سبحانه ﴿ نَّحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ نَبَأَهُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى ﴾ الكهف ١٣، وقوله تعالى ﴿ وَبِٱلۡحَقِّ أَنزَلۡنَٰهُ وَبِٱلۡحَقِّ نَزَلَۗ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴾ الإسراء ١٠٥، وقوله تعالى ﴿

[1] ينظر سيكولوجية القصة في القرآن الكريم ص١٦٣.

﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ الفرقان ٣٣ ، وقوله عز وجل ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ يوسف ١١١، وغيرها من الآيات التي تثبت صدق القرآن الكريم وما فيه من الأخبار والقصص وأنه كلام الله وليس بكلام بشر.

ولا نكاد نجد جوابا مقنعا عند د. خلف الله يرد به على هذه الآيات، ولا نراه إلا متعلقا بأدلة باطلة لا يستقيم بها حال، ولا ترقى إلى المستوى الاستدلالي الصحيح. إن الخطأ الفادح الذي وقع فيه د. خلف الله ومن على منهجه، أنه جعل التاريخ حكما على القرآن الكريم فيما جاء به من قصص وأخبار، فلما وقع في التناقض والتضاد بين القرآن الكريم وبين التاريخ، قدم التاريخ على القرآن واتهم القرآن بأنه خيال وأسطوري بعيدا عن الحقيقة، ولكنه خرج من شَرَك ووقع في شرك أكبر منه، إذ فشل في إثبات ما ذهب إليه من الادعاءات الكاذبة والمغرضة. يقول ابن خلدون في مقدمته " وهموا فيها وابتدعوها وزخارف من الروايات الضعيفة لفقوها ووضعوها واقتفي تلك الآثار الكثير ممن بعدهم واتبعوها وأدوها إلينا كما سمعوها"[١]، وكلامه هذا يبين الخلط التاريخي وما ينضوي عليه من دسائس باطلة، وتحريف وأوهام ، تسيء إلى تاريخ الأمة وتراثها المجيد.

وللسيد قطب كلام جميل حول هذا ننقل منه ما تتأتى به الفائدة، وتتضح به الرؤيا ، ويظهر بها عوار أولئك الذين شوهوا تاريخ الأمة وتراثها، وأدخلوا عليه الدسائس وحرفوا وبدلوا، وانعكس ذلك سلبا على اتهام كتاب الله عز وجل بما لا يليق به ولا بقصصه الحق، إذ جنح أولئك عن قواعد البحث العلمي الصحيحة، يقول -رحمه الله-" إن الباحث المنصف — علي فرض أنه — لو نظر إلى القرآن الكريم وجرده من كل قداسة دينية، ثم ينظر إليه كمصدر تاريخي بحت فماذا يجد؟ يجد أننا لا نملك كتابًا آخر، ولا أثرًا تاريخيا آخر في تاريخ البشرية كلها توافرت له أسباب التحقيق العلمي البحتة كما توفرت لهذا الكتاب، فإنه من البديهي،

---

[١] مقدمة ابن خلدون ١/١٢-٥٤.

أننا لا نملك في إثبات صحة الحوادث التي تحدث عنها القرآن أو عدم صحتها، إلا وسيلتين اثنتين، ولكن واحدة منهما ليست قطعية وليس لها من قوة الثبوت ما للقرآن، أحدى الوسيلتين اللتين في أيدينا: الأسانيد التاريخية الأخرى فإذا نحن جردنا القرآن من قداسته – كما قلت – فإنه ككتاب تاريخي يكون أقوى إسنادًا من الوجهة العلمية البحتة من كل مرجع تاريخي آخر في الوجود، فراوي هذا الكتاب هو "مُحَّد بن عبد اللهﷺ وهو رجل يعترف خصومه قديما وحديثا بأنه رجل صادق.

وقد جمع هذا الكتاب بطريقة علمية لا يطعن فيها أحد إلا أفاك متعصب، ومثل هذا التحقيق العلمي لم يتهيأ لكتاب آخر، لا من الكتب المقدسة ولا من الكتب التاريخية، ولا من الآثار التاريخية أيضًا، فالكتب المقدسة الأخرى قد انقضت فترات طويلة بين حياة أصحابها وعصر تدوينها ولم ترو بالإسناد الذى روى به القرآن، والكتب التاريخية والآثار التاريخية لا ترتفع فوق مستوى الشبهات، وليست هناك حادثة تاريخية واحدة في تاريخ البشرية تعد يقينا علميا خالصًا، إذن لا تجوز محاكمة القرآن –ككتاب تاريخي بحت – إلى أي كتاب تاريخي آخر أو أي سند تاريخي ليس له من قوة الثبوت ما لكتاب القرآن، والوسيلة الأخرى التي بين أيدينا هي العقل، ولست أتردد في التصريح بأن احترام العقل البشرى ذاته يوجب عليه أن يفسح للمجهول مجاله وأن يحسب له حسابه، لا عن طريق الإيمان الديني، ولكن عن طريق التفكير العقلي، وإن العقل البشري ليسقط احترامه حين يدعى أنه يعلم كل شيء، وهو لا يعلم نفسه ولا يدرى كيف يدرك المدركات"[1] .

والخلاصة في ذلك أن نقول ليس فيما تعرفه البشرية من علوم ومعارف ويقين ما يشكك أو يطعن في القرآن الكريم ولا قصصه، أما الشبهات والشكوك والأوهام التي تعتري أهل الباطل من المستشرقين وغيرهم التي لا تثبت بدليل، ولا يقبلها عقل، فإننا ننزه كلام الله تعالى وكتابه من أن يحتكم إليها أو يقارن بها.

والقرآن الكريم نزل على رسول اللهﷺ بلسان عربي مبين كما حكى ذلك ربنا عز وجل بقول ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ

[1] التصوير الفني في القرآن الكريم، ص٢٥٥– ٢٥٧.

﴿ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٌ ﴾ النحل ١٠٣ وقوله سبحانه وتعالى ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ﴾ الشعراء ١٩٥ ، وكثير من الشخصيات التي جاءت في قصصه لم تكن تتحدث العربية كنوح وإبراهيم وفرعون ،وأصحاب الكهف، ويوسف وإخوته، وامرأة العزيز وغيرهم، ورغم ذلك تحدث عنها القرآن الكريم بلسان عربي مبين.

فقد تحدث القرآن الكريم عن فرعون باللغة العربية وفرعون لا يتحدث بها كما قال عز وجل ﴿ وَنَادَىٰ فِرۡعَوۡنُ فِي قَوۡمِهِۦ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾ الزخرف ٥١ ، وقوله تعالى ﴿ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗاۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِۚ وَمَا كَيۡدُ فِرۡعَوۡنَ إِلَّا فِي تَبَابٖ ﴿٣٧﴾ ﴾ غافر ٣٦ – ٣٧، وتحدث عن موسى عليه السلام ممتنا عليه فقال عز وجل ﴿ قَالَ أَلَمۡ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدٗا وَلَبِثۡتَ فِينَا مِنۡ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلۡتَ فَعۡلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلۡتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلۡتُهَآ إِذٗا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرۡتُ مِنكُمۡ لَمَّا خِفۡتُكُمۡ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكۡمٗا وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٢١﴾ ﴾ الشعراء ١٨ – ٢١، فإنه مما لا شك فيه أن فرعون لم ينطق بهذه الكلمات العربية وإنما الذى نطق به هو ما تحمله هذه الكلمات من معنى وكذلك كل ما نطق به الأنبياء وأقوامهم.

ولم يقتصر نطق القرآن الكريم على الأنبياء والملوك والأقوام، بل تعدى ذلك إلى النطق عن الطير والحشرات والجمادات كما قال سبحانه وتعالى ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ﴾ فصلت ١١ ، وقوله تعالى ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾ النمل ١٨ ، وقوله عز وجل عن الهدهد ﴿ فَمَكَثَ غَيۡرَ بَعِيدٖ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ

تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ النمل ٢٢ – ٢٤ .

فالقرآن الكريم من خلال قصصه ينقل القصص والأحداث والأخبار للمحاورين والمجادلين مع الأنبياء والرسل، كما هي بمضامينها ومفاهيمها بلسان عربي مبين، وإن كانت حدثت بلغات الأقوام أنفسهم كالسريانية وغيرها، فإن القرآن ينقلها كما هي بكل أمانة وصدق وواقعية، بعيدا عن الخيالات والأوهام، وبلا زيادة ولا نقصان، يترجم الأحداث ترجمة دقيقة لا تحتمل التحريف ولا التخريف ولا التبديل، لأن هذه الترجمة صدرت عن العالم بلغات عباده، المحيط بدقائق الأمور وأسرار الكائنات. ومن خلال ما سبق يتبين صدق القرآن الكريم، وواقعية قصصه، وأنه قصص حق لا أساطير فيه ولا خيالات ولا زور وافتراء وصدق القائل به إذ يقول ﴿ وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ الإسراء ١٠٥، وبهذا تكون الشبهة باطلة من أصلها ومردودة على أصحابها.

الشبهة الثانية والعشرون

أولا: عرض الشبهة وتوثيقها.

يقول د. مُحَّد عابد الجابري[1] " أن سياق القصص في القرآن الكريم لم يُقصَد به التدوين التاريخي، وإنما هي أمثال مضروبة يراد منها العظة والعبرة، ويزعم أنه كما يضرب القرآن المثل برجلين أو بجنتين من غير تحديد، وكما يُجرِي حواراً بين أهل الجنة وأصحاب النار والقيامةُ لم تقم بعد، فكذلك الشأن في قصص الأنبياء التي يذكرها، إنها للذكر أي للموعظة والعبرة"[2] .

ثانيا: الرد عليها ردا إجماليا.

سياق القصص القرآني يصرح بأنه يقص القصص الحق ، كما قال تعالى ﴿ **إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ** ﴾ آل عمران ٦٢، ويحدث عن حوادث ووقائع تاريخية وقعت بالفعل، وليست ضربا من الخيال أو الأساطير كما يدعيه ويزعمه المبطلون من المستشرقين، وهذه الوقائع التي جاءت في السياق القصصي بين يدي الأنبياء والرسل لتبين الصراع والحوار والجدال الذي دار بين أهل الحق وأهل الباطل، الذي كانت نهايته انتصار الحق على الباطل، وعلو الخير على الشر، كما قال عز وجل ﴿ **قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾** ﴾ سبأ ٤٨ – ٤٩.

وجاء سياق القصص القرآني أيضا ليكون عظة وعبرة للأمة، بأن تتعظ وتعتبر وتستفيد من تجارب الأمم السابقة، فتعود إلى ربها، وتستقيم على دينها، وتمتثل أمر نبيهاﷺ لما في ذلك من نجاتها في الدنيا والآخرة، ويبين أيضا أن سنن الله ماضية إلى يوم القيامة فيمن أعرض عن

---

[1] هو مُحَّد عابد الجابري (١٩٣٦ بفكيك، الجهة الشرقية – ٣ مايو ٢٠١٠ في الدار البيضاء)، مفكر وفيلسوف عربي من المغرب، له ٣٠ مؤلفاً في قضايا الفكر المعاصر، أبرزها "نقد العقل العربي" الذي تمت ترجمته إلى عدة لغات أوروبية وشرقية، كرّمته اليونسكو لكونه ‘‘أحد أكبر المتخصصين في ابن رشد، إضافة إلى تميّزه بطريقة خاصة في الحوار، ينظر الموسوعة الحرة ويكيبيديا .

[2] مدخل إلى القرآن الكريم، ١/٢٥٧–٢٦٠.

الحق، وعصى رسول الحق، أنه يناله ما نال السابقين من النكبات والعذاب، كما قال عز وجل ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَۚ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴾ الحشر ٢ وقوله سبحانه وتعالى ﴿ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ يوسف ١١١، يقول ابن كثير –رحمه الله– " لقد كان في خبر المرسلين مع قومهم، وكيف نجينا المؤمنين وأهلكنا الكافرين، عبرة لأولي الألباب أي أهل العقول"[١].

وكل ما ورد في القرآن الكريم من قصص سواء كان في قصص الأنبياء مع أقوامهم، أم غير ذلك كما في قصة أصحاب الكهف ، وصاحب الجنتين وغيرها من القصص، كلها قصص تاريخي موثق لا كذب فيه ولا تناقض ولا افتراء، مفاده الاتعاظ والاعتبار والامتثال لأمر الله وطاعة رسله، والبعد عن التعرض لسخط الله وعقابه الذي هو ماض في كل من تنكب السراط المستقيم ، كما قال تعالى ﴿ وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ ﴾ هود ٨٩.

ثالثا: الرد عليها ردا تفصيليا.

كانت كتابات الكثير من المستشرقين قبل فترة ليست باليسيرة من الزمن، حول الدراسات القرآنية، وكل ما يتصل بالوحي القرآني من قصص وأخبار ووقائع، ومن أمثال هؤلاء المستشرق الألماني هوروفيتش[٢] ، وقد لقيت هذه الكتابات رواجا واسعا عند أهل الزيغ والأهواء من بني جلدتنا، حيث يجترون هذه الكتابات المملوءة بالتشكيك والدسائس والطعون في

---

[١] تفسير ابن كثير ٢/٤٥٤.

[٢] جوزيف هوروفتس (١٨٧٤ - ١٩٣١ م) هو مستشرق ألماني يهودي، ولد في لاونبيرج وتعلم في جامعة برلين وعين مدرسا فيها عام ١٩٠٢م، واشتغل في الهند من ١٩٠٧–١٩١٤م، حيث كان يعمل مدرسا للغة العربية في كلية عليكرة الإسلامية، كما اشتغل أمينا للنقوش الإسلامية في الحكومة الهندية البريطانية، اهتم بالدراسات القرآنية والسيرة النبوية وله كتاب اسمه مباحث قرآنية، ينظر موسوعة المستشرقين ص ٦٢١.

مضامين القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وفي تاريخ الأمة وتراثها العلمي الكبير، وكان البعض منهم يعرض هذا الغثاء وتلك الأباطيل لأولئك المستشرقين من خلال كتبه ومؤلفاته بحجة البحث العلمي، أمثال د. مُحَّد خلف الله في كتابه الفن القصصي في القرآن الكريم و د. مُحَّد عابد الجابري في كتابه مدخل إلى القرآن الكريم وغيرهم من المتغربين في بلاد العرب والإسلام.

ومع الأسف الشديد أخذ بعض المنتسبين للأحزاب الشيوعية والتيارات الإلحاديه يتلقفون هذه الشبهات ويثيرونها في وسائلهم الاعلامية، ومنتدياتهم الثقافية والفكرية بهدف خبيث، ومكر بائر لإسقاط حجية الشريعة ومحاربة الدين والصد عنه. ولكن الله جل وعلا بفضله ومنه قيظ لهؤلاء وغيرهم علماء ودعاة غيورين على دين الإسلام، وشريعة سيد الأنام عليه الصلاة والسلام، فتصدوا لهذه الحملات الاستشراقية المسعورة، وكشفوا زيفها، وكسروا شوكتها، وكان من أولئك المتغربين المنتسبين للإسلام د. مُحَّد عابد الجابري الذي يتدثر أيضاً بالبحث العلمي، ويزعم نقد التراث الإسلامي باستخدام الأدوات المعرفية من التراث نفسه، يزعم أن سياق القصص في القرآن الكريم لم يُقصَد به التدوين التاريخي، وإنما هي أمثال مضروبة يراد منها العظة والعبرة، ويزعم أنه كما يضرب القرآن المثل برجلين أو بجنتين من غير تحديد، وكما يُجرِي حوارا بين أهل الجنة وأصحاب النار والقيامةُ لم تقم بعد، فكذلك الشأن في قصص الأنبياء التي يذكرها، إنها للذكر (أي) للموعظة والعبرة.[1]

يقول الجابري في إحدى مقولاته" وهكذا فكما أننا لا نسأل عن صحة القصة التي وراء الأمثال التي تُضرَب لموقفٍ أو حالٍ، لأن المقصود بالمثل ليس أشخاصه بل مغزاه، فكذلك القصص القرآني في نظرنا، والصدق في هذا المجال – سواء تعلق الأمر بالمثل أو بالقصة – لا يُلتَمس في مطابقة أو عدم مطابقة شخصيات القصة والمثل للواقع التاريخي، بل الصدق فيه مرجعه مخيال المستمع ومعهوده"[2]. ويرى الجابري –أنه ليس ثمة أدلةٌ (قاطعة–[3]

---

[1] ينظر دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم والرد عليها، د. عبد المحسن بن زبن المطيري، دار البشائر،١٤٢٧هـ – ٢٠٠٧م، ١/٣٤٥–٣٥٠.

[2] مدخل إلى القرآن الكريم ١/٢٣٨.

[3] يعني: أنه قد توجد أدلة محتمَلة الزيادة والنقصان، وهذا أسلوب خطير لإثارة الشكوك وترويج الشبهات.

على حدوث زيادةٍ أو نقصانٍ في القرآن كما هو في المصحف بين أيدي الناس منذ جَمعِه زمن عثمان. أما قبل ذلك فالقرآن كان مفرَّقاً في صُحُفٍ وفي صدور الصحابة، ومن المؤكد أن ما كان يتوفر عليه هذا الصحابي أو ذلك من القرآن -مكتوباً أو محفوظاً- كان يختلف عمَّا كان عند غيره، كمّاً وترتيباً، ثم زعم أنه من الجائز أن تحدث أخطاء حين جَمْعِه زمن عثمان أو قبل ذلك، بحجة أن الذين تولوا مهمة جمعه لم يكونوا معصومين.[١]

أمواج من التضليل والخداع والتغيير والتحريف يمتهنها كثير من أهل الأهواء أدعياء الفكر والثقافة المغرمين بالحضارة الغربية الزائفة، دفعت بهم إلى التطاول على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وترويج الدسائس والشبهات والمغالطات حول قصص القرآن الكريم وكل ما هو ثابت وواقعي.

لقد قص علينا القرآن الكريم القصص الحق الذي وقع على وجه الحقيقة في غيب الماضي الذي غاب واندثر عن الناس، فكان ذلك دلالة على إعجاز القرآن الكريم وأنه كلام الله تعالى لا كلام بشر، كما دل على حقائق تاريخية صحيحة، ولكن الدس والتحريف الذي اجتره المغالطون على قصص الأنبياء الذي وقع في الأمم السابقة على وجه العموم ، وفي المرويات الإسرائيلية على وجه الخصوص، مكن الباحثين من المستشرقين وغيرهم إلى التشكيك في مضامين التراث الإسلامي عامة وفي قصص القرآن الكريم خاصة، حتى في الأمور البديهية مثل وجود الأنبياء المتقدمين الذين تدل الدلائل القاطعة على وجودهم، بل في إبراهيم عليه السلام الذي كان له أكبر الأثر بتوفيق من الله في تحول الإنسانية.

ثم تبعهم من بني جلدتنا من يمرر لهم أباطيلهم ويؤيدها باسم حرية البحث العلمي، ويطبقونها على قصص القرآن الكريم، ويثيرون حوله الشبهات والافتراءات، يقول د. نور الدين عتر " ثم جاء ببغاوات الثقافة الأجنبية من أبناء ملتنا ليرددوا مقالة أولئك، ويطبقونها على قصص القرآن الكريم، ويثيرون حوله الشك والريب، وكأن ثمة فئة من الناس تستكثر على هذا الإنسان أن يبقى له مرجع واحد ثابت لا يتطرق إليه الظن، يرقى بهذا الإنسان مما آل إليه من

---

[١] مدخل إلى القرآن الكريم ٢١٠/١.

الانحدار"[1] . وهذا هو حال أتباع المستشرقين لا يريدون أن يبقى للأمة تراث تاريخي حقيقي مجيد تحفظ به كيانها وشخصيتها واستقلالها بين الأمم، بل يريدون لها الذوبان بين ثقافات الأمم وتراثها المزيف، يقول الكاتب النمساوي المسلم مُحَمَّد أسد " وإذا كان أبرز المستشرقين قد جعلوا من أنفسهم فريسة التحزب غير العلمي في كتاباتهم عن الإسلام ، فإن بعض مقلديهم من المستشرقين الجدد أضافوا إلى غياب تلك الموضوعية جهلاً ذريعاً في تراث الأمة وأصولها العلمية، وحقداً متجذراً على علماء الأمة وتاريخها الحضاري"[2].

إن نفي د. مُحَمَّد الجابري القصص القرآني عن كونه حقائق تاريخية ووصفه بأنه مجرد وعظ واعتبار، هو نفي للحقائق المثبتة بالأدلة النقلية والعقلية والمادية الكونية، فالقرآن الكريم قد أحال الناس من قديم وحديث من الأدلة النقلية إلى النظر إلى آثار ومخلفات الأمم البائدة ، قبل أن يظهر علم الآثار ويقرأ الباحثون والعلماء أخبار تلك الأمم ويستنطقوا أحوالها، فقد أثبتت تلك الآثار صدق ما جاء به القرآن الكريم من أخبار ووقائع تاريخية، قصها على الناس عبر سياق قصصي فريد، كما قال عز وجل ﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ الصافات ١٣٧ - ١٣٨ ، وقوله سبحانه في مصير فرعون ﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴾ يونس ٩٢ ، وقد أثبت الباحث والجراح الفرنسي موريس بوكاى[3] هذه الحقيقة التاريخية التي أثبتها القرآن الكريم، فقال عن جثة فرعون" في عصر مُحَمَّد- ﷺ - كان كل شيء مجهولا عن هذا الأمر ولم تكتشف هذه الجثث إلا في القرن التاسع عشر، وكما يقول القرآن فقد أُنقذ بدن

[1] علوم القرآن الكريم ص ٢٤٥.

[2] الإسلام على مفترق الطرق، مُحَمَّد أسد، دار العلم للملايين، بيروت، بدون تاريخ نشر، ص ٥٦.

[3] موريس بوكاي (بالفرنسية Maurice Bucaille يوليو ١٩٢٠ - ١٧ فبراير ١٩٩٨طبيب فرنسي نشأ مسيحيا كاثوليكيا، وكان الطبيب الشخصي للملك فيصل آل سعود ومع عمله في المملكة العربية السعودية وبعد دراسة للكتب المقدسة عند اليهود والمسلمين ومقارنة قصة فرعون، أسلم وألف كتاب التوراة والأناجيل والقران الكريم بمقياس العلم الحديث الذي ترجم لسبع عشرة لغة تقريبا منها العربية، ينظر الموسوعة الحرة ويكيبيديا.

هذا الفرعون، وأيا كان هذا الفرعون فهو الآن في قاعة المومياء الملكية في المتحف المصري بالقاهرة، ويستطيع الزوار أن يروه"[1].

إن القصص في القرآن الكريم له من الأهداف والغايات الشيء الكثير، وليس كما حصرها د. الجابري في هدف واحد وهو العظة والعبرة، فالقرآن الكريم أوسع نطاقا وأشمل فضلا من أن يحصر في هذا النطاق الضيق، ولكن ضيق الأفق وضعف الإلمام بمكامن القصص القرآني عند الجابري جعله يبني مداركه وفهمه للقرآن الكريم على هذا النطاق، وإلا فأين مرتكزات البحث العلمي الصحيحة والمنصفة التي يدعيها الجابري وغيره من مستشرقي العرب والمسلمين، فالقصة في القرآن الكريم لها أغراض وغايات وسمات جليلة نذكر منها ما يلي:

أولا: القصة لا ترد بتمامها دفعة واحدة في القرآن الكريم، بل يقتصر على الجزء الذي يناسب الغرض الذي سيقت من أجله القصة، وهذا في حد ذاته إعجاز قصصي تاريخي مُحكم، كما في قصة موسى مع فرعون في سورة غافر جاءت على هيئة صراع بين حق وباطل ، وكفر وإيمان ، ولذلك فالسورة تذكر القصة بما يلائم الحال، بمحاولة قتل موسى عليه السلام، والتفكير بقتل أبناء قومه واستحياء نساءهم، ثم ظهور الرجل المؤمن من آل فرعون الذي كان يكتم إيمانه، فينصر الله به موسى عليه السلام فيدافع عنه، وتحايل فرعون ومراوغته في مواجهة دلائل الحق، ونهايته بالهلاك والعذاب الأليم ، كما قال عز وجل ﴿ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴾ غافر ٤٦ ، وتنتهي أيضا بحفظ الله لذلك المؤمن الحكيم ﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ﴾ غافر ٤٥ فكان ختام الحدث ملائما تماما لجو السورة المنتهية بمشهد في غاية الروعة والجمال.

ثانيا: ورود الدروس في العبرة والاتعاظ في ثنايا القصة وختامها ، فعلى سبيل المثال في سورة لقمان تأتي العظة من لقمان لابنه ﴿ وَإِذۡ قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ

[1] القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، موريس بوكاى، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص ٢٦٩.

﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٌ﴾ لقمان ١٣ ، ثم يأتي بعد هذا البيان تعقيب وتوجيه ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ﴾ لقمان ١٤ ، فهذا كلام الله عز وجل وليس من كلام لقمان، ومن ذلك يتأكد لنا أمرين ن أولهما وصية لقمان لابنه بالبعد عن الشرك المحبط للعمل، وثانيهما التأكيد على بر الوالدين وطاعتهما في غير معصية لله.

وشبيه ذلك ما جاء في حوار موسى عليه السلام ومؤمن آل فرعون، فموسى يقول مشيرا إلى عظيم ظلم فرعون وتجبره وتسلطه ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٖ لَّا يُؤۡمِنُ بِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ﴾ غافر ٢٧ ، وفي ثنايا كلام مؤمن آل فرعون ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ﴾ غافر ٢٨ و ﴿كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ﴾ غافر ٣٥ .

ثالثا: من خصائص القرآن عامة وقصصه خاصة خاصية أسلوب التكرار، إما في القصص أو في العبارات، وهذا مما تميز به هذا الكتاب العظيم عن غيره من الكتب السماوية، ولا يقصد بالتكرار هنا التكرار بمعناه الحقيقي، وإنما التكرار المقصود هو تكرار القصة نفسها ولكن حسب الغرض والوضع المقتضي لتكرارها، بهدف الاستشهاد، كما هو حاصل في قصص الأنبياء مع أقوامهم، فنجد القصة تعاد كما هي ولكن بالجزء فقط المناسب للاستشهاد وبالقدر المناسب، ولغرض مقصود وعلى وجه سريع، أما جسد القصة فلا يكرر إلا نادرا ولاستنباط الدروس والعبر، مما يؤكد لنا انتفاء التكرار بالمعنى الحقيقي.

ومثال ذلك ما ورد في قصة آدم في نحو ستة مواضع من القرآن الكريم، تدور حول اتباع الهوى ومخالفة أوامر الله، وقضية التوبة والإنابة. وكذلك قصة إبراهيم عليه السلام وردت في نحو من عشرين موضعا، تدور حول قضايا التوحيد والعقيدة والتوبة والأذان بالحج وبناء البيت العتيق وغير ذلك. وكذلك في باقي قصص الأنبياء والرسل وكلها دروس وعبر وشواهد.

أما التكرار في العبارات فهذا أسلوب بلاغي عظيم في القرآن الكريم وقصصه، فتارة يكرر العبارة بذاتها لما في ذلك تأكيد أو تهويل أو تصوير للموقف، وهذا فيه أثر عظيم على النفس البشرية لردعها عن الباطل وإقامتها على الحق، وهذا واضح جلي في سورة الرحمن في قوله تعالى ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ الرحمن ١٣، وفي ذلك دلالة على ذكر تعدد نعم الله على عباده ووجوب الانقياد له وعبادته والاخلاص له، ولكنهم كفروا نعمه وأشركوا معه غيره كعبادة الأصنام والأوثان، فجاءت سورة الرحمن تحاجهم وتحاقهم وتوقفهم على كل نعمة بالحجة الملزمة، وهكذا بالتعداد المفصل لهذه النعم يعيد المكابر والمعرض عن إعراضه، وترسخ في أعماق النفس الشعور بشكر نعم الله تبارك وتعالى، ولهذا عَقب على كل نعمة من هذه النعم بذكر ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ الرحمن ١٣.

وقد يكون هذا التكرار في اختلاف نظم الجملة، أو إيجاز أو إطناب، وهذا بلا شك يبرز سرا عجيبا من أسرار إعجاز القرآن الكريم، وهو أن يعبر عن المعنى الواحد بأكثر من أسلوب، دون أن يتأثر المعنى من إعجاز هذا الأسلوب، ولا يمكن أن يجتمع ذلك في كلام البشر، وهذا دليل على أن هذا القرآن ليس من عند محمدﷺ وإنما هو من عند الله عز وجل، وهذا نوع تصريف بيان يذكره الله في مواطن متعددة مثل قوله تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ الأنعام ١٠٥، وقوله سبحانه وتعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾ طه ١١٣.

يقول الزركشي" وحقيقة التصريف إعادة اللفظ أو مرادفه لتقرير معنى، خشية تناسي الأول لطول العهد به"[1] ، ولهذا خاطب القرآن الكريم الناس كافة على اختلافهم بهذا التصريف الإعجازي العظيم، فيوجز لمن لا يحتاج التفصيل ، ويفصل لمن لا يكفيه الإيجاز، وصدق المولى عز وجل حين قال متحديا الثقلين أن يأتوا بمثل هذا الإعجاز العظيم

[1] البرهان في علوم القرآن ١٠/٣.

﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ الإسراء ٨٨ .[١]

والخلاصة فيما سبق أن سياق القصص في القرآن الكريم قصص حقيقي وتاريخي، يدل على أحداث ووقائع وقعت بالفعل سواء فيما يخص قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، أم في باقي القصص كقصة أصحاب الكهف وصاحب الجنتين وقصة الرجل الصالح وذي القرنين وغيرهم، وأنها جاءت مثبتة بالأدلة النقلية والعقلية وبتتبع الآثار، تحمل في طياتها الهدف الأسمى وهو تحقيق العظة والاعتبار بقصص وأخبار السابقين وما حصل لهم من الهلاك والعذاب، حال إعراضهم وتكذيبهم الرسل، لردع النفوس الجامحة، وردها إلى الاعتراف بنعم خالقها وعبادته وطاعته والبعد عن معصيته وعن عبادة غيره معه، مما لا يدع مجالا للشك ولا الطعن في مضامين القرآن الكريم عامة وفي قصصه خاصة.

كما ثبت بالأدلة بطلان الشبهة التي أثارها د. محمد الجابري وردها عليه، إذ لم يُثْبت ولو بدليل واحد صدق ما أتى به ، وإنما أثار شبهة أثارها سابقيه من المستشرقين، فهو يردد ما قاله الأولون، دون النظر والإمعان والتدبر ولزوم العدل والإنصاف في الحكم على القرآن الكريم وقصصه، والسير في أرض الله والنظر في مخلفات الأمم البائدة التي يمر الناس عليها غدوا وعشيا ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴾ الروم ٤٢.

---

[١] ينظر علوم القرآن الكريم ص ٢٤٥-٢٥٠.

الشبهة الثالثة والعشرون

أولا: عرض الشبهة وتوثيقها.

دعواهم في قصة وحادثة الإفك ، يقول المستشرق ر.ف بودلي[1] BODLEY "كان مُحَّد يأخذ دائماً معه زوجة أو زوجتين إذا ما قام برحلة، أو خرج في غارة، وكن يرحلن في هودج، فوقه مظلة مشدودة على إطار من الأغصان، وكان الهودج يشد إلى سنام البعير، فكان النازل فيه يختفي عن الأنظار جملة، فكان من المحال معرفة ما إذا كان في الهودج أحد أو كان فارغاً، ما لم ترفع المظلة...............إلى آخر ما ذكر في الشبهة" [2].

ثانيا: الرد عليها ردا إجماليا.

حادثة الإفك من القصص التي أوحل المستشرقون فيها أقلامهم المنتنة، وسلكوا سبيل أسلافهم من المنافقين على عهد رسول اللهﷺ ، أمثال عبدالله ابن سلول وأعوانه، وحرفوا في قصتها وبدلوا ودسوا دسائسهم، ورموا أم المؤمنين الطاهرة بما أرادوا به تشويه سمعتها ، وتلويث عرضها، إيذاءً لها ولرسول اللهﷺ ، وتحريفا للقصص الحق وصدا عن الإسلام والقرآن، ولقد أنزل الله براءتها من السماء بقرآن يتلى ما بقيت السموات والأرض.

وحادثة الإفك من أشد البلايا والمحن التي تعرض لها النبيﷺ وأوذي بها أيما إيذاء، هو وأهل بيته، ولعمري إنها لمن أشد المحن ولكنهﷺ عالج ذلك بكامل حكمته وحنكته، فصبر وتحمل ولم يستعجل أمره حتى أتاه الله عز وجل بالفرج، وبرأ أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر

---

[1] كولونيل رونالد فيكتور كورتيناي بودلي ذو الصليب العسكري مارس ١٨٩٢م- ٢٦ مايو ١٩٧٠م الذي يُعرف إختصارا بـ ر.ف. س. بودلي، بالإنجليزية: R. V. C. Bodley كان ضابطا في صفوف الجيش البريطاني، كاتب، صحفي ومستشرق، ينظر .The New York Times Book Review, volume 2, Arno Press, 1960

[2] حياة محمد، ، ر ف بودلي، ترجمة عبدالحميد خوده السحار و مُحَّد فرج، دار الكتاب العربي، مصر، ١٩٤٥م، ص ٢٦١، والمستشرقون د. نجيب العقيقي ٢/٩٥، و السيرة النبوية وأوهام المستشرقين، د. عبد المتعال مُحَّد الجبري، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م، ص ٨٠-٨٣.

الصديق ﵁ من فوق سبع سموات، وهذا درس عملي لكل داعية إلى الله أن يتسم بالصبر والحلم ولا يتعجل الأمور حتى تتضح له الرؤيا كاملة، ويستبين له الأمر على حقيقته. ولقد تبوأت أم المؤمنين عائشة ﵂ مكانة رفيعة في الإسلام عامة في سيرتها وتربيتها ومحبتها عند رسول الله ﷺ على وجه الخصوص ، وكذلك الصحابي الجليل صفوان بن المعطل ﵁ في محبته وطاعته لله ولرسوله ﷺ ، مما نفى عنهما أي وقوع في الفاحشة التي يتورع عنها كل مسلم، فكيف بهؤلاء الصفوة الأبرار.

ولذلك بقي النبي عليه الصلاة والسلام يحمل من الكرب ما لا يعلمه إلا الله وينتظر فرج ربه، إذ أن أمر الوحي ليس بيده، وإنما بيد الله عز وجل الذي أتاه وأفرج عنه كربته، وأذهب عنه همه وغمه، وجاءت البراءة من الذي يعلم السر وأخفى، وأصبحت قرآنا يتلى بتبرئتها إلى أن تقوم الساعة، كما قال عز وجل ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۚ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ النور ١١ .

ثالثا: الرد عليها ردا تفصيليا.

وقبل أن نوغل في الرد على هذه الفرية، نورد القصة بطولها كما وردت بها الروايات الصحيحة عند البخاري ومسلم ، لا كما أوردها المغالطون المحرفون للكلم عن مواضعه. فعن عائشة ﵂ كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفرا أقرع بين أزواجه فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله ﷺ معه قالت عائشة فأقرع بيننا في غزوة غزاها[1] فخرج فيها سهمي فخرجت مع رسول الله ﷺ بعد ما أنزل الحجاب فكنت أحمل في هودجي وأنزل فيه فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته تلك وقفل[2] ودنونا من المدينة قافلين آذن ليلة بالرحيل فقمت حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأني أقبلت إلى رحلي فلمست صدري فإذا عقد لي من جزع ظفار[3] قد انقطع فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه

---

[1] هي غزوة بني المصطلق سنة ست من الهجرة ينظر، كتاب السيرة النبوية ، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو مُحَمَّد، تحقيق طه عبد الرءوف سعد، دار الجيل ، بيروت، ١٤١١هـ، ٣/٣٢٥.

[2] ينظر لسان العرب لابن منظور مادة قفل.

[3] الجزع هو الخرز اليماني، وظفار اسم لإحدى مدن اليمن ينظر المصدر السابق مادتي جزع و ظفر.

قالت وأقبل الرهط[1] الذين كانوا يرحلون لي فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب عليه وهم يحسبون أني فيه وكان النساء إذ ذاك خفافا لم يهبلن[2] ولم يغشهن اللحم إنما يأكلن العُلقة[3] من الطعام فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وحملوه وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل فساروا ووجدت عقدي بعد ما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس بها منهم داع ولا مجيب فتيممت[4] منزلي الذي كنت فيه وظننت أنهم سيفقدوني فيرجعون إلي فبينا أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت وكان صفوان بن المعطل السلمي الذكواني[5] من وراء الجيش فأصبح عند منزلي فرأى سواد إنسان نائم فعرفني حين رآني وكان رآني قبل الحجاب فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني فخمرت[6] وجهي بجلبابي والله ما تكلمنا بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه وهوى حتى أناخ راحلته فوطئ على يدها فقمت إليها فركبتها فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش موغرين في نحر الظهيرة وهم نزول قالت فهلك من هلك وكان الذي تولى كبر الإفك[7] عبد الله بن أبي ابن سلول ، قال عروة أخبرت أنه كان يشاع ويتحدث به عنده فيقره ويستمعه ويستوشيه ، وقال عروة أيضا لم يسم من أهل الإفك أيضا إلا حسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش في ناس آخرين لا علم لي بهم غير أنهم عصبة كما قال الله تعالى وإن كبر ذلك يقال له عبد الله بن أبي ابن سلول ، قال عروة كانت عائشة تكره أن يسب عندها حسان وتقول أنه الذي قال :

فإن أبي ووالده وعرضي * لعرض مُحَّد منكم وقاء

قالت عائشة فقدمنا المدينة فاشتكيت حين قدمت شهرا والناس يفيضون في قول أصحاب الإفك لا أشعر بشيء من ذلك وهو يريبني في وجعي أني لا أعرف من رسول الله ﷺ اللطف

---

[1] الرهط من الرجال ما دون العشرة، وقيل إلى الأربعين ولا تكون فيهم امرأة، ينظر لسان العرب لابن منظور مادة رهط.

[2] يهبّلن: أي لم يكثر عليهن، ينظر المصدر السابق مادة هبل.

[3] العُلقة أي يكتفين بالبُلغة من الطعام، ينظر المصدر السابق مادة علق.

[4] فتيممت أي قصدتُ، ينظر المصدر السابق مادة يمم.

[5] صفوان بن المعطل بن ربيضة بن خزاعي بن محارب بن مرّة بن فالج بن ذكوان بن ثعلبة بن بهثة بن سليم بن منصور، السّلمي الذّكواني، كذا نسبه أبو عمر، ينظر أسد الغابة في معرفة الصحابة ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم مُحَّد بن مُحَّد بن عبد الكريم بن عبد الواحد، المعروف بابن الاثير ، تحقيق علي مُحَّد معوض ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤ م ، ٢٣/٢.

[6] فخمَّرت: أي غطيت، ينظر مقاييس اللغة لابن فارس مادة خمر. وفي هذا دليل على وجوب ستر الوجه للمرأة.

[7] الإفك في الأصل الكذب، والمراد به هاهنا ما كُذب عليها مما رُميت به، ينظر المرجع السابق مادة إفك.

الذي كنت أرى منه حين أشتكي إنما يدخل علي رسول الله ﷺ فيسلم ثم يقول (كيف تيكم)، ثم ينصرف فذلك يريبني ولا أشعر بالشر حتى خرجت حين نقهت فخرجت مع أم مسطح قبل المناصع وكان متبرزنا وكنا لا نخرج إلا ليلا إلى ليل وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريبا من بيوتنا قالت وأمرنا أمر العرب الأول في البرية قبل الغائط وكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا قالت فانطلقت أنا وأم مسطح وهي ابنة أبي رهم ابن المطلب بن عبد مناف وأمها بنت صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق وابنها مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب فأقبلت أنا وأم مسطح قبل بيتي حين فرغنا من شأننا فعثرت أم مسطح في مرطها فقالت تعس مسطح فقلت لها بئس ما قلت أتسبين رجلا شهد بدرا ؟ فقالت أي هنتاه أو لم تسمعي ما قال ؟ قالت وقلت وما قال ؟ فأخرتني بقول أهل الإفك قالت فازددت مرضا على مرضي فلما رجعت إلى بيتي دخل علي رسول الله ﷺ فسلم ثم قال (كيف تيكم)، فقلت له أتأذن لي أن آتي أبوي ؟ قالت وأريد أن أستيقن الخبر من قبلهما قالت فأذن لي رسول الله ﷺ فقلت لأمي يا أمتاه ماذا يتحدث الناس ؟ قالت يا بنية هوني عليك فو الله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها لها ضرائر إلا أكثرن عليها ، قالت فقلت سبحان الله أو لقد تحدث الناس بهذا ؟ قالت فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم ثم أصبحت أبكي قالت ودعا رسول الله ﷺ علي ابن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبث الوحي يسألهما ويستشيرهما في فراق أهله قالت فأما أسامة أشار على رسول الله ﷺ بالذي يعلم من براءة أهله وبالذي يعلم لهم في نفسه فقال أسامة أهلك ولا نعلم ألا خيرا ، وأما علي فقال يا رسول الله لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير وسل الجارية تصدقك ، قالت فدعا رسول الله ﷺ بريرة فقال (أي بريرة هل رأيت شيء يريبك) ، قالت له بريرة والذي بعثك بالحق ما رأيت عليها أمرا قط أغمصه أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجن فتأكله.

قالت فقام رسول الله ﷺ من يومه فاستعذر من عبد الله ابن أبي وهو على المنبر فقال (يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني عنه أذاه في أهلي والله ما علمت على أهلي إلا خيرا ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرا وما يدخل على أهلي إلا معي) ، قالت فقام سعد بن معاذ أخو بني عبد الأشهل فقال أنا يا رسول الله أعذرك فإن كان من الأوس ضربت عنقه وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك ، قالت فقام رجل من الخزرج

وكانت أم حسان بنت عمه من فخذه وهو سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج قالت وكان قبل ذلك رجلا صالحا ولكن احتملته الحمية فقال لسعد كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله ولو كان من رهطك ما أحببت أن يقتل، فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد فقال لسعد بن عبادة كذبت لعمر الله لنقتلنه فإنك منافق تجادل عن المنافقين ، قالت فثار الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله ﷺ قائم على المنبر قالت فلم يزل رسول الله ﷺ يخفضهم حتى سكتوا وسكت فبكيت يومي ذلك كله لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم قالت وأصبح أبوي عندي قد بكيت ليلتين ويوما ولا يرقأ لي دمع لا أكتحل بنوم حتى إني لأظن أن البكاء فالق كبدي فبينا أبواي جالسان عندي وأنا أبكي فاستأذنت علي امرأة من الأنصار فأذنت لها فجلست تبكي معي قالت فبينا نحن على ذلك دخل رسول الله ﷺ علينا فسلم ثم جلس قالت لم يجلس عندي منذ قيل ما قيل قبلها وقد لبث شهرا لا يوحى إليه في شأني بشيء قالت فتشهد رسول الله ﷺ حين جلس ثم قال (أما بعد ياعائشة إنه بلغني عنك كذا وكذا فإن كنت بريئة فسيبرئك الله وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه فإن العبد إذا اعترف ثم تاب، تاب الله عليه) .

قالت عائشة فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قلص دمعي حتى ما أحس منه قطرة فقلت لأبي أجب رسول الله ﷺ عني فيما قال فقال أبي والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه و سلم فقلت لأمي أجيبي رسول الله ﷺ فيما قال قالت أمي والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ فقلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ من القرآن كثيرا إني والله لقد علمت لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به فلئن قلت لكم إني بريئة لا تصدقوني ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أني منه بريئة لتصدقني فو الله لا أجد لي ولكم مثلا إلا أبا يوسف حين قال ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ يوسف ١٨ ، ثم تحولت واضطجعت على فراشي والله يعلم أني حينئذ بريئة وأن الله مبرئي ببراءتي ولكن والله ما كنت أظن أن الله منزل في شأني وحيا يتلى لشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله في بأمر ولكني كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله بها فوالله ما رام رسول الله ﷺ مجلسه ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء حتى إنه ليتحدر منه العرق مثل الجمان وهو في يوم شات كم ثقل القوم الذي أنزل عليه قالت فسرى عن رسول الله ﷺ وهو يضحك فكانت أول كلمة تكلم بها أن قال (يا عائشة أما

والله فقد برأك) ، فقالت لي أمي قومي إليه فقلت والله لا أقوم إليه فإني لا أحمد إلا الله عز و جل قالت وأنزل الله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾ النور ١١ ، العشر الآيات ثم أنزل الله هذا في براءتي قال أبو بكر الصديق وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه وفقره والله لا أنفق على مسطح شيئا أبدا بعد الذي قال لعائشة ما قال ، فأنزل الله ﴿ وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾ النور ٢٢ ، قال أبو بكر الصديق بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي فرجع إلى مسطح النفقة التي ينفق عليه وقال والله لا أنزعها منه أبدا قالت عائشة وكان رسول الله ﷺ سأل زينب بنت جحش عن أمري فقال لزينب ماذا علمت أو رأيت) ، فقالت يا رسول الله أحمي سمعي وبصري والله ما علمت إلا خيرا قالت عائشة وهي التي كانت تساميني من أزواج النبي ﷺ فعصمها الله بالورع ، قالت وطفقت أختها تحارب لها فهلكت فيمن هلك.[1]

وبعد ما عرضنا قصة حادثة الإفك موثقة كما وقعت، نعرض بعدها شبهة وفرية المستشرق بودلي Bodly لنقارن ونبين البون الشاسع بين الأمرين، ولنرى أيضا مدى التحريف والتبديل وتغيير معالم القصة الحقيقية ورمي العفيفة الطاهرة أم المؤمنين رضي الله عنها بالتهم وتشويه سيرتها العطرة وإيذاء نبينا ﷺ بذلك كونها زوجه وأحب نسائه إليه، بل وتشويه القصص القرآني وصد الناس عنه، وهذا ليس منهجه الشخصي فقط بل منهج المستشرقين والمتغربين عامة ممن درسوا الإسلام ومنهج القرآن القصصي وغيروا وبدلوا ، يقول هذا المغالط:

(كان مُحَمَّد يأخذ دائما معه زوجة أو زوجتين إذا ما قام برحلة، أو خرج في غارة، وكن يرحلن في هودج، فوقه مظلة مشدودة على إطار من الأغصان، وكان الهودج يشد إلى سنام البعير، فكان النازل فيه يختفي عن الأنظار جملة، فكان من المحال معرفة ما إذا كان في الهودج أحد أو كان فارغاً، ما لم ترفع المظلة، كان مُحَمَّد قد أتم غزوته القصاصية الناجحة لقبيلة بني

[1] رواه البخاري، كتاب المغازي ، باب حديث الإفك، ١٥١٧/٤، الحديث ٣٩١٠، ومسلم ، كتاب التوبة ، باب حديث الإفك، ٢١٢٠/٤، الحديث ٥٦.

المصطلق، حيث تزوج من جويرية زوجه الثامنة، وكان في طريق عودته إلى المدينة بجنده وبعيره وغنائمه، وكانت المرحلة الأخيرة لبلوغ المدينة طويلة، فكان على المسلمين أن يحملوا خيامهم في الفجر، فلما استيقظت عائشة خرجت إلى الخلاء لبعض حاجتها، فلما عادت كانت خيمتها قد رفعت، وكان جملها منتظرا، فلما همّت بدخول هودجها، كشفت أن قلادتها قد انسلت من عنقها، فعادت أدراجها، دون أن تخطر أحدا للبحث عنها، وكان من الصعب رؤية قلادة منسلة في عماية الصبح، بين الحصى والأعشاب، ولاح نور الصباح قبل أن تعثر عليها، ثم ثبتتها حول عنقها، وعادت لتلحق بالقافلة، ولكن لم تجد هناك قافلة، وكانت نيران العسكر هي الدليل على أن أناساً كانوا هناك، لقد حسب المكلفون بنقل عائشة أن السيدة في هودجها، فشدوه إلى بعيره، فقد كانت عائشة صغيرة خفيفة جدا، حتى إنه ما كان أحد ليميز وجودها في الهودج من غيابها.

فلما تحرك الركب، انطلق الرجال وهم يقودون بعيرا غير محمل، وقفت عائشة لحظة تحدق في فضاء الصحراء العريض، وقد انسحب الفجر ليفسح لحرارة الصباح، وكانت الشمس ترسل أشعتها الحامية إلى الفضاء الصخري، فلم تجد أثرا لقومها أو قافلتها، فهزت منكبيها وجلست، فما كان يجدي الذعر، وما كان هناك من فائدة في محاولتها اللحاق بقافلتها، وإنه لمن الأفضل أن تبقى في المكان الذي رؤيت فيه آخر مرة، وإنها لتأمل أن يعود القوم إليها إذا ما افتقدوها، فلم يجدوها في الهودج، فلما ارتفعت حرارة النهار استولى عليها خمول، فالتفت في جلبابها، واستظلت تحت شجرة ثم نامت، فلما استيقظت كانت الشمس مرتفعة في السماء ولم تكن وحيدة، كان ينظر إليها من فوق هجين مرتفع شاب وسيم، ففركت عائشة عينيها، فابتسم الشاب، ثم أناخ بعيره، وقال إنه صفوان بن المعطل، ولم تُقدِّم عائشة نفسها له، تبعا لما قالته عائشة لما روت القصة، وكان صفوان يعرفها بالنظر، فقد خاطبها بعائشة بنت أبي بكر، سألها صفوان، ما تفعله بجلوسها منفردة في وسط صحراء العرب؟ فشرحت له عائشة الأمر، فضحك صفوان!!.

ثم عرض عليها بعيره ليقودها إلى المدينة، فقبلت عائشة، فساعدها صفوان على الركوب، ثم انطلقا، وفي نفس الوقت استمرت قافلة المسلمين في طريقها دون أن يفطن أحد إلى أن عائشة ليست فيها، ولم يكشف اختفاؤها قبل أن يناخ الجمل بالهودج الفارغ أمام مساكن النبي، ثم ابتدأ الدهش؟! إن قُوَّاد الجمل الذين كانوا مقتنعين بأنهم رحلوا من المعسكر

بعائشة، قد عزوا اختفاءها إلى الجن، وكان هذا هو الشرح الوحيد المقبول، مادام أنهم لم يقفوا في الطريق أبدا، وما كان مُحَمَّد ليوافق على خرافات كهذه، فراح ينظم جماعة للخروج للبحث عنها، لما أقبل بعير من طرقات المدينة الضيقة، يقوده شاب وسيم جميل، وكانت عائشة جالسة على ظهر البعير حلوة كالقمر، وأنيخ البعير أمام مدخل دارها، فنزلت عائشة وابتسمت لصفوان ودلفت إلى الدار، دون أن تحسن أنها عرضة للانتقاد، كأنما اعتادت السفر في الصحراء مع شبان أغراب، وكان مُحَمَّدا مسرورا برؤية زوجه الأثيرة عنده سالمة، فرحَّب بها، ولما كان الأمر يعنيه خاصة انتهت الحادثة، وكان من الواجب أن تنتهي ما لم يتدخل في الأمر عبدالله بن أبي)[١] .

إن من يقرأ القصة كما وردت حقيقة عند البخاري ومسلم وعن ابن هشام في السيرة وغيره، ويقرأ نقل بودلي لها ليجد العجب العجاب من هذا التحريف والتشويه المتعمد من هذا المستشرق، فقد ورد في نقله وصف للقصة لم يحصل البتة، كقوله (فابتسم الشاب، وقال إنه صفوان بن المعطل)، وقوله (وسألها صفوان: ما تفعله بجلوسها منفردة في وسط صحراء العرب فشرحت له عائشة الأمر، فضحك صفوان)؟ وقوله (أقبل بعير من طرقات المدينة الضيقة يقوده شاب وسيم جميل، وكانت عائشة جالسة على ظهر البعير حلوة كالقمر، فنزلت عائشة وابتسمت لصفوان ودلفت إلى الدار، كأنما اعتادت السفر في الصحراء مع شُبان أغراب)؟ إلى آخر ما حرف وألف وألصق بأم المؤمنين والصحابي الجليل ما لم يكن منهما، وتلك العبارات تدل على مجانبة هذا المستشرق للعدل والصواب وتحري الحقيقة فيما ينقل، إذ لا دليل يملكه البتة على ما يقول، وإنما تلفيقات تفتقر إلى أدنى مستويات الموضوعية والبحث العلمي الصحيح.

لقد أراد بهذه العبارات التشويه المتعمد لأم المؤمنين ﷺ، وإظهارها بمظهر المتهتكات عن الستر والحياء، وهذا ألصق بحياة نساء الغرب البعيدة عن أخلاق الحياء والستر والعفاف، والسعي نحو الحياة الشهوانية والتهافت عليها. ومن ناحية أخرى نرى استخدامه للمنهج الإسقاطي البعيد عن مساره الصحيح، حيث أراد إسقاط الحياة الاجتماعية العربية المنفلتة عن

---

[١] حياة محمد، ، ص ٢٦١، والمستشرقون نجيب العقيقي ٩٥/٢، و السيرة النبوية وأوهام المستشرقين، ص ٨٠-٨٣.

ضوابط الحشمة والعفاف على حياة امرأة شريفة وكريمة الأصل والمنشأ، وأم من أمهات المؤمنين، صديقة وابنة صديق، زوجة خير البشرية وسيدها عليه الصلاة والسلام.

إن من السنن الإلهية التي كتبها على عباده ، سنة الابتلاء التي تستلزم الصبر والثبات، ليعقب ذلك عظيم الأجر والسعادة في الدارين، وهذه فائدة لكل من تصدى للدعوة إلى الله وصبر على ما يعترضه من آفات وبلايا، فإنه سينال بذلك مغفرة من الله ورضوان وجنات فيها نعيم مقيم، كما قال عز وجل ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾ الملك ٢ وقوله سبحانه ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ العنكبوت ٢ وقول تعالى ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ الشورى ٤٣ ، فالمسلم معرض خلال مرحلته العمرية والحياتية إلى ألوان الابتلاء، وكلما علا إيمان الإنسان كلما زيد في بلائه، سواء في النفس أو المال أو الدعوة أو غير ذلك، فعن مصعب بن سعد عن أبيه قال قلت : "يا رسول الله أي الناس أشد بلاء قال الأنبياء ثم الصالحون ثم الامثل فالأمثل من الناس يبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان في دينه صلابة زيد في بلائه وان كان في دينة رقة خفف عنه وما يزال البلاء بالعبد حتى يمشى على ظهر الأرض ليس عليه خطيئة"[1].

يقول سيد قطب" إنها سنة الله في الدعوات الكبيرة، لا بد من بلاء، ولا بد من أذى في النفس والأموال، ولا بد من صبر ومقاومة واعتزام، إنه الطريق إلى الجنة وقد حفت الجنة بالمكاره، بينما حفت النار بالشهوات"[2] ، ولذلك فالمؤمن يوطن نفسه على ما قد يعترضه من البلايا والمحن ويصبر ، فالصبر عاقبته الظفر، يقول د. عامر السلامي " وعلى هذا يجب أن نوقن يقينا كاملا بأن هذه الدنيا ، إنما هي دار ابتلاء واختبار، وليست دار راحة واستقرار"[3] .

ورسول الله ﷺ قدوة الخلق في الابتلاء والامتحان وقد ضرب أروع الأمثال في الصبر والاحتساب، كما قال عز وجل ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ

---

[1] رواه ابن ماجة، كتاب الفتن، ١٥٢/٥ الحديث رقم ٤٠٢٣، و أحمد ١٧٢/١ الحديث رقم ١٤٨١، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ١٤٢/١ برقم ١٤٣.

[2] في ظلال القرآن، سيد قطب، ٥٣٩/١ .

[3] حديث الإفك دروس وعبر، د. عامر حسين السلامي، دار القمة، الإسكندرية، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م، ص١٠٤.

يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴾ الأحزاب ٢١ فلقد تعرض لصنوف من الأذى والضيم من المشركين واليهود والمنافقين، فمن أعظم صور الابتلاء التي تعرض لها عليه الصلاة والسلام ، وصاحبه أبي بكر وابنته عائشة أم المؤمنين زوج النبيﷺ ، الطعن في عرضه وفي شرف أحب نسائه إليه الصديقة بنت الصديق ورموها بالإفك واتهموها بصفوان ابن المعطل ﷺ ، كما جاء في ثنايا القصة المذكورة آنفا مما يغني عن إعادتها لتلافي التكرار، ولهذا قام عليه الصلاة والسلام على المنبر والمسلمون مجتمعون فقال" من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهلي؟ والله، ما علمت على أهلي إلا خيرا، ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرا، وما يدخل على أهلي إلا معي" فقام سعد بن معاذ الأنصاري فقال يا رسول الله انا أعذرك منه إن كان من الأوس ضربت عنقه وإن كان من إخواننا من الخزرج امرتنا ففعلنا أمرك، فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وكان قبل ذلك رجلا صالحا ولكن احتملته الحمية فقال لسعد كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد فقال لسعد بن عبادة كذبت لعمر الله لنقتلنه فإنك منافق تجادل عن المنافقين فتثاور الحيان الأوس والخزرج حتى هموا ان يقتتلوا ورسول الله ﷺ قائم على المنبر فلم يزل رسول الله ﷺ يخفضهم حتى سكتوا وسكت.

ولهذا مكثت ﵂ يومها ذلك لا يرقأ لها دمع ولا تكتحل بنوم حتى أصبح أبواها عندها وقد بقيت ليلتين ويوما لا تكتحل بنوم ولا يرقأ لها دمع يظنان أن البكاء فالق كبدها، فبينما هما جالسان عندها وهي تبكى فاستأذنت عليها امرأة من الأنصار فأذنت لها فجلست تبكي معها ، فبينا هم على ذلك دخل عليهم رسول الله ﷺ فسلم ثم جلس ولم يجلس عندها منذ قيل ما قيل قبلها وقد لبث شهرا لا يوحى إليه في شأنها ، فتشهد رسول الله ﷺ حين جلس ثم قال "أما بعد يا عائشة فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا فان كنت بريئة فسيبرئك الله وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه فان العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه" ، فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته تقلص دمعها حتى ما تحس منه قطرة فقالت لأبيها أجب رسول الله ﷺ فيما قال والله ما أدرى ما أقول لرسول الله ﷺ فقالت لأمها أجيبي رسول الله ﷺ قالت ما أدرى ما أقول لرسول الله ﷺ ، قالت وهي جارية حديثة السن لا تقرأ كثيرا من القرآن أنى والله لقد علمت، لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به فلئن قلت لكم انى بريئة والله يعلم انى بريئة لا تصدقوني بذلك ولئن اعترفت لكم بأمر والله

يعلم انى منه بريئة لتصدقني والله ما أجد لكم مثلا الا قول أبى يوسف قال فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون .

وفي خضم هذا الليل الحالك من الحزن والأسى وبالغ العناء والتعب، يأت الفرج من السماء ، وتنزل البراءة من الذي يعلم السر وأخفى، بآيات تتلى ما بقيت السماوات والأرض، وبرئت أم المؤمنين مما ألصق بها من التهم والافتراء، وذلك في قوله عز وجل ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۚ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ النور ١١ – ٢٢ [١] .

---

[١] ينظر نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، الشيخ محمد الخضري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٥هـ، ص١٠٩– ١٢.

إن الهدف من وراء هذه الشائعة وهذه الشبهة المفتراة من جانب المنافقين وأتباعهم من المستشرقين والمتغربين من أبناء العرب والإسلام في كل عصر ومصر، هو رسول الله ﷺ لتشويه سمعته وتلويث عرضه، وصد الناس عن متابعته والعمل بشريعته، وإقعاده عما أمر به من إرساء دعائم الدعوة إلى الله ، وإثنائه عن ذلك، ولكنه عليه الصلاة والسلام المؤيد من ربه جل وعلا مضى في دعوته وتجلد بالصبر والتحمل لهذا الأمر العظيم، حتى جاء الفرج، ورفع الغم، وتمت البراءة، وخنس المنافقون وزعيمهم ابن سلول، الذي تولى كبر هذه الجريمة النكراء.[١]

إن سيرة الصديقة ابنة الصديق رضي الله عنها، وكذلك سيرة الصحابي الجليل صفوان بن المعطل السلمي، تنفيان قطعا عنهما الوقوع في مثل هذه الجريمة النكراء، مما يدعو إلى العجب من هؤلاء المغالطون من المستشرقين أمثال بودلي في قلبهم للحقائق ، وتشويههم للسيرة والتاريخ بمزاعم كاذبة لا تقوم على أدنى دليل علمي صحيح، وإنما ظنون كلها إثم وبغي وعدوان، ويزداد العجب عندما يشوهون سيرة هذه الشريفة ابنة الشريف الصديق الناشئة في بيت العفاف والطهر، وقد زكاها الله ورسوله ﷺ ، وكذلك تشويه سمعة الصحابي الجليل صفوان المزكى من النبيﷺ بقوله" ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرا" .

ومما يزيدها رفعة رضي الله عنها وينفي عنها افتراءات الكاذبين، أنها ولدت في بيت عامر بالإسلام، فلم تعرف دروب الشرك والنفاق، مما مكنها من أن تكون عالمة ذات شأن عظيم في زمنها، كما أنها نشأت في بيت ذا مكانة اجتماعية كبيرة قبل الإسلام وبعده، تزوجها النبيﷺ بعد وفاة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها بسنتين تقريبا، فقد حزن ﷺ حزنا شديدا على خديجة فقد كانت العوين والنصير له في الدعوة ونشر الدين بعد الله جل وعلا، ففي ثنايا الحزن والألم يأتيه البشير من السماء بزواجه من عائشة ابنة أبي بكر رضي الله عنه، فعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال لها " أريتك في المنام مرتين أي أنك في سَّرَقة[٢] من حرير ويقال هذا امرأتك فاكشف عنها فإذا هي أنت فأقول إن يكن هذا من عند الله يمضه"[٣].

ومن المسلم به أن رؤيا الأنبياء حق ومن عند الله، ولهذا جاءت خولة بنت حكيم زوجة

---

[١] ينظر حديث الإفك دروس وعبر ص ١٣٧-١٣٨.

[٢] السَّرَقة، القطعة البيضاء أو الجيدة، ينظر لسان العرب لابن منظور مادة سرق.

[٣] رواه البخاري، كتاب فضائل الصحابة ، باب تزويج النبيﷺ ، ١٤١٥/٣ الحديث ٣٦٨٢، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل عائشة، ١٨٨٩/٤ الحديث ٧٩.

عثمان بن مضعون إلى النبيﷺ لتعرض عليه الزواج بعد خديجة ﵂، وتعرض عليه كلا من عائشة وسودة، فوافق ﷺ وكان إذا افتقد عائشة قال وعروساه، وقد أكسبها هذا الحب القرب منه والتفقه في الدين والعلم خصوصا فيما يتصل بالحياة الزوجية، حتى صارت بذلك مرجعا علميا للصحابة، يقول الزهري" لو جُمع لي علم عائشة وعلم أمهات المؤمنين وعلم جميع النساء، لكان علم عائشة أفضل"[1] . فعيشها ﵂ في بيت خير خلق الله قد أضاف إلى مكانتها الاجتماعية ، مكانة أرفع وأرقى ، وذلك لكونها زوجة رسول الله وبذلك صارت أما للمؤمنين ، وعلما من أعلام العلم والفقه في الدين، حتى أن كبار الصحابة ﵃ أجمعين يرجعون إليها في كثير من علوم الدين، لغزارة علمها والتصاقها بالنبيﷺ.

وقد كانت في بيت أبيها تعيش عيشة رغيدة، وعندما انتقلت إلى بيت النبي ﷺ اختلف عليه الوضع لقلة ذات اليد عنده ﷺ ، ولكنها تكيفت مع وضعها وصبرت، وعندما خيرها عليه الصلاة والسلام بين الدنيا وزخرفها ويسرحها، أو البقاء واختيار الله ورسوله والدار الآخرة، اختارت الله ورسوله والدار الآخرة وآثرت ذلك على الدنيا ومتعها، وهذا فيه رد لشبهة بودلي عليه، إذ أن عائشة ﵂ لم تكن يوما لتميل أو تنظر لأحد مهما بلغت وسامته، لأنها اختارت خير خلق الله والدار الآخرة، كما قال عز وجل موجها لرسولهﷺ ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَـٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾ الأحزاب ٢٨ - ٢٩ ، فعن عائشة ﵂ قالت فأنزلت آية التخيير فبدأ بي أول امرأة فقال " إني ذاكر لك أمرا ولا عليك أن لا تعجلي حتى تستأمري أبويك " قالت قد أعلم أن أبوي لم يكونا يأمراني بفراقك ثم قال " إن الله قال ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَـٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾ قلت أفي هذا أستأمر أبوي فإني أريد الله ورسوله

---

[1] سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله مُحَمَّد بن أحمد الذَهَبي، تحقيق مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، ٣/١٦٣.

والدار الآخرة ثم خير نساءه فقلن مثل ما قالت عائشة"[١] .

وعندما بعث لها عبد الله بن الزبير بغرارتين[٢] مملوءتين بالمال فيهما مائة ألف، فقسمت ذلك المال في مستحقيه، ونسيت من حبها للخير أن تبقي لنفسها شيئا تفطر عليه، وكانت صائمة ذلك اليوم، فهل يصدق على من هذه سيرتها أن تنظر إلى شاب أو تقترف أي نوع من الفواحش؟ وكان عليه الصلاة والسلام يلاعبها ويسابقها ويحملها على عاتقه لترى الحبشة وهم يلحبون بالحراب، ليدخل الفرح والسرور عليها، تقول ﵂" سابقني رسول الله ﷺ فسبقته ما شاء حتى إذا أرهقني اللحم سابقني فسبقني، فقال يا عائشة هذه بتلك"[٣].

ويكفيها فخرا قول النبي ﷺ " كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام "[٤] ، هذا بالإضافة إلى فضائل عدة تميزت بها عن غيرها من النساء، ومن تلك الفضائل:

١) أن الله برأها من فوق عرشة بقرآن يتلى إلى قيام الساعة فيما يقارب من ست عشرة آية.

٢) نزول جبريل عليه السلام من السماء بصورتها للنبي ﷺ ويقول هذه زوجتك كما قال لها عليه الصلاة والسلام أريتك في المنام مرتين أي أنك في سَّرَقة من حرير ويقال هذا امرأتك فاكشف عنها فإذا هي أنت فأقول إن يكن هذا من عند الله يمضه[٥] .

٣) تزوجها ﷺ بكرا ولم يتزوج غيرها بكرا.

٤) كانت عائشة ﵂ أحب نسائه إليه.

٥) مُرِّض عليه الصلاة والسلام في بيتها دون بيت بقية أزواجه.

---

[١] رواه البخاري، كتاب المظالم ، باب الغرفة والعلية المشرفة في السطوح، ٨٧١/٢ الحديث ٢٣٣٦و مسلم، كتاب الطلاق ، باب بيان أن تخيير امرأته..، ١١٠٣/٢ الحديث ٢٢.

[٢] الغرارة: إناء من الخيش ونحوهن ينظر لسان العرب لابن منظور مادة غرر.

[٣] صحيح: أخرجه أحمد في مسنده، ٢٦٤/٦، وأبو داود في سننه، كتاب الجهاد، باب في السبق على الرجل ٣٣٤/٢، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم ١٣٠.

[٤] رواه البخاري ، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عائشة ﵂ ٣/ ١٢٥٢الحديث ٣٢٣٠، ومسلم ، كتاب فضائل الصحابة، باب في فضل عائشة ﵂، ١٨٨٦/٤الحديث ٧٠ من حديث أبي موسى ﵁.

[٥] رواه البخاري، كتاب فضائل الصحابة ، باب تزويج النبي ﷺ ، ١٤١٥/٣ الحديث ٣٦٨٢، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل عائشة، ١٨٨٩/٤ الحديث ٧٩.

٦) قبل أن يقضي أنفاسه الأخيرة ويلتحق بالرفيق الأعلى اجتمع ريقه بريقها.
٧) فارق ﷺ الحياة وهو بين صدرها ونحرها.
٨) وفاته ﷺ في بيتها ودفنه فيه.
٩) لم ينزل عليه ﷺ الوحي وهو في لحاف أحد من نسائه غيرها.
١٠) كان والدها أبا بكر أحب الرجال إلى النبيﷺ.
وغير هذا كثير من أوصافها وسيرتها العطرة، فهل من هذه بهذه المكانة والرفعة يصدق عليها اقتراف الفاحشة أو النظر إلى الرجال كما يدعيه هذا المستشرق المغالط؟.

أما محبتها لرسول الله ﷺ وغيرتها عليه التي بلغت بالغيرة من خديجة رضي الله عنها وقد ماتت، فلا يحتاج إلى شواهد ، ومن قرأ سيرتها العطرة سيجد من الأدلة والشواهد ما تسعد به نفسه، وتقر به عينه، فهل من المتأتي والمعقول والمقبول عقلا ومنطقا أن من تحبه بهذا الحب الشديد، والغيرة الكبيرة، أن تعدل إلى شاب أقل منه منزلة ورفعة وشأنا؟ هل من الممكن في مثل ابنة الصديق أن تهدم هذا الكيان الصلب والضخم من الإيمان والعلم والرفعة وهذا الرسول ﷺ الذي امتلأ شبابا وحيوية بما يساوي شباب الدنيا كلها، فما أكثر الشباب في سنهم ولكنهم شيوخ في عواطفهم وقلوبهم وحيويتهم.[1] لاشك أن امرأة في مثل مكانة عائشة الصديقة ابنة الصديق لا يمكن بحال أن تقع في مثل هذا الفعل الشنيع كما يدعيه ويزعمه هذا المستشرق.

هذا من جانب عائشة رضي الله عنها، أما جانب صفوان رضي الله عنه ، فهو صفوان بن المعطل السلمي الذكواني نسبة إلى ذكوان ، وذكوان بطن من بني سليم، وكان صحابيا فاضلا أول مشاهده الخندق، وقيل المريسيع، متقدم في إسلامه ، قتل شهيدا في سبيل الله تعالى، قيل أنه استشهد في غزوة أرمينية في خلافة عمر رضي الله عنه سنة تسع عشرة، وقيل بل بقي إلى سنة أربع وخمسين واستشهد في أرض الروم في خلافة معاوية رضي الله عنه .[2] وأما سبب تأخره عن الجيش فكان لذلك سبب وهو أنه سأل رسول اللهﷺ أن يجعله على الساقة، فكان إذا رحل الناس ، يتبعهم إذا سقط من أحدهم شيئا أتاه به، مثل القدح والإداوة وما شابه ذلك.[3]

[1] السيرة النبوية وأوهام المستشرقين، عبد المتعال محمد الجبري، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م، ص٨٣.
[2] ينظر أسد الغابة في معرفة الصحابة ٢/٢٣.
[3] ينظر حديث الإفك دروس وعبر ص ٣١٨.

ولذلك وبعد حادثة الإفك هذه ظهرت معالم وفضائل هذا الصحابي الجليل، ويمكن إجمالها فيما يلي:

١) شهادة النبيﷺ وتزكيته له بقوله" ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرا وما يدخل على أهلي إلا معي"[١] ، وهذه التزكية تنفي عنه أي شبهة أو ريبة.

٢) قوله ﷺ " إنا لله وإنا إليه راجعون" عندما رأى أم المؤمنين وهي نائمة، يقول ابن حجر رحمه الله فاسْتَيْقظْت باسترجاعه أي بقوله " إنا لله وإنا إليه راجعون"[٢] ، وصرح ابن إسحاق بقوله في روايته وكأنه شق عليه ما جرى لعائشة أو خشي أن يقع ما وقع أو أنه اكتفى بالاسترجاع رافعا به صوته عن مخاطبتها بكلام آخر صيانة لها عن المخاطبة في الجملة[٣] ، واسترجاع صفوان هذا فيه دلالة على فطنته وحسن خلقه وأدبه، وهذا أمر من الواجب أن يتحلى به كل مسلم، وعلى وجه الخصوص الداعية إلى الله تعالى، كما أن في ذلك دلالة على إحساس المسلم بأخيه المسلم وهذا يدل على أن الأمة الإسلامية جسد واحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر، كما أن في استرجاعه أيضا دلالة على عفته وبعده عن الوقوع فيما يغضب الله ورسوله، تقول عائشة ﵂" والله إن الرجل الذي قيل له ما قيل ليقول سبحان الله فو الذي نفسي بيده ما كشفت من كنف أنثى قط"[٤] أي لم يزني بامرأة قط.

وفيه أيضا حسن أدبه تجاه المرأة الأجنبية حال الضرورة في البرية الموحشة، وغض بصره، كما قالت عائشة ﵂" والله ما كلمني كلمة" وهذا التعامل الحسن منه مع المرأة الأجنبية دليل على دماثة خلقه، فقد أبرك لها البعير بدون كلام معها لتركب، قيدا للجمل يجره بخطامه وهو يمشي وهي راكبة، ومن أجمل ما قال ابن حجر –رحمه الله– في ذلك " وقد فهم كثير من الشراح أنها أرادت بهذه العبارة نفي المكالمة البتة فقالوا استعمل معها الصمت اكتفاء بقرائن

[١] رواه البخاري، كتاب المغازي ، باب حديث الإفك، ١٥١٧/٤، الحديث ٣٩١٠، ومسلم ، كتاب التوبة ، باب حديث الإفك، ٢١٢٠/٤، الحديث ٥٦.

[٢] ينظر فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة ، بيروت، ١٣٧٩هـ، ٢٧٣/٥.

[٣] ينظر المرجع السابق ٤٦٣/٨.

[٤] رواه البخاري، كتاب المغازي ، باب حديث الإفك، ١٥١٧/٤، الحديث ٣٩١٠.

الحال مبالغة منه في الأدب وإعظاما لها وإجلالا"[1] . وبهذا التصرف الرزين المبني على الورع والتقوى عند صفوان بن المعطل رضي الله عنه تكون الشبهة التي أثارها بودلي باطلة من أصلها ، فصفوان لم يكلم عائشة ولم يقل لها شيئا ولم تظهر منه حركة تسيء إلى سمعته وسمعة أم المؤمنين، تقول رضي الله عنها" فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني فخمرت وجهي بجلبابي والله ما تكلمنا بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه وهوى حتى أناخ راحلته فوطئ على يدها فقمت إليها فركبتها فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش"[2] .

وفيه أيضا بروز خلق التعاون فقد أعان صفوان رضي الله عنه عائشة ومد لها يد العون وهي تائهة ومنقطعة وملهوفة، وهذا التعاون والعمل الصالح يدل على صلاح صفوان واستقامته وهدايته وتعاونه على البر والتقوى كما نص عليه القرآن الكريم، كما قال عز وجل ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ المائدة ٢[3] . ومن خلال ما استعرض من سيرة هذا الصحابي الجليل، يتبين لنا أنها سيرة عطرة ، ينتفى معها أي شك أو ريب في أخلاقه وخوفه من الله تعالى وطاعته لرسوله ﷺ فلا يمكن بحال لمن هذه أخلاقه وسيرته أن يجرأ على عائشة زوج النبي ﷺ ابنة الصديق، التي كان أبوها الصديق رضي الله عنه حملا لراية الجهاد في غزوة بني المصطلق التي حدثت خلالها حادثة الإفك.

ولم تكن نفسه لتسمح له بالتفكير في أم المؤمنين عوضا عن أن يؤذيها، ولو قدر أنه سمح لنفسه بذلك– وهذا أمر لم يكن أبدا– فإن مهابة عائشة ومكانتها لن تسمح له بذلك، ولهذا نسأل هؤلاء المستشرقين المحمومين بتشويه صورة عائشة رضي الله عنها وإيذاء النبي ﷺ ونقول لهم لوا أرادت عائشة رضي الله عنها أن تفعل شيئا مع الصحابي الجليل صفوان بن المعطل– وحاشا وكلا أن تفعل شيئا من ذلك– فهل سيكون ذلك بجوار معسكر الجيش وعلى قرب من جموع الصحابة ويمكن أن يراهما بعض هؤلاء؟ وأيضا نقول لهؤلاء المغالطون هل من الممكن أن يحدث شيئا بين عائشة وصفوان رضي الله عنهما ثم يدخل معها المدينة وسط النهار والشمس في كبد السماء وجميع الناس ينظرون إليها على البعير وصفوان يقوده سائرا على رجليه أمام الناس حتى تدخل

[1] فتح الباري شرح صحيح البخاري، ٤٦٣/٨.

[2] رواه البخاري، كتاب المغازي، باب حديث الإفك، ١٥١٧/٤، الحديث ٣٩١٠.

[3] ينظر حديث الإفك دروس وعبر ص ٣١٨-٣٢٧.

منزلها، ثم ينصرف بكل سكينة وطمأنينة إلى منزله؟ هل يعقل أن من يفعل شيئا من الفساد والشرور أن يمضي أمام الناس بكل أريحية دون أن يتمالكه خوف وقلق وارتباك أن يكشف أمره؟ أم أن منطق العقل يقول لو كان صفوان قد فعل شيئا مع أم المؤمنين لكانت دخلت المدين إلى منزلها وحدها مع ما يتمالكها من الخوف والخجل من الله ورسولهﷺ ولدخل صفوان من مكان آخر بعدها ببرهة من الزمن مع الخوف الشديد والقلق أن يكتشف أمره، ولدخل متخفيا، وهذا دليل قاطع على براءة عائشة وصفوان رضي الله عنهما، وقد برأهما الله الذي يراهما أينما حلوا ورحلوا، ودليل على بطلان شبهة المبطلون ، وفرية المفترين.[1]

وعندما تطاول المنافقون في المدينة وأرجفوا بحادثة الإفك، وما أيقنوا بها لتشويه صورة النبيﷺ وصورة زوجته عائشة وتلويث سمعتهما وعرضهما، وهذا حول حال المنافقين والمرجفين وأعداء الدين في كل زمان ومكان، كما قال تعالى ﴿ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴾ الأحزاب ٦٠، أبطأ جبريل عليه السلام بالوحي ، وأصاب النبيﷺ وزوجته عائشة والمسلمون من الحزن والألم ما الله به عليم، وأخذ الناس يخوضون ويتكلمون، وكان عليه الصلاة والسلام لا يزيد على أن يقول" لا أعلم عنها إلا خيرا" وعنما طال الأمر وبلغت القلوب الحناجر، قال عليه الصلاة والسلام لعائشة" يا عائشة، أما إنه بلغني كذا وكذا، فإن كنت بريئة، فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله"[2].

فهذا كلامه ﷺ بوحي ضميره كلام بشر لا يعلم الغيب، صِدِّيق ثابت بثبات الله عز وجل لا يتبع الظنون ولا الهوى ولا مراجيف البشر، ولا يقول ما ليس له به علم، فما برح مكانه حتى أتاه الفرج وأوتي صدر سورة النور التي بها نزلت البراءة لأم المؤمنين وصفون رضي الله عنهما، وأخرس الله بها ألسنة المنافقين المرجفين، فما كان يمنعه عليه الصلاة والسلام لو أن أمر القرآن إليه أن يصدر كلمات ليحمي بها عرضه ويخرس بها المرجفين، وينسبها للوحي

[1] ينظر مُحَمَّد والخناجر المسمومة الموجهة إليه، د. نبيل لوقا بباوي، دار البباوي، القاهرة، ٢٠٠٥م، ص٦٥.

[2] رواه البخاري، كتاب المغازي ، باب حديث الإفك، ١٥١٧/٤، الحديث ٣٩١٠، ومسلم ، كتاب التوبة ، باب حديث الإفك، ٢١٢٠/٤، الحديث ٥٦.

الإلهي، ولكن حاشا وكلا أن يذر الكذب على الناس ويكذب على الله تعالى وهو الذي يقول الله عنه ﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِى نَفۡعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوۡمٍ يُؤۡمِنُونَ ﴾ الأعراف ١٨٨، كما قال تعالى ﴿ وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ الحاقة ٤٤ – ٤٧.[1] وفي هذا رد قوي في الجانب الآخر على من قالوا أن القرآن الكريم من عند مُحَمَّدﷺ ، وقد أثبت عليه الصلاة والسلام بفعله هذا وقوله أن القرآن الكريم كلام الله تعالى وليس بكلام بشر.

ولما نزلت براءة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، طلبت منها أمها أن تذهب للنبي ﷺ لتشكره فأبت لا عصيانا ولكن الموقف والحالة وتعلقها بالله وعقيدتها الصافية أنستها كل شيء، فقالت" لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله الذي أنزل براءتي"[2]. وكلام عائشة هذا لمن ينظر إليه ولأول وهلة يرى أن هناك شيء من عدم اللباقة تجاه النبيﷺ ، لكن الظرف والحالة كان لهما تأثير مباشر على مشاعرها، وذلك لانسياقها وراء الحكمة الإلهية تثبيتا لعقيدة المؤمنين، وإزهاقا لإفك الأفاكين المنافقين، وإظهارا للعبودية الخالصة لله وحده لا شريك له.[3] ولذلك أصبحت براءة أم المؤمنين عائشة ابن الصديق، قرآنا يُتلى إلى قيام الساعة، وأعداء الفضيلة في كل زمان ومكان لا يألون جهدا في محاربتها، وأذية كل من أمر بمعروف أو نهى عن منكر، أو أمر بفضيلة ودعوة إلى الله عز وجل، وهذا ابتلاء وامتحان يتلقاه دعاة الخير من دعاة الشر، وهذه سنة الله في الأولين والآخرين كما قال عز وجل ﴿ لَتُبۡلَوُنَّ فِىٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ وَلَتَسۡمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَمِنَ ٱلَّذِينَ

---

[1] ينظر النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، د. مُحَمَّد عبد الله دراز، دار القلم، الكويت، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م، ص٥٣.

[2] رواه البخاري، كتاب المغازي ، باب حديث الإفك، ١٥١٧/٤، الحديث ٣٩١٠، ومسلم ، كتاب التوبة ، باب حديث الإفك، ٢١٢٠/٤، الحديث ٥٦.

[3] فقه السيرة، د. مُحَمَّد سعيد البوطي، مكتبة الدعوة الإسلامية، القاهرة، ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م، ص٢٢٣- ٢٢٤.

أَشۡرَكُوٓاْ أَذٗى كَثِيرٗاۚ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾ آل عمران ١٨٦.

فأذى المنافقين والملحدين وأعداء الدين من المستشرقين والمتغربين لا ينتهي، وسخافاتهم لا تتوقف، ولذلك تكفل الله بالرد عليهم بما لا يمكنهم رده أو التصدي له، وبرأ أم المؤمنين رضي الله عنها، ومن إعجاز هذا القرآن العظيم أن جعل هذه الحادثة خير للمسلمين، مع اعتبارها في الأصل شرا كما قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾ النور ١١، فقضية الافتراء الكبرى على أم المؤمنين عائشة ﵂ قد حسمها الله عز وجل من فوق سبع سموات وهذه منقبة عظيمة لأمنا عائشة ﵂.[1]

والله عز وجل يدافع عن أنبيائه وأصفيائه وأهل الدعوة والصلاح ويبرئهم من كل ما يلصق بهم من التهم والافتراءات المبيتة من قبل أعداء الدين والملة في كل عصر ومصرن وقد برأ الله أربعة من أنبيائه مما رموا به من التهم ، فبرا يوسف عليه السلام بلسان الشاهد ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ ﴾ يوسف ٢٦، وبرأ موسى من قول اليهود بالحجر الذي ذهب بثوبه[2] ، وبرّأ مريم بإنطاق ولدها حين نادى من حجرها ﴿ قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ﴾ مريم ٣٠، وبرّأ عائشة بهذه الآيات العظام، في كتابه المعجز، المتلو على وجه الدهر مثل هذه التبرئة بهذه المبالغات، فانظر كم بينها وبين تبرئة أولئك، وما ذلك إلا لإظهار علو منزلة رسول الله ﷺ، والتنبيه على أنافة محل سيد ولد ادم، وخيرة الأولين والاخرين، وحجة الله على العالمين، ومن أراد أن يتحقق من عظمة شأنه ﷺ، وتقدم قدمه، وإحرازه لقصب السابق دون

---

[1] الرد على القس بوش في كتابه "محمّد مؤسس الدين الإسلامي"، د. عبد الرحمن جيرة، دار المحدثين، القاهرة، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، ص٣١٠ وما بعدها.

[2] هذه القصة رويت في صحيح البخاري، وقد أشار إليها الله في قوله: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قالُوا، وَكانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً، وكانوا رموه بأنه «ادر» أي منتفخ الخصية، وبينا هو ذات يوم يغتسل في البحر وقد ترك ثيابه على حجر، إذ فرّ الحجر بثوبه، فصار يجري وراءه وهو يقول: ثوبي يا حجر، فرأى الناس أن ليست به أدرة، ينظر الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ٢٢٣/٣.

كل سابق- فليتلق ذلك من آيات الإفك، وليتأمل كيف غضب الله له في حرمته، وكيف بالغ في نفي التهمة عن حجابه[1] .

وقد أحسن الصحابي الجليل حسان بن ثابتﷺ حينما امتدح أم المؤمنين ﷺ ، عندما نزلت براءتها بأبيات جميلة قال في مطلعها:

حصانٌ رزان[2] ما تزنُّ بريبةٍ ** وتُصْبِحُ غَرْثَى[3] من لحومِ الغوَافِلِ[4]

حليلةُ خيرِ الناسِ ديناً ومنصباً ** نبيِّ الهُدى، والمكرُماتِ الفِوَاضِلِ

عقيلةُ[5] حيٍّ من لؤيّ بنِ غالبٍ **كرامِ المساعي، مجدها غيرُ زائلِ

ذبةٌ قدْ طيبَ اللهُ خيمها[6] ** وطهرها من كلّ سوءٍ وباطلِ

فإن كنتُ قد قلتُ الذي قد زعمتمُ ** فَلا رَفَعَتْ سَوْطي إليّ أنامِلي

وإنّ الذي قدْ قيلَ ليسَ بلائطٍ[7] ** بها الدهرَ بل قولُ امرئٍ بيَ ماحلِ[8]

---

[1] ينظر السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة، دار القلم ، دمشق،١٤٢٧ هـ، ٢٧٥/١.

[2] الحصان الرزان: العفيفة العاقلة.

[3] غرثى: جوعى، والمعنى لا تغتاب أحد.

[4] الغوافل: جمع غافلة، أي: عن الشر والإثم.

[5] العقيلة: الكريمة.

[6] الخيم: الأصل.

[7] لائط: لازم.

[8] ماحل: أي قيل أنه قال شيء لم يقله وافتُرِيَ عليه، ينظر في معني ما سبق في مفردات الشعر إلى السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، ٢٧٥/١.

فكَيْفَ وَوُدّي ما حَيِيتُ ونُصرَتي ** لآلِ نبيّ اللهِ زينِ المحافلِ

لهُ رتبٌ عالٍ على الناسِ كلهمْ ** تقاصرُ عنهُ سورةُ المتطاولِ

رأيتكِ، وليغفرِ لكِ اللهُ، حرةً ** مَنَ المحصنَاتِ غيرَ ذاتِ غوَائِلِ

والخلاصة فيما سبق أن حادثة وقصة الإفك المفتراة من أعظم المصائب التي أعدها المنافقون للرسولﷺ وسار على نهجهم في ذلك منافقوا العصر من المستشرقين وتلامذتهم من المتغربين ، فكانت هذه القصة أبلغ من غيرها في إيذاء النبي ﷺ ، لأن كل ما كابده قبل ذلك من المحن كانت أمورا يستعلي عليها، فقد وطن نفسه لقبولها وتحملها، وليس التقاؤه بها في طريق الدعوة مفاجأة له، أما هذه فقد فوجئ بها، لأنها ليست مما قد اعتاده أو توقعه. إن سيرة أم المؤمنين عائشة وصفوان بن المعطل رضي الله عنهما تُكَذب ما يدعيه المغرضون والمغالطون، فأم المؤمنين عائشة هي الصديقة بنت الصديق، وكانت ﵂ أحب أزواج النبي ﷺ إليه، ومن خيار نساء الدنيا على الإطلاق، لما لها من مزايا عظيمة، وفضائل كثيرة، وإيمان راسخ، وزهد وأدب، وذكاء مفرط.

أما صفوان بن المعطل ﵁ فكان صحابيا فاضلا، وكانت له فضائل ظاهرة، وقد شهد له النبيﷺ في قوله: "ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرا، وما كان يدخل على أهلي إلا معي"، فسيرته لا تستدعي الشك، ولم يذكر بسوء قط، بل إنه كان مؤمنا بالرسول ﷺ وبدعوته، غيورا على الإسلام، فجاهد وحضر كثيرا من الغزوات ومات شهيدا، فاحترامه لزوج النبي ﷺ وابنة الصديق التي كان أبوها يحمل راية المهاجرين في الغزوة نفسها كانت أعظم من أن تسمح له بالتفكير فيها.

ثم إن النبيﷺ لم يستغل قصة وحادثة الإفك لشحن القرآن بخصوصياته – على حد زعمهم– لأن القرآن كلام الله تعالى، ولا يخضع لإرادة النبي ﷺ ولو كان الأمر كذلك لتقول هذه الآيات منذ البداية، ووأد هذه الفتنة في مهدها، ولكنه الصادق الأمين الذي ما كان ليذر

الكذب على الناس، ثم يكذب على الله، فتولى الله الدفاع عن عرضه الشريف في آيات تتلى إلى يوم الدين، وبهذا يفسد قولهم وتبطل شبهتهم، ويرد باطلهم في نحورهم.[1]

[1] وللمزيد ينظر السيرة النبوية وأوهام المستشرقين، ص٨٣ وما بعدها.

الخاتمة

الحمد لله الذي أعان ويسر ، والذي بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على من بشر وأنذر ، وبلغ ما أمر به وأعذر وبعد:

فإني في هذا المقام أختتم ما بدأت به في هذا البحث العلمي عن شبهات المستشرقين حول قصص القرآن الكريم والرد عليها، بإيراد العناصر التالية:

أولا: خلاصة البحث والدراسة:

تضمن البحث في بدايته الحديث عن الاستشراق بوجه عام بما في ذلك مفهومه لغويا واصطلاحيا، وعن تاريخه وبدايته، والدوافع والأهداف التي نشأ من أجلها الاستشراق، وعن الوسائل والأساليب التي استخدمها المستشرقون، والمجالات التي كانت هدفا لهم. كما اشتمل البحث على الحديث عن القصص وتعريفه، وأنواعه، ومنزلته من الدعوة إلى الله، إذ أنه ركيزة هامة ومؤثرة في الدعوة إلى الله.

كما تعرضت الدراسة والبحث إلى التعريف بأبرز ومشاهير المستشرقين، والمناهج التي سلكوها في دراساتهم للإسلام وتراثه المجيد ، كمنهج التشكيك، والمنهج المادي، والاجتماعي وغيرها من المناهج التي حواها البحث، كما بين البحث المصادر التي اتكأ عليها المستشرقون في ذلك. ولم يغفل البحث المنهج العلمي الصحيح في الدعوة إلى الله، بأهميته وأنواعه وضوابطه، وتفنيد شبهات المستشرقين والرد عليها ردا علميا صحيحا مستندا على الحجة والبرهان، وهذا هو منهج أهل السنة والجماعة.

كما اشتمل البحث على جمع ما يقارب من ثلاث وعشرين شبهة من أهم شبهات المستشرقين حول الإسلام والقرآن بمضامينه من قصص وغيره، مفندا إياها، ومبطلا لها بالردود العلمية الصحيحة المبنية على الدليل من الكتاب والسنة والأدلة العقلية والنقلية، مستأنسا بأقوال العلماء والباحثين الموثوق بعلمهم وأمانتهم العلمية.

وفي ختام الدراسة تحدثت عن بعض أقوال المنصفين من المستشرقين التي تؤكد بطلان شبهات إخوانهم من المغالطين والمفترين على دين الإسلام ، ثم خُتمت الدراسة بخاتمة مختصرة لها ثم ذُيلت بفهارس فنية موضحة مضامينها.

ثانيا: نتائج البحث والدراسة.

من النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث وهذه الدراسة من خلال معالجة موضوعاتها ومضامينها ما يلي:

أولا: أهمية الدعوة إلى الله عز وجل ، وإلى توحيده وعبادته وأنها من أولويات دعوات الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ولهذا يجب أن تكون من أهم المهام عند الدعاة إلى الله تعالى لما فيها من صلاح البلاد والعباد والسعادة في الدارين وخاصة في حاضر الأمة اليوم وما تواجهه من تحديات وأزمات وبلايا تحتاج معها إلى من يقودها ويرشدها إلى الصواب في أمورها ويذكرها بموعود الله في الدنيا والآخرة من النصر والتمكين في الدنيا والنجاة والسعادة في الآخرة وهم الدعاة إلى الله.

ثانيا: أن استعراض شبهات المستشرقين والرد عليها، وسيلة مهمة من وسائل الدعوة إلى الله تعالى ، لما فيها من سبب قوي في إسلام الكثيرين ودخولهم في دين الله عز وجل ، وكانت حجة في البلاغ على من لم يسلم.

ثالثا: أن العداوة التي يتلقاها دين الإسلام وأهله، وكذلك القرآن والسنة ونبينا محمدﷺ ، من الأعداء من المستشرقين وغيرهم، ما تزيد الإسلام والقرآن الكريم إلا قوة وثباتا وانتشارا في جميع أصقاع المعمورة، ولا تزيد نبينا ﷺ إلا رفعة ومحبة في قلوب الناس، وأن العاقبة للمتقن ولهذا الدين وأهله، كما قال عز وجل ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ الأنفال ٣٠، وقوله عز وجل ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ التوبة ٣٢، وقوله سبحانه ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ الأنفال ٣٦.

رابعا: أن الغلبة تكون بقوة الإيمان ، وصلابة الدين، وسلامة المبدأ ، ورسوخ العقيدة ، وهذا هو الذي يتحقق في الردود على شبهات المستشرقين الرد العلمي القاطع.

خامسا: أن الإسلام دين أمن وسلام ، وحفظ للدين ، والنفس ، والعقل ، والمال ، والعرض ، وذلك بشهادة أعدائه قبل أهله ، وهذه هي الضروريات الخمس التي جاء الإسلام بحفظها ،

ففي ، شهادات المنصفين للإسلام والقرآن وللنبيﷺ خير شاهد على ذلك فالإسلام دين خير وبركة وأمن ونجاة على من اعتنقه.

سادسا: تجلت في هذا البحث في الاستشراق والردود على الشبهات وسائل ، وطرائق ، وفوائد ، وأساليب في الدعوة إلى الله تعالى ينتفع بها الدعاة إلى الله في مسيرتهم الدعوية كوسائل وأساليب الرد على الشبهات كالحوار العلمي الصحيح واثبات الحجة وغير ذلك ، والبعد عن الخلاف والانفعالات التي تفضي جملة إلى الفرقة والتناحر وعدم حصول المطلوب من إفحام الخصم وإقامة الحجة والدليل عليه.

ثالثا: توصيات البحث.

من خلال متابعتي ومعايشتي لهذا البحث ، أورد بعضا من التوصيات التالية:

أولا: أوصي بالاهتمام بقضية الاستشراق والمستشرقين والرد على شبهاتهم ودحض مكائدهم ودسائسهم على الإسلام والقرآن من منطلق علمي ومرتكز ثقافي صحيح، مُطْعم بالحجة وقوة الدليل ، وإعطائها مزيدا من البحث والدراسة والاستنباط ، لجوانب كثيرة تهم الدعوة والدعاة إلى الله تعالى ، ومنها يستقي الداعية إلى الله منهجه ، ويربي عليها نفسه وهو في مسيرته الدعوية.

ثانيا: أوصي بالتركيز على جوانب الدين كافة وعلى العقيدة خاصة ، في مناظرات القوم والرد على شبهاتهم وأباطيلهم ، وذلك لأن العقيدة الإسلامية هي مرتكز الدين ، ومنطلق الدعوة إلى الله تعالى.

ثالثا: أوصي بضرورة الاستفادة من التقنيات الحديثة ووسائل الاتصال المتاحة كالإنترنت والواتس والمواقع الالكترونية في دراسة الشبهات والرد عليها، والاستفادة من أهل الخبرة السابقة في ذلك، وتحرير الأبحاث المتعلقة بها.

رابعا: أوصي كل مسلم ومناظر لأهل الباطل ومن يرد على الشبهات والأراجيف، أن يثق بالله ثقة كاملة في حصول التوفيق والسداد في إفحام الخصوم ورد أباطيلهم ، والتوكل عليه والتضرع إليه ، والإخلاص له، مع العمل بالأسباب المشروعة التي تدعم هذه الثقة .

خامسا: أوصي بضرورة التركيز على قراءة كتب التفسير والفقه والسيرة والروايات الصحيحة ، وكتب الردود والأبحاث العلمية، لأنها تساعد على فهم كتاب الله تعالى، وتعطي انطباعا وتحليلا واقعيا للمواقف والدروس والعبر في مقاومة الاستشراق وأهله.

سادسا: أوصي بالتركيز في الردود ومعرفة مداخل ومنافذ القوم الفكرية ومواطن الضعف ، وفهمها الفهم السليم ، من أجل حصول قوة الرد ونفوذ الحجة على الخصم.

سابعا: أوصي بإنشاء مواقع على شبكة المعلومات العالمية (الإنترنت) متخصصة في الرد على الشبهات والتصدي لعملية الاستشراق، تحوي الكتب والبحوث العلمية المبنية على الأدلة والبراهين الصحيحة من الكتاب والسنة وأقوال العلماء، وتكون هذه المواقع تحت إشراف نخبة من العلماء ، أو جهة علمية موثوق بها ، تولي العناية الكاملة بهذا العمل الجليل ، وذلك للإفادة منها في حاضر الأمة وما تواجهه من تحديات ، ولو كانت هذه المواقع متصلة مباشرة بمراكز للأبحاث المتخصصة في الاستشراق والردود ، ولو بإحدى الجامعات المشهورة في بلاد المسلمين، وعلى الخصوص بلاد الحرمين مهبط الوحي ومنبع الرسالة ، لكان هذا أجمل وأكمل وأدعى للدفاع عن الدين ومواجهة الطيف الاستشراقي المحموم.

وأخيرا فإني لا أدعي في بحثي العصمة، فالبشر محل النقصان والخلل والخطأ والنسيان –إلا من عصمه الله– والخطأ والنسيان من لوازم الإنسان ، فما كان صواب فتوفيق الكريم المنان، وما كان خطأ فمني ومن الشيطان–والله تعالى المستعان وبه الثقة ، وعليه التكلان ، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله مُحَمَّد وعلى آله وصحبه.

فهرس الآيات القرآنية

سورة البقرة

سورة آل عمران

سورة النساء

سورة المائدة

سورة الأعراف

سورة الأنفال

سورة التوبة

سورة يونس

سورة هود

سورة يوسف

سورة الكهف

طرف الآية	رقمها	رقم الصفحة

سورة مريم

سورة طه

سورة الأنبياء

سورة الحج

سورة المؤمنون

سورة النور

سورة الفرقان

سورة الشعراء

سورة النمل

سورة القصص

طرف الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿ طسٓمٓ ۝١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ﴾	١-٦	٧٥
﴿ نَتۡلُواْ عَلَيۡكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ ﴾	٣	٢٨٧-٢٩١
﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ ﴾	٧	٣٩٣
﴿ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ ﴾	٣٨	٣١١
﴿ قُلۡ فَأۡتُواْ بِكِتَٰبٖ مِّنۡ عِندِ ﴾	٤٩	٢٩٣
﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ ﴾	٥٦	١٨٩

سورة العنكبوت

طرف الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن ﴾	٢	٤٤٥
﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ ﴾	١٤-١٥	٧٠-٢٥٢-٢٥٥
﴿ وَإِبۡرَٰهِيمَ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِ ٱعۡبُدُواْ ﴾	١٦-١٨	٧٢
﴿ وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبًا ﴾	٣٦-٤٠	٣١٢
﴿ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا ﴾	٤٣	٨٦-١٨١
﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾	٤٦	١٦٩-١٦٥
﴿ وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ ﴾	٤٨	١٠٩ -١٩٧

سورة الأحزاب

سورة سبأ

سورة فاطر

سورة يس

سورة الصافات

سورة ص

سورة الزمر

سورة غافر

سورة فصلت

سورة الشورى

سورة الزخرف

طرف الآية	رقمها	رقم الصفحة

سورة الدخان

سورة الأحقاف

سورة محمد

سورة الحجرات

سورة ق

سورة الذاريات

سورة الطور

سورة النجم

سورة القمر

سورة الرحمن

سورة الحديد

سورة الحشر

سورة الممتحنة

سورة الصف

سورة الطلاق

سورة التحريم

سورة الملك

سورة القلم

سورة الحاقة

سورة نوح

سورة الجن

سورة المدثر

سورة البروج

سورة الأعلى

سورة الفجر

سورة الشمس

سورة البينة

سورة الفيل

سورة قريش

سورة الكافرون

فهرس الأحاديث النبوية

طرف الحديث	رقم الصفحة

حرف الميم

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

❁❁❁

فهرس الأعلام المترجم لهم

فهرس المصطلحات

فهرس المراجع والمصادر

القرآن الكريم

١- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر مُحَمَّد بن جرير الطبري، دار السلام، القاهرة، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

٢- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء الحافظ بن كثير الدمشقي، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م، تحقيق الشيخ خالد مُحَمَّد محرّم.

٣- الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبد الله مُحَمَّد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية ، القاهرة، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.

٤- فتح القدير الجامع بين فن الرواية والدراية من علم التفسير، الإمام مُحَمَّد بن علي الشوكاني، دار الوفاء ، مصر، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م، تحقيق د. عبدالرحمن عميرة.

٥- تيسير الكريم المنان في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، مؤسسة الرسالة،بيروت،١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

٦- تفسير القرآن، منصور بن مُحَمَّد السمعاني، تحقيق ياسر أبو تميم، دار الوطن الرياض، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

٧- معالم التنزيل، محيي السنة أبو مُحَمَّد الحسين بن مسعود البغوي ،حققه وخرج أحاديثه مُحَمَّد عبد الله النمر ،دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

٨- تذكرة الأريب في تفسير الغريب، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن مُحَمَّد الجوزي، تحقيق طارق فتحي السيد، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.

٩- البرهان في غريب القرآن، حسن بن صالح بن عمر الجشي، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤١١هـ- ١٩٩١م.

١٠- مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

١١- التفسير الوسيط، د. مُحَمَّد السيد طنطاوي، دار الرسالة، القاهرة، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

١٢- التحرير والتنوير، مُحَمَّد الطاهر عاشور، دار سحنون، تونس ، ١٩٨٤م.

١٣- تأويل مشكل القرآن، أبو مُحَمَّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، دار التراث، القاهرة، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

١٤- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

١٥- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٥م.

السنة النبوية

١- صحيح البخاري للإمام أبي عبدالله مُحَمَّد بن إسماعيل البخاري، دار بن كثير،بيروت،١٤٠٧هـ-١٩٨٧م،تحقيق د.مصطفى ديب البُغا.

٢- صحيح مسلم بشرح النووي ، للإمام محى الدين أبي زكريا يحى بن شرف النووي، دار المنار،القاهرة،١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.

٣-سنن الترمذي، للإمام المحدث مُحَمَّد بن عيسى بن سورة الترمذي، دار الكتب العلمية،بيروت،١٤٢١هـ-٢٠٠٠م،تحقيق محمود مُحَمَّد نصار.

٤- سنن أبي داود، للإمام الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، دار الحديث،القاهرة،١٤٢٠هـ-١٩٩٩م،تحقيق د. السيد مُحَمَّد سيد.

٥- سنن ابن ماجة، الحافظ أبي عبدالله مُحَمَّد بن يزيد القزويني ابن ماجة، دار الفكر،بيروت،١٣٧٣هـ-١٩٥٤م،تحقيق مُحَمَّد فؤاد عبدالباقي.

٦- مسند الإمام أحمد بن حنبل، دار الكتب العلمية،بيروت،١٤١٣هـ-١٩٩٣م،تحقيق مُحَمَّد عبدالسلام عبدالشافي.

٧-السلسلة الصحيحة، الشيخ مُحَمَّد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي،بيروت،١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

٨- الحاكم في المستدرك على الصحيحين، مُحَمَّد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، دار الكتب العلمية ، بيروت، ١٤١١ هـ- ١٩٩٠م.

٩- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، مُحَمَّد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة ، بيروت، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م.

اللغة العربية

١- مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، دار الفكر،بيروت،١٣٩٩هـ-١٩٧٩م،تحقيق عبدالسلام مُحَمَّد هارون.

٢- لسان العرب، لابن منظور، دار الكتب العلمية،بيروت،١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م،تحقيق إبراهيم شمس الدين.

٣- الصحاح في اللغة، للجوهري، دار العلم للملايين،بيروت،١٩٩٠م،تحقيق أحمد عبدالغفور عطار.

٤- القاموس المحيط، مجد الدين مُحَمَّد بن يعقوب الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة،بيروت،١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، تحقيق قسم التراث، مؤسسة الرسالة.

٥- المعجم الوسيط، د. إبراهيم أنيس و د. عبدالحليم منتصر و عطية الصوالحي و مُحَمَّد خلف أحمد، دار إحياء التراث العربي،بيروت،١٣٩٢هـ-١٩٧٢م.

٦- معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي، دار الفكر،بيروت،١٣٩٧هـ-١٩٩٣م.

٧- مختار الصحاح، مُحَمَّد بن أبي بكر الرازي، مكتبة لبنان، بيروت ،١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

٨- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ، أحمد بن مُحَمَّد الفيومي، دار الكتب العلمية،بيروت،١٩٨٤م.

المراجع العامة

١- رد المحتار على الدر المختار مُحَمَّد أمين بن عمر بن عابدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

٢- التعريفات ، علي بن مُحَمَّد بن علي الجرجاني، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي ، بيروت، ١٤٠٥هـ.

٣- حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، تحقيق مُحَمَّد شعيب السنوسي، المكتبة العصريةنبيروت،٢٠٠٣م.

٤- والموسوعة الكويتية، وزارة الأوقاف الكويتية، مكتبة دار العروبة، الجهراء،٢٠٠٨م.

٥- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة لابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية ، بيروت،١٤١٦-١٩٩٦م.

٦- أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها لـ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ،دار القلم،دمشق،٢٠٠١م.

٧- الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري لـ محمود زقزوق، دار المعارف، القاهرة ١٤٠٤هـ.

٨- المستشرقون والتاريخ الإسلامي د. على الخربوطلى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،١٩٨٨م

٩- رؤية إسلامية للاستشراق د. أحمد غراب، المنتدى الإسلامي، لندن ١٤١١هـ.

١٠- الاستشراق في الأدبيات العربية، علي النملة، مركز الملك فيصل للبحوث الدراسات الإسلامية، الرياض، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م

١١- المستشرقون ومصادر التشريع الإسلامي د.عجيل النشمي، جامعة الكويت، الكويت، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

١٢- فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر لـ أحمد سمايلوفيتش ،دار الفكر العربي، القاهرة ،١٩٩٨م. ١٣- المستشرقون لـ نجيب العقيقي، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٤م .

١٤- من قضايا الفكر الإسلامي في مواجهة التغريب واستلاب الهوية، مُحَمَّد السيد الجليند، المكتبة الأزهرية،القاهرة،٢٠٠٨م .

١٥- الاستشراق والتبشير، د. مُحَمَّد السيد الجليند، دار قباء للنشر والتوزيع،القاهرة،١٩٩٩م.

١٦- المسار الفكري للاستشراق لـ آصف حسين ترجمة مازن مطبقاني ، مجلة جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود الإسلامية ، العدد السابع ربيع الثاني ١٤١٣.

١٧- صورة الإسلام في أوروبا في العصور الوسطى لـ ريتشارد سوذرن، ترجمة وتقديم رضوان السيد، معهد الإنماء العربي، بيروت ١٩٨٤م.

١٨- الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم، مصطفى السباعي، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٦٨م.

١٩- رؤية إسلامية للاستشراق ، أحمد غراب، دار رسالة البيان، الرياض، ١٩٠٠م.

٢٠- رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، محمود شاكر، دار المدني، جدة ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م .

٢١- السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي لـ مصطفى السباعي، المكتب الإسلامي،بيروت،٢٠٠٠م .

٢٢- رحلة الفكر الإسلامي من التأثر إلى التأزم لـ السيد مُحَمَّد الشاهد، دار المنتخب العرب،بيروت،١٤١٤هـ١٩٩٤م ،ص ١٨١و السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ص ٢١١-٢١٩.

٢٣- المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدراسات اللغوية، د. إسماعيل عمايرة ،دار حزين، عمّان ، ١٩٩٢م.

٢٤- الاستشراق وجه للاستعمار الفكري ، د. عبد المتعال مُحَمَّد الجبري، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م .

٢٥- التبشير والاستعمار في البلاد العربية، مصطفى خالدي وعمر فروخ، المكتبة العصرية، بيروت ١٩٨٢م.

٢٦- فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر ، أحمد سمايلوفيتش ، دار الفكر العربي ، القاهرة ٢٠٠٠م.

٢٧- نظرات في حركة الاستشراق، عبدالحميد عبدالمنعم مذكور، دار الثقافة، القاهرة،١٩٩٠م.

٢٨- أركان البادية ، د. إبراهيم عبدالكريم كريديه ، مكتبة نوفل ، بيروت ، لبنان، ٢٠٠٥م.

٢٩- الاستشراق أهدافه ووسائله، مُحَمَّد فتح الله الزيادي، دار قتيبة للنشر، الرياض،٢٠٠٢م.

٣٠- علم النفس التربوي، أحمد زكي صالح، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٨م.

٣١- أسس العلوم السلوكية والنفسية، علي أحمد علي، مكتبة عين شمس، مصر، ١٩٧٣م.

٣٢- أصول علم النفس، أحمد عزت راجح، المكتب المصري الحديث، الاسكندرية، ١٩٨٥م.

٣٣- معالم علم النفس، عبدالرحمن مُحَمَّد عيسوي، دار المطبوعات الجامعية، القاهرة، ١٩٧٢م.

٣٤- القيم الإسلامية التربوية والمجتمع المعاصر، عبدالمجيد بن مسعود، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، قطر، ١٤١٩هـ.

٣٥- نور الإسلام وأباطيل الاستشراق، د. فاطمة هدى أبو النجا، دار الإيمان للطباعة والنشر والتوزيع، طرابلس، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٣٦- الاستشراق المعاصر في منظور الإسلام، د. مازن مطبقاني، الرياض، دار إشبيليا ،١٤٢٠هـ -٢٠٠١م.

٣٧- موسوعة المستشرقين، د. عبد الرحمن بديوي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٣م.

٣٨- دراسة نقدية لكتاب الدعوة إلى الإسلام تأليف توماس ولكر آرنولد، لـ محمود حمزة عزوني، رسالة ماجستير من قسم الدعوة بالمعهد العالي للدعوة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٤٠٤-١٤٠٥هـ .

٣٩- الاستشراق المعاصر، د.مازن مطبقاني ، مكتبة ابن القيم، المدينة المنورة، ١٤١٠هـ .

٤٠- موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة، علي بن نايف الشحود، دار الفكر، بيروت ، ١٤٢٨هـ.

٤١- الأعلام، خير الدين بن محمود بن مُحَمَّد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي ، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٢ م.

٤٢- الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية ، المستشرقون الألمان منذ نولدكه ، رودي بارت ١٩٠١ — ١٩٨٢م ، ترجمة مصطفى ماهر ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة ، ١٩٦٧م.

٤٣- الموسوعة الميسرة ، إشراف مُحَمَّد شفيق غربال ، مؤسسة فركلين للطباعة والنشر، القاهرة ، ١٩٦٥م ، مادة قرآن.

٤٤- مباحث في علوم القرآن، د. صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٧م.

٤٥- المستشرقون والدراسات القرآنية، د. مُحَمَّد حسين الصغير، دار المؤرخ العربي، بيروت، ١٩٠٠م.

٤٦- الدراسات العربية الإسلامية في أوربا، ميشال جحا، معهد الإنماء العربي، بيروت، ١٩٨٢م.

٤٧- دائرة المعارف الإسلامية ، نخبة من العلماء، مركز الشارقة للإبداع الفكري، الشارقة ١٩٩٨م.

٤٨- نظرات استشراقية في الإسلام ، مُحَمَّد غلاب ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، ١٩٦٧م.

٤٩- تطور الاساليب النثرية في الأدب العربي، أنيس المقدسي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٧٤م.

٥٠- دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين ، مُحَمَّد الغزالي ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة ، ١٩٦٥م.

٥١- التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، الدكتور مصطفى خالدي و الدكتور عمر فروخ، المكتبة العصرية ، بيروت، ١٩٧٣م.

٥٢- المستشرقون والسنة، د. سعد المرصفي، مكتبة المنار الإسلامية، ومؤسسة الريَّان، بيروت،١٩٩٤م.

٥٣- مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية، مُحَّد مصطفى الأعظمي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٥٨م.

٥٤- عماد الدين زنكي،د. عماد الدين خليل، مؤسسة الرسالة، بيروت ، ١٩٧٢ م.

٥٥- المستشرقون والسيرة النبوية، د. عماد الدين خليل، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت، ١٤٢٦ هـ.

٥٦- المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيدة، تحقيق عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ،بيروت، ١٤٢١هـ — ٢٠٠٠م.

٥٧- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين مُحَّد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٥٨- تراث أبي الحسن الحرالي المراكشي في التفسير، علي بن أحمد بن الحسن الحرالي، تحقيق مُحَّدي بن عبدالسلام الخياطي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ، ١٩٩٧م.

٥٩- صحيح القصص النبوي، عمر سليمان الأشقر، دار النفائس للنشر والتوزيع،الأردن،١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م .

٦٠- البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي،تحقيق علي شيري، دار إحياء التراث العربي،١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٦١- الكامل في التاريخ، لـ عز الدين أبو الحسن علي المعروف بابن الأثير، دار الكتاب العربي،بيروت،١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

٦٢- ينظر قصص الأنبياء، للإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير، تحقيق مصطفى عبد الواحد، دار الكتب الحديثة،القاهرة،١٣٨٨هـ-١٩٦٩م.

٦٣- الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري، المكتبة العصرية،بيروت،١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

٦٤- والدرر في اختصار المغازي والسير أبو عمر يوسف بن عبد الله بن مُحَّد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، شوقي ضيف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، مصر، ١٣٨٦هـ — ١٩٦٦م.

٦٥- مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

٦٦- الدعوة إلى الله أهميتها ووسائلها، فهد بن حمود العصيمي، دار ابن خزيمة،الرياض،٢٠١٢م.
٦٧- المستشرقون والقرآن دراسة نقدية لمناهج المستشرقين ، عمر لطفي العالم ، مركز دراسات العالم الإسلامي، مالطا، ١٩٩١ م.
٦٨- منهج كتابة التاريخ الإسلامي لماذا وكيف، جمال عبدالهادي ووفاء مُحَمَّد، دار الوفاء، المنصورة، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.
٦٩- أعلام وأقزام في ميزان الإسلام، سيد حسين العفاني، مفهرس بالكامل، دار ماجد عسيري، ١٤٢٤هـ — ٢٠٠٤م.
٧٠- المقال عن النهج، ديكارت، ترجمة محمود الخضيري، مراجعة وتقديم: د. مُحَمَّد مصطفى حلمي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، ١٩٨٥م.
٧١- تاريخ الشعوب الإسلامية، كارل بروكلمان، ترجمة وتحقيق نبيه فارس و منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٥م.
٧٢- الورقات في أصول الفقه، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني، تحقيق د. عبد اللطيف مُحَمَّد العبد، طبعة حيدر اباد، الهند، ١٩٩٨م، ص ٩.
٧٣- المنهج الفلسفي بين الغزالي وديكارت، محمود حمدي زقزوق، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٨م.
٧٤- منهج كتابة التاريخ الإسلامي لماذا وكيف، جمال عبد الهادي و وفاء مُحَمَّد، دار الوفاء، المنصورة، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م .
٧٥- الجمع الصوتي الأول للقرآن، د. لبيب السعيد، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٨.
٧٦- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.
٧٧- ديكارت في الفلسفة العقلية، د. راوية عبد المنعم عباس، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٩٤م.
٧٨- نظرية المعرفة عند مفكري الإسلام وفلاسفة الغرب المعاصرين، د.محمود زيدان، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٩م.
٧٩- ما مزايا تدريس الفلسفة، العفيف الأخضر، جريدة إيلاف الألكترونية، ٣٠ أكتوبر ٢٠٠٨م.

٨٠- شرح المقاصد في علم الكلام، سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني، دار المعارف النعمانية، باكستان،١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٨١- لنشك حتى لا نقع في شر قطعياتنا، يوسف أبا الخيل، صحيفة الرياض، عدد(١٣٧٨٢) ١٤٢٧/٢/١٩هـ.

٨٢- حقوق الإنسان بين الفلسفة والأديان، حسن مصطفى الباش، دار الكتب الوطنية، بنغازي،١٤٢٦هـ.

٨٣- الموسوعة الحرة ويكيبيديا www. https://ar.wikipedia.org.

٨٤- صحيفة الشرق الأوسط، العدد ٨٣٤٠، ١١رجب ١٤٢٢هـ٢٨ سبتمبر ٢٠٠١م.

٨٥- تذكرة الأريب في تفسير الغريب، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن مُحَمَّد الجوزي، تحقيق طارق فتحي السيد، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.

٨٦- الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم الأندلسي الظاهري، دار ابن الهيثم، القاهرة، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

٨٧- الانتصار لأصحاب الحديث ، أبي المظفر منصور بن مُحَمَّد السمعاني ، تحقيق مُحَمَّد بن حسين بن حسن الجيزاني، مكتبة أضواء المنار ، المدينة المنورة، ١٩٩٦م.

٨٨- في ظلال سيرة الرسول ﷺ، أحمد المخزنجي، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٤١١هـ-١٩٩١م.

٨٩- البرهان في غريب القرآن، حسن بن صالح بن عمر الجشي، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤١١هـ- ١٩٩١م.

٩٠- نقد الخطاب الاستشراقي في الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية ، د.ساسي سالم الحاج، دار المدار الإسلامي، مصر، ٢٠٠٢م.

٩١- آليات المنهج الاستشراقي، د. حسن عزوزي، مطبعة آنفو برانت، فاس، المغرب، ٢٠٠٧م.

٩٢- هجمة علمانية جديدة ومحاكاة النص القرآني، د. كامل سعفان، دار الفضيلة، الرياض، ١٩٩٣م.

٩٣- الفن القصصي في القرآن الكريم، د. مُحَمَّد خلف الله، ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ، ١٩٧٢م.

٩٤- القصص القرآني، د. فضل عباس، دار الفرقان، بيروت، ١٩٨٧م.

٩٥- إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، مالك بن نبي، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق، ١٣٨٨هـ — ١٩٦٩م.

٩٦- الاستشراق ومناهجه في الدراسات الإسلامية، أ.د. سعدون الساموك، دار المناهج للنشر والتوزيع، الأردن، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

٩٧- قصة الحضارة، ويليام جيمس ديورانت، ترجمة مُحَمَّد بدران، دار الجيل، بيروت، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

٩٨- موسوعة بيان الإسلام الرد على الافتراءات والشبهات، نخبة من كبار العلماء، دار نهضة مصر للنشر، القاهرة ، ٢٠١١م.

٩٩- مناهج المستشرقين البحثية في دراسة القرآن الكريم، حسن بن إدريس عزوزي، بحث مقدم تحت إشراف مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، فندق ميريديان المدينة المنورة، الثلاثاء ١١/١٠/١٤٢٧هـ.

١٠٠- مذاهب التفسير الإسلامي، جولد تسيهر، قام بترجمته إلى العربية د. مُحَمَّد يوسف موسى وزملائه، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٣٧٨هـ-١٩٥٩م.

[١] الشريعة في الإسلام، جولد تسيهر، قام بترجمته إلى العربية د. علي حسن عبدالقادر، مطبعة العلوم، القاهرة، ١٣٦٣هـ-١٩٤٤م.

١٠١- الطبقات الكبرى، مُحَمَّد بن سعد أبو عبد الله البصري ، إحسان عباس، دار صادر ،بيروت،١٩٦٨ م.

١٠٢- السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، د. مهدي رزق الله أحمد، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

١٠٣- نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق، مُحَمَّد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، دمشق، ١٤١٧هـ — ١٩٩٦م.

١٠٤- المستشرقون والقرآن دراسة نقدية لمناهج المستشرقين، مركز دراسات العالم الإسلامي، مالطا، ١٩٩١م.

١٠٥- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم برهان الدين البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٤ هـ— ١٩٨٤م.

١٠٦- البرهان في ترتيب سور القرآن، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، طبع وزارة

الأوقاف المغربية، الرباط ١٩٩٠م، ص ٣٤٩.
١٠٧- مُحَّد في مكة، ويليام مونتجمري وات، ترجمه د. عبد الرحمن عبد الله الشيخ، مراجعة د. أحمد الشلبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة، ١٤١٥ هـ.
١٠٨- موسوعة علم النفس، أسعد رزق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٧م.
١٠٩- الموسوعة العربية الميسرة، مُحَّد شفيق غربال، دار الشعب، القاهرة، ١٩٦٥م.
١١٠- منهج الإسقاط في الدراسات القرآنية عند المستشرقين ، د. مُحَّد عامر عبد الحميد مظاهري، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ٢٠٠٦م.
١١١- مدخل إلى دراسة علوم القرآن والتفسير، د. حسن عزوزي، أنفو برانت، المغرب، ١٩٩٨م.
١١٢- مناهج وأساليب البحث العلمي النظرية والتطبيق، يحي عليان ، دار الصفا للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٠م.
١١٣- قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية، نقد مطاعن، ورد شبهات، د. فضل عباس ، دار النشر، عمان، ١٩٨٩م.
١١٤- منهج المستشرقين التأويلي في تفسير النص القرآني، د. زكريا إبراهيم الزميلي، بحث مقدم إلى مؤتمر"الإسلام والتحديات المعاصرة"، المنعقد بكلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية، في الفترة: ٢-٣/٤/٢٠٠٧م.
١١٥- حياة مُحَّد، إميل ديرمنغم Emile Dermenghem ، ترجمة عادل زعيتر، ، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ،١٩٤٩م.
١١٦- مجلة البحوث الإسلامية، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، الرياض، العدد ٦٧، من رجب إلى شوال ١٤٢٣هـ، الصفحة ١٤٤-١٤٧.
١١٧- النظم والفلسفة والدين في الإسلام، هاملتون جب، المركز العربي للكتاب، دمشق.
١١٨- مزاعم المستشرقين حول القرآن الكريم، مُحَّد مهر علي، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ١٤٢١ هـ.
١١٩- المنهج السلفي، د. مفرح بن سليمان القوسي، دار الفضيلة، الرياض، ١٤٢٢هـ.
١٢٠- مناهل العرفان في علوم القرآن، مُحَّد الزرقاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٦٢هـ-١٩٤٣م.

١٢١- الفتاوى الكبرى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق مُحَمَّد عبدالقادر عطا - مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.
١٢٢- مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق أنور الباز - عامر الجزار، دار الوفاء، الاسكندرية، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
١٢٣- شرح النووي على صحيح مسلم، للإمام محي الدين أبي زكريا يحى بن شرف النووي، دار المنار للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.
١٢٤- شرف أصحاب الحديث، للخطيب البغدادي، تحقيق مُحَمَّد سعيد أوغلي، نشر كلية الإلهيات، أنقرة، ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م.
١٢٥- معالم السنن شرح سنن أبي داود، أبو سليمان أحمد بن مُحَمَّد البستي، المطبعة العلمية ، حلب، ١٣٥١هـ-١٩٣٢م.
١٢٦- جامع بيان العلم وفضله، أبي عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي، تحقيق أبو عبد الرحمن فواز أحمد زمرلي، دار ابن حزم، الرياض، ١٤٢٤-٢٠٠٣ هـ.
١٢٧- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار الكتاب العربي ، بيروت، ١٤٠٥هـ.
١٢٨- أصول السنة، أبو عبدالله أحمد بن مُحَمَّد بن حنبل الشيباني، دار المنار ،الخرج ، السعودية، ١٤١١هـ.
١٢٩- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٧٩هـ.
١٣٠- مدارج السالكين، للإمام ابن القيم الجوزية، دار المطبوعات الحديثة، جدة، ١٤٠٢هـ.
١٣١- الاستقامة، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، تحقيق د. مُحَمَّد رشاد سالم، جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود ، المدينة المنورة، ١٤٠٣هـ.
١٣٢- الصحوة الإسلامية ضوابط وتوجيهات، للشيخ مُحَمَّد بن عثيمين، دار الوطن للنشر، الرياض،١٤٢٦هـ، .
١٣٣- النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك بن مُحَمَّد الجزري (ابن الأثير)، تحقيق طاهر أحمد الزاوي المكتبة العلمية ، بيروت ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
١٣٤- كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأثرهما في حفظ الأمة ، د. عبد العزيز المسعود ، دار الحرمين للطباعة ، القاهرة ، ١٤١٥هـ.

١٣٥- الموقع الرسمي لسماحة الشيخ العلامة عبدالعزيز ابن باز-رحمه الله-، الدخول الساعة التاسعة مساء يوم الخميس الموافق ١٤٣٦/٣/٢٤هـ.

١٣٦- المدخل إلى علم الدعوة ، د. مُحَمَّد أبو الفتح البيانوني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

١٣٧- بحث تطبيقات الرسولﷺ للمنهج العقلي في الدعوة، المقدم من الباحث مُحَمَّد بن عبدالله العثمان لنيل الماجستير لقسم الدعوة والاحتساب للمعهد العالي للدعوة الإسلامية في المدينة المنورة ١٤٠٩هـ.

١٣٨- المنهج العلمي وأثره في الدعوة إلى الله، فكري السيد عوض، بحث لنيل درجة الماجستير، المعهد العالي للدعوة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤٠٤هـ.

١٣٩- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة، أبي القاسم هبة الله بن الحسن اللالكائي، تحقيق د. أحمد حمدان دار طيبة،الرياض،١٤٠٢هـ.

١٤٠- وبدائع الفوائد، لابن القيم الجوزية، مكتبة الباز، مكة المكرمة،١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

١٤١-الردود-الرد على المخالف، بكر بن عبدالله أبو زيد، دار العاصمة،الرياض،١٤١٤هـ.

١٤٢- وفقه الرد على المخالف، خالد بن عثمان السبت، مركز المصادر للمعلومات،جدة،١٤٣٢هـ.

١٤٣- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، دار العاصمة ، الرياض ، ١٤١٤ هـ.

١٤٤- المستشرقون والقرآن الكريم ، د. مُحَمَّد أمين حسن مُحَمَّد بني عامر، دار الأمل للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠٠٤م.

١٤٥- الاسلام في مواجهة الاستشراق، د. عبدالعظيم المطعني ، دار الوفاء، المنصورة، ١٤٠٧هـ.

١٤٦- الغارة التنصيرية على أصالة القرآن الكريم، د. عبدالراضي مُحَمَّد عبدالمحسن، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ١٤٢١هـ.

١٤٧- الظاهرة القرآنية، د. مالك بن نبي، ترجمة عبدالصبور شاهين، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

١٤٨- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو مُحَمَّد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي ،تحقيق عبد السلام عبد الشافي مُحَمَّد، دار الكتب العلمية ،

بيروت، ١٤٢٢ هـ .
١٤٩- سيكولوجية القصة في القرآن، د. التهامي النقرة، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ١٩٧٤م.
١٥٠- الفلكلور في العهد القديم ، جيمس فريزر ، ترجمة نبيلة إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٣م .
١٥١- الحقيقة والأسطورة في التوراة، زينون كاسيدوفسكي، الأبجدية للنشر، دمشق ١٩٩٠م.
١٥٢- مصادر التاريخ، سيدة إسماعيل كاشف، دار الرائد العربي، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٣م.
١٥٣- سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٦م، ص ١٥٦.
١٥٤- القرآن ونظرية الفن، د. حسين علي مُحَمَّد، القاهرة، ١٤١٣ هـ ، ١٩٩٢م.
١٥٥- أدب القصة في القرآن الكريم، عبد الجواد المحص، الدار المصرية، الاسكندرية، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م.
١٥٦- الموسوعة الكنسية لتفسير العهد القديم، سفر التكوين، كهنة وخدام كنيسة مار، مطبعة دير الشهيد ، مصر ، ٢٠٠٦م.
١٥٧- أباطيل الخصوم حول القصص القرآني، د. عبد الجواد المحص، الدار المصرية، الإسكندرية، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
١٥٨- الرسل والرسالات، د. عمر سليمان الأشقر، دار النفائس، الكويت، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.
١٥٩- تأملات في سفر عزرا، د. نبيه أسحق، دار الأخوة للنشر، مصر، ١٩٩٨م.
١٦٠- ينظر سفر التكوين ، كهنة وخدام كنيسة مار مرقص بمصر الجديدة ، مطبعة دير الشهيد مار مينا العجائبى ، مصر،٢٠٠٦ م.
١٦١- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، مُحَمَّد الأمين بن مُحَمَّد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ مـ، ١٢/٧.
١٦٢- الواقع والأسطورة في التوراة ، زينون كاسيدوفسكي ، الأبجدية للنشر ، دمشق،١٩٩٠م.
١٦٣- ينظر القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم ، موريس بوكاي ، مكتبة مدبولي،

القاهرة،١٩٩٦م.
١٦٤- الغارة على العالم الإسلامي، أ.ل. شاتليه، منشورات العصر الحديث، القاهرة، ١٣٨٧هـ.
١٦٥- آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره، د. عمر بن إبراهيم رضوان، دار طيبة، الرياض، ١٤١٣هـ.
١٦٦- السيرة النبوية ، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو مُحَمَّد، تحقيق طه عبد الرءوف سعد، دار الجيل ، بيروت، ١٤١١ هـ.
١٦٧- أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، أبو عبد الله مُحَمَّد بن إسحاق بن العباس المكي الفاكهي ، تحقيق د. عبد الملك عبد الله دهيش، دار خضر ، بيروت، ١٤١٤هـ.
١٦٨- الروض الأنف في شرح غريب السير، عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي، تحقيق عمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.
١٦٩- دائرة المعارف الإسلامية ٣٠٥/٧ والكتاب المقدس، جمعية الكتاب المقدس في لبنان، دار الكتاب المقدس، بيروت، ١٩٩٥م.
١٧٠- أنساب الأشراف، لأحمد بن يحيى البلاذري ، تحقيق/ سهيل زكار، ورياض زركلي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٧هـ.
١٧١- مروج الذهب، ابن الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، المكتبة العصرية ، بيروت، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م.
١٧٢- الكتاب المقدس، العهد الجديد، إنجيل برنابا، الفصل الأول بشرى جبريل للعذراء مريم بولادة المسيح، فقرة ١-١٦ ص ٣٩.
١٧٣- تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب ، عبد الله الترجمان الميورقي أبو مُحَمَّد، تحقيق محمود على حماية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٢م.
١٧٤- المعارف ، أبي مُحَمَّد عبدالله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق د. ثروت عكاشة، دار المعارف، القاهرة، ١٨٨٢م.
١٧٥- مريم والمسيح، مُحَمَّد متولي الشعراوي، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، ٢٠٠٠م.
١٧٦- الإصابة في تمييز الصحابة - ابن حجر ، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار الجيل ، بيروت، ١٤١٢هـ.
١٧٧- المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل، عبد الكريم الخطيب، دار الكتب الحديثة، القاهرة،

١٩٦٥م. الفكر الإسلامي في الرد على النصارى ، د. عبد المجيد الشرفي، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٦م.

١٧٨- ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة الفرنسية ، E. Montet طبعت في باريس عام ١٩٢٩م.

١٧٩- المستشرقون والقرآن، د. إبراهيم عوض، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.

١٨٠- التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، مُحَمَّد الطاهر بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد الطاهر بن عاشور التونسي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت ، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

١٨١- عصمة الأنبياء والرد على الشبه الموجهة إليهم، د. مُحَمَّد أبو النور الحديدي، مطبعة الأمانة، مصر، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

١٨٢- حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، د. محمود حمدي زقزوق ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، مصر، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢ م.

١٨٣- مُحَمَّد أركون ناقد معاصر للعقل الإسلامي، للباحثة الألمانية أرزولا غونتر، دار النشر إيرغون، عام ٢٠٠٤م.

١٨٤- موسوعة أندريه لالاند الفلسفية، تعريب: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، باريس ، ٢٠٠١م.

١٨٥- الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، مُحَمَّد أركون، ترجمة هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، ١٩٩٨م.

١٨٦- تاريخية الفكر العربي الإسلامي، مُحَمَّد أركون، ترجمة: هاشم صالح، مركز الإنماء القومي، بيروت، ١٩٩٦م.

١٨٧- الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، مُحَمَّد أركون، ترجمة هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، ٢٠٠٢م.

١٨٨- مجلة مواقف، مُحَمَّد أركون، مقال الإسلام والحداثة، عدد٥٩-٦٠ سنة ١٩٨٩م.

ينظر الفكر الإسلامي، مُحَمَّد أركون، ترجمة هاشم صالح، مركز الإنماء القومي، بيروت، ١٩٩٦م.

١٨٩- الفكر العربي و الفكر الاستشراقي بين د. مُحَمَّد أركون و د. ادوارد سعيد، د. نعمان

عبد الرزاق السامرائي، دار صبري للنشر، الرياض ،١٤١٠هـ.

١٩٠- مطاعن المستشرقين في ربانية القرآن، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، السنة الرابعة، العدد ٣٨، ربيع الآخر، ١٤٢٠هـ، أغسطس ١٩٩٩م.

١٩١- الإحكام في أصول الأحكام، أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن مُحَمَّد بن سالم الثعلبي الآمدي ، دار الصميعي، الرياض، ١٤٢٤هـ.

١٩٢- تأويل مشكل القرآن، أبو مُحَمَّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، دار التراث، القاهرة، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

١٩٣- الموقف الاستشراقي في موقف مُحَمَّد أركون من القرآن الكريم، د. مُحَمَّد السرحاني، مجمع الملك فهد لطباعة المصاحف، المدينة المنورة،١٤٢٧ هـ.

١٩٤- السيرة النبوية، د. علي مُحَمَّد الصلابي، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

١٩٥- تهذيب سيرة ابن هشام، عبدالسلام هارون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦م.

١٩٦- ودلائل النبوة للبيهقي، الإمام البيهقي، تحقيق د. عبد المعطى قلعجى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

١٩٧- القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، مُحَمَّد أركون، تحقيق هاشم صالح، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت، ٢٠٠١م.

١٩٨- القصة القرآنية، فتحي رضوان، دار الهلال، القاهرة، ١٩٧٨ م.

١٩٩- قضايا في نقد العقل الديني، مُحَمَّد أركون، ترجمة هاشم صالح، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٨م.

٢٠٠- العقيدة الإسلامية نشأتها وتطورها التاريخي، أرنت فنسنك، جامعة كمبريدج، لندن، ١٩٣٢م.

٢٠١- القصص القرآني مفهومه ومنطوقه ، د. عبد الكريم الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.

٢٠٢- المعجزة الكبرى القرآن ، الشيخ مُحَمَّد أبو زهرة -رحمه الله-، دار الفكر العربي، بيروت، ١٣٩٠ هـ-١٩٧٠ م.

٢٠٣- تاريخ الأمم والملوك، أبو جعفر مُحَمَّد بن جرير الطبري ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ١٤٠٧ هـ.

٢٠٤- إعجاز القرآن ، أبو بكر الباقلاني مُحَمَّد بن الطيب، تحقيق السيد أحمد صقر، دار

المعارف ، مصر، ١٩٩٧م.
٢٠٥- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين مُحَمَّد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، تحقيق مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب، بيروت، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م.
٢٠٦- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي، دار الكتاب العربي ، بيروت، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م.
٢٠٧- قصص القرآن، د. عبد الباسط بلبول، مكتبة أصول الدين، بالقاهرة، بدون تاريخ نشر.
٢٠٨- ينظر اللآلىء ا لحسان في علوم القرآن، د. موسى شاهين لاشين، دار الشروق، القاهرة، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
٢٠٩- دراسات قرآنية، مُحَمَّد قطب، دار الشروق، القاهرة، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
٢١٠- ينظر الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، د. مُحَمَّد محمود حجازي، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٣٩٠هـ- ١٩٧٠م.
٢١١- اتجاهات التفسير في العصر الحديث، د. عفت الشرقاوي، مطبعة الكيلاني، القاهرة، ١٩٧٢ م.
٢١٢- مقدمة ابن خلدون ، عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن خلدون ولي الدين، تحقيق عبد الله مُحَمَّد الدرويش، دار يعرب، دمشق، ١٤٢٥ هـ- ٢٠٠٤م.
٢١٣- التصوير الفني في القرآن الكريم، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
٢١٤- علوم القرآن، د. نور الدين عتر، مطبعة الصباح، دمشق، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.
٢١٥- شبكة الألوكة الاكترونية ،www.alukah.net
٢١٦- درة التنزيل وغرة التأويل، مُحَمَّد بن عبد الله الخطيب الإسكافي، تحقيق مُحَمَّد مصطفى آيدين، معهد البحوث العلمية، مكة المكرمة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
٢١٧- المئة الأوائل، مايكل هارث، صحيفة عكاظ، العدد ٤٩٤٨ تاريخ ١٤٣٦/٣/١٢هـ بقلم أسامة خياط إمام المسجد الحرام بمكة المكرمة.
٢١٨- شبهات المعترضين ومفترياتهم حول صدق نبوة مُحَمَّد ورسالته، ماهر عبدالوهاب مُحَمَّد حجاج، الاتحاد الأخوي، القاهرة، ١٩٩٨م.
٢١٩- دفاع عن السنة، د. مُحَمَّد أبو شهبة، مكتبة السنة، القاهرة، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

٢٢٠- الموسوعة القرآنية المتخصصة، د. إبراهيم خليفة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
٢٢١- مائة سؤال عن الإسلام، مُحَمَّد الغزالي، دار نهضة مصر، القاهرة، ٢٠٠٤م.
٢٢٢- موقف ابن تيمية من النصرانية، د. مريم عبدالرحمن زامل، معهد البحوث بجامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٩٩٧م.
٢٢٣- هذه مشكلاتهم، د. مُحَمَّد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩٠م.
٢٢٤- يقولون عن الإسلام، د. عبد الحافظ سلامة، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، ٢٠٠٧م.
٢٢٥- نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، تحقيق إبراهيم الإبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت،١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.
٢٢٦- قصص الأنبياء، عبدالوهاب النجار، مكتبة دار التراث، القاهرة، ١٩٨٥م.
٢٢٧- قرآن أمريكي ملفق، د. إبراهيم عوض، زهراء الشرق، القاهرة، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
٢٢٨- نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق، مُحَمَّد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
٢٢٩- الرد على كتاب أخطاء إلهية في القرآن الكريم، مجمع البحوث الإسلامية، دار السعادة، القاهرة، ٢٠٠٣م.
٢٣٠- لا يأتيه الباطل، مُحَمَّد سعيد رمضان ، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٧م.
٢٣١- الشبهات المزعومة حول القرآن الكريم في دائرتي المعارف الإسلامية والبريطانية، مُحَمَّد السعيد بن السيد جمال الدين، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢١هـ.
٢٣٢- موسوعة القرآن العظيم، د. عبدالمنعم الحفني، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٤م.
٢٣٣- التفسير الوسيط، د. مُحَمَّد السيد طنطاوي، دار الرسالة، القاهرة، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
٢٣٤- التحرير والتنوير، مُحَمَّد الطاهر عاشور، دار سحنون، تونس ، ١٩٨٤م، ١٢/١٤٠-١٤٥هـ.
٢٣٥- المفصل في الرد على شبهات أعداء الإسلام، د. علي بن نايف الشحود، الموسوعة الشاملة ١٤٢٨هـ.
٢٣٦- مدخل إلى التفسير وعلوم القرآن، د. عبد الجواد خلف، دار البيان ، القاهرة، ٢٠٠٣

م.
٢٣٧- تهذيب الأسماء والصفات، العلامة أبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي ، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٠م.
٢٣٨- سبل الهدى والرشاد في هدي خير العباد، مُحَّد بن يوسف الصالحي الشامي، دار الكتاب المصري، القاهرة، ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م.
٢٣٩- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ابن القيم الجوزية، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.
٢٤٠- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي، جامعة بغداد، العراق، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.
٢٤١- مع رجال الفكر، مرتضى الرضوي، دار الهادي للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٣م.
٢٤٢- مدخل إلى القرآن الكريم، مُحَّد عابد الجابري، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، ٢٠٠٦م.
٢٤٣- السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، د. مصطفى السباعي، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
٢٤٤- دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم والرد عليها، د. عبد المحسن بن زبن المطيري، دار البشائر،١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧م.
٢٤٥- القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، موريس بوكاى، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٤م.
٢٤٦- حياة محمد، ، ر ف بودلي، ترجمة عبدالحميد خوده السحار و مُحَّد فرج، دار الكتاب العربي، مصر، ١٩٤٥م.
٢٤٧- والمستشرقون د. نجيب العقيقي ٢/٩٥، و السيرة النبوية وأوهام المستشرقين، د. عبد المتعال مُحَّد الجبري، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.
٢٤٨- أسد الغابة في معرفة الصحابة ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم مُحَّد بن مُحَّد بن عبد الكريم بن عبد الواحد، المعروف بابن الاثير ، تحقيق علي مُحَّد معوض ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤ م.
٢٤٩- حديث الإفك دروس وعبر، د. عامر حسين السلامي، دار القمة، الإسكندرية، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

٢٥٠- نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، الشيخ مُحَمَّد الخضري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٥هـ.
٢٥١- سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله مُحَمَّد بن أحمد الذَهَبي، تحقيق مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
٢٥٢- السيرة النبوية وأوهام المستشرقين، عبد المتعال مُحَمَّد الجبري، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.
٢٥٣- مُحَمَّد والخناجر المسمومة الموجهة إليه، د. نبيل لوقا بباوي، دار البباوي، القاهرة، ٢٠٠٥م.
٢٥٤- النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، د. مُحَمَّد عبد الله دراز، دار القلم، الكويت، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.
٢٥٥- فقه السيرة، د. مُحَمَّد سعيد البوطي، مكتبة الدعوة الإسلامية، القاهرة، ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م.
٢٥٦- الرد على القس بوش في كتابه "مُحَمَّد مؤسس الدين الإسلامي"، د. عبد الرحمن جيرة، دار المحدثين، القاهرة، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.
٢٥٧- موقع المكتبة الشاملة http://shamela.ws/index.php/author
٢٥٨- قصة الحضارة، وِل ديورَانت ويليام جيمس ديورَانت، ترجمة د. زكي نجيب محمُود وآخرين ، دار الجيل ، بيروت، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
٢٥٩- رحلة إيمانية مع رجال ونساء أسلموا، عبدالرحمن محمود- الموسوعة الشاملة ٢٠٠٥م.
٢٦٠- الدعوة إلى الإسلام، سير توماس . و. آرنولد، ترجمة د. حسن إبراهيم حسن د. عبد المجيد عابدين د. إسماعيل النحراوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧١م.
٢٦١- الموسوعة العربية http://www.arab-ency.com
٢٦٢- مُحَمَّد وخلافاؤه Mohomet and his Successors، Washington Irving ،ترجمة د. هاني يحيى نصري ، المركز الثقافي العربي، نيويورك، ١٩٩٩م.
٢٦٣- حياة مُحَمَّد ، واشنطن إيرفينغ Washington Irving ، ترجمة علي حسني الخربوطلي، دار المعارف ، القاهرة، ١٩٦٦م.
٢٦٤- قالوا عن الإسلام ، عماد الدين خليل، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

٢٦٥- أضواء على الثقافة الاسلامية، د. نادية شريف العمري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٢٦٦- تاريخ الأدب العربي، ريجيس بلاشير، ترجمة د. إبراهيم الكيلاني، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٥٦م.

٢٦٧- القرآن . نزوله . تدوينه . ترجمته . تأثيره ، ريجيس بلاشير، ترجمة رضا سعادة، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٩٧٤ م.

٢٦٨- موسوعة السياسة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٦م.

٢٦٩- الموسوعة الشاملة، علي بن نايف الشحود، www.islamport.com.

٢٧٠- دعوة الإسلام نبض الحقيقة وروح الحياة، حسين طلب، مكتبة بورصة الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٠م.

٢٧١- تفصيل آيات القرآن الكريم، جول لا بوم، ترجمة فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى الحلبي، مصر، ١٣٤٢هـ-١٩٢٤م.

٢٧٢- الرسالة القشيرية، عبدالكريم بن هوازن القشيري، دار المعارف، القاهرة، ٢٠٠٤م.

٢٧٣- صحيفة الشرق الأوسط، العدد ١٠٧٨٧، ١٤٢٩/٦/٥هـ.

المراجع الأجنبية

1. Abraham Geiger: Was hat Muhammad aus dem Judentum aufgenommen Bonn 1833
2. R,Blachère: Le problème de Mohomet ,PUF –Paris 1952 P 42.
3. Le Coran: L'Appel, traduction de André Chouraqui, ed Robert Laffont – Paris 1991.
4. Arthur Jeffery: The Koran: Selected Suras translated Heritage, New York 1982 P32.
5. Henri Lammens; l'Islam, Beyrouth 1943 p 60.

6. Religionen der Welt , Bertelsmann Handbuch , S: 183 , ders

7. Rudolf Bultmonn , Neues Testament und MyThologie , S : 21 , in Kergma und MyThos, Hrsg . von : Hans - Werner Hamburg 1960.

8. Outlines of geoloical History, Wells 3 – 37 lo pp . K . london 1938.

9. Rev. W. St. Clair Tisdall, The Original Sources Of The Qur'an, 1905.

10. Society For The Promotion Of Christian Knowledge: London, pp. 47-50 .

11. W. St. Clair-Tisdall, THE SOURCES OF ISLAM, T.& T. Clark, Edinburgh, p 6 .

12. BELL ،RICHARD,Bell's, Introduction to the Quran, Revised by Montgomery Watt CHICAGO:EDUINBURGHAT THE UNIVERSITY PRESS1963, p 9.

13. Karl Von Frisch: Tanzsprache und orientierung der Bienen (Berlin Heideiberg. New York 1965.

14. The preaching of Islam T.W.Arnold, constable and campany ltd. London, 1913.
15. STANLEY T. WILLIAMS, The Life of Washington Irving (1935.
16. WILLIAM L. HEDGE, Washington Irving: An American Study, 1802-1832 (1965.

17. Bhattacharya ،Sabyasachi (1997) ،The Mahatma and the Poet ،New Delhi: National Book Trust, India, page 1.

18. Bharatan Kumarappa, Editör, "For Pacifists," M.K. Gandhi, Navajivan Publishing House, Ahmedabad, Hindistan, 1949.

19. Gandhi, Mahatma (1972). Non-violence in peace and war, 1942–[1949]. Garland Publishing, ISBN 0-8240-0375-6 .

20. Encyclopaedia of the history of science , technology and medicine in non- western cultures, by Helain Selin, retrieved 28 march 2011 .
21. Morley, J., The Works of Voltaire, A Contemporary Version, (21 vol 1901.

فهرس المحتويات

الفصل الأول

الموضوع **رقم الصفحة**

الفصل الثاني

الموضوع **رقم الصفحة**

شبهات المستشرقين حول قصص القرآن الكريم والرد عليها

الموضوع **رقم الصفحة**

الموضوع	**رقم الصفحة**